



الامانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

دار اللغة والادب العربي

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق العراقية

1963 لسنة 2014

www.dawatjournal.com

E-mail: daralarabia@imamhussain.org

mob: +9647827236864 - +9647721458001

مدير التحرير

أ.م.د. بشرى حنون محسن
جامعة كربلاء/كلية العلوم الاسلامية
bushra.hanon@uokerbala.edu.iq

رئيس التحرير

أ.د. انوار سعيد جواد
جامعة بغداد/كلية العلوم الاسلامية
dr.anwaarsaeed@yahoo.com

هيئة التحرير

أ.د. خالد عبد الكاظم عذارى
جامعة البصرة/كلية التربية للعلوم الانسانية
k.majedi86@gmail.com

أ.د. كاظم فاخر حاجم
جامعة ذي قار/كلية الآداب
Kadhem2000100@gmail.com

أ.د. سعيد ارديف بن عيسى
جامعة محمد الأول (المغرب)/كلية الآداب والعلوم الانسانية
Saidardif85@gmail.com

أ.د. جورج جريجور
جامعة بوخارست/كلية الاداب واللغات الأجنبية

أ.م.د. ماجد مهدي نجاريان
جامعة ازاد الاسلامية (اصفهان)
majednajarian@gmail.com

أ.م.د. إيمان عمر محمد
جامعة الملك خالد (السعودية)
Emangadalla1984@gmail.com

أ.م.د. حسام عدنان رحيم
جامعة القادسية/كلية الآداب
husam.adnan@qu.edu.iq

أ.م.د. علي عبد الرحيم كريم
جامعة ميسان/كلية التربية
aabdalrahem757@gmail.com

تدقيق اللغة الانكليزية
رشا عبد الرضا سعيد السباح

المتابعة والتنسيق
م.د. حسن كاظم الزهيري

أ.د. سيروان عبد الزهرة هاشم
جامعة الكوفة/كلية التربية المختلطة
serwan.aljanabi@uokufa.edu.iq

أ.د. علي هاشم طلاب
جامعة المثنى/كلية التربية للعلوم الانسانية
alih46416@gmail.com

أ.د. أحمد حسين عبد الساده
جامعة المثنى/كلية التربية للعلوم الانسانية
albghdadyahmed1977@mu.edu.iq

أ.د. عبدالرزاق احمد محمود
اكاديمية الدراسات العليا
alharby.15310@gmail.com

أ.م.د. علي حسين فرج
جامعة ميلانو بيوكوفا
ali.faraj@unimib.it

أ.م.د. جعفر مهدي عبد المحسن
الجامعة العربية المفتوحة (البحرين)
Jaffr4321@hotmail.com

أ.م.د. موسى علي موسى
كلية العلوم الاسلامية (فلسطين)
musa_najada@hotmail.com

تدقيق اللغة العربية
عباس عبد الرزاق الصباغ

الموقع الالكتروني
حيدر العامري

التصميم والخراج
حيدر أزهر الفتلاوي



بسم الله الرحمن الرحيم

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education &
Scientific Research
Research & Development



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير

No:

"معاً لمساندة قواتنا المسلحة الباسلة لحدار الارهاب"

الرقم: ب ت ٤ / ٩٦٠٨

Date:

"معاً لمساندة قواتنا المسلحة الباسلة لحدار الارهاب"

التاريخ: ٢٠١٤/١٠/٢٢

العتبة الحسينية المقدسة

م / مجلة دواة

تحية طيبة..

استناداً الى الية اعتماد المجالات العلمية الصادرة عن مؤسسات الدولة، وبناءً على توافر شروط اعتماد المجالات العلمية لاغراض الترقية العلمية في "مجلة دواة" المختصة بالدراسات وابحاث اللغة العربية الصادرة عن عتبتكم المقدسة تقرر اعتمادها كمجلة علمية محكمة ومعتمدة للنشر العلمي والترقية العلمية .

...مع التقدير

أ.د. غسان حميد عبد المجيد
المدير العام لدائرة البحث والتطوير وكالة
٢٠١٤/١٠/

وزارة التعليم العالي
والبحث العلمي
Ministry of Higher Education & Scientific Research

نسخة منه الى:

- قسم الشؤون العلمية/ شعبة التأليف والنشر والترجمة
- الصادرة

سياسة النشر

- ١- تنشر المجلة البحوث التي تتماشى مع فضل الممارسات وقواعد سلوك الهيئات المهنية ذات الصلة او الهيئات التنظيمية الوطنية والدولية.
- ٢- تلتزم المجلة بدعم سجلها العلمي من خلال التزامها بتعليمات لجنة اخلاقيات النشر (COPE).
- ٣- الابتعاد عن كل ما من شأنه إلحاق الضرر بالثقة في المجلة والكفاءة المهنية للنشر العلمي.
- ٤- يلزم ان يكون البحث المقدم للنشر غير مقدم الى أي وسيلة نشر اخرى .
- ٥- يلزم ان يكون البحث المقدم للنشر غير منشور مسبقا بأي شكل او لغة .
- ٦- يلزم ان يكون البحث المقدم للنشر أصيلاً وتقبل البحوث المستتلة.
- ٧- تقبل المجلة البحوث التي فيها زوايا بحث جديدة تتعلق بتوسيع البحث السابق.
- ٨- توفير الشفافية بشأن إعادة استخدام المواد لتجنب محاذير متعلقة بإعادة تدوير. النصوص أو (السرقة الادبية).
- ٩- لا تقبل المجلة الدراسة المقسمة الى عدة اجزاء لتقديمها للعديد من المجلات أو الى مجلة واحدة لكن على فترات زمنية مختلفة.
- ١٠- لا تقبل المجلة النشر المتزامن أو الثانوي المبرر.
- ١١- يلزم ان تكون نتائج البحث واضحة وصریحة دون او معالجة بما في ذلك التلاعب القائم على المصدر.
- ١٢- يلزم ان تكون طباعة البحث المرسل موافقة لقواعد اللغة العربية و الشروط المهنية.
- ١٣- احتواء البحث على علامات الترقيم والتقسيم المناسب للنص.
- ١٤- المجلة ملزمة بإجراء الاستلال للبحوث للكشف عن السرقات العلمية ونسبة الاستلال.
- ١٥- في حال اكتشاف سرقة علمية لدى الباحث في بحثه المرسل للنشر يسجل اسم الباحث في قائمة الإبعاد لعدم التعامل معه مرة ثانية حفاظا على اخلاقيات النشر.
- ١٦- يمكن للباحث سحب البحث قبل ارساله للتقييم ويشترط في سحبه حال ارساله وبعد التقييم دفع اجور المقيمين المحددة من قبل إدارة المجلة.
- ١٧- يتنقل البحث المرسل من خطوة الى اخرى بعد اتمام المتطلبات الإدارية من قبل ملء الاستمارات وإرسال المتطلبات ان وجدت.



شروط النشر

- ١- تقبل الابحاث باللغتين العربية والانكليزية على ان تكون مكتوبة بلغة سليمة خالية من الاخطاء النحوية واللغوية.
- ٢- تقدّم طلبات نشر الابحاث من خلال الموقع الالكتروني <http://dawatjournal.com> بصيغة (word).
- ٣- يستخدم في الابحاث المكتوبة باللغة العربية الخط Simplified Arabic بحجم (١٤) دون ترك اي مسافات بين السطور، ويستخدم الخط الغامق للعنوان الرئيسي وللعناوين الفرعية (حجم ١٤)، وبقية النص بخط عادي حجم (١٢)، و (١٠) عادي للجداول والاشكال.
- ٤- يستخدم في الابحاث المكتوبة باللغة الانكليزية الخط Times New Roman بحجم (١٢) دون ترك اي مسافات بين السطور ، ويستخدم الخط الغامق للعنوان الرئيسي وللعناوين الفرعية (حجم ١٤)، وبقية النص بخط عادي حجم (١٢)، و (١٠) عادي للجداول والاشكال.
- ٥- الأ يزيد عدد كلمات البحث عن (١٠٠٠٠-١٥٠٠٠) كلمة، وبما لا يزيد عن (٣٢) صفحة حجم (A٤)، بما في ذلك الاشكال والرسوم والجداول والهوامش والمراجع، علما بأن الملاحق لا تنشر، انما توضع لغايات التحكيم فحسب.
- ٦- يجب ان يتضمّن البحث الآتي صفحة منفصلة عليها: اسم الباحث / الباحثين وعنوانهم بعد عنوان البحث مباشرة باللغتين العربية والانكليزية، ويذكر بريدهم الالكتروني.
- ٧- يجب ان يتضمن البحث ملخصين احدهما باللغة العربية واخر باللغة الانكليزية، في حدود (١٥٠-٢٠٠) كلمة لكل منهما، ويراعي ان يتضمن الملخصان اهداف البحث ومنهجه وابرز النتائج التي توصل اليها، ويثبت الباحث في نهاية الملخص بما لا يقل عن ثلاث كلمات مفتاحية (Key Word).
- ٨- ان يتسم البحث بالجدّة والاصالة والموضوعية، ويمثّل اضافة جديدة الى المعرفة في ميدانه.
- ٩- ان لا يكون منشورا او قدّم للنشر في مجلة اخرى، وان يتعهدّ الباحث بذلك خطيا، موافقة الباحث على النشر وارسال بحثه يفترض بالضرورة الاطلاع على شروط النشر في المجلة والالتزام بها.
- ١٠- ان لا يكون البحث فصلا او جزءا من كتاب منشور.
- ١١- على الباحث ان يشير في هامش صفحة العنوان الى كون بحثه مستلّا من رسالة ماجستير او اطروحة دكتوراه ان كان ذلك واقعا.
- ١٢- لا يجوز نشر البحث او اجزاء منه في مكان اخر، بعد قبول عنوانه للنشر في المجلة، الا بعد الحصول على كتاب خطي من رئاسة تحرير المجلة.



- ١٣- يلتزم الباحث بدفع النفقات المترتبة على اجراءات التحكيم حال طلبه سحب البحث ورغبته في عدم المضي في حال التقويم.
- ١٤- تدرج الجداول في متن النص وترقم ترقيما متسلسلا وتكتب عناوينها فوقها. اما الملاحظات التوضيحية فتكتب تحت الجداول.
- ١٥- يستطيع الباحث تفسير ما يراه غامضا من كلمات او مصطلحات باستخدام طريقة الحواشي في المتن ، حيث يشار الى المصطلح المراد توضيحه برقم في اعلى المصطلح ، ثم يشار لهذه الهوامش في قائمة منفصلة قبل قائمة المصادر والمراجع



دليل المقومين

ان المهمة الرئيسية للمقوم العلمي للبحوث المرسله للنشر، هي أن يقرأ المقيم البحث الذي يقع ضمن تخصصه العلمي بعناية فائقة وتقييمه وفق رؤى ومنظور علمي أكاديمي لا يخضع لأي آراء شخصية، ومن ثم يقوم بتثبيت ملاحظاته البناءة والصادقة حول البحث المرسل اليه. قبل البدء بعملية التقييم، يرجى من المقيم التأكد من استعداده الكامل لتقييم البحث المرسل اليه وفيما اذا كان يقع ضمن تخصصه العلمي أم لا، وهل يمتلك المقيم الوقت الكافي لإتمام عملية التقييم، وإلا فيمكن للمقيم أن يعتذر ويقترح مقيم آخر. بعد موافقة المقيم على اجراء عملية التقييم والتأكد من إتمامها خلال الفترة المحددة، فإن عملية التقييم يجب أن تجري وفق المحددات التالية:

- ١- يجب أن لا تتجاوز عملية التقييم العشرة أيام كي لا يؤثر ذلك بشكل سلبي على المؤلف
- ٢- عدم الافصاح عن معلومات البحث ولأي سبب كان خلال وبعد اتمام عملية التقييم إلا بعد أخذ الإذن الخطي من المؤلف ورئيس هيئة التحرير للمجلة أو عند نشر البحث
- ٣- عدم استخدام معلومات البحث لأي منافع شخصية أو لغرض إلحاق الأذى بالمؤلف أو المؤسسات الراحية له
- ٤- الافصاح عن أي تضارب محتمل في المصالح
- ٥- يجب أن لا يتأثر المقيم بقومية أو ديانة أو جنس المؤلف أو أية اعتبارات شخصية أخرى
- ٦- هل ان البحث أصيل ومهم لدرجة يجب نشره في المجلة
- ٧- فيما اذا كان البحث يتفق مع السياسة العامة للمجلة وضوابط النشر فيها
- ٨- هل ان فكرة البحث متناولة في دراسات سابقة ؟ إذا كانت نعم، يرجى الإشارة الى تلك الدراسات
- ٩- مدى تعبير عنوان البحث عن البحث نفسه ومحتواه
- ١٠- بيان فيما إذا كان ملخص البحث يصف بشكل واضح مضمون البحث وفكرته
- ١١- هل تصف المقدمة في البحث ما يريد المؤلف الوصول اليه وتوضيحه بشكل دقيق، وهل وضع فيها المؤلف ماهي المشكلة التي قام بدراستها
- ١٢- مناقشة المؤلف للنتائج التي توصل اليها خلال بحثه بشكل علمي ومقنع
- ١٣- يجب ان تُجرى عملية التقييم بشكل سري وعدم اطلاع المؤلف على أي جانب فيها
- ١٤- اذا أراد المقيم مناقشة البحث مع مقيم آخر فيجب ابلاغ رئيس التحرير بذلك
- ١٥- يجب ان لاتكون هنالك مخاطبات ومناقشات مباشرة بين المقيم والمؤلف فيما يتلق ببحثه



المرسل للنشر، ويجب ان ترسل ملاحظات المقيم الى المؤلف من خلال مدير التحرير في المجلة
١٦- إذا رأى المقيم بأن البحث مستلاً من دراسات سابقة، توجب على المقيم بيان تلك الدراسات
لرئيس التحرير في المجلة
١٧- إن ملاحظات المقيم العلمية وتوصياته سيعتمد عليها وبشكل رئيسي في قرار قبول البحث للنشر
من عدمه ، كما يرجى من المقيم الاشارة وبشكل دقيق الى الفقرات التي تحتاج الى تعديل بسيط
ممکن ان تقوم بها هيئة التحرير وإلى تلك التي تحتاج الى تعديل جوهري يجب ان يقوم بها المؤلف
نفسه .



المحتويات

- ١١ سورة القارعة مقارنة تداولية مدمجة
أ.م.د.عمار نعمة نعيمش
- ٢٢ ظاهرة التعويض في ضوء علم الأصوات الحديث (المفهوم، المصاديق، التحولات، الخلاف)
م.د. جواد كاظم عبد
- ٤٠ رثاء المرأة بين الغياب والحضور في التراث النقدي العربي (دراسة في ضوء نظرية القراءة والتلقي) ...
أ.م.د. ثائر عبد الزهرة لازم
- ٥٥ جماليات الظواهر النحوية والصرفية في الجزء الأول من ديوان الشريف الرضي
م.د. إسماعيل بكري قلعه جي
- ٧٩ التاريخي والمتخيّل السرد في الرواية العراقية بعد ٢٠٠٣م
م.د. مرتضى حسين علي
- ٩٥ التقديم والتأخير في سورة (الكهف) (دراسة توليديّة تحويليّة)
م.د. سعيد عكاب عبدالعالي
- ١٠٧ العنوان في الرواية العراقيّة بعد عام ٢٠٠٣ الدلالات والتراكيب
م.د. خالد مرعي المسعودي
- الأفعال الكلاميّة في الخطب السياسيّة للمرجعيّة الدينيّة العليا
 (الخطب السياسيّة ٢٠١٤م - ٢٠١٨م) أمودجاً
أ.د. علاء جبر الموسوي حسن كاظم الزهيري
- ١٣٣ النسق السياسي في شعر السيد الحميري (ت ١٧٣هـ)
أ.د. حربي نعيم محمد زهراء عبد الحميد المسعودي
- ١٤٠ تعدد الأوجه الإعرابية لعدد من ألفاظ القرآن الكريم في تفسير ملا صدرا الشيرازي
م.د. نجاح حسين كطان
- ١٥٣ أثر السؤال والجواب في التحليل النحوي
م.د. خيرالله مهدي جاسم محمد الزغير



- ١٧٩ العلاقاتُ الزمَنيَّةُ والجهيَّةُ في الخطابِ القرآنيِّ مقارنةً تداوليَّةً
أ.د. لطيفة عبد الرّسول مهنّد ناصر حسين القريشي
- ١٩٢ القيمُ الوطنيَّةُ عند الشعراء العباسيين دراسة تحليلية
م.د. جواد عودة سبهان
- ٢٠٨ الاشتراطُ النّحويُّ مفهومه ومصطلحه عند النّحويين (نحاة القرن الرابع الهجري أمودجاً)
أ.د. فاخر هاشم الياسري رقيّة محمّد أمين كاظم
- ٢٢١ التّشكّلاتُ الاستعماليَّةُ للأفعال في التّركيب القرآنيِّ في مجلَّة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانيَّة
أ.د. مرتضى عبّاس فالح سارة رجاء عبد القائم
- ٢٣٩ المهملُ من البحورِ الشعريَّة في الدوائر العروضية
أ.م.د. عبد الجبار عدنان حسن



سورة القارعة مقارنة تداولية مدجة

أ.م.د.عمار نعمة نغيمش
جامعة القادسية / كلية التربية

Surah Al-Qari'ah Integrated Pragmatic Approach

Dr. Ammar Na'ama Naghmesh

Al-Qadisiyah University / College of Education



الملخص

يدرسُ هذا البحثُ منجزاً لغوياً في سورة القارعة يمزج بين التداولية والدلالة، فعلى الرغم من قصر هذه السورة إنَّها تحملُ تمثلات لغوية سياقية ابتداءً بالتنغيم الذي اتضح من مشاهد السورة وصولاً إلى الاكتناز الدلالي الحاصل فيها، فالمتواليات التي جاءت؛ لتثير القارئ إلى ما يحصل في يوم القيامة، فالسورة بكمالها تشير إلى المستقبل.

Abstract:

This research studies a linguistic achievement in Surat Al-Qari'a that mixes pragmatics and semantics. Despite the shortness of this surah, it bears contextual linguistic representations starting with the intonation that became clear from the scenes to the semantic compactness that occurs in this surah. The sequences that came excites the reader about what will happen on the Day of Resurrection, as the entire surah refers to the future.



ذلك أنّ توجيه الحجاجيات اللسانية مثل: القوة الحجاجية، أو التوجه الحجاجي، والقصد، والمقدمات المضمرّة وغيرها هي مفاهيم لا يمكن الاستغناء عنها- في أثناء وصف الملفوظات - فقادتّهما إلى تأسيس ما يسمى بالتداولية المدمجة، وهي اتجاه يرى "أنّ التداولية يجب ادماجها في الوصف الدلالي، وليست فقط إضافتها إليه كما يمكن ادماج الظواهر التداولية في صميم الدراسة اللسانية، فالرهان الأساس حسبهما هو إسناد الدلالة إلى الجمل، إذ يتمّ اسناد دلالة كل جملة بشكل يسمح بتوقع الملفوظ في سياق محدّد"^(٦).

فقاما بتقديم فرضيات للتداولية المدمجة، وقسماها على خارجية وداخلية، فالأولى تتمثّل في أنّ المتكلمين في لغة معينة يمتلكون القدرة على منح معنى للملفوظات المنجزة بوساطة هذه اللغة، والبحث عن إمكانات تأويل الملفوظات في الاستعمالات المتعدّدة^(٧). أمّا الثانية، فهي تبرز الطبيعة العلمية النظرية لعملية إسناد الدلالة إلى الجمل، فالجملة ليست هي الملفوظ لأنّها ذات طبيعة نظرية مجردة، أي: أنّها تنتمي إلى اللغة الواصفة، ولكنّ الملفوظ له وجود في حياة الناس اليومية^(٨).

لقد قدّم ديكرود خدمات جليّة للدراسات اللسانية، إذ استطاع بلورة مشروع القائم على التداولية المدمجة في الدلالة تلك التي تهتمّ بالخصائص الحجاجية للملفوظات أكثر ممّا تبحث في شروط صدقها، فلم يوافق على ما جاءت به نظرية التواصل بحسب ما قدّمت من شانون، وويقّر، فليست الغاية من كل تواصل تقتصر على نقل الخبر من باث إلى متلق.

ومن ثمّ أكد على أنّ اللغة مصاغة للفعل، وليست توصيلاً للمعلومات فحسب، وأنّها تقوم على علاقات إنسانية تفرض على المستعملين أشكالاً قليلة للتواصل، وهي تتكون من نسيج صعب من المكونات الخطابية ذات الإمكانيات المتنوعة.

لذلك نُظر إلى المنظور الخطي للاجتراحات السابقة آنذاك^(٩).

الحمدُ لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين محمد بن عبدالله، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمّا بعد، فقد عرف القسم المكي في القرآن الكريم بالتركيز على العقيدة وتثبيتها، وذكر أهوال القيامة فقسّم الناس على مؤمن وكافر، فجاءت هذه السورة لتؤكد ذلك، إذ يجد القارئ أنّ ثمة مهيمنات لغوية واضحة تركزت في هذه السورة ممّا يجعل المختص يبحث فيها، فعنون البحث بـ(سورة القارعة مقارنة تداولية مدمجة).

انتظم البحث في تمهيد تكلمت فيه عن التداولية المدمجة، و درست مجموعة من المباحث، ابتدأتها بالتنعيم السلمي، فالفعل الكلامي غير المباشر، والاكتمال الدلالي، وآخرها المتواليّة اللسانية. وأرجو أن أكون قد وفقت في هذه الدراسة.

مدخل نظري: التّدالوية المدمجة المقولة والإجراء.

اشتهر هذا المصطلح في أعمال ديكرود، وأنسكومبر، لذلك سميت بتداولية ديكرود، وأنسكومبر، أو الحجاجية اللسانية^(١)؛ لأنّها جمعت بين التّدالوية والحجاج، أو لأنّها عالجت الحجاج بمنظور تداولي، إذ أقحم ديكرود الحجاج في التّدالوية، فالحجاج - برمته- حجاج بالمضامين الدلالية بشروطه تلفظية^(٢).

وسميت أيضاً بالتّدالوية المدمجة، وهو المصطلح الأشهر، لأنّه سعى إلى الدمج بين التداولية والوصف الدلالي أو الدمج بين المكوّن النحوي، والمكوّن البلاغي الدلالي^(٣).

وقد سمّاها صولة - بحسب ترجمته للتسمية عند ديكرود- بالتّدالوية اللسانية، أو التداولية الدلالية^(٤).

وقد شكّلت منطلقات أعمال ديكرود وأنسكومبر - بعد ما انتهت إليه نظرية أفعال الكلام - مرتكزاً للحديث عن النشاط التلّفظي، ومن ضمنه الحجاج بوصفه فعلاً يقوم به المتكلم فتعكس آثاره واضحة في الملفوظ الذي ينتجه هذا النشاط^(٥).



سورة القارعة مقارنة تداولية مدحة

فيه معنى التعظيم والتعجب، وليس إنكارياً، فاللفظ الأول إذا كرر فإنه يدل على التعظيم والتفخيم^(١٦).

وقد ارتفع التنغيم في قوله تعالى: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ} (٣)، فهو هنا صاعد، وهو أقوى أداء مما سبق بلحاظ التهويل لأمرها وشأنها، فالسياق القرآني هيأ ذهن المتلقي بثلاث آيات لما سيأتي من الوعيد، وهذا الصعود يدل على إقرار فعل أو إنجاز فعل.

ويُذكر - في البحث اللغوي - أن هناك مقدمات ووقائع حجاجية، فلا يمكن أن تثبت الجملة ما لم تكن مقدمتها ووقائعها معلومة عند كل المستمعين، أي: عند كل الجمهور، ومن شروط هذه المقدمات أن تكون معلومة عند كل الناس، فإن قامت الحجة فلا ينكرها أحد بعدما تسلّموا الوقائع^(١٧). إذ بدأ التهديد بعدها في الآيات، أو بدأ بإبلاغ الحجة ابتداء من الآية التي جاءت بعدها.

وفي النص الكريم تنغيمان آخران، وهما الصاعد، والهابط، فالجزء الأول كان صاعداً أما الثاني؛ فهابط وهذا ما تبين في أما وجوابها، قال تعالى: {فَأَمَّا مَنْ تَقَلَّتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ} (٦).

فالجزء الأول - من النصين الكريمين - ينتهي بتنغيم عال، أما الثاني؛ فينتهي بهابط، ويشير إلى تمام الكلام والمعنى، فثمة تعلق بين الجمل، فالكلام الأول كان مرتفعا ينتظر الجواب ولا يتم إلا بالتنغيم الهابط الذي يحيل القارئ إلى التفكير والتدبر.

والملاحظ - في النصين - أن ثمة سكتة خفيفة بين الجزئين، وهذه السكتة توحى للمتلقى بما سيأتي من كلام فالجزء الأول بقي فيه الكلام معلقاً بلحاظ التنغيم الصاعد، وتمّ الكلام في الجزء الثاني بانخفاض التنغيم والجملة هنا خبرية، فهي شيء متحقق، والكلام نفسه يقال في قوله تعالى: {وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ} (٨) وقد ورد تنغيم آخر فيه صعود ونزول، قال تعالى: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ} (١٠)، فهو هنا تأكيد وتخويف ومن ثم هبط في نهاية السورة في قوله تعالى: {نَارٌ حَامِيَةٌ} (١١)، أي: النتيجة نار حامية،

إذ رُفض التصور القائم على فصل الدلالة التي تبحث في المعنى من جهة، والتداولية من جهة أخرى^(١٨).

المبحث الأول: التنغيم السلمي:

قرينة سياقية تستعمل في الدلالة على المعاني الإضافية مثل: التأكيد، والانفعال، والغضب، بلحاظ التنوع الحاصل في درجات الأداء، فتنغيم الكلام المنطوق له أثر دلالي في تفسير الجمل تفسيراً صحيحاً^(١٩).

وقد ورد - في السورة الكريمة - بأوجه متعدّدة، أولها: التنغيم المتدرج صعوداً، فابتدأت السورة الكريمة بكلمة {الْقَارِعَةُ} (١) المفاجئة، وكأنّ شيئاً سيأتي ذكره مما تجعل المتلقي ينتظر ما يأتي من كلام، فافتتحت بتلك الكلمة المخيفة بما فيها من تشويق، وتهويل لما سيأتي أو إلى معرفة ما سيخبر به^(٢٠).

ذلك أنّ المحور هو القارعة هنا، فعُدّت وحدة بنائية أو مرتكزاً يفتح النص عليها، فهي أول ما يقرع السمع لأنّ الكلمة المبتدأ بها دالة على ما بعدها^(٢١).

وثمة وقفة أدائية في الكلام، وهي وقفة داخلية أو سكتة معلقة، ويرمز لها - في الدرس الحديث - ب(- أو) ويكون دليلاً على أنّ الكلام لما يتم بعد، فالقارئ ينتظر الآتي، وتصاحبه نغمة صاعدة إشعاراً لما بعده وتعلّقه به، إذ يقع في التركيب الذي ينظم طرفين، فيكون وحدة متكاملة^(٢٢).

والوقفة ذات مغزى إشاري له قيم تعبيرية كبرى في السياق تعمل على إبراز الدلالات الموجودة في الخطاب^(٢٣).

فالابتداء الموجز يوحي إلى المقابل بالتأمل، ليفكر بما يأتي من كلام، وليتدبره، فزيد في الكلام، فقال جل وعز: {مَا الْقَارِعَةُ} (٢)، فالتنغيم كان منخفضاً، فالكلمة الأولى مهّدت بطريقة أخرى إلى السؤال الضمني فجاءت بعدها الآية الكريمة، فأصبح هنا متوسطاً وهو أعلى من سابقه، لذلك قيل: إنّها استفهام



الْمَنْفُوشِ} (٥) فهو فعل كلامي يشير إلى المستقبل، فعتبة العنوان لها أثر في التداول.

إذ بدأت السورة بالتعظيم والتعجيب في النص، ثم التهديد والوعيد، وبعد ذلك قَدَمَ النص القرآني وصفا في (فأما من ثقلت موازينه...) وهذا الوصف يراد منه فعل كلامي غير مباشر، (شيء مضمَر) أي : أثقلوا موازينكم.

وكذلك الوصف (بأمة هاوية)، فهو وعيد، ويشير إلى (شيء مضمَر)، وهو الهلاك والمكوث في جهنم، ومعلوم أنّ الوعيد، والتهديد يكثر في السور الملكية، ومنها هذه السورة، لأنّ المكيّ يركّز على تثبيت العقيدة فلا بد أن يُستعمل فعل كلامي فيه وعيد، والهدف من ذلك إقناع المقابل بذلك اليوم المخيف.

المبحث الثالث: الاكتناز الدلالي:

وهو ما يمثّل اختزال الجملة او اللفظ، فهو ضغط للعبارة بما يمكن من اللفظ، فيتحصل منها المعنى بالإيحاء والرمز، والمجاز، وهو مصطلح بديل عن الايجاز او الاقتصاد اللغوي، وغيرهما، فتركز المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة كي تنتج الدلالة وصولاً إلى الإقناع.

ويظهر ذلك في الأساليب البيانية، لأنّها تتعلّق بإيصال الكلام وإحالاته من الحقيقة إلى المدلول المجازي، فننحصر الألفاظ في صور بلاغية^(٢٤).

وفي النص الكريم مجموعة من الأساليب ورد الاكتناز فيها، وهي الآتي:

١. التشبيه المجمل المرسل:

يستدعي التشبيه طرفين، هما المشبه والمشبه به، وأعلى الأنواع و أقواها البليغ، ثم المجمل^(٢٥).

والكلام هنا عن المجمل المرسل، إذ ذكرت فيه الأداة وحذف وجه التشبيه، قال تعالى: {يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ} {وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ}.

ووجه الشبه هنا محذوف يتأمله القارئ

ولذلك جاءت الجملة هنا خبرية لتؤكد ذلك، وهذا الهبوط في الأداء يشير إلى النهاية الحتمية المتحصّلة للكافر، فيجعل القارئ منتبها لهذا الهبوط في الأداء الذي يتبعه الأثر المترتب للوقوع في النار الحامية.

المبحث الثاني: الفعل الكلامي غير مباشر:

يراد بالفعل الكلامي الإنجاز الذي يُلفظ بملفوظات معيّنة من منظومة الأفعال النطقية التي لا ينظر إليها على أنّها دلالات أو مضامين لغوية بل هي إنجازات، وأغراض تواصلية، كي تصنع أفعالا ومواقف، لتؤثر في المخاطب بحمله على إنجاز فعل، أو تركه، وغيرها^(١٨).

وهو على قسمين، مباشر وغير مباشر، وسيكون الكلام عن النوع الثاني، وهو خطاب لغوي تلمحي يعبر به المنشئ عن الغرض بخلاف معنى الخطاب العرفي، فيتجاوز المعنى الحرفي لخطابه، بمعية عناصر السياق، فالمنشئ أو المتكلم يستطيع أن يبلغ المتلقي أكثر ممّا يقوله بالفعل بإسناده إلى معلومات خلفية لغوية أو غير لغوية مشتركة بينهما، وبإسناده إلى مقدرات المتلقّي العقلية^(١٩).

ومن أهمّ أنواعه ما يسمّى بالإلزاميات، أو التّعهدات، أو الوعود، وغيرها^(٢٠).

وهذا النوع يتعهد فيه المنشئ بإنجاز فعل في المستقبل، ويكون في المواعيد، والتهديد، وغيرها^(٢١).

والحق أنّ السورة بكمالها تشير إلى ذلك ابتداء من بدايتها بالقارعة، فهي كلمة واحدة، وتعني الشديدة من شدائد الدهر، وسميت بهذا الاسم لأنّها تفرع الناس، أي: تضربهم بشدة^(٢٢).

وذكر بعضهم أنّها القيامة، والساعة، وذلك أنّها تفرع الخلاق بأهوالها، وإفزعها^(٢٣)

ويُستنتج من النص الكريم أنّ هناك يوماً - في المستقبل- يقرع القلوب بالأهوال، فهذه الكلمة الواحدة أدخلها معناها المعجمي في التهيب، والتخويف، وزاد في ذلك قوله تعالى: {يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ} (٤) {وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ



سورة القارعة مقارنة تداولية مدحجة

الإيجاز الناشئ عن حذف الأداة ووجه الشبه معاً^(٣١).
أي: مسكنه النار؛ وإثما قيل لمسكنه أمه؛ لأنّ الأصل
السكون إلى الأمهات

فالنار حالها حال الأم، فلا مأوى له غيرها،
ومن ثم قيل للمأوى: أم على التشبيه، فهي مأوى
الولد ومفرغه ومسكنه، كما قيل للأرض: أم الناس،
لأنّها تُؤويهم^(٣٢).

فالجمله كانت متكوّنة من أربعة عناصر،
فاكتنزت إلى اثنين أصبحا مثل الشيء الواحد.

واضح أنّ النظر هنا إلى التشبيه البليغ
يعطي معنى بلاغياً أوسع، أي: أنّ النص القرآني نص
عربي من الطراز الأول، وأسلوبه ونظمه يقتضيان
الاتساع، وفتح الدلالة.

والرأي الآخر على أنّها مثل أو استعارة
تمثيلية، ولاشك أنّ الاستعارة تنقل العبارة من وضع
استعمالها إلى غيره لغرض، نحو: شرح معنى، أو
المبالغة فيه، أو لاختصار العبارة، وغيره^(٣٣).

فهي تعطي كثيراً من المعاني باليسير من
اللفظ^(٣٤).

ومن ثم قيل إنّها قياس مختزل حذفت
مقدمته، واكتفي بالنتيجة^(٣٥).

أمّا الاستعارة التمثيلية؛ فهي ما كان المستعار
فيها مركباً، فتكون في التركيب (المبتدأ والخبر)، وهي
ضرب من التمثيل، قال الرازي: "وقد خصّوا التمثيل
المتزع من اجتماع أمور يتقيّد البعض ببعض باسم
التمثيل، فقد يكون ذلك على حدّ الاستعارة، كقولهم
لمن يتردّد في الأمر: أراك تقدّم رجلاً وتؤخّر أخرى،
والأصل: أراك في تردّدك كمن يقدم رجلاً ويؤخّر
أخرى"^(٣٦).

وهنا لا يقصد بها الأم، بل إنّ النتيجة هو
المصير إلى النار، فإذا كانت مثلاً يكثر فيها استعمالها
في الأمثال - وهي تركيب لغوي يحلّ المشبه ويبقى
المشبه به- فإنّها تجري مجرى المثل، ومن ثم ذكر
اللغويون أنّها كلمة عربية تستعمل أو تقال للرجل
إن وقع في أمر شديد أو إذا دعي عليه بالهلكة، فيقال:

من السياق، وهو الكثرة، والانتشار، والتطير من كل
جانب، وهنا حصل الاكتناز من الفضاء الدلالي لهذا
الحذف الذي يجعل المتلقّي يتصوّر ذلك التصوير
المخيف بما في النصّ من حجة بالسلطة التي هي أقوى
الحجج، فكل حذف يحوّل القرينة من لفظية إلى
معنوية، فالأصل أن يذكر وجه الشبه، وحذفه نوع من
أنواع التطوّر، والأخير يحيل إلى الاكتناز، فاللغة الأكثر
تطوراً تميل إلى الاكتناز؛ فالتشبيه يجمع ثلاث صفات،
هي: المبالغة، والبيان، والإيجاز^(٣٧).

ولابدّ من الذهاب إلى الدلالة القرآنية
للفظة الفراش، فقيل: إنّها الحشرة المعروفة، ومنهم
من رجح أنّها صغار الجراد، وقيل: هي الحشرة التي
تطير وتتهافت على النار، وذكر الفراء أنّه طائر يشبه
صغار الجراد الذي يركب بعضه بعضاً^(٣٨).

أما أبو عبيدة؛ فيذهب إلى أنّه طير ليس
ببعوض ولا ذباب^(٣٩).

وقريب ممّا ذكر ما ذهب إليه الزجاج إلى
أنّه يشبه صغار البق الذي يتهافت على النار^(٤٠).
واضح أنّ هذه التوجيهات تتراوح بين هذه
الحشرة الصغيرة، والفراش المعروف.

إذ أعطاهما النص الكريم بعدا تصويرياً أياً
كان هو، فهو تصوير فيه بثّ، واختلال واضطراب.
ويبدو أنّه الحشرة التي تتهافت على
النار فتحترق، فالعرب تصف هذه الحشرة بالجهل،
والطيش، ولذلك قيل في المثل: هو أطيّش من فراشة^(٤١).
وقد استعمل القرآن هنا تشبيه صورة
بصورة، والهدف من ذلك هو الإقناع الذي يدفع إلى
التدبّر.

٢. التعدد الدلالي في (أمه هاوية).

كثرت الآراء الدلالية التي قيلت في (أمه
هاوية) من قوله تعالى: {فأما من خفت موازينه
فأمه هاوية}، وأشهر هذه الآراء وأكثرها هو التشبيه
البليغ، وهو ما حذفت منه الأداة ووجه الشبه، وهو
أعلى مراتب التشبيه في البلاغة، وقوة المبالغة؛ لما فيه
من ادعاء أنّ المشبه هو عين المشبه به، ولما فيه من



من باب الدعاء على الشخص، فالملفوظ الاستعاري هنا يدلّ على الذمّ أو الويل أو شدة الأمر وتفاقمه، فحمل الكلام على المعنى الحقيقي؛ لأنّ الأصل أن يحمل النص على ظاهرة، فيراد معناه، ولا يقاس على واقعه ممّا لاءم السياق من دون تأويل، وقد وجد ما يؤيده (كلام عربي).

٣. راضية بين المجاز العقلي والفاعلية.

وردت كلمة راضية في النص الكريم، قال تعالى: {فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ} (٧).

وقيل: إنّ فيها مجازاً عقلياً، وهو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى ملابس له غير ما هو له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة الإسناد الحقيقي^(٤١). وهذا يعني أنّها أسندت إلى المفعول، أي: أن يجعل ما هو له في المعنى مفعول فاعلاً، فإنّ راضية مسندة إلى ضمير المعيشة، فقد جعلت العيشة فاعلاً، وإنّما هي مفعول في المعنى، فهي مرضي بها^(٤٢).

فالمعنى القرآني استدعي ذلك؛ لأنّ الله يخاطب العباد بالآية لتضيف معنى أخروياً، أو هذا المعنى الأخروي مرضي عنه من المخاطب (الإنسان) على الحقيقة، وعلى الواقع المتصل بالله فهو راضٍ، فالله عبّر عن المراد بما يتصل بالبشر، فوصفها على أنّها راضية؛ لأنّه يخاطب البشر، وأراد مرضية؛ لأنّه متصل بالذي سيكون فأضمر حتى دلالة اللفظ بهذا المجاز، فالذي يرضى صاحب العيشة، وليست العيشة، فأصل التعبير: عيشة راضٍ صاحبها، فأسند الرضا إلى العيشة لملازمة الرضا لها من جهة وقوعه عليها، وهي هنا شخّصت وأنزلت من المنزلة المجردة إلى المرئية المحسوسة، وهنا حصل التطابق الوجودي بين المجرد الذي شخّص وأنزل من المنزلة المجردة (الأقلّ افهاماً) والمرئي المحسوس، فعندما أنزلت إلى مرتبة مساوية إلى مرتبة الإنسان أصبحت أكثر افهاماً، فأبى فعل مجازي هو فعل إفهامي بلحاظ إنزال ما هو بمرتبة وجودية إلى مرتبة وجودية أدنى، فكلما أصبح الشيء قريباً على وجود الإنسان أصبح أكثر وضوحاً لذلك لا يمكن أن يؤدي التعبير (فهو راضٍ عن عيشته) ما يؤيده (فهو

هوت أمه لأنّه إذا هوى فقد سقط حاله حال الذي يفقد أمّه ثكلاً وحرزناً^(٣٧).

وقد قيل إنّ هذه الكلمة كناية، والمعروف عن الكناية أنّ المتكلم يريد إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له باللغة، ولكنه يأتي إلى معنى هو تاليه، فيوحي إليه ويجعله دليلاً عليه^(٣٨)، أي: أنّها تعني أنّه يهوي - إلى النار - على رأسه منكوساً^(٣٩).

والواقع أنّ هذا التوجيه جاء لأنّ ثمة مكاناً عميقاً أو لازماً عميقاً، فهو سقوط في قعر أو مكان عميق، فيسقط منكوساً على رأسه، واللازم هنا الهاوية، وهي المكان العميق، فيكون على حذف المضاف - أم الرأس أو وسطه - فهي كناية عن حال الهوي على رأسه أو كناية عن الانحدار والسقوط في جهنم، وفيه أيضاً - معنى الشمول، فتتال أم رأسه، فأقدمه، فلما جعلت بمعنى أم الرأس فقد حملت على البيان.

وربما يقال: إنّ فيها مجازاً عقلياً على أنّ الهاوية من أسماء النار، أي: مهوي فيها، إذ نُظر إلى السياق فثمة عدول صرفي من اسم المفعول إلى اسم الفاعل للانسجام مع السياق الذي يحافظ على الفاصلة القرآنية فالكلمة في نهاية الآية وردت بصيغة فاعل، وإن كان هذا الوجه بعيداً.

ويمكن أن يقال: إنّ فيها مجازاً مرسلًا، وهو الكلمة المستعملة قصداً في غير معناها الأصلي لعلاقة غير المشابهة مع قرينة مانعة عن إرادة المعنى الأصلي^(٤٠)، فقد ذكر الكل وأريد بذلك الجزء، فأشرف شيء بالإنسان هو رأسه، فهو يدلّ على الكرامة والشهامة وغيرها، فهذه المنظومة القيمة قد سقطت، واختزلت وعبر عنها بالرأس.

والآراء التي ذكرت جاء ت (عدا المثل) من النظر إلى الملازم أو القرينة (الهاوية)؛ ممّا أنتج صورة بيانية مكتنزة، وإن كان التعدّد هنا يتراوح بين التشبيه البليغ والمثل.

أما من حملها على المثل؛ فإنّ استدعاءها مجاز من حيث الدلالة، فهو حقيقي في بنيته، ومجازي في استعماله، فحالته حال: ويل أمه ولأمه الهبل، فهي



سورة القارعة مقارنة تداولية مدحة

والأول يعني أنك تستأنف كلاماً بناء على قاعدة أو حقيقة راسخة فهي نتيجة، فما بعدها غير متعلق بما قبلها^(٤٦).

أما العطف؛ فيعني أن ثمة تواصلًا أو تأكيداً لكلام سابق، أي: ربطت بين القولين، فهي تفيد الإشراك، وتدلل على مطلق الجمع، وأن الثاني بعد الأول ولا مهلة بينهما^(٤٧).

فالواو تعمل على تقوية هذه الحجج المذكورة وتماسكها بها فيها من علاقة التابع والترابط في الحجج، فهي ربطت بين حجج متساوقة {القارعة} {مَا الْقَارِعَةُ} {وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ}، فأسهمت في بناء مكونات هذا الخطاب، والذي يغري أن تكون عاطفة أن المشهد الأول من السورة مترابط؛ فتأتي النتائج بعده، يزداد على أنها جاءت بعد جملة إنشائية، فهي تربط بين جملتين إنشائيتين، فالآية الأولى خبرية، أما الثانية والثالثة فهما إنشائيتان فصلت بينهما الواو، فوحدة الأسلوب في النص ترجح العطف بما فيه من انسجام في الجزئيات وربطه بالنتيجة الرئيسة.

والكلام نفسه يقال في الآيتين الأخرتين، فهما نتيجة جزئية للقارعة، فالقارعة حجة، قال تعالى: {يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ}، فهما مثل الوصف للقارعة، وفي الآية الأولى نتيجة، وهي وصف الناس وحالهم المتخلخل، والواو هنا أيضاً عاطفة، فثمة تساند حجاجي بينهما، وهنا أيضاً النتيجة مضمرة، وهي وصف دمار هذه الجبال وتسويتها وصولاً إلى التخلخل في هذا اليوم العظيم. والملاحظ على الآيتين الأخرتين أنهما تحملان توازياً تركيبياً، فقد تكونتا من حجة ونتيجة يربط بينهما رابط، قال تعالى: {فَأَمَّا مَنْ نَقَلَتْ مَوَازِينُهُ} ف(رابط) {فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ} (نتيجة).

{أَمَّا مَنْ حَفَّتْ مَوَازِينُهُ} ف(رابط) {أُمَّهُ هَاوِيَةٌ} (نتيجة).

والمعروف عن أمّا أنها موضوعة لمعنيين لتفضيل مجمل، واستلزام شيء لشيء، أي: أن ما بعدها شيء يلزمه حكم من الاحكام، لذلك قيل فيها معنى

في عيشة راضية)، فالإسناد تحوّل إلى كل أجزاء الجنة فاكتنزت الدلالة بهذا التعبير لتدل على كل أجزاء الرضا.

والرأي الثاني أن تؤخذ على الفاعلية، أي: فاعلة للرضا، وهو اللين والانقياد لأهلها، فالفعل للعيشة؛ لأنها أعطت الرضا من نفسها، وهو اللين والانقياد، فالعيشة كلمة تجمع النعم التي في الجنة، فهي فاعلة للرضا^(٤٨).

وهنا تحصل المقابلة الدلالية في هذا الملفوظ بين عيشة راضية (الترغيب)، وأمّه هاوية (إن حملت على الذم وغيره)، فهي هنا تعامل على أنها شخص متحرك (أيضاً مجسد)، فهنا ترغيب في بثّ الحياة، فهي أبلغ من المرضية، وكأنّ القرآن يبثّ فيها الحياة بلحاظ الذم السابق أو أن يكون في قعر جهنم، فقد بثّ الحياة في العيشة، فأعطاهما الفاعلية (فعل متحرك: مجسد).

أما المرضية؛ فالفعل يقع عليها، في حين أنها -هنا- هي التي تبثّ الحياة، وهي التي تُصور، وهناك مُصورة، وهنا تُصور، فحصل الاكتناز أيضاً، وهو أكثر من الاكتناز الحاصل في مرضية بما فيه من ترغيب المعنى والاتساع فيه، و بما في التاء اللاحقة في راضية من مبالغة وبثّ للحياة^(٤٩).

المبحث الرابع: المتوالية اللسانية.

نجد في النص الكريم جملاً مؤلفة تأليفاً طبيعياً، فليس فيها عدول وتغيير تكون بين سبب ونتيجة، أو حجة وحجة أو حجة ونتيجة، وبينهما رابط حجاجي، فألفت متواليات لسانية، والملاحظ أن هذه الحجج المتوالية مرتبطة بنتيجة رئيسة، وهي القارعة، أي: ربط الجزئيات بالكليات، وهي الآتي:

قال تعالى: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ}، فالواو هنا رابط حجاجي، وهو مكوّن لغوي يربط بين قولين أو أكثر داخلين في استراتيجيّة حجاجية واحدة، فتربط بين المتغيرات بين حجة ونتيجة، أو مجموعة من الحجج^(٤٥) فالواو -هنا- تحتتمل الاستئناف أو العطف،



ما ذكر به فإنه يستحضره، ولم يستعمل قيماً أخرى تدرك بالعقل.

٣- يمكن القول إنَّ السورة بكمالها تشير إلى فعل كلامي غير مباشر، فالسورة فيها جزئيات مضمرة، ذلك أنَّ دلالتها في المستقبل وفيها ما فيها من التَّهويل، والتَّهديد، والوعيد، فرؤية النص في المستقبل،

٤- اتضح أنَّ السورة - وإن كانت دلالاتها مكتنزة- فإنَّها محمولة على الاتساع، وهذا الاتساع يتحسسه القارئ الواعي، ممَّا يجعل أكثر الموجهين يذكرون وجوهاً متعدّدة لما هو مستقرّ في النص، ومن ذلك ما قيل عن أمه هاوية بلحاظ الملفوظ (هاوية)، فجاءت الأوجه الدلالية بما في هذا الملفوظ من اتساع، فمن قال: إنَّها مثل لاحظ معنى الهاوية، وأخذ بمعنى الدعاء عليه بالمصير إلى النار والهلاك (نتيجة الحجة)، ومن أخذ بمعنى التشبيه البليغ، فعلى أنَّها المستقرّ في النار، وكذلك من ذهب إلى الكناية بلحاظ الوقوع في هذا القعر على رأسه، فمدار السورة الكريمة قائم على أمه هاوية، فالخطاب موجه إلى الكافر والميؤوس منه، وهذا يعني أنَّها مشهد من مشاهد القيامة، وهو ما يفسر لنا التّركيز على التّشبيه البليغ عند أغلبهم في توجيهات

فهي نتيجة لحجة متسلسلة، أعقبها نتيجتان تابعتان لها (وما أدراك ما هي، ونار حامية).

٥- تألفت السورة من ترابط نتائج جزئية بنتيجة رئيسية، فكل آية تخدم تلك النتيجة (القارعة)، لذلك تساوقت الحجج والنتائج لخدمة مطلع السورة، يزداد على أنَّ هذه النتائج المرسومة في النص محتومة فاستعملت بأسلوب السلطة العليا التي هي أقوى الحجج، فهي تضمّر أشياء متحققة في المستقبل.

الشرط، فهو استلزام الشيء للشيء، والاستلزام لازم لها في جميع مواقع استعمالها^(٤٨)، والاستلزام هنا نتيجة. ولها وظيفة التأكيد أيضاً، نقول: زيد ذاهب، فإذا قصدت أنه لا محالة ذاهب، وأنه على عزم الذهاب قلت: أمّا زيد فذاهب^(٤٩).

والفاء - في أمّا- رابط يفيد الاستئناف والتفريغ لما هو آت.

واضح أنَّ ما ذكرته الآيتان هو مشهد تفصيل وتفرّيع لما سبق وتوكيد للآتي فقد صورتنا حال الإنسان إمّا أن تكون نتيجته هانئة أو عيشته خاسرة.

ويبدو أنَّ قوله تعالى: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ} أيضاً نتيجة للتحليل السابق، أو خلاصة للنتيجة السابقة في (هاوية)، وتعطي أيضاً نتيجة أخرى، وهي (نار حامية)، فقد توالى نتيجتان لنتيجة سابقة.

واضح أنَّ النتائج المذكورة في المتن الكريم حتمية، فكلها متحققة في المستقبل.

حصيلة الدراسة:

فيما يأتي مجموعة من النتائج تبينت في البحث:

١- هيئاً السياق القرآني ذهن المتلقّي في بداية النص بصعود التنغيم في الآيات الثلاث الأولى، فدلّ فيه على التّخويف والتّهويل، والهدف من ذلك هو الإقرار، لذلك بدأ السياق القرآني بعدها بالتهديد في الآيات الأخرى، وهذا يعني أنَّ النص مقسّم على تهويل وتخويف وإقرار، ثمّ الوصف الحاصل في الناس، والجبال وصولاً إلى تقسيمهم على سعيد وشقيّ.

٢- استعمل الخطاب القرآني قيماً مادية، وهو ما يسمّى بالحجاج بالشاهد أو بالمثل، إذ ذكر شاهداً حسيّاً (مرثياً)، مثل: الفراش المبيثوث، والعهن المنفوش، فهذا الشاهد يدركه الإنسان، فله صورة في ذهنه وإذا



سورة القارعة مقارنة تداولية مدحجة

الهوامش:

- ١- ينظر: الأداء الصوتي للمسكوكات القرآنية، د. مشتاق عباس: ٢٠.
- ٢- ينظر: البعد التداولي في الحجاج اللساني، د. بنعيسى ازابط ٢٣٨/٢
- ٣- يراجع: القاموس الموضوعي للتداولية، جاك موشر ورفيقه: ٦٥.
- ٤- ينظر: الحجاج في القرآن: ٣٥.
- ٥- يراجع: الحجاجيات اللسانية عند انسكومبر وديكرو، رشيد الراضي: ٢١٧.
- ٦- الحوار ومنهجية التفكير النقدي، حسن الباهي: ١٣٣.
- ٧- ينظر الحجاجيات اللسانية: ٢٢٣-٢٢٥.
- ٨- نفسه.
- ٩- يراجع: التداولية اصولها واتجاهاتها: ١٣٢/١٣١.
- ١٠- يلاحظ على سبيل المثال: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية، شكري المبخوت: ٣٥١-٣٥٤.
- ١١- ينظر: دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر: ٣٣٠.
- ١٢- هذا ما ذكره صاحب التحرير والتنوير: ٥٠٩/٣٠.
- ١٣- يراجع العمدة، القيرواني: ٢١٦/١.
- ١٤- ينظر علم الاصوات، كمال بشر: ٥٥-٥٦٠.
- ١٥- يراجع: تجليات الدلالة الايحائية، فوزية غريب: ١٥٧-١٥٨.
- ١٦- يراجع الخصائص: ٥٤/٣.
- ١٧- يلاحظ ما ذكره صاحب نظرية الحجاج عند شاييم بيرمان: ٤٤.
- ١٨- ينظر: التداولية، مسعود صحراوي: ١٠-١١.
- ١٩- الافعال الإنجازية في العربية المعاصرة، د. علي محمود: ١٢٥.
- ٢٠- يشاهد على سبيل المثال: العقل واللغة والمجتمع، سيرل: ٢١٨.
- ٢١- يراجع: اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، المتوكل: ٢٥.
- ٢٢- مقياس اللغة: ٢٢/٥.
- ٢٣- يراجع: الجامع لأحكام القرآن: ٤٤٢/٢٢.
- ٢٤- وهو ما ذكره ابن الاثير في المثل السائر: ٢٦/١.
- ٢٥- ينظر: المصباح، ابن الناظم: ١٢١.
- ٢٦- يراجع المثل السائر: ١٢٢/٢.
- ٢٧- ينظر: معاني القرآن: ٢٨٦/٣.
- ٢٨- يشاهد ما ذكره في مجاز القرآن: ١٠١/٢.
- ٢٩- ذكره في معاني القرآن: ٧١/٥.
- ٣٠- مجمع الامثال، الميداني: ٤٣٨/١.
- ٣١- ينظر: اسرار البلاغة: ٢٥١، والبلاغة العربية في ثوبها الجديد: ٤٠/٢.
- ٣٢- يراجع على سبيل المثال، الكشاف: ٤٢٢/٦-٤٢٣.
- ٣٣- كتاب الصناعتين، العسكري: ٢٦٨.
- ٣٤- يلاحظ ما ذكر في أسرار البلاغة: ٤٣.
- ٣٥- ينظر: المجاز والحجاج: ٢٣-٢٤.
- ٣٦- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: ٨١.
- ٣٧- ينظر: مقياس اللغة: ١٥/٦.
- ٣٨- ينظر: دلائل الاعجاز: ٦٦.
- ٣٩- يلاحظ: تفسير القرطبي: ٤٤٦/٢٢.
- ٤٠- ينظر: المجاز وقوانين اللغة: ٢٣٢.
- ٤١- الايضاح في علوم البلاغة، القزويني: ٢٧/١.
- ٤٢- يراجع عروس الافراح: ١٤١/١.
- ٤٣- ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٤٤٥/٢٢.
- ٤٤- يراجع، شرح المفصل: ١٧٣/٥.
- ٤٥- يراجع: نظرية الحجاج في اللغة: ٣٧٥، واللغة والحجاج: ٣٣.
- ٤٦- ينظر: الجنى الداني، المرادي: ١٦٣.
- ٤٧- يراجع: كتاب سيبويه: ٢١٦/٤، وحروف المعاني: ٣٦.
- ٤٨- يلاحظ ما ذكره الرضي في شرحه: ٤٦٦/٤-٤٦٧.
- ٤٩- ينظر: البرهان الزمלקاني: ١٩٥/٢.



المصادر والمراجع:

- ١- الأداء الصوتي للمسكوكات القرآنية مقارنة تداولية مدمجة في ضوء علم الدلالة، د. مشتاق عباس معن دار الفراهيدي للنشر والتوزيع، ط١، العراق، ٢٠١٣م.
 - ٢- أسرار البلاغة، الجرجاني (ت٤٧١هـ)، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، ط٤، مصر ١٩٩١م.
 - ٣- الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي، د. علي محمود الصراف، مكتبة الآداب، ط١، القاهرة، ٢٠١٤م.
 - ٤- أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو الى اليوم، إشراف حمادي حمود، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، ط١، تونس، د.ت.
 - ٥- الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني (ت٧٣٩هـ)، شرح أ. محمد عبد المتعم خفاجي، دار إحياء الكتب العربية، ط١، القاهرة، ١٩٥٣م.
 - ٦- البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، الزملكاني (ت٦٥١هـ) تح: د. خديجة الحديثي ورفيقها، مطبعة العائلي ط١، ١٩٧٤م.
 - ٧- تجليات الدلالة الايحائية في الخطاب القرآني، د. فخرية غريب عبدالقادر، عالم الكتب الحديث، ط١ الاردن، ٢٠١١م.
 - ٨- التداولية أصولها واتجاهاتها، جواد ختام، كنوز المعرفة، ط١، عمان، ٢٠١٦م.
 - ٩- التداولية عند علماء العرب، د. مسعود صحراوي، دار الطليعة، ط١، بيروت، ٢٠٠٥م.
 - ١٠- تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، دار التونسية للنشر، د. ط، تونس، ١٩٨٤م.
 - ١١- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ت٦٧١هـ)، تح: د. عبدالله بن عبد الحسن تركي ورفيقه، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت، لبنان، ٢٠٠٦م.
 - ١٢- الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي (ت٧٤٩هـ) تح: فخر الدين قباوة ورفيقه، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٢م.
 - ١٣- الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبدالله صولة، دار الفارابي، ط١، بيروت
- ٢٠٠١م.
 - ١٤- الحجاج مفهومه ومجالاته دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، اشراف: د. حافظ اسماعيل علوي ج٢، عالم الكتب الحديث، ط١، اربد، الاردن، ٢٠١٠م.
 - ١٥- حروف المعاني، الزجاجي (ت٣٤٠هـ)، تح: علي توفيق الحمد، دار الأمل، ط٢، الاردن، ١٩٨٦م.
 - ١٦- الحوار ومنهجية التفكير النقدي، حسن الباهي، افريقيا الشرق، ط١، المغرب، ٢٠٤٤م.
 - ١٧- الخصائص، ابن جني (ت٣٩٢هـ) تح: محمد علي النجار ط٢، دار الكتب المصرية، مصر، ١٩٥٢م
 - ١٨- دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط٤، القاهرة، ٢٠٠٦م.
 - ١٩- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي (ت٧٥٦هـ)، تح: د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، د.ت.
 - ٢٠- دلائل الاعجاز، الجرجاني، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، ط٥، القاهرة، ٢٠٠٤م.
 - ٢١- شرح الرضي على الكافية، الأسترباذي (ت٦٨٦هـ) تح: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قاريونس ط٢، ليبيا، ١٩٩٨م.
 - ٢٢- شرح المفصل، ابن يعيش (ت٦٤٦هـ)، تح: د. إبراهيم محمد عبدالله، دار سعد الدين، ط١، دمشق، ٢٠١٣م.
 - ٢٣- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، السبكي، (ت٧٧٣هـ)، تح: د. عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، ط١، بيروت، ٢٠٠٣م.
 - ٢٤- علم الأصوات، كمال بشر، دار غريب، د. ط، مصر، ٢٠٠٠م.
 - ٢٥- العقل واللغة والمجتمع: الفلسفة في العلم الواقعي، جون سيرل، ترجمة سعيد الغامّي، منشورات الاختلاف، ط١، الجزائر، ٢٠٠٦م.
 - ٢٦- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، القيرواني، (ت٤٥٦هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد دار الجيل، ط٤، ١٩٧٢م.
 - ٢٧- القاموس الموسوعي للتداولية: جاك موشر



سورة القارعة مقارنة تداولية مدحجة

٣٧- مجمع الأمثال، الميداني (ت ٥١٨هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار السنة المحمدية، ط ١، مصر، ١٩٥٥م.

٣٨- المصباح في المعاني والبيان والبدیع، ابن الناظم (ت ٦٨٦هـ)، تح: حسني عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب، مصر، د.ت.

٣٩- مقاييس اللغة، ابن فارس (ت ٣٨٥هـ)، تح: عبد السلام هارون، اتحاد كتاب العرب، د. ط، سوريا ٢٠٠٢م.

٤٠- معاني القرآن، الفراء (ت ٢٠٧هـ)، تح: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٢، مصر، ١٩٨٠م.

٤١- معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (ت ٣١١هـ)، تح: د. عبد الجليل عبده شلبي، دار الحديث، د. ط، القاهرة، ٢٠٠٤م.

٤٢- نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، د. الحسين بنو هاشم، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط ١، بيروت، لبنان، ٢٠١٤م.

٤٣- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، الرازي (ت ٦٠٦هـ) مطبعة الآداب، د. ط، القاهرة، ١٣٧١هـ.

المجلات:

١- الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبر وديكرو، د. رشيد الراضي، عالم الفكر، ع 1، مج: 3-4، الكويت 2005م

ورفيقه، المركز الوطني للترجمة، ط ١، تونس، ٢٠١٠م.
٢٨- كتاب سيويه (ت ١٨٠هـ)، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط ٣، القاهرة، ١٩٨٨م.

٢٩- كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري (ت بعد ٣٩٥هـ) تح: محمد علي البجاوي ورفيقه، د. ط، بيروت المكتبة العصرية، ١٩٨٦م.

٣٠- الكشف عن خصائص غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تح: عادل احمد عبد الموجود ورفيقه / مكتبة العبيكان، ط ١، الرياض ١٩٩٨م.

٣١- اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، أحمد المتوكل، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط ٢، بيروت، لبنان ٢٠١٠.

٣٢- اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، العمدة، ط ١، الدار البيضاء، ٢٠٠٦م.

٣٣- المثل السائر في أدب الكتاب والشاعر، ابن الاثير (ت ٦٣٧هـ) تح: محمد محيي الدين عبد الحميد المكتبة العصرية للطباعة والنشر، د. ط، مصر، د.ت.

٣٤- مجاز القرآن، ابو عبيده (ت ٢١٠هـ)، علق عليه: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٥٤م.

٣٥- المجاز والحجاج في درس الفلسفة بين الكلمة والصورة، د. شوقي المصطفى، دار الثقافة، ط ١، المغرب، ٢٠٠٥م.

٣٦- المجاز وقوانين اللغة، علي محمد سلمان، دار الهادي، ط ١، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م.



ظاهرة التعويض في ضوء علم الأصوات الحديث (المفهوم، المصاديق، التحولات، الخلاف)

م . د. جواد كاظم عبد
المديرية العامة لتربية المثنى

The phenomenon of compensation in the light of modern
phonology (Concept, validations, transformations,
disagreement)

Lecturer Dr Jawad Kazem Abd
General Directorate of Education at Al-Muthanna

الملخص

استطاع المحدثون في الدرس الصوتي الحديث أن يقفوا على الظواهر الصوتية ويتأملوها ملياً، ويفسروا العلل المرافقة للتحولات الطارئة في السلسلة الصوتية المنطوقة بما تهيأ لهم من مخابر صوتية حديثة، وقواعد صوتية خالفوا فيها المتقدمين كثيراً .
غير أنهم لم يعطوا ظاهرة التعويض في ضوء علم الأصوات الحديث حظاً كبيراً في دراساتهم، ولم يفردها بدراسة مستقلة تبين مدى التقارب والاختلاف بين الدرسين الصوتيين القديم والحديث .
وليس لنا أن نغفل ما كتبه المحدثون ممن تخصص في علمي النحو أو الصرف في ظاهرة التعويض ؛ إذ كتبوا فيها ووقفوا على التداخل بينها وبين الإبدال والنيابة، وغيرها من المصطلحات، والمتتبع لما كتبه يجده متطابقاً وما كتبه المتقدمون ؛ فالمصاديق قليلة جداً، في حين أن الدرس الصوتي الحديث تشعب كثيراً في مصاديقها، وتوسّع كثيراً في العلل التي تقف وراء التغييرات الطارئة على بنية الكلمة، فضلاً عن أن الافتراضات في بنى الكلمات تعددت عند المتخصصين في علم الأصوات، وهذا من شأنه أن يؤثر كثيراً في التوجيه الصوتي عندهم .
الكلمات المفتاحية : (التعويض، التضعيف، الحذف، الصائت، الصامت)



Abstract

In the modern phonetic lesson, the modernists were able to stand on the sound phenomena and contemplate them carefully as well as explain the reasons accompanying the emergent transformations in the spoken sound chain, using modern phonemic laboratories that were prepared for them, and the sound rules in which they differed greatly from the forerunners.

However, they did not give the phenomenon of compensation in the light of modern phonology a great deal of interest in their studies, and they did not single it out with an independent study that shows the extent of convergence and difference between the ancient and modern phonemic lessons.

We cannot neglect what was written by the modernists who specialized in grammar or morphology in the phenomenon of compensation. This is because they wrote on it and found the overlap between it, substitution and representation alongside and other terms. Anyone who follows what they wrote will find it identical with what the forerunners wrote. The assertions are very few, while the modern phonemic lesson has diverged a lot in its assertions and expanded in the reasons behind the changes in the structure of the word in addition to the fact that the assumptions in the word structures were numerous among specialists in phonology, and this would greatly affect their phonetic orientation.

Keywords: compensation, weakening, deletion, sound, silent



الحديث، وبيان الحالات التي تندرج ضمن أي نوع، وبيان دواعي التعويض أو الأسباب التي تقف وراء تحقق هذه الظاهرة، وعرض الباحث بعض الإشكالات التي حفل بها الدرس الصوتي الحديث واقترح ثمة اقتراحات، واختتم البحث بمجموعة من النتائج التي توصل إليها الباحث في بحثه.

التمهيد:

التعويض: (المصطلح والمفهوم)

لم ينل مصطلح (التعويض) ومصاديقه نصيباً وافراً من البحث في مقولات الدرس الصوتي الحديث، وما وُجدَ من تعريفات فهي قليلة جداً؛ في حين أن الدراسات النحوية والصرفية استطاعت أن تقف عند هذا المصطلح، وبيان مدى التداخل بينه وبين غيره؛ لذا من الضروري الوقوف على بعض هذه التعريفات ولو بنحو موجز؛ لأن التعويض ظاهرة يشترك بها علم الأصوات مع غيره.

وممّن وقف على مصطلح (التعويض) الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف؛ إذ أشار متكئاً على ما ذكره المتقدمون من علمائنا أنّ لهم رأيين، أحدهما: أن يقام الحرف المعوّض مقام آخر، وفي غير مكان المعوّض عنه، من ذلك المصدر: (زنة)؛ إذ عوّضت التاء من الواو؛ فهي مأخوذة من الفعل (وزن)، والآخر: أن يقام حرف مقام آخر في الكلمة، ويجوز في المعوّض أن يكون في غير مكان المعوّض عنه السابق، ويجوز أن يكون في مكان المعوّض عنه، والفرق بين الرأيين أن التعويض بحسب الأول لا يدخل في باب الإبدال والإبدال، وبحسب الثاني يمكن أن يندرج ضمن باب الإبدال معناه الواسع، والأول هو المشهور^(١).

ويرى الدكتور عبد الفتاح الحموز أنّ التعويض وضع حرف مكان الحرف المعوّض عنه، أو وضعه في غير مكان الحركة المعوّض عنها^(٢).

وتذكر الدكتور عزيزة فوّال أنّ التعويض حذف للحرف والاستغناء عنه بآخر من غير تقييد بحرف معين أو إحلال المعوّض مكان المعوّض عنه^(٣).

الحمدُ لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الهدى والرحمة سيدنا ونبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه المنتجبين. أما بعد...

فقد استطاع المحدثون في الدرس الصوتي الحديث أن يقفوا على الظواهر الصوتية ويتأملوها ملياً، ويفسرون العلل المرافقة للتحويلات الطارئة في السلسلة الصوتية المنطوقة بما تهيأ لهم من مخابر صوتية حديثة، وقواعد صوتية خالفوا فيها المتقدمين كثيراً.

غير أنهم لم يعطوا ظاهرة التعويض في ضوء علم الأصوات الحديث حظاً كبيراً في دراساتهم، ولم يفردها بدراسة مستقلة تبيّن مدى التقارب والاختلاف بين الدرسين الصوتيين القديم والحديث. وليس لنا أن نخفل ما كتبه المحدثون ممّن تخصص في علمي النحو أو الصرف في ظاهرة التعويض؛ إذ كتبوا فيها ووقفوا على التداخل بينها وبين الإبدال والنيابة، وغيرها من المصطلحات.

والمتتبع لما كتبه يجده متطابقاً وما كتبه المتقدمون؛ فالمصديق قليلة جداً، في حين أن الدرس الصوتي الحديث تشعب كثيراً في مصاديقها، وتوسّع كثيراً في العلل التي تقف وراء التغييرات الطارئة على بنية الكلمة، فضلاً عن أن الافتراضات في بنى الكلمات تعددت عند المتخصصين في علم الأصوات، وهذا من شأنه أن يؤثر كثيراً في التوجيه الصوتي عندهم.

ومن هنا كان من وكد الدراسة أن تقف على ظاهرة التعويض في الدرس الصوتي الحديث، وتعرض آراء المتخصصين في هذا المجال، واستقصاء مصاديق الظاهرة، وبيان التحويلات الطارئة على بنى الكلمات، والكشف عن مدى الخلاف القائم بينهم في تفسيرات ما حصل.

وقد تكفل التمهيد بالوقوف على مصطلح (التعويض)، وبيان التعريفات له، ومن ثمّ عمد الباحث إلى بيان مصاديق ظاهرة التعويض في الدرس الصوتي



ظاهرة التعويض في ضوء علم الأصوات ...

أولاً: مصاديق التعويض

استطاع الباحث، وهو يستقرئ نماذج التعويض في الدرس الصوتي الحديث أن يقف على نماذج متعددة، غير أن حجم الخلاف كبير بين المحدثين بإزائها، وفيما يأتي بيانها:

١- التعويض بالتضعيف:

يُعَوَّض عن الواو والياء عند سقوطهما بالتضعيف، ومن مواضع ذلك:

أ- صيغة افتعل إذا كانت الفاء واواً أو ياء:

يُعَوَّض عن الواو والياء الساقطتين في صيغة (افتعل) بتضعيف الصوت الصحيح؛ وذلك إذا وقع صوت الواو أو الياء قاعدة لمزدوج هابط، من ذلك (اوتصل)، أي: ء - و / ت - ص / ل - ؛ إذ وقعت الواو ساكنة بعد كسرة، و (ايتسر)؛ أي: ء - ي / ت - س / ر - ؛ إذ وقعت الياء ساكنة بعد كسرة، وهذه التتابعات (و)، (ي) مكروهة في العربية، وثقيلة.

وقد ذكر الدكتور عبد الصبور شاهين أن صيغة (افتعل)، ومثالها: (اوتصل) فيها تتابع تكرهه العربية؛ لأنه يجمع بين الحركة الأمامية الضيقة (الكسرة)، والخلفية الضيقة (الضمة)؛ فيتخلص الناطق منه بطريقة توحى أنه أسقط الواو، وضعف التاء؛ فتصير الكلمة: (اُتصل)، أي: ء - ت / ت - ص / ل - وهذا الأمر حافظ على إيقاع الكلمة بالتعويض الموقعي عن الواو، وليس ثمة إدغام للواو في التاء؛ فالصوتان متباعداً، ولم يتأثر أحدهما بالآخر^(٩). ويرى الدكتور فوزي الشايب أن شبه الحركة (الواو أو الياء) حذفنا وعوّض عنهما بتشديد التاء أو مدّها بحسب تعبيره؛ للتخلص من المزدوج الهابط^(١٠).

وللدكتور داود عبده رأي غريب فيما حصل في صيغة (افتعل)؛ فعلى الرغم من أنه يعدّ ما حصل من قبيل إسقاط الواو أو الياء والتعويض عنهما بتاء للمحافظة على التركيب المقطعي غير أنه ينفي أن تكون صيغة (افتعل) هي الأصل، وأن ما حصل في الكلمة من باب القلب المكاني؛ إذ الأصل فيها (اتفعل)،

ويعترض الدكتور عبد الله صالح بابعير على الرأيين الأخيرين ببعض الردود، والمجال لا يسع لذكرها، ويخلص بعد ذلك إلى تعريف التعويض في أنه إسقاط يطال بعض عناصر التركيب الأصلية في الكلمة، سواء أ مفردة كانت أم مركبة، ويطال الجملة، ويعوّض منه بحرف، ولا يلزم في المعوّض أن يكون في موضع المعوّض عنه؛ فقد يكون في موضعه، وقد لا يكون^(٤). ويرى الدكتور زين كامل الخويسكي أن التعويض يكون بحذف حرف من الكلمة، ويعوّض منه بآخر، وغالباً ما يكون في غير موقع المعوّض^(٥).

وأما في المنجزات الصوتية الحديثة فقد أشار الدكتور عبد الصبور شاهين في معرض حديثه عن التفريق بين الإبدال والتعويض إلى أن الأول يتطلب قرابة صوتية بين الصوتين، وأما الثاني فالقرابة فيه معدومة^(٦).

ويرى الدكتور عبد القادر عبد الجليل أن التعويض حذف لصوت وإحلال آخر محلّه دون التقييد بمكان الصوت المحذوف^(٧).

ويذكر الدكتور فوزي الشايب أن التعويض إحلال صوت محلّ صوت آخر مطلقاً، واعتراض على ما ذهب إليه القدماء، وذكر أنّ الفرق بين الإبدال والتعويض أنّ الأول يقع بين الأصوات المتقاربة في المخارج، والبدل يقع موقع المبدل منه دائماً، في حين أن التعويض يكون بين الأصوات التي لا يوجد بينها تقارب في المخارج، فضلاً عن أنه لا يلزم فيه أن يقع العوض موقع المعوّض عنه^(٨).

ويرى الباحث أنّ التعريف المناسب لظاهرة التعويض بحسب مصاديقها في ضوء علم الأصوات الحديث أنها حذف لصوت من بنية الكلمة، والتعويض عنه بآخر؛ فقد يعوّض عن نصف الصائت بالصامت، وعن الصامت بنصف الصائت، وعن نصف الصائت بصائت قصير، وعن الصامت بصائت قصير، وليس شرطاً أن يأخذ موقعه؛ فقد يكون في موقعه، وقد لا يكون.



ب- صياغة اسم المفعول من الثلاثي الناقص:

يتعرّض اسم المفعول من الفعل الثلاثي الناقص إلى بعض التغيرات الصوتية، من ذلك: (مدعوٌّ، ومرميٌّ)، والأصل فيهما: (مدعو، ومرموي)، والأول منهما يتعرّض للحذف والتعويض؛ إذ تختزل الضمة الطويلة في (مدعوٌّ)، أي: مَ د / ع مَّ / و مَّ ن، ويعوِّض من الاختزال الشديد بتشديد الواو، فتصبح الكلمة: (مدعوٌّ)، أي: مَ د / ع مَّ و / و مَّ ن، وأما (مرميٌّ) فحصلت فيها المماثلة أولاً بين شبه الحركة، والحركة السابقة لها، والأصل فيها: (مرموي)، وتحوّل الضمة الطويلة إلى كسرة، وتنتقل الكلمة من (مرموي) إلى (مرميي)، وتعقب عملية المماثلة عملية مخالفة قوامها اختزال الحركة الطويلة، والتعويض عن الاختزال بتشديد الياء، فتصبح: (مرميي)، أي: مرموي = مَ ر / م مَّ ي ← مَ ر / م مَّ ي ← مرميي = مَ ر / م مَّ ي (١٨).

ويرى الدكتور الطيب البكوش أن الواو في (مدعوٌّ) وقعت بين ضمة طويلة وضمة قصيرة، وقد ترتّب الثقل بتتابع مجموعة مركبة من الأصوات المتماثلة؛ فتحذف الضمة الطويلة ويعوِّض عنها بحركة مزدوجة من جنسها (وُ)، أي: (مدعوٌّ ← مدعوُّو = مدعوُّو)؛ وبذلك تغلق الواو الأولى مقطعاً وتبدأ الواو الثانية مقطعاً، وهو ما يدعم مركز الواو فلا تسقط من بنية الكلمة، ولم يحدث تغيير في كمية الأصوات، أي: (وَوُ ← وَوُ = وَوُ) (١٩).

وأما الياء في (مرمويي) فقد وقعت بين ضمة طويلة وضمة قصيرة، وتعوِّض الضمة الطويلة بحركة مزدوجة (يي)، ويحصل بسبب ذلك تنافر؛ فتقلب الضمة كسرة لمجانسة الياء، التي تمثّل عنصر التمييز بين الواوي واليائي، أي: (مرمويي ← مرميي ← مرميي)، وقد حافظ ذلك على الكمية الصوتية في هذه الصيغة (ويي ← يي) (٢٠).

وأحسب أن ما ذكره الدكتور الطيب البكوش في التعويض عن الصائت الطويل بحركة مزدوجة ينطبق على مفهوم الانشطار؛ إذ يتحوّل فيه

ودليله على ذلك وجود صيغة (افتعل) في بعض اللغات السامية، كما أن أحرف الزيادة في الأفعال تضاف قبل الفاء، وينفي حصول المماثلة في نحو (اتعد)؛ لأن التاء الإضافية فيهما ليست منقلبة عن شبه علة أو همزة، وما حصل في الفعلين هو سقوط شبه الحركة أو الهمزة وضعت التاء حفاظاً على التركيب المقطعي (١١).

ويرى الدكتور ديزيره سقال أن المحذوف في صيغة (افتعل)، ومن أمثلتها: (اوصل، ايتبس) الواو والياء؛ لأنهما مصدر الثقل، وتبقى حركة ما قبلهما، وتصحح الكلمة مقطعيّاً بتاء زيرية (١٢)، وما حصل ليس من باب حذف الواو أو الياء، بل من باب الإبدال والتعويض عنهما بتاء زيرية (١٣).

ويرى الدكتور فيصل إبراهيم صفا أن الواو والياء أسقطتا، وعوِّض عنها بالتاء، وما حصل هو إعلال بالحذف مع التعويض (١٤).

وفي المضارع أيضاً من صيغة (افتعل) تسقط الواو أو الياء ويعوِّض عنهما بتاء، من ذلك: (يتعد)، و(يتسر)، والأصل فيهما: (يوتعد، وييتسر)؛ فتسقط الواو والياء ويعوِّض عنهما بالتاء (١٥).

ويخالفهم في ذلك الدكتور الطيب البكوش؛ إذ يرى أن الفعل (اوصل) أصله بالواو، وأن الواو أدغمت في التاء (١٦)، والغريب أنه لم يشر إلى تحوّل الواو إلى تاء لتدغم بعد ذلك بالتاء، وبحسب هذا الرأي فليس ثمة تعويض حاصل في بنية الكلمة.

ويرى الدكتور محمد جواد النوري أن ما حصل من باب قلب الواو أو الياء تاء؛ إذ ذكر أن الواو والياء تأثرتا بالتاء فقلبتا تاء، ومن ثمّ أدغمت التاء في التاء (١٧)، فلم يحصل أي تعويض.

ويرى الباحث أن ما حصل من باب التعويض بالصوت الصامت (التاء) بعد سقوط الواو أو الياء، وليس من باب التعويض بالتضعيف؛ لأنّ التضعيف ترتّب على سقوط الواو والياء وإحلال التاء محلّها؛ ومن ثمّ أدغمت التاء في التاء، والتسمية المناسبة لهذا التعويض، هي: (التعويض بالصامت).



ظاهرة التعويض في ضوء علم الأصوات ...

الأصل فيها: (عُزَيَال) = غ / ز - ي / ل، فقد أسقطت الحركة الطويلة وعوّض منها بتضعيف ياء التصغير مع كسرها؛ فصارت (عُزَيْلٌ)، أي: غ / ز - ي / ي - ل^(٢٤)، أي أن ما حصل إعلال بالحذف أعقبه التعويض بالتشديد أو التضعيف.

ويرى الدكتور ديزيره سقال أنّ أول الكلمة يضمّ في التصغير، ويفتح ثانيها؛ وقد تحوّلت الألف (الفتحة الطويلة) إلى فتحة قصيرة، ووقعت بعدها ياء التصغير، وخشية الالتباس بين تصغير الرباعي والثلاثي تُزَاد ياء نبرية بعد ياء التصغير لتصحح الكلمة^(٢٥)، ولم يفصح عن التعويض بالتشديد في رأيه هذا.

ولست مع الدكتور عبد الصبور شاهين فيما ذهب إليه من أن التضعيف عوض عن الفتحة الطويلة المحذوفة، اللهمّ إلا إذا أراد أن التضعيف متحقّق بعد قلب الألف ياء لمناسبة الياء؛ لأن التضعيف يأتي لاحقاً بعد سقوط الحرف من بنية الكلمة.

ويرى الدكتور زيد القرالة أنّ الحركة لم تسقط، ولم يعوّض عنها بشبه الحركة (الياء)، بل قلبت الحركة إلى شبه الحركة (الياء)؛ أي أن أصل الكلمة: (عُزَيَال)، وقد قلبت الحركة الطويلة ياء، وفي هذه الحالة تتوالى أشباه الحركات فتتخذ شكل حركة مضعفة، ومماثلة الحركات بالتحويل إلى شبه الحركة أولى من سقوطها والتعويض عنها^(٢٦)، أي أن ما حصل إعلال بالقلب، وليس ثمة تعويض.

ولا يرى الباحث أنّ ما حصل في تصغير (غزال) من باب التعويض بالتضعيف؛ لأن التضعيف الحاصل سبق بتحول صوتي آخر، سواء أكان هذا التحوّل بقلب الألف ياء أم بتقصير الفتحة الطويلة والمجيء بياء أخرى منعاً للالتباس.

٢- التعويض بالصائت القصير:

يُعوّض بالصائت القصير عن الصامت تارة ونصف الصائت تارة أخرى إذا سقطا من بنية الكلمة؛ فيتحوّل الصائت القصير باتحاده مع الصائت القصير السابق له إلى طويل، ومن أمثلة ذلك ما تتعرّض له الهمزة؛ إذ تحذف ويعوّض عنها بالصائت القصير

الصائت الطويل إلى حركة مزدوجة نصف الصائت فيها من جنس الصائت الطويل، وهذا لم يتحقّق في (مرموي)؛ إذ انشطر الصائت الطويل (الضمة الطويلة) إلى مزدوج هابط قاعدته نصف الحركة (الياء).

ويذكر الدكتور عبد الصبور شاهين أنّ ما حصل في نحو (مرموي) هو قلب الواو ياء؛ لأنها أيسر نطقاً من الواو وبخاصة في نهاية الكلمة^(٢٧)، وعلى هذا الرأي أيضاً الدكتور ديزيره سقال^(٢٨)، فليس ثمة تعويض في بنى الكلمات.

ويرى الدكتور جواد كاظم عناد أنّ (مرموي) بنيتها المقطعية: (م - ر / م - ي) جرى فيها ما يأتي^(٢٩):

- قلبت قمة المقطع (م) إلى كسرة طويلة للمجانسة، أي: م - ي ← م - ي.
- تشكّل مقطع مديد يغلب التخلص منه بتحويله إلى مقطع طويل، أي: م - ي ← م - ي.
- يعوّض عن الجزء المفقود من الكسرة الطويلة بنبر الجزء الثاني من المزدوج (الياء)، أي: م - ي ← م - ي.

ويرى الباحث أنّ ما حصل في نحو: (مدعوو، ومرموي) انشطار للضمة الطويلة بسبب التتابعات المكروهة؛ إذ تتحوّل إلى مزدوج هابط (م - د / ع - و / و - ن)، (م - ر / م - و / ي - ن)، وقد تهيأ المناخ الصوتي المناسب في الكلمة الأولى لتحقق الإدغام؛ فيدغم نصفاً الحركة، وفي الثانية تتابعت الواو والياء، والأول منهما في نهاية مقطع (ساكنة) فتقلب ياء؛ لأن الياء أيسر نطقاً، وتقلب الضمة الكسرة لمناسبة الياء، ومن ثم تدغم الياء في الياء، وهذا الأمر ينفي أن يكون التعويض حاصلًا في اسم المفعول المأخوذ من الفعل الناقص.

ج- تصغير ما ثالثه حركة طويلة (ألف أو واو أو ياء): يتعرّض الاسم الذي ثالثه حركة طويلة في التصغير إلى تغيرات صوتية، ومن ذلك: (غزال، وعجوز، ورغيف)، وسنكتفي بمثال واحد لهذه الحالة، وهو تصغير (غزال) على: (عُزَيْلٌ)، إذ يرى الدكتور عبد الصبور شاهين أنّ



على ذلك اتحاد الصائتين القصيرين، وليس ثمة إطالة للصائت الأول.

وهذا التحوّل لحركة الهمزة الأولى من قصيرة إلى طويلة تعويض إيقاعي حافظ على كمية المقطع الصوتي، فضلاً عن أنه حصل للهروب من صعوبة النطق بسبب تتابع الهمزتين^(٢٩).

ولا يختلف الدكتور ديزيره سقال مع الدكتور عبد الصبور شاهين؛ إذ ذكر أن ما حصل هو تعويض عن الهمزة الثانية بحركة قصيرة جعلت الحركة التي قبلها طويلة؛ فتحوّل المقطع من مغلق إلى مفتوح^(٣٠).

وقد ذكر الدكتور محمد جواد النوري أن ما حصل في بنى الكلمات هو قلب؛ إذ قلبت الهمزة إلى حركة قصيرة من جنس الحركة السابقة لها، فكوّنت كل حركة من هذه الحركات حركة مجانسة لما قبلها (الفتحة الطويلة، الضمة الطويلة، الكسرة الطويلة^(٣١))، ولم يشر إلى أي تعويض حاصل في بنى الكلمات السابقة.

ويرد الدكتور عبد القادر عبد الجليل على المتقدمين في تفسيرهم لما حصل في (آمن، ويؤمن)؛ إذ يقول: " هذه الألف التي يزعم الصرفيون أنها تتكون من همزتين (متحركة وساكنة) إنما هو الصائت القصير المضعف، المسبوق بهذه الهمزة الذي يعادل بزمنه الصائت الطويل (الألف)^(٣٢)...."

وقد سبقهم الدكتور إبراهيم أنيس إلى رأي غير ذلك؛ إذ ذكر أن ما حصل حذف للهمزة الثانية والاستعاضة عنها بإطالة الصائت القصير قبلها^(٣٣)، أي أن التعويض بالإطالة، وليس بالصائت القصير، وعلى هذا الرأي الدكتور فوزي الشايب^(٣٤).

الثاني: (التعويض عن نصف الصائت ومثاله الواو بصائت قصير)

يُعوّض عن نصف الصائت بصائت قصير، ومن أمثلة ذلك ما تعرض له الواو الساكنة المسبوقة بكسر (و)، من ذلك: (ميزان)، والأصل فيها (موزان)، فقد ذكر الدكتور عبد الصبور شاهين أن الضمة

(الفتحة، الضمة، الكسرة)، وما يتعرّض له نصف الصائت كالواو؛ لذا سنقسم التعويض بالصائت القصير إلى قسمين:

الأول: (التعويض عن الصامت ومثاله الهمزة بصائت قصير)

حاول الدكتور عبد الصبور شاهين أن يعرض تصورات المتقدمين لما حصل للهمزة ويرد عليها بعد ذلك؛ إذ ذكر أن التغيرات التي تطال الهمزة تأخذ السياقات الآتية^(٣٧):

أ- إذا اجتمعت همزتان وكانت الأولى منهما متحركة، والثانية ساكنة؛ فإن الساكنة تسقط ويعوّض عنها بإطالة حركة الهمزة السابقة لها، ويتضمّن ذلك السياقات الصوتية الآتية:

— الهمزة الأولى مفتوحة والثانية ساكنة (تحذف الثانية وتطول الفتحة السابقة لها)، من ذلك: (أأمن ← آمن)، أي: ء ـ ء / م ـ ن ـ ـ ← ء ـ / م ـ ن ـ .

— الهمزة الأولى مضمومة والثانية ساكنة (تحذف الثانية وتطول الضمة السابقة لها)، من ذلك: (أؤمن ← أومن)، أي: ء ـ ء / م ـ ن ـ ـ ← ء ـ / م ـ ن ـ .

— الهمزة الأولى مكسورة والثانية ساكنة (تحذف الثانية وتطول الكسرة السابقة لها)، من ذلك: (إأمان ← إيمان)، ء ـ ء / م ـ ن ـ ـ ← ء ـ / م ـ ن ـ .

ب- إذا كانت الهمزة ساكنة مسبوقة بصوت آخر غير الهمزة؛ فإن الساكنة تسقط، ويعوّض عنها بإطالة قمة الصامت السابق لها، من ذلك: (استأثر ← استاثر)، أي: ء ـ س / ت ـ ء / ث ـ ر ← ء ـ س / ت ـ ء / ث ـ ر، و(يؤثر ← يؤثر)، أي: ي ـ ء / ث ـ ر ← ي ـ / ث ـ ر.

وأبدي اعتراضه على ما ذكره المتقدمون؛ إذ يرى أنّ ما حصل هو أن الناطق أسقط الهمزة الثانية وعوّض مكانها حركة قصيرة مجانسة لما قبلها، فتحوّلت حركة الهمزة الأولى إلى طويلة بعد أن كانت قصيرة^(٣٨)، أي أنّ التعويض حصل بالصائت القصير، وقد ترتّب



ظاهرة التعويض في ضوء علم الأصوات ...

٣- التعويض بالإطالة (إطالة الصائت القصير):
تتعرّض الواو والياء للسقوط من بنية الكلمة؛ ويعوّض عنهما بإطالة الصائت القصير (الفتحة، الضمة، الكسرة)، ومن مواضع ذلك:
أ- ما حصل في أصل الفعل الأجوف، ومن أمثلة ذلك: (قال)، وأصله: (قَوَلَ)، و(باع)، وأصله: (بَيْعَ)؛ و(خاف)، وأصله: (خَوَفَ)؛ فقد ذكر الدكتور عبد الصبور الشاهين ما حصل في البنى المقطعية للأفعال؛ إذ تضمّنت بناها المقطعية حركات مزدوجة، أي: قَ - / - / + / - / لَ - / - / بَ - / - / عَ - / - / خَ - / - / + / - / فَ - / - / وهذا تتابع ترفضه اللغة؛ فتعمد إلى إسقاط الضمة في (قول)، والكسرة في (بيع)، وتلتقي الفتحان، وأمّا (خوف) فتسقط منه الضمة والكسرة معاً، وتطول الفتحة في المقطع الأول؛ غير أنه عدّ هذا الافتراض من الأخطاء المترابكة التي لا ترقى إلى القبول؛ فما حصل هو سقوط للازدواج في بنى الكلمات، ومن ثم أطيل الصائت القصير في المقطع الأول على سبيل التعويض^(٤٢)، ومن المحدثين من افترض سقوط المزدوج الصاعد في (قول، وبيع) بأكمله من الفعل، وعوّض عنه بإطالة الصائت القصير^(٤٣).

ويرى الدكتور داود عبده أنّ ما حصل في (قول، وبيع) يمكن تفسيره بما يأتي^(٤٤):
أحدهما: أن الواو والياء حذفنا بين حركتين متماثلتين.
والآخر: التقى الصائتان القصيران وتنج عنهما الصائت الطويل.

ويرى الدكتور الطيب البكوش أن الواو والياء تسقطان بين حركتين (فتحتين)^(٤٥)، وهذا النسق الصوتي فيه تتابع للحركات، وثقيل على المتكلم؛ فتحذف الواو والياء، وتلتقي الفتحان لتشكلا الفتحة الطويلة^(٤٦)، وعلى هذا الرأي الدكتور سمير شريف إستيتيه^(٤٧).

ويذكر الدكتور ديزيره سقال أنّ البنى المقطعية لهذه الأفعال اشتملت على تتابعات مرفوضة؛ فتعمد إلى إسقاط الضمة أو الكسرة، وتلتقي الفتحان بعد ذلك لتشكلا حركة طويلة^(٤٨)، وليس في

أسقطت، وعوّض عنها بكسرة قصيرة تصبح بالإضافة إلى سابقتها كسرة طويلة؛ وقلب الضمة كسرة حصل للتخلص من الصعوبة، ونزوعاً إلى الانسجام^(٤٩).
ويرى الدكتور ديزيره سقال أنّ الضمة حذفت في (موزان)؛ لوقوعها بعد كسرة؛ فهذا التابع الحركي مكروه، غير أنه لم يُشر إلى ما حصل بعد حذف الواو واكتفى بالكتابة الصوتية التي يظهر فيها أن انزلاقاً حصل بعد حذف الضمة؛ فتولدت الياء^(٥٠).
ويرى الدكتور محمد جواد النوري أنّ الناطق عمد إلى حلّ الحركة المزدوجة (و)، وما حصل هو قلب لنصف الحركة (الواو) إلى كسرة قصيرة؛ فتلتقي الكسرتان لتشكلا الحركة الطويلة (الكسرة الطويلة)^(٥١)، وليس في توجيهه أية إشارة إلى التعويض.
ويذكر الدكتور داود عبده أن الواو قلبت ياء في (موزان)؛ لأنها وقعت قبل صوت صامت ساكن، وسقت بكسرة؛ فضلاً عن أن القلب مائل بين الياء والكسرة السابقة لها^(٥٢).

ويرى الدكتور زيد القرالة أن ما حصل قلب تمّ بإحدى طريقتين^(٥٣):

الأولى: قلب الواو في السياق الصوتي (و) إلى كسرة لمائة الكسرة السابقة؛ فتحوّل الكلمة من (موزان) إلى (ميزان) بالتقاء الحركتين المتماثلتين.

الثانية: قلب الواو المسبوقة بكسرة إلى ياء؛ فالياء من جنس الكسرة، أي أن (موزان) تحوّلت إلى (ميزان)، ثم قلبت الياء كسرة تبعاً لقانون مماثلة شبه الحركة للحركة؛ فتحوّل الكلمة إلى (ميزان) بالتقاء الحركتين المتماثلتين، غير أنه رجّح الطريقة الثانية على الأولى.

ويرى الدكتور حسام النعيمي أنّ قاعدة المزدوج الهابط (الواو) حذفت وأطيل النطق بالمصوت القصير قبلها تعويضاً^(٥٤)، وعلى هذا الرأي الدكتور جواد كاظم عناد؛ إذ يرى أن الواو (العنصر الثاني) أسقطت من المزدوج، وعوّض منها بزيادة زمن النطق للعنصر الأول فتخلّفت الكسرة الطويلة، وليس ثمة قلب في بنية الكلمة^(٥٥)، والتعويض عندهما حصل بالإطالة وليس بالصائت القصير.



الكثيرة، وهذا لا تستسيغه العربية؛ فتعتمد إلى إسقاط الانزلاق، أي بحذف الواو والياء، وإحلال الهمزة محلهما، وهي صوت حنجري نري جيء به ليوضع بين الحركات المتتابة، فصارت الكلمتان: (قائل)، أي: قَ / ءَ / وَ / لَ، و(بائع)، أي: بَ / ءَ / عَ^(٧٦)، ونفى أية قرابة صوتية بين الهمزة والواو والياء؛ فما حصل حذف صوت ليقع آخر محله، ولم يكن الحاصل على سبيل الإبدال بل على سبيل التعويض الموقعي^(٧٦)، وممّن يراه تعويضاً للدكتور غالب المطلبي؛ إذ ذكر أن العربية تنجح إلى إيجاد صوت يعوّض من العين^(٧٧).

ويزعم الدكتور ديزيره سقال أن الهمز جيء به لتصحيح المقطع الذي وردت فيه الواو أو الياء؛ ففي (قاول)، تشكّل في بداية المقطع الجديد حركة انزلاقية، أي: قَ / ءَ / وَ / لَ + ءَ / وَ / لَ، فحصل ضعف في البناء المقطعي؛ فيصحّ بالهمزة^(٧٧).

ويذكر الدكتور عبد القادر عبد الجليل أن وظيفة الهمز تباينية، وأنّ الذي يحقّق وجودها أو يسلبها قيمتها هو النبر، ولم يشر إلى أن تعويضاً حصل في بنية الكلمة^(٧٢).

ويرى الدكتور الطيب البكوش أن الواو والياء قلبتا في (قاول، وبائع) همزة؛ لأنهما وقعتا بين فتحة طويلة وكسرة أو ضمة، وهذا القلب حافظ على الصيغة الجديدة وأدخلها تجانساً، وسهولة في النطق^(٧٣)، وممّن يراه قلباً للواو والياء همزة الدكتور محمد جواد النوري^(٧٤).

ويرى الدكتور فوزي الشايب أن شبه الحركة قد سقط، والتقت حركتان، وهذا لا تجيزه العربية فلجأت إلى تحقيق الكسرة، وبتحقيقها تخلّقت الهمزة^(٧٥).

وإلى الدكتور أحمد الحمود وداود عبد ريان غريبان؛ إذ نفى الأول منهما أن يكون الأصل فيهما: (قاول، وبائع)، وما وجد مكان عين الكلمة هو الكسرة فقط لا شيء سواها، أي: قَ / ءَ / وَ / لَ، باَ / عَ، وهذا لا يعني أن الهمزة ليست موجودة غير أن وجودها ليس متحققاً بانقلاب الواو أو الياء، وهذه الهمزة في

حقيقتها هي المصوت القصير غير المسبوق بصامت^(٧٦).
وأما الثاني فيزعم أن الأصل في (قائل، وبائع): (قَ / ءَ / وَ / لَ ← قَ / وَ / ءَ / لَ، بائع: بَ / ءَ / يَ / عَ ← بَ / ءَ / يَ / عَ، ثم سقطت شبه الحركة الواو أو الياء؛ فيحصل خلل في البنية المقطعية؛ فتحصل إطالة للحركة القصيرة الفتحة، فتصير: (قائل، وبائع)^(٧٧).

ب- التعويض بغير الهمزة، من ذلك التعويض بالتاء في آخر المصدر بعد حذف الواو، كما في صيغتي (أفعال، واستفعال)؛ ومثال ذلك: (إقامة)، وأصلها: (إقوام)، أي: ءَ / قَ / وَ / مَ، و(استقامة) وأصلها: (استقوام)، أي: ءَ / سَ / تَ / قَ / وَ / مَ، ومن المحدثين من عدّ ذلك حذفاً، والتعويض عن المحذوف بتاء آخر المصدر^(٧٨)، ومن ذلك أيضاً مصدر المثلث الثلاثي، ومثاله: (عدة)، والأصل: (وعد)؛ إذ حذفت الواو وعوّض منها بالتاء في غير موضعها^(٧٩).

ومن المحدثين من لم يشر إلى أن تعويضاً حصل، ومنهم الدكتور عبد الصبور شاهين؛ إذ ذكر أن التاء أضيفت بوصفها لاحقة لهذا النوع من المصادر، وقد حقّق وجودها نوعاً من التعادل الإيقاعي بين الأصل والبدل، ولم يشر إلى أنها عوّض عن الواو المحذوفة^(٨٠)، والدكتور ديزيره سقال؛ إذ ذكر أن التاء زيدت لتمييز الفعل عن الاسم (المصدر)، ولم يشر إلى التعويض^(٨١).

٥- التعويض بنصف الصائت:

يُحذف أحد المثلثين إذا اجتمعا للتخلّص من الثقل، ويعوّض منه بنصف صائت (الواو أو الياء)، من ذلك ما يحصل في الأسماء، ومن أمثلته: (دينار)، والأصل فيها: (دِنَار)، و(قِرَاط) والأصل فيها (قِرَاط)، فالواو والياء عوضان عن الصوت الصامت المحذوف، وما يحصل في الأفعال، ومن أمثلته: (تظنيتُ)، والأصل: (تظننتُ)؛ إذ حذفت النون وعوّض منها بالياء^(٨٢)، وهناك من يرى أن ثمة تعويضاً حصل؛ إذ حذف أحد المثلثين وعوّض منه بإطالة الحركة القصيرة السابقة له،



ظاهرة التعويض في ضوء علم الأصوات ...

لأنّها نكرة^(٩١).

ثانياً: دواعي التعويض

ليس لظاهرة في اللغة العربية أن تحصل اعتباراً؛ فلكل ظاهرة ما يدعو إلى تحقّقها، ومن ذلك ظاهرة التعويض؛ إذ إنها تحصل لأسباب، منها:

١- اختلال بنية الكلمة وزنتها:

يترتب على حذف صوت من بنية الكلمة اختلال إيقاعها وزنتها؛ فيعوّض منه بصوت آخر، من ذلك ما مرّ بنا في (يقومُ، ويبيعُ)؛ والأصل فيها: (يقومُ، ويبيعُ)، وقد اشتملت الكلمة على تتابعات صوتية مكروهة (و ـ)، (ي ـ)، فتحذف الواو أو الياء، وتختلّ زنة الكلمة؛ فيعوّض عنها بإطالة الحركة المتبقية.

٢- التخفيف من الثقل:

هنالك سياقات صوتية يترتب على نطقها ثقل وكلفة على اللسان؛ فيحذف الصوت الثقيل ويعوّض منه بأخر أخف منه، من ذلك: (ميزان)؛ إذ اشتملت بنيتها المقطعية على تتابعات صوتية مكروهة وثقيلة (و)؛ فتحذف الواو، ويعوّض عنها بكسرة قصيرة تصبح بالإضافة إلى سابقتها كسرة طويلة؛ وقد حقّق ذلك للناطق خفة في النطق.

ثالثاً: إشكالات ومقترحات

بدا واضحاً أن ظاهرة التعويض الصوتي عند المحدثين تقع بعد حذف الصوت من بنية الكلمة، ويؤتى بصوت آخر يحلّ محله، أو يعوّض منه بإطالة صائت، والغريب أن هناك حالتين حصل فيهما حذف ولم يُشَرّ المحدثون إلى أنّ تعويضاً قد حصل في بنية الكلمة، والموضوعان هما:

الأول: مضارع الفعل الناقص الواوي واليائي في حالة

الرفع، من ذلك (غزا - يغزو)، أي: (ي - غ / ز - و / ـ)، (ي - ر / م - ي / ـ)؛ إذ يظهر في البنى المقطعية تتابعات صوتية مكروهة (و ـ ي ـ)؛ فتعمد العربية إلى التخلّص منها، وقد تباينت تفسيرات المحدثين لما حصل؛ إذ ذكر الدكتور داود عبده أن الفعل (يغزو) حذفت الواو منه، والتقى

فصار كسرة طويلة طلباً للخفة^(٨٣).

ويرى الدكتور إبراهيم أنيس أنّ ما حصل هو أن أحد الصوتين قُلبَ إلى صوت آخر وحدثت المخالفة بين المتماثلين، وليس ثمة إشارة عنده إلى التعويض^(٨٤)، وعلى هذا الرأي الدكتور عبد القادر عبد الجليل^(٨٥)، والدكتور محمد جواد النوري^(٨٦).

٦- التعويض بالانزلاق:

يعوّض من الهمزة المحذوفة بين حركتين مختلفتين بالانزلاق الناشئ بين حركتين مختلفتين، من ذلك: (قُرِي)؛ فقد ذكر الدكتور عبد الصبور شاهين أنّ الهمزة قد سقطت وعوّض عن موقعها بالانزلاق الناشئ عن اتصال الحركتين قبلها وبعدها، أي بين الكسرة والفتحة؛ فتولدت الياء نتيجة ذلك، والانزلاق يعد بديلاً عن الأصل، فتكون الكلمة: (قُرِي)^(٨٧).

وكان على الدكتور عبد الصبور شاهين أن يذكر أن التعويض في هذا الموضع كان بالصوت الانزلاقي أو ما يعرف بنصف الصائت، وليس التعويض عنه بالانزلاق؛ فالانزلاق ظاهرة تشكّلت بعد حذف الهمزة، وصوت الياء شغل موقع الهمزة في بنية الكلمة.

ويرى الدكتور فوزي الشايب أن الهمزة تسقط بين حركتين مختلفتين ويحصل الانزلاق بتشكيل الواو أو الياء من دون أن يُشير إلى التعويض^(٨٨).

٧- التعويض بالصائت الطويل:

قد يُستعاض بالصائت الطويل عن محذوف في بنية الكلمة، من ذلك جمع التكسير للشبيه بالصحيح، ومثاله: (أدل)، والأصل فيها: (أدلو)، أي: ء - د / ل - و، وقد سقط منها المزدوج الهابط وعوّض منه بكسرة طويلة^(٨٩).

وهناك مَنْ يرى أن ما حصل في (أدلو) هو قلب الواو ياء، فصارت: (أدلي)، ومن ثم قلبت الضمة كسرة؛ فصارت: (أدلي)، وحذف بعد ذلك المزدوج الصاعد (ي ـ)، وضمت النون للمقطع الثاني^(٩٠)، وهناك مَنْ يرى أن القلب وقع أولاً لضمه الياء فصارت كسرة، وقلبت الواو ياءً فصارت: (أدلي) ثم حذفت الياء



والتقاء مصوّتين قصيرين يتشكّل على إثر التقائهما نصف صائت، وهو ما يعرف بالانزلاق؛ من ذلك ما حصل في (أمة)، وأصلها: (أمة)؛ إذ ذكروا أن الهمزة حذفت والتقت الفتحة بالكسرة فتولّدت الياء^(٩٧).

والغريب أنّ الدكتور عبد الصبور شاهين عدّ ما حصل في (قرئ) من باب التعويض بالانزلاق؛ إذ حذفت الهمزة واتصلت الكسرة بالفتحة؛ فتشكّلت الياء، ولا ندري لِمَ عدّ ما حصل في (قُري) تعويضاً، ولم يعدّه في نحو (أمة)، ألم تتولّد الياء في (أمة) بعد حذف الهمزة الثانية واتصال الفتحة بالكسرة.

وقد يحصل ذلك في غير الهمزة، من ذلك: (رَضِي)، وأصله: (رضو)، أي: رَ - / ض - + ؤ + َ؛ فقد ذكروا أن الضمة أسقطت بسبب تتابع الصوائت (ثلاث حركات)، والتقت الكسرة بالفتحة فتولّدت الياء^(٩٨)، و(نَهَو)، وأصله: (نَهَي)، أي: نَ - / هَ - + ؤ + َ؛ فقد أسقطت الكسرة بسبب تتابع الصوائت (ثلاث حركات)، واتصلت الضمة بالفتحة؛ فتولّدت الواو^(٩٩).

وفيما ذهبوا إليه نظر؛ إذ إن الكتابة الصوتية لا يظهر فيها تتابع مكروه لثلاثة صوائت قصيرة؛ ف (رضو) تكتب صوتياً: رَ - / ض - / و - و (نهي) تكتب صوتياً: نَ - / هَ - / يَ - ويظهر في الأول وقوع الواو بين صائتين قصيرين (الكسرة والفتحة)، وفي الثاني وقوع الياء بين صائتين قصيرين (الضمة والفتحة)، وفي ذلك ثقل على الناطق فتحذف الواو من الفعل الأول، والياء من الفعل الثاني.

ولو سلّمنا بتشكّل الواو في (رضي) نتيجة الانزلاق بين الكسرة والفتحة، والواو في (نهو) نتيجة الانزلاق بين الضمة والفتحة؛ فلنا أن نتساءل: لِمَ لا يكون الصوت الناشئ عن الانزلاق قد حلّ محلّ الصوت المحذوف وهو عوض عنه، أليس المحذوف (الواو أو الياء) كان نصف صائت، وهذا الصوت المتولّد بفعل الانزلاق نصف صائت مثله، ولا يختلف عنه في شيء سواء في طبيعة نطقه أو وقوعه في سياق السلسلة الصوتية؛ فكلاهما قاعدة للمقطع الأخير.

الصائتان القصيران ليشكّلا ضمة طويلة^(٩٢). ويرى الدكتور الطيب البكوش أن (يرمي) سقطت منه الياء لوقوعها بين كسرة قصيرة وضمة قصيرة، ومن ثم أدغمت الضمة في الكسرة^(٩٣).

ويزعم الدكتور زيد القرالة أنّ الواوي وقعت فيه الواو بين حركتين متماثلتين فسقطت واتحدت الضمتان لتشكّلا ضمة طويلة، وفي اليائي وقعت الياء بين كسرة وضمة؛ فتقلب الضمة كسرة لثقلها بعد الكسرة، وهنا تقع الياء بين حركتين متماثلتين فسقطت، ومن ثم تتحد الكسرتان لتشكّلا كسرة طويلة^(٩٤).

وقد ذكر الدكتور حسام النعيمي ثلاثة تفسيرات لما حصل في (يغزو) أحدها أن الواو حذفت لوقوعها بين مصوّتين قصيرين، فالتقى الصائتان القصيران ليشكّلا الصائت الطويل^(٩٥).

وهناك مَنْ يرى أن الفعل (يغزو) سقط منه الجزء الأول من المزدوج وعوّض منه بإطالة زمن النطق بالجزء المتبقي لتكوين الضمة الطويلة، وأمّا (يرمي) فقد سقط منه الجزء الثاني من المزدوج، ومن ثم اتحد ما بقي من المزدوج مع الكسرة التي قبله لتكوين الكسرة الطويلة^(٩٦).

ولنا أن نتساءل: إذا كان الصوت قد تشكّل بعملية اتحاد المصوّتين بعد حذف الواو أو الياء من بنية الكلمة؛ فلمَ لا يكون هذا داخلاً ضمن ظاهرة التعويض ولاسيما أنها قائمة على حذف صوت وإقامة آخر مقامه؟

صحيح أنّ الواو في البنية العميقة للفعل (يغزو) هي نصف صائت، وهي قاعدة للمقطع الثالث، وفي البنية السطحية له (يغزو) هي صائت طويل، وقمة للمقطع الثاني.

ومن هنا يرى الباحث أنّ ما حصل يندرج ضمن ظاهرة التعويض، ويمكن الاصطلاح عليه بـ (التعويض باتحاد الصائتين القصيرين)؛ فالصوت المتشكّل عالج اختلال زنة الكلمة وإيقاعها بعد سقوط الواو أو الياء.

الثاني: ما يحصل بعد حذف الهمزة أو نصف الصائت



ظاهرة التعويض في ضوء علم الأصوات ...

حذف الواو أو الياء، ومن ثمّ أدغمت التاء في التاء؛
فالتضعيف ترتّب بعد اجتلاب التاء وإدغامها بما
بعدها، والصحيح أن التعويض كان بالصوت الصامت
(التاء).

٣- لم يقع أي تعويض في صيغة اسم المفعول من الفعل
الثلاثي الناقص، وما حصل هو انشطار للضمة الطويلة
بسبب التتابعات الصوتية المكروهة؛ إذ تحوّلت
الضمة الطويلة في (مدعوو) إلى مزدوج هابط (ُو)؛
وأدغمت الواو (قاعدة المقطع الثاني) بالواو الثانية
(قاعدة المقطع الثالث)، وانشطرت الضمة الطويلة في
(مرموي) إلى مزدوج هابط (ُو)؛ فقلبت الواو ياء؛ لأنها
أيسر نطقاً بحسب التوجيه الصوتي الحديث، وقلبت
الضمة كسرة لمناسبة الياء، وأدغمت الياء في الياء.

٤- كان لافتراض البنية العميقة في الكلمات التي طالتها
التعويض أثر كبير في تعدّد وجهات النظر عند المحدثين
بين منكر للظاهرة، وبين مسلّم بوقوعها، وحجم
الخلافاً بينهم كبير.

٥- ارتبطت ظاهرة التعويض في مواضع كثيرة بتتابعات
صوتية مكروهة وثقيلة؛ فتعمد العربية إلى حذف
ما يثقل النطق، والتعويض عنه، فضلاً عن ارتباط
التعويض بما يؤدي إلى اختلال بنية الكلمة وزنتها بعد
حذف حرف منها؛ فإن ذلك مدعاة إلى تعويضه بصوت
آخر للحفاظ إلى زنة الكلمة وإيقاعها.

ومن هنا يرى الباحث إطلاق تسمية
التعويض بنصف الصائت على ما حصل، وقد مرّ بنا
من قبل أن التعويض بنصف الصائت يقع بإحلال
صوت محلّ آخر من ذلك: (دينار) وأصلها: (دَنَار)،
غير أن الفرق بين (دينار)، والأمثلة المتقدمة أن (دينار)
حذف منها الصامت وأقيم نصف الصائت مقامه، وأمّا
(فُرِيءَ، ورضو، ونهي) فقد حذف منهما الهمزة، والواو،
والياء، وتشكّل صوت آخر بعد الحذف بفعل الانزلاق
بين الصوائت القصيرة.

الخاتمة:

بعد استقراء مقولات الدرس الصوتي
الحديث، استطاع البحث أن يخرج بمجموعة من
النتائج، هي:

١- لم تحظ ظاهرة التعويض بعناية الدارسين في حقل
علم الأصوات الحديث من حيث التعريف والمصاديق،
واستطاع الدارسون في علمي النحو والصرف من
الوقوف على المصطلح وبيان الفوارق بينه وبين
المصطلحات التي تداخلت معه؛ غير أن تعريفاتهم
لم تقترب كثيراً من علم الأصوات الحديث، وإن كان
يشترك معها في إحلال الصوت محلّ آخر بعد حذفه.

٢- ليس دقيقاً إطلاق مصطلح (التعويض بالتضعيف)
على ما حصل بعد حذف الواو أو الياء في (اووصل،
وايتسر)؛ ذلك أن التاء صوت صامت جيء به بعد



ظاهرة التعويض في ضوء علم الأصوات ...

- ٥٦- يُنظر: التصريف العربي: (١٥١ - ١٥٢)
- ٥٧- يُنظر: التصريف العربي: (١٥٣)
- ٥٨- يُنظر: أبحاث في أصوات العربية: (٢٥)
- ٥٩- يُنظر: المزدوج في العربية: (١٢٠ - ١٢١)
- ٦٠- يُنظر: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة: (٤١٧ - ٤١٩)
- ٦١- يُنظر: علم الصرف الصوتي: (٢٠٦)
- ٦٢- يُنظر: المقطع الصوتي في العربية: (٤٩)
- ٦٣- يُنظر: المنهج الصوتي للبنية العربية: (١٩٨)
- ٦٤- يُنظر: المنهج الصوتي: (١٩٨ - ١٩٩)
- ٦٥- يُنظر: الصرف وعلم الأصوات: (١٦٧ - ١٦٨)
- ٦٦- يُنظر: المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر: (١٦٦)
- ٦٧- يُنظر: المزدوج في العربية: (١١٥)
- ٦٨- يُنظر: المنهج الصوتي للبنية العربية: (١٧٦ - ١٧٧)
- ٦٩- يُنظر: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث: (٨٨)
- ٧٠- يُنظر: في الأصوات اللغوية: (١٩٣)
- ٧١- يُنظر: الصرف وعلم الأصوات: (١٥٧)
- ٧٢- يُنظر: علم الصرف الصوتي: (٢٨٩ - ٢٩٠)
- ٧٣- يُنظر: التصريف العربي: (٦٦)
- ٧٤- يُنظر: علم أصوات العربية: (٣٢٥ - ٣٢٦)
- ٧٥- يُنظر: تأملات في بعض ظواهر الحذف الصرفي: (٦٩ - ٧٠)
- ٧٦- يُنظر: محاولة ألسنية في الإعلال: (١٨١ - ١٨٢)
- ٧٧- يُنظر: دراسات في علم أصوات العربية: (٨٢ - ٨٨)
- ٧٨- يُنظر: أبحاث في أصوات العربية: (١٢٥)، والمزدوج في العربية: (١٢٩)
- ٧٩- يُنظر: علم الصرف الصوتي: (٨٢)
- ٨٠- يُنظر: المنهج الصوتي: (١٩٥)
- ٨١- يُنظر: الصرف وعلم الأصوات: (١٦٩)
- ٨٢- يُنظر: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة: (٣٤٨)
- ٨٣- يُنظر: الإطالة التعويضية في اللغة العربية: (٢١٢ - ٢١٣)
- ٨٤- يُنظر: الأصوات اللغوية: (١٣٩)
- ٨٥- يُنظر: الأصوات اللغوية: (٢٩٣)
- ٨٦- يُنظر: من العوامل الصوتية في تشكيل البنية العربية: (١٠١)
- ٨٧- يُنظر: المنهج الصوتي: (٨١)
- ٨٨- يُنظر: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة: (٤٥٩ - ٤٦٠)
- ٨٩- يُنظر: المزدوج في العربية: (٥١، ١٣٣)
- ٩٠- يُنظر: التشكيل الصوتي لبعض أبنية جموع التكسير: (٣٦٥)
- ٩١- يُنظر: المستقصى في علم التصريف: (١١٥٧)
- ٩٢- يُنظر: أبحاث في أصوات العربية: (٣٥)
- ٩٣- يُنظر: التصريف العربي: (١٦٤ - ١٦٥)
- ٩٤- يُنظر: الحركات في اللغة العربية: (١١٦ - ١١٧)
- ٩٥- يُنظر: م. ن: (٤٨)
- ٩٦- يُنظر: المزدوج في العربية: (١٣١ - ١٣٢)
- ٩٧- يُنظر: المنهج الصوتي للبنية العربية: (١٨٤)، والصرف وعلم الأصوات: (١٦٠)
- ٩٨- يُنظر: المنهج الصوتي للبنية العربية: (١٨٩)، والصرف وعلم الأصوات: (١٦١)
- ٩٩- يُنظر: المنهج الصوتي للبنية العربية: (١٩١ - ١٩٢)، والصرف وعلم الأصوات: (١٦٣ - ١٦٤)



المصادر والمراجع:

الكتب والدراسات:

- ١٥- في الأصوات اللغوية (دراسة في أصوات المدّ العربية)، د. غالب فاضل المطّلبي، منشورات دار الشؤون الثقافية والنشر، العراق، ١٩٨٤م.
- ١٦- القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، د. عبد الصبور شاهين، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٩٦٦م.
- ١٧- قضايا التشكيل في الدرس اللغوي في اللسان العربي، فيصل إبراهيم صفا، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط ١، ٢٠١٠م.
- ١٨- المزدوج في العربية (المفهوم، المصاديق، التحولات)، د. جواد كاظم عناد، دار تموز، دار رند، دمشق، ط ١، ٢٠١١م.
- ١٩- المستقصى في علم التصريف، د. عبد اللطيف محمد الخطيب، ط ١، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ٢٠٠٣م.
- ٢٠- المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر، د. عبد القادر مرعي العلي الخليل، ط ١، جامعة مؤتة، الأردن، ١٩٩٣م.
- ٢١- المعجم المفصل في النحو العربي، د. عزيزة فوال بابستي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط ١، ١٩٩٢م.
- ٢٢- المقطع الصوتي في العربية، د. صباح عطوي عبود، دار الرضوان للنشر والتوزيع، الأردن، ط ١، ٢٠١٤م.
- ٢٣- المنهج الصوتي للبنية العربية (رؤية جديدة في الصرف العربي)، د. عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، لبنان، ١٩٨٠م.

البحوث والمقالات:

- ١- الإطالة التعويضية في اللغة العربية دراسة صوتية صرفية معاصرة (قراءة الزهري نموذجاً)، علي سليمان الجوابرة، بحث، مجلة العلوم العربية والإنسانية، جامعة القصيم، مج (١٠)، ع (١)، ٢٠١٦م.
- ٢- تأملات في بعض ظواهر الحذف الصرفي، د. فوزي حسن الشايب، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية العاشرة، الرسالة (٦٢)، ١٩٨٩م.
- ٣- التشكيل الصوتي لبعض أبنية جموع التكسير، باعث فيصل الحروب، بحث، مجلة آداب الكوفة، مج (١٠)، ع (٣٨)، ٢٠١٩م.

- ١- أبحاث في أصوات العربية، د. حسام النعيمي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط ١، ١٩٩٨م.
- ٢- أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، د. فوزي الشايب، ط ١، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠٠٤م.
- ٣- الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، مطبعة نهضة مصر، (د. ط)، (د. ط).
- ٤- الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل، دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠١٠م.
- ٥- التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، د. الطيّب البكوش، ط ٢، المطبعة العربية، تونس، ١٩٨٧م.
- ٦- الحركات في اللغة العربية (دراسة في التشكيل الصوتي)، د. زيد خليل القرّالة، ط ١، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠٠٤م.
- ٧- دراسات في علم أصوات العربية، د. داود عبده، مؤسسة الصباح، الكويت، (د. ط)، (د. ت).
- ٨- الصرف وعلم الأصوات، د. ديزيره سقّال، ط ١، دار الصداقة العربية، لبنان، ١٩٩٦م.
- ٩- ظاهرة الاستغناء في قضايا النحو والصرف، د. زين كامل الخويسكي، دار المعرفة الجامعية، مصر، ١٩٩٦م.
- ١٠- ظاهرة التعويض في العربية وما حمل عليها من المسائل، د. عبد الفتاح أحمد الحموز، دار عمار، الأردن، ط ١، ١٩٨٧م.
- ١١- ظاهرة النيابة في العربية، د. عبد الله صالح بابعير، دار حضر موت للدراسات والنشر، اليمن، ط ١، ٢٠١٠م.
- ١٢- علم أصوات العربية، د. محمد جواد النوري، ط ٢، جامعة القدس المفتوحة، عمّان، ٢٠٠٣م.
- ١٣- علم الأصوات النحوي ومقولات التكامل بين الأصوات والنحو والدلالة، سمير شريف إستيتيه، دار وائل للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، ط ١، ٢٠١٢م.
- ١٤- علم الصرف الصوتي، د. عبد القادر عبد الجليل، دار أزمنة، الأردن، ط ١، ١٩٩٨م.



ظاهرةُ التعويض في ضوء علم الأصوات ...

٦- من العوامل الصوتية في تشكيل البنية العربية،
د. محمد جواد النوري، بحث، مجلة البلقاء للبحوث
والدراسات، مج (٢)، ع (١)، ١٩٩٣ م.

٤- ظاهرة الإعلال والإبدال في العربية بين القدماء
والمحدثين، د. محمد حماسة عبد اللطيف، بحث،
مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج (٤٦)، ١٩٨٠ م.
٥- محاولة ألسنية في الإعلال، د. أحمد الحموي، بحث،
مجلة عالم الفكر، مج (٢٠)، ع (٣)، ١٩٨٩ م.



رثاء المرأة بين الغياب والحضور في التراث النقدي العربي (دراسة في ضوء نظرية القراءة والتلقي)

أ.م.د. ثائر عبد الزهرة لازم
جامعة البصرة / كلية الآداب / قسم اللغة العربية

Lamenting women between absence and presence in the
Arabic critical heritage
(A study in the light of the theory of reading and receiving)

Asst. prof. Dr. Thaer Abdel-Zahra Lazem

University of Basra/College of Arts/Department of Arabic
Language

الملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة صورة المرأة المرثية على وفق نسق معرفي يتمحور حول ثنائية الغياب والحضور منبثقا عن فكرة تنظر إلى المرأة بوصفها موضوعاً شعرياً، إذ يتتبع مراحل تطور هذه الموضوعة إلى جانب استجلاء رؤية النقد العربي القديم من رثاء المرأة التي تفصح عن غياب فاعل، وعدم اهتمام برثاء المرأة ضمن تسلسل زمني يتغير فيه هذا الغياب ليحضر على استحياء، ثم يتطور إلى حضور فاعل، واهتمام جاد برثاء المرأة. على أن جدلية الغياب والحضور لا تكاد تختفي مهما تقدّم العصر، إذ تتمظهر بأشكال متباينة من حين إلى آخر؛ وذلك يرجع إلى اسباب سوسيو ثقافية .

ولابد من التنويه إلى أن هذا البحث لا يعنى بدراسة رثاء المرأة في تراث الشعر العربي إلاً بالقدر الذي تقتضيه فكرة البحث، إذ تعالج هذه الموضوعة ضمن إطار النقد العربي القديم على وفق رؤية بحثية تمزج الماضي بالحاضر؛ ولأجل مواصلة الجديد وفهمه أفاد البحث من منهج القراءة والتلقي؛ لئلا ينكفى على الماضي، وينغلق على موروثه .

الكلمات المفتاحية (النقد الأدبي، رثاء المرأة، الغياب، الحضور)



Abstract

This research aims to study the image of the epitaph of the woman according to an intellectual pattern centered on the duality of absence and presence. It stems from the idea of looking at women as a poetic theme. It traces the developmental stages of this topic and clarifies the vision of ancient Arab criticism of lamenting women that reveals a significant absence. Then, the lack of the interest in women's lamentations within a chronological sequence in which this absence changes to present shyly. Later, it develops into an active presence with a serious interest in women's lamentations. However, due to socio-cultural reasons and no matter how advanced the age is, the controversy of absence and presence hardly disappears as it appears in different forms from time to time.

It should be noted that this research is concerned with the study of women's lamentations in the heritage of Arabic poetry to the extent required by the idea of the research since it deals with this topic within the framework of ancient Arab criticism according to a research vision that mixes the past with the present. In order to continue and understand the recent research interest, the study benefited from the approach of reading and receiving.

Keywords: literary criticism, lamenting women, absence, presence



القصائد على نحو ما شهدناه في غرض المديح، والهجاء، والفخر... الخ وتارة اخرى تستحوذ المرأة فيها على القصيدة برمتها ولا أدل على ذلك القصيدة الغزلية التي قلما نجد شاعراً لم يكن له نصيب منها إن لم تكن قد احتلت المكان الأوفر في دواوين بعض الشعراء بحيث وجدنا قسماً منهم قد اشتهر بهذه القصيدة، ولا يقتصر هذا الحضور على دواوين الشعراء فحسب، بل تعداه إلى أن يأخذ بعض مؤلفي كتب النقد العربي القديم بنظر الاعتبار الحديث عن المرأة بوصفها مبدعة من جهة وموضوعاً شعرياً من جهة أخرى. وهذا ما نجده مثلاً في كتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي (ت ٢٣٢هـ) الذي عدّ فيه الخنساء بمصاف الشعراء الفحول، إذ وضعها في طبقة المرآئي، وكذلك كتاب ديوان الحماسة لأبي تمام (ت ٢٣١هـ) الذي وضع فيه باباً سماه (النسيب)، ناهيك عن باب آخر يدعى (باب مذمة النساء). ولعل هذين البابين يغريان الباحث بالتساؤل عن المفارقة الحادثة بين باب النسيب الذي تمتدح فيه صفات المرأة في مقابل الباب الآخر الذي تذمّ فيه بعضاً من صفاتها، إذ يرجع الباحث هذه المفارقة إلى مؤثرات سوسيو ثقافية دفعت أبا تمام في كتابه هذا إلى أن يضع نصب عينه العرف السائد في المجتمع العربي آنذاك، إذ أن التقاليد الشعرية أصبحت موجّهةً نقدياً يحتكم إليه النقاد العرب القدماء إلى جانب الغرض الشعري الذي يتسع فيه التأويل...

لقد استحسنت النقد العربي القديم شعر الرثاء الذي ينظم على وفق ما توافقت عليه الجماعة تبعاً لمنظومة القيم الفحولية. على أن الرثاء يقترب من المديح والفخر طالما اتبع فيه الشاعر مقررات هذه القيم إلا أن هذا لا يعدم وجود فرق بين الرثاء من جهة والمديح والفخر من جهة أخرى، إذ يكمن ذلك في مقدار العاطفة التي هي من ميّزات شعر الرثاء ولا سيما، إذا كان الرثاء موجّهةً إلى الملوك، والرؤساء الكبار. وما يؤكد ذلك قول ابن رشيقي "وسبيل الرثاء أن يكون ظاهر التفجّع بين الحسرة مخلوطاً بالتهلّف والأسف

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة، وأنتم التسليم على خاتم المرسلين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين. أمّا بعد فلا شك أن فسحة البحث في موضوع جديد له أهمية واضحة في حرية الكتابة، والانفتاح على معالجات قضايا جديدة بأن يلج إليها الباحث؛ لأجل سبر ما فيها من نكات تستحق أن تكون إضافة علمية لما تطلع به من توقعات تمثّل أفق انتظار القارئ الذي يتغيّر جزاء مقارنة هذه الموضوعات، لينتقل إلى مرحلة تعديل أفق هذا الانتظار، الأمر الذي يحدث كشفاً جديداً عبر ملء الفجوة التي تضعه أمام نسق مغاير كان قد تسبّد المشهد الثقافي إلى حد كبير، وهذا يعني أن الإبداع الشعري لا يمكن أن ينظر إليه مقيداً بالاشتراطات التي وضعتها جماعة ما؛ لأن (الشاعر) حتماً سيكسر هذه القيود ولا أدل على ذلك التحولات الكبرى التي رافقت مسيرة الشعر العربي عبر عصوره المختلفة.

ولعل موضوعة البحث التي تتناول المرأة بوصفها مرثية هي داخلية في إطار هذه التحولات من هنا كان اختيار هذا الموضوع بحثاً الخطى باتجاه طرح فكرة، إذا ما كتب لها النهوض بالتصورات التي تبناها هذا البحث فهي لا شك تفتح الباب أمام الباحثين في إعادة قراءتها بروى ربما أغفلها البحث، أو سكت عنها. ومن ثم تحفيز القارئ، للنظر فيها مجدداً، والتناصّ معها على نحو يعطي مبرراً لتعدّد القراءات انسجاماً مع حركة الفكر الإنساني التي انبثقت عنها مجموعة من النظريات المعرفية والفلسفية. وحتى يثير البحث فضول القارئ ويغريه، ويتيح له فرصة تحضير أفق انتظاره عمدنا إلى ذكر الفرضيات والاسئلة في طيات هذا البحث. ومن الله تعالى نسأل التوفيق، والسداد.

رثاء المرأة في النقد الأدبي عند العرب:

لقد مثلت المرأة حضوراً لافتاً في الشعر العربي والنقد القديم، إذ ازدحمت دواوين الشعراء بقصائد تتغنّى بها، فتارة تجيء في مقدمات هذه



رثاء المرأة بين الغياب والحضور ...

تجعل الشاعر مكبلاً بقيود سعى النقد العربي إلى تقنينها ضمن الأسس والمنطلقات التي انماز بها النقد العربي القديم.

على أن أبرز الآراء النقدية التي قيلت بصدد موضوعه رثاء المرأة بحيث أصبح معياراً نقدياً يفرض نفسه بقوة في الوسط النقدي عند العرب إلى الحد الذي بدا من مسلمات ذلك النقد ما جاء على لسان ابن رشيقي القيرواني في كتابه العمدة، إذ قال: "أشدّ الرثاء صعوبة على الشاعر أن يرثي طفلاً أو امرأة، لضيق الكلام عليه فيهما، وقلة الصفات"^(٤). والناظر إلى هذا النص حريّ به أن يملأ الفجوة التي تركها، إذ لماذا يضيق الكلام على المرأة، وتقلّ الصفات في رثائها، بينما يتسع الكلام، وتكثر الصفات في غزلها؟ وهل هذه الصعوبة وحدها أدّت بالشعراء إلى الإعراض والتزام الصمت في هذا اللون من الرثاء؟

على أن مستقرى الآراء النقدية القديمة عند العرب يجد أنها كانت صادرة عن خلفيات ثقافية معدّة سلفاً أدّت إلى توجيه أدائهم النقدي وبذلك ستنشأ علاقة وثيقة بين موجّهات القراءة ومرجعيات القارئ.

إن ما تنتجه الأعراف، والعادات والتقاليد في أي عصر من العصور تؤثر لا محال في نتاجاته الأدبية، ولا يكون هذا التأثير في الأدب وحده، بل سيأخذ النقد حظاً أوفر منه؛ لأن الأديب، والناقد كلاهما فرد يتأثر بالمجتمع.

ويبدو أن رثاء المرأة من الموضوعات الشعرية التي لا يحتفل بها العربي، إذ يعدها خرقاً لمنظومة القيم الثقافية، وكسراً لأفق الانتظار، إذ كانت الصدارة للرجل على المرأة وفقاً لمفهوم الفحولة بوصفها اللبنة الأساس في النظرية النقدية عند العرب، حيث أشار إلى ذلك الأصمعي، فقال "طريق الشعر هو طريق شعر الفحول، مثل امرئ القيس، وزهير والنابغة من صفات الديار والرحل والهجاء والمدح والتشبيب بالنساء وصفة الخمرة والخيل والحرب والافتخار"^(٥)، وهذه الموضوعات الشعرية التي ذكرها

والاستعظام، إن كان الميث ملكاً أو رئيساً كبيراً"^(١).
إن الرثاء لم يأخذ نصيباً وافراً من اهتمام النقاد العرب القدماء، إذ لم يدرس دراسة شاملة تتضح فيه سمات كل نوع من أنواعه مكتفين باستحسانهم إياه من غير بيان أسباب ذلك الاستحسان^(٢). ويبدو أن عدم الاهتمام هذا في استكمال دراسة القصيدة الرثائية يرجع إلى رأيهم القائل "أصغر الشعر الرثاء لأنه لا يعمل رغبة ولا رهبة"^(٣). ولعل هذا الرأي لا يخلو من الانحياز للمديح وتفضيله على الرثاء الأمر الذي لا يمكن قبوله بطبيعة الحال؛ لأن معطيات الرثاء تقترب من المديح في نقطة التقاء تجعل من الصعوبة مكان الفصل بينهما تماماً أي أنهما يتوافران على القيم ولا سيما في مناسبتين متزامنتين تحدث عادة في ذهاب خليفة (موت) وتنصيب آخر، وذلك ما عرفت به عناوين كتبهم ونعني به التعازي والتهاني، إذ اشتهرت كثير من مصنّفاتهم بهذا العنوان مثل كتاب التعازي والمرثي للمبرد (٢٨٦) وغيره.

لقد أكثر شعراء العربية من النظم في هذا الغرض كثرة بالغّة تنوع فيها الرثاء إلى عدة أنواع منها رثاء القادة والأمراء، والأهل، والأصدقاء وعلى الرغم من ذلك وجدنا جانباً منه لم يحظ باهتمام الشعراء، ونعني به رثاء المرأة. وإن وجدت بعض القصائد في رثاء المرأة عبر العصور الأدبية المختلفة، فهي قليلة تتردّد بين الغياب والحضور المطلق تارة، والنسبي تارة أخرى، إذ شكّلت هذه الثنائية ظاهرة في الشعر العربي القديم. ومع أن الرثاء باب واسع من أبواب الشعر العربي إلا أنه يضيق عندما يتصل بالمرأة التي يتوجّه نحوها الرثاء وتصبح آفاقه أقلّ حرية؛ لأنه خطاب يتقاطع مع النزعة المعهودة بإظهار البأس وقوة الشكيمة عند العرب كما أن خلوّ دواوين أكثر الشعراء في الموروث العربي من رثاء المرأة، دليل على عدم وجود شيء يشجّع على هذا النوع من النظم، بل على النقيض من ذلك كانت الموجّهات الفكرية والثقافية، وكذلك السنن المجتمعية والتقاليد الشعرية



واشترط الناقد العربي على الشاعر هذه المواصفات أم أن الزمن أي العصر الذي ينتمي إليه هذا اللون من الشعر هو الحاكم على مسألة الغياب، والحضور هذه؟.

ويبدو أن التضاد في ثنائية الغياب، والحضور يعود إلى إشكالية مكانة المرأة في المجتمع مرتبطة بمجموعة من التصورات الثقافية بحكم تقادم العصر، ومراحل تطور المجتمع العربي آنذاك، إذ يظهر أن أبا تمام في حماسته استوحى باب مذمة النساء من التراث الشعري القديم الذي أفصح في جوانب منه عن ضعة المرأة الأمر الذي نلحظه أيضاً في كتاب أخبار النساء لابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ).

ويخيل لي أن الأسباب التي دفعت إلى أن يكون رثاء المرأة من الموضوعات الشعرية التي يضيق القول فيها بحسب الخطاب النقدي العربي القديم يرجع إلى التقاليد المجتمعية التي أعلنت من شأن الرجل مقابل الحط من شأن المرأة. إلى جانب وجود مرجعيات ثقافية تقف وراء هذا، وفي مقدمتها المرجعيات الدينية والاسطورية وأخرى ترتبط بالنصوص المعبرة عن الثقافة العربية المتنوعة.

إن قلة رثاء المرأة لا يعني تحجر قلب الشاعر وجمود مشاعره أمام الحوادث المفجعة، بل هو اندماج في سياق اجتماعي سيطرت عليه ثقافة غرست في أذهان أتباعها أن بكاء الرجل على المرأة عجز، ونقص في الرجولة. على أن الإنتاج الأدبي كما يقول لوكانش "جزء لا يتجزأ من العملية الاجتماعية العامة"^(٨).

وهكذا أخبرنا تاريخ العرب أن المرأة كانت وسطاً هامشياً ينزع التبعية لسلطة الذكر، ويأخذ وسم الضعف على الدوام، هذا الضعف الذي صار موضوعاً راکزاً في الفكر النقدي العربي القديم من جهة تقييم جودة الأثر الشعري، تبعاً لسياقات التكريس الثقافي السائد لما فيه، وفي مخرجاته من آثار على هذه الجودة وفقاً لتصورات النقد القديم. وقد ترشّح عن ذلك التصور بنية عامة في تشكيل الموضوع الأثنوي في القول

الأصمعي ليس فيها غرض الرثاء، فما بالك برثاء المرأة! وأرى أن عدم ذكر الرثاء هنا يرجع إلى أن النقد القديم كان يعد الرثاء صنو المديح سوى "أنه ليس بين المرثية، والمدحة فصل إلا أن يذكر في اللفظ ما يدل على انه لهالك"^(٦).

وهما أن المدح يرمي فيه الشاعر إلى ذكر الفضائل النفسية التي يمدح بها الحي فكذلك الرثاء يشير إلى نبل الخلق، والقصد، فهو عندهم تعداد لمحاسن الميت وأخلاقه الحميدة وعلى هذا لا فصل بين المدحة والمرثية "إلا أن يخلط بالرثاء شيئاً يدل على أن المقصود به ميت، مثل "كان"، أو "عدمنا به كيت وكيت"، أو ما يشاكل هذا ليعلم انه ميّت"^(٧).

من هنا نستشف أن الرثاء يتماشى مع المديح في انشاد القيم الذكورية فالذي لا ينظم شعره على وفق هذه الرؤية يجد نفسه متخلفاً عن ركب الشعراء الذين ينظمون في الغرض نفسه وفقاً لما هو سائد في عرف الشعراء، والنقاد على حدّ سواء. وتأسيساً على هذا المبدأ يمكن طرح السؤال الآتي وهو: هل يضيق رثاء المرأة، ويصعب على الشعراء؟ والجواب: نعم، ولا سيما أنهم في المديح والرثاء يعمدون إلى إصاق الصفات الحميدة بالذكر حصرياً من قبيل الشجاعة، والكرم، والمروءة التي لا يوافقون أن تمتدح، أو تثرى بها انثى. فالصفات الحميدة التي يمدح بها الرجل لا يمكن أن تمدح بها النساء، إذ ستكون ذمّاً لهن في المنظور النقدي القديم. وهذا ما يعطي مبرراً لقلّة شعر رثاء المرأة في الأدب العربي القديم على وجه العموم.

وعلى هذا فنحن أمام مشكلة تقول بغياب، أو قلة رثاء المرأة انسجاماً مع ما ألمح إليه نقاد العرب القدماء الأمر الذي يدعونا إلى التأمل في هذه المسألة بحسب ما يتوفّر لدينا من مادة نقدية قديمة تكلمت في هذا الخصوص على نحو مباشر، أو غير مباشر؛ وذلك بقصد استجلاء موقف النقد العربي القديم من شعر رثاء المرأة، ومعرفة أين ومتى يكون الغياب؟ وكذلك معرفة أين ومتى يكون الحضور؟ ومن ثم هل يكون الغياب والحضور بمواصفات هذا اللون من الشعر،



رثاء المرأة بين الغياب والحضور ...

التقاليد الشعرية، ورثى حرم الأمير كما يرثي أهله” ما باله يسلم على الحرم، ويتشوق إلى الأمهات! ومن سبقه إلى هذا! وإنما يفعل ذلك من يرثي بعض أهله، وأمّا استعماله إياه في هذا الموضوع فدال على ضعف البصر بمواقع الكلام^(١٤)، فالمتنبي في نظرهم ضعيف بمواقع الكلام لأنه لم يكن على دراية بطبقات النساء ومراتبهن، فخطب نساء الملك كما يخاطب بعض أهله وهكذا تكون الموجّهات الثقافية فاعلة في تشكيل المفاهيم المجتمعية التي تعمل بدورها على تقييد المرأة بصفات معينة لا يمكن أن تقترن بصفات الرجل الأمر الذي بدأ أثره واضحاً في الإبداع الشعري والنقدي على حدٍ سواء.

ومن المؤكد الذي لا يقبل الشك أن هذا من ضمن الأسباب التي تفسّر صعوبة رثاء المرأة؛ لأن الخصال الحميدة التي يوصف بها الرجل لا يمكن أن توصف بها المرأة، إذ ستكون ذمّاً وانتقاصاً لها بحسب العرف السائد. وعلى هذا فلا علاقة لغرض التكبّب في مسألة ضيق القول في رثاء المرأة كما ذهب إلى ذلك أحد الباحثين^(١٥).

على أن مقياس الفحولة الذي كان يمثل أساس العملية الإبداعية حسب الخطاب النقدي أسهم بشكل أو بآخر في تضييق أفق الشاعر في موضوعة رثاء المرأة، إذ يبدو أن ابن رشيق^(١٦)، كان متنبهاً لصعوبة اتساع هذا الأفق لدى الشاعر.

رثاء المرأة بين الغياب والحضور:

إن الافكار التي تتراءى لنا عند قراءة الشعر العربي والنقد القديم ما زالت بحاجة إلى النظر والتأمل في مركزية الثقافة العربية التي همشت الأنوثة، وأقصتها لحساب المهيمن، والسائد (مفهوم الفحولة).

الأمر الذي يدعونا إلى إعادة إنتاج هذه المفاهيم، ومن ثم اسقاطها على موضوعة رثاء المرأة في التراث النقدي العربي وتجدر هنا الإشارة إلى أن مقارنة رثاء المرأة عبر عصور الأدب المعروفة لم تكن غاية هذا البحث وأمّا هي وسيلة تعين القارئ على بيان مواكبة النقد لموضوعة رثاء المرأة، إذ من المعروف أن النقد يأتي

الشعري القديم. وبالرغم من إننا نجد المرأة حاضرة في القول الشعري العربي بقوة، غير أن هذا الحضور يأتي لصالح السلطة الذكورية (الفاعل المنشئ) على وفق حسابات الموضوع الشعري، وضمن أطر وصفات وضعها السياق الثقافي له، وحتى التشبيب، والغزل وهو من مكونات بناء القصيدة العربية القديمة فإنه يعنى بجانب جندي بحت، يبرز ملامح الضعف الأنثوي، ويحصرها في ميدان واحد، وهو ميدان يفصلها عن السلطة ويوشّحها بصفات لا تليق بالرجل، ويصوّر تمثّلات الذكورة في الموضوع الغزلي فيحتفي بهذه الخصيصة إشارة منه إلى نكوص أي خصائص أخرى هي من اختصاص الرجل، وهذا ما يمكن تلمسه في عبارة الحصري القيرواني، إذ قال: ”الا ترى ان الجود والوفاء بالعهود والشجاعة والفظن وما جرى في هذه السنن من فضائل الرجل ولو مدح النساء به لكان نقصاً عليهن وذمّاً لهن”^(٩).

وقارئ النص هذا يلاحظ الحاح النقاد العرب القدماء على سيادة مفهوم الفحولة بوصفه البوصلة التي توجّه قراءتهم الشعرية ولا أدل على ذلك توجيههم بيت المتنبي في رثاء أخت سيف الدولة^(١٠)

غدرت يا موت كم أفنيت من عدد

من أصبت وكم اسكت من لجب
فإضفاء الشاعر صفات تصور المرأة غازية للجيوش، وأسرة للأعداء شيء مذموم في النساء؛ لأنه عندهم ”يدل على رجوليتها، والمرأة المرتجلة من النساء المذمومة، وقُلما توصف بهذه الصفات”^(١١) وكذلك توجيه النقاد بيت المتنبي في رثاء أم سيف الدولة^(١٢):

بعيشك هل سلوتِ؟ فإنّ قلبي

وإن جانبت أرضك غيرُ سَالِ
و بيته في رثاء أخت سيف الدولة^(١٣):
وهل سمعت سلاماً لي أمّ بها

فقد أطلعت وما سلمت من كتب
إذ رأى النقاد أنّ أبا الطيب قد خرج عن



مساوٍ له. فالرجل لو فعل ورث امرأته لأنهم بالضعف، والجزع عليها علماً أن صفة التجلّد وعدم استشعار الجزع كانا معروفين لدى الجاهليين، إذ يعدّ ذلك نقصاً في الرجولة^(١٩)، لذا بقيت المرأة في ذاكرته تمثّل صورة الشرّ الذي سيقع عاجلاً أم آجلاً، هذا وما تقدّم من أسباب دفعهم إلى وأد البنات، إذ قال عز من قائل ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾^(٢٠) وهنا يتضح استنكار القرآن الكريم لفعلهم المشين تجاه المرأة. على أن المجتمع العربي الجاهلي كان لا يعطي للمرأة حقّها الطبيعي في العيش إلى الحدّ الذي يرى فيه أن نكاح المرأة يجعل الرجل يعترض على هذا الفعل مع ابنته؛ لأنه يرى وقوع النكاح في هذه الحالة معه لارتباطها معه بالنسب^(٢١).

وانطلاقاً من هذا المنظور (السوسيو ثقافي) يرى الرجل الجاهلي بأن المرأة غير جديرة بالاحترام والتقدير وأن الاحترام يفسد المرأة، ويضعها في مرتبة إنسانية لا يرتضيها سلوكه، ولا تفكيره البدوي، فمثلاً "كان العرب يأنفون أن يداعب الرجل وليدته، أو أن يسمح لها أن تمرح بين يديه"^(٢٢)، ولذا أصرّ الرجل البدوي على موت المرأة حتى في حياتها التي قد يسمح في أحيان قليلة أن تعيش فيها، فهو يحتقرها بسلوكه وتفكيره وقد نسي ولو لحظة واحدة من الزمن بأنها هي التي منحتة الحياة التي يرفل فيها منعماً حرّاً ليحقد عليها وينتقم منها شرّاً انتقام. ولا يقتصر الأمر على هذا الحد، فقد كان يشكّ ويغار عليها حتى، إذا أراد أن يسافر من مكان إلى آخر كان يعمد إلى شجرة فيعقد بين غصنين فإن عاد ووجدتهما على حالهما عرف أنها لم تخنه وعكس ذلك فهي الخيانة^(٢٣). هل توجد مثل تلك السذاجة في التفكير والتصرّف تجاه المرأة؟، وهل من الممكن تصديق تلك الرواية وإلى أي مدى وصلت الاستهانة بالنصف الآخر من المجتمع؟ ومهما يكن فذلك العصر الذي عاشت فيه المرأة لم يعطها أي حقّ بالحياة.

ولعل جذور هذه النظرة السلبية للمرأة امتدت بحيث أصبحت لها تمثيلات في الشعر والنقد

في مرحلة تالية للأدب. وربما يسأل سائل عن جدوى الحديث عن العصر الذي غاب فيه هذا اللون من الرثاء فتأتي الإجابة بأن هذا يدخل في إطار البحث عن جذور هذه القضية وامتدادها في الشعر العربي والنقد القديم على حدّ سواء، وكي تتضح فكرة غياب وحضور رثاء المرأة في النقد لا بد من قراءة تعتمد الآليات الآتية:

رثاء المرأة والغياب المطلق

ونعني به إعراض الشاعر عن رثاء المرأة سواء كانت أمّاً، أو أختاً، أو زوجة، وهذا تحديداً نجد في شعر العصر الجاهلي، إذ لعلّ من الأسباب التي أدّت إلى هذا الغياب نظرة العرب إلى المرأة نظرة نابغة من طبيعة المجتمع على اختلاف مشاربه والعصر الذي ينتمي إليه؛ ولأجل إضاعة هذه الجزئية من البحث جدير بنا أن نسأل: هل كان الرجل يعامل كيانها الأنثوي بما يستحقّ الاحترام، أم أنه يعدّها سلعة تباع وتشتري في سوق المتاع؛ ولاشك أن الجواب على هذا السؤال يتطلّب، معرفة كبيرة بأحوال ذلك المجتمع، والتقاليد التي كانت سائدة فيه.

إن مكانة المرأة في ذلك المجتمع كانت متدنية، إذا ما قيست بمكانة الرجل، فقد كانت العرب تحب الذكور وتفضّلهم على الإناث؛ لأنهم جنود القبيلة وفرسانها ورجالها الحماة "أما المرأة فلا تغني في الحرب شيئاً بل تكون عبئاً على القبيلة؛ لأنها مقصد الأعداء، فتؤخذ سبية، وسبي المرأة عارٌ لا يسكت عنه ولا يقعد دونه إلاّ الوغد الذليل"^(١٧). والحديث عن ازدراء المرأة في العصر الجاهلي لا يتوقّف عند هذا الحدّ فالرجال يمتعضون "لولادة البنات حتى لقد كانوا يستترون إذا ما ولدت لهم بنات حياء من القوم، وكأنهم اقترفوا ذنباً وارتركبو عاراً"^(١٨).

إن غياب رثاء المرأة في شعر العصر الجاهلي، ارتبط ارتباطاً وثيقاً بصورتها في ذلك المجتمع، وبنظرة الرجل إليها، وقد كان رثاء الرجل للمرأة غير مستحبّ وليس مقبولاً في مجتمع تسوده الرجولة، والعنجهية التي تقوي من مكانة الرجل، وتجعل المرأة عنصراً غير



رثاء المرأة بين الغياب والحضور ...

الشاعر الجاهلي الذي جعل من رثاء المرأة أرضاً جرداء يتعدّد فيها العثور على ما يروي ظمأ الناقد. وخير من يمثّل هذه الحقيقة كتابا فحولة الشعراء للأصمعي، وطبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي، إذ نجد تبلور هذه الفكرة سواء في العنوان والمعنون. وأخيراً لا يفوتنا أن ننوّه إلى مسألة في غاية الأهمية وهي أن الشاعر كان يمثّل الوسيلة الإعلامية التي كانت القبيلة تعتمد عليها في السلم والحرب، إذ لا يكاد يتكلم إلا بصوتها مدافعاً، ومنافحاً عنها فهو لسان القبيلة الناطق باسمها، والمعرب عن ثقافتها، ومعارفها. من هنا نفهم أن الشاعر كان يضع شعره في خدمة القبيلة. ومعنى ذلك أن غياب قصيدة رثاء المرأة في ذلك العصر يكون طبيعياً على وفق هذه النظرة وهكذا ظلّ الشاعر يمثّل صوت الجماعة في العصر الجاهلي وصوت الحزب السياسي في العصر الأموي.

رثاء المرأة والحضور النسبي

ونقصد به وقوع هذا اللون من الشعر على نحو يتوازي فيه الغياب، والحضور بمعنى أنهما يمثّلان نسبة لا تمكّن أحدهما من التفوق على الآخر. وهذه المرحلة تبدو جلياً في العصر الإسلامي، والأموي، إذ أن تأثير أفكار الدين الإسلامي، وتعاليمه السمحة، أثّرت تأثيراً واضحاً في المجتمع البدوي في عدة مجالات، بيد أن هذا لا يعني انعدام بعض المفاهيم القبلية السائدة. وعلى هذا فلا غرو من قلة رثاء المرأة في شعر هذا العصر، إذ "يفهم من بعض الشعراء أن الحزن على النساء لم يكن مقبولاً عند العربي"^(٢٧).

إن رثاء المرأة عند الشعراء الإسلاميين والأمويين لم يختلف اختلافاً كبيراً عنه في العصر الجاهلي، إلا أنه لا يعدم وجود اختلاف في نوعية هذا اللون من الشعر، ولا سيما عند بعض الشعراء الكبار. ومع ذلك فتأثير الإسلام بدا واضحاً في كثير من المواقف التي أعلى فيها من شأن المرأة، وقد تمثّل ذلك بأجلى صورته في القرآن الكريم الذي تكلم عن المرأة بوصفها عنصراً يحقّق تكامل الوجود الإنساني إلى جانب الرجل، فتارة جاء ذكرها ضمناً في آيات من الذكر الحكيم،

على نحو ما جاء لدى بعض الشعراء من العصور التالية لهذا العصر، فالبنيت عورة في نظر أبيها ويجب أن تستر عن الأنظار لكي يجد الراحة والطمأنينة، إذ يرى الشاعر عبید الله بن عبد الله بن طاهر أن القبر لأبنته خيرٌ له من الزوج والبيت^(٢٤) لكل أبي بنتٍ يرجى بقاؤها

ثلاثة أصهارٍ إذا دُكر الصهرُ

فبيتٌ يغطيها وبعلٌ يصونها

وقبرٌ يُورايها وخيرُهما القبرُ

فالشاعر هنا لو حُير بين الثلاث لأختار دون

أن يتردّد القبر؛ لأن بقاء ابنته على قيد الحياة سيقض

مضجعه فالقبر هو السبيل الوحيد لراحته. ويتكرّر

هذا المعنى نفسه لدى الشاعر عقيل بن علقمة، إذ

قال:^(٢٥)

إني وإن سيق إلى المهْرُ

ألف وعبدانٌ وذودٌ عشرُ

أحبُّ أصفهاري إلى القبرُ

ومن العجيب أنّ الحصري القيرواني الذي

ينمّ اختياره لهذه الأبيات عن استحسان لها، يذكر

أن هذا الشاعر أغبر العرب^(٢٦)، وهذا الوصف يكشف

لنا عن نسق مضمّر يشير إلى تواطؤ الناقد مع الشاعر

في تكريس احتقار المرأة، ويبدو أن تأثير ذلك لا يمكن

حصره في عصر بعينه حيث مازلنا نلحظ ترسباته

إلى يومنا هذا. ولعل هذا يرجع إلى أن العرب غالباً

ما تستنكر رثاء نساءها؛ لأن الصفات التي تمتاز بها

بعضهن لا تعدّ خصيصة بقدر ما هي من ضمن

الواجبات الحتمية على المرأة القيام بها تجاه من ترتبط

معه بالنسب. ومتصفّح كتب النقد العربي القديم في

القرن الثالث الهجري يجد أنها هي الأخرى تخلو من

الحديث عن رثاء المرأة، وكيف لا؟! وقد طفق الناقد

العربي يؤلّف مصنفات تتجلى في عنواناتها إبراز صفة

الفحولة بوصفها قيمة ذكورية بمواصفات ذلك النقد

الذي أن اردنا أن نصفه جراً تغيب صفة الأنوثة

نقول إن الناقد لم يتكلم في هذه الموضوعات ليس

بناء على ما ذكرنا فحسب، وإنما يرجع ذلك لصمت



وفي هذه الأبيات يصور الشاعر حالة من العواطف الإنسانية، على أن القصيدة لم تكن خالصة في رثاء المرأة، إذ خصص فيها الشاعر جزءاً لهجاء الفرزدق الذي عابه مستنكراً عليه فعل ذلك حيث أن الشعراء لم يتأثر معظمهم بتعاليم الدين الإسلامي، إذ بقي بعضهم على جاهليته، وقد صور القرآن الكريم ذلك بقوله تعالى ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا قُل لَّمْ تُوْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾^(٣١) فالدين الجديد لم يحتو كل العرب فكراً ومعنى ولاسيما في تعاطيهم مع رثاء المرأة، على نحو ما نجد في شعر الفرزدق الذي يعدّ المرأة أهون مفقود، إذ قال^(٣٢):

يقولون:

زر حدراء والترب دونها

وكيف بشيء وصله قد تقطعا

ولست، وإن عزت عليّ بزائر

تراباً على مرسومة قد تضععا

وأهون مفقود إذا الموت ناله

على المرء من أصحابه من تقنعا

وقال أيضاً^(٣٣):

تبكي على امرأة وعندك مثلها

قعساء ليس لها عليك خمراً

إن الزيارة في الحياة ولا أرى

ميتاً إذا دخل القبور يزار

ورثيتها وفضحتها في قبرها

ما مثل ذلك تفعل الأخيار

وقد وصف أحد الدارسين قول الفرزدق

هذا "يقول في حدراء في جفاء يصل إلى حدّ التوحش

الجاهلي"^(٣٤). فالقصيدة لا شك تعبّر عن فكر، وسلوك

جاهلي بحت لم يغيّره الإسلام، ما يدلّ على سيادة

الثقافة الذكورية في مقابل دونية المرأة في المجتمع

آنذاك.

وقد اقتفى كثير من الشعراء أثر الفرزدق

في تكريس دونية المرأة، وتحقير أنوثتها زد على ذلك

اتباعهم مطلب النقد القديم في تجسيد مفهوم الفحولة

وتارة أخرى جاء في سورة حملت هذا العنوان (سورة النساء) الأمر الذي دفع الرسول (صلى الله عليه وآله، وصحابته الاجلاء) إلى تطبيق هذا الأثر المقدس في المجتمع وانعكاس ذلك على النتاج الأدبي، إذ نجد طلائع هذا اللون من الشعر متجسداً في أبيات أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في رثاء السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)^(٣٥):

أرى علل الدنيا عليّ كثيرة

وصاحبها حتى الممات عليل

لكل اجتماع من خليلين فرقة

وكل الذي دون الممات قليل

وان افتقادي فاطماً بعد أحمد

دليل على أن لا يدوم خليل

ويظهر رثاء المرأة على استحياء في هذا

العصر، إذ بدأ الشعراء برثاء أزواجهم، ولعل تأثير

الروح الإسلامية كانت واضحة في شعر بعض الشعراء،

ومنهم جرير بن عطية الذي رثى زوجته بقصيدة أطلق

عليها الجوساء؛ لذهابها في البلاد^(٣٦) إذ قال^(٣٧):

لولا الحياء لعادني استعبار

و لزرت قبرك والحبيب يزار

ولقد نظرتُ وما تمتع نظرة

في اللحد حيث تمكن المحفار

فجزاك ربك في عشيرك نظرة

وسقى صداك مجلجلاً مدرار

ولهت قلبي إذ علتني كبرة

وذوو التمام من بنيك صغار

أرعى النجوم وقد مضت غورية

عصب النجوم كأنهن صوار

نعم القرين وكنت علق مضية

وأرى، بنعف بلية الاحجار

عمرت مكرمة المساك وفارقت

ما مسها صلّف ولا إفتار

فسقى صدى جدّ بركة ضاحك

هزم أجش وديمة مدرار



رثاء المرأة بين الغياب والحضور ...

فالشاعر قد أتى بشيء لم يكن متوقَّعاً، إذ عمل على إيجاد المعادل الموضوعي الذي أتاح للمرأة فرصة الحضور المطلق، وبذلك يكون قد قلب المعادلة التي كانت تقول إن الرثاء يكون في الرجال لافي النساء. ولا أدلّ على أن الناقد الذي له ثقة بالشاعر الكبير سيتلقى هذا اللون من الشعر بالقبول على نحو مغاير للمألوف والسائد طيلة الحقبة السابقة على العصر العباسي. ومعنى ذلك أن لموجّهات قراءة الشعر أثراً في حضور موضوعه رثاء المرأة. ومن هذا المنطلق نجد في حماسة أبي تمام اختياره لأبيات مسلم بن الوليد^(٣٧) في رثاء زوجته تتضمّن حكماً نقدياً بوجودها.

حينئذٍ ويأس كيف يتفقان

مقيلاهما في القلبِ مختلفانِ

غدت والثرى أولى بها من وليها

إلى منزلِ ناءٍ لعينكِ دانٍ

فلا وجد حتى تنزفُ العينُ ماءها

وتعترف الاحشاء للخفقانِ

فعلى العكس من شعراء العصر السابق

وتحديداً الفرزدق الذي تبيّننا موقفه السلبي من رثاء المرأة يجهر الشاعر بألمه، وحرزته، وبكائه لزوجته.

على أن الأمر يتسع كثيراً، ويصبح رثاء المرأة

من الأمور الطبيعية جداً، ولا جرم أن الأدب في ذلك العصر لم يكن أدباً تقليدياً، بل كان مبتكراً متجدداً من حيث الموضوعات التي عالجهها أو الاساليب التي كتب بها وهذا يدل على أن الشعر العربي شهد تجربة جديدة وفريدة من نوعها.

وعلى هذا فقد نظم كثير من الشعراء في

هذا الغرض عدة قصائد تتناول هذا اللون من الرثاء دون حياء أو وجل، بخلاف ما جاء في مطلع قصيدة رثاء جرير لزوجته، ومن امثلة ذلك قصيدة الشاعر محمد بن عبد الملك الزيات^(٣٨) التي عدّها ابن رشيق أنها "من جيد ما رثى بها النساء وأشجاه وأشدّه تأثيراً في القلب"^(٣٩).

إذ قال:

إلى الحدّ الذي صار فيه الأُمُودج الذي يجب أن ينسج الشعراء على منواله، ولعل هذه النظرة تظهر حتى في مسألة حديث الشاعر عن الالهام في الشعر، فمثلاً نرى الشاعر أبا النجم العجلي يتفاخر على الشعراء بأن ملهمه الشعر ذكر لا أنثى، فيقول:^(٣٥)

إني وكلّ شاعرٍ من البشر

شيطانهُ أنثى وشيطاني ذكر

ويبدو أن النقد في هذا العصر هو الآخر

كان له موقف سلبي تجاه شعر رثاء المرأة، إذ ما زالت التقاليد الشعرية لم تتحرّر من أسرها بالغرض الشعري المقيّد بمفاهيم اتفقت عليها الجماعة، ناهيك عن هيمنة الشاعر الكبير الذي كانت محاولاته تقع على نقيضين لا نجد لأحدهما تفوقاً على الآخر.

رثاء المرأة والحضور المطلق:

ونعني به حضور موضوعه رثاء المرأة حضوراً فاعلاً في العصر العباسي، إذ وجدنا الشاعر يتفنّن بهذه القصيدة، على نحو جسّد فيه البعد الإنساني والفلسفي. وذلك بمظهرين أحدهما شكلي والآخر مضموني.

وهنا تتحقّق لذة القارئ بكسر أفق التوقّع.

إذ يكون بإزاء نسق مغاير افرزته الحضارة الجديدة التي نبذت وراء ظهرها قساوة البداوة، وعتت الإنسان غير المبالي بشيء سوى ما تدفعه إليه أناته في ظل العيش الذكوري السائد آنذاك.

إن الشاعر العباسي حاول إحداث طفرة

جديدة في تقبّل شعر رثاء المرأة، وعدم التفريق بينه، وبين رثاء الرجل إلى حدّ ما، وقد تحقّق له بعض التفوّق، إذ نجده يهزأ بما كان من إساءة وبخس لمكانة المرأة في المجتمع واحتقار وجودها الإنساني. ولعل هيمنة الشاعر الكبير بوصفها موجّهاً قرائياً كان لها الأثر البالغ في الوصول إلى هذه الغاية، إذ لا يرى المتنبي مثلاً من الانصاف الانحياز إلى الرجل، وتفضيله على المرأة فلكل منهما مكانة محترمة في ظل المنطق السليم، فقال:^(٣٦)

فلو كان النساء كمن فقدنا

لفضلت النساء على الرجال

فما التأنيث لاسم الشمس عيب

ولا التذكير فخر للهِلال



يا طلعة طلع الحِمامِ عليها
وجنى لها ثمر الردى بيديها
رَوَيْتُ من دمها الثَّرَى ولطالما
رَوَى الهوى شفتيَّ من شفتيها
قد بات سفي في مَجَالٍ وشاحِها
ومدامعي تجري على حَديها
فَوَحِقَ نَعْلِها وما وطئ الحصى
شيءٌ أعزُّ عليَّ من نَعْلِها
ما كان قَتْلِها لأني لم أكن
أبكي إذا سقطَ الغبارُ عليها
لكن ضننتُ على العيونِ بحُسنِها
وأنفثُ من نظرِ الحسودِ إليها
وهذه الأمثلة وغيرها تسهم في تعديل
أفق القارئ الذي كان يعيش حالة من تخيب أفق
الانتظار، وذلك في العصور السابقة على العصر العباسي
بحيث صار الناقد (القارئ) يحثُّ الخطي باتجاه ملء
الفجوة التي افرزتها السنن، والتقاليد الشعرية، وليس
معنى ما ذكرنا من أمثلة أنها كل القصائد التي قيلت
في رثاء المرأة بل هناك كثير من القصائد التي لم نذكرها
لضيق مجال البحث هنا، نحو قصيدة رثاء أبي العلاء
المعري^(٤٣) لوالدته وأبي فراس الحمداني لوالدته^(٤٤) أيضاً.
إن قلة الصفات التي أوردتها القيرواني في العمدة^(٤٥)
هي ليست السبب الرئيس الذي يعلّل غياب وقلة رثاء
المرأة في بعض العصور الأدبية، بل أن هناك سبباً مهماً
جداً قد يفوق بعض الأحيان ذلك السبب، فالنظرة
السلبية للرجل الجاهلي في بداوته إليها، هو ابرز
الأسباب في قلة هذا النوع من الرثاء. ومع ذلك فقلة
الصفات التي علّل بها القيرواني، قد يقوم دليلاً ولكنه
ليس كافياً؛ لأن معظم الشعراء يخلقون الصفات
والصور الشعرية خلقاً من العدم، فكثيراً ما يمدح
الشاعر أميراً أو ملكاً بما ليس فيه، ويرمي عليه صفات
مثالية، وكذلك كثيراً ما يهجو فيأتي بصفات قبيحة
منكرة قد لا تكون موجودة فعلاً وواقعاً في المهجور،
فهل يعجز عن إيراد بيت، أو مقطوعة في رثاء امرأة
قد تكون فيها صفات حميدة؟ فهذا المتنبّي مثلاً على

ألا من رأى الطفل المفارق أمه
بعيد الكرى، عيناه تنسكبان
وبات وحيداً في الفراش تجنه
بلابل قلب دائم الخفقان
رأى كل أم وابنها غير امه
بيبتان تحت الليل ينتحبان
ألا إن تجلا واحداً أن هرمته
من الدمع أو سجلين قد شفياني
فلا تلحياني أن بكيت فأما
أداوي بهذا الدمع ماتريان
وإن مكاتاً في الثرى خط لحده
لمن كان قلبي بكل مكان
فهبني عزمت الصبر عنها لأنني
جليد فمّن بالصبر لابن ثمان
والقصيدة من روائع قصائد رثاء المرأة يصوّر
فيها الشاعر حزنه لفقد زوجته، ويبدأها بالحديث
عن لوعة ابنه الصغير فالشاعر يشكو من خلال لوعة
ابنه، وهو ينظر إلى الأطفال كيف تحتضنهم أمهاتهم
وكيف يبيت وحده في الفراش وهو بهذا يريد منا
أن نشاركه حزنه من خلال تجسيد حالة ابنه الصغير
ولقد وقى الشاعر إلى ذلك بلغته وأسلوبه "وقد أبدع
الزيات ابداعاً وتفوق كثيراً في التحليق بعالم الحنان
والرقة والحزن والألم والحسرة بحيث تحزن العين حتى
لو كانت بعيدة عن ذوي الارحام بالدموع الغزار
والعبرات المدرارة"^(٤٦).
على أن المرأة المراثية، إذا كانت من سائر
طبقات المجتمع فيرى الناقد أن الشاعر يعتمد في هذا
الرثاء توصيف المأساة من خلال الحديث عن حالة
الاطفال بعد وفاة امهم، واطهار اللوعة والأسى. من
هنا فطريقة ابن الزيات من وجهة نظر الناقد القدماء
محدثة "فهذه الطريقة هي الغاية التي يجري حذاق
الشعراء إليها ويعتمدون في الرثاء عليها، مالم تكن
المراثية من نساء الملوك وبنات الأشراف"^(٤٧).
ومن روائع المراثي أيضاً رثاء ديك الجن
لزوجته، إذ قال^(٤٨):



رثاء المرأة بين الغياب والحضور ...

تطور رثاء المرأة في العصر العباسي، إلا أن الشاعر يتحدث في رثائه المرأة عن شخصيات قريبة منها، إذ لم تكن التجربة الشعورية للشاعر خالصة في رثاء المرأة، وما يؤكّد ذلك قصيدة المتنبي في رثاء أم سيف الدولة، وقصيدة محمد بن عبد الملك الزيات في رثاء زوجته سالفتي الذكر. وهذا يعني أن جدلية الغياب والحضور ما زالت تمارس سلطتها على النص، والشاعر.

وعلى هذا فإن القصيدة التي يتوجّه بها الشاعر إلى رثاء المرأة إذا كانت تتحدّث عن شخصيات قريبة من المرأة أي: كأن يتحدث الشاعر عن اطفال هذه المرأة فمثل هذا النوع من الرثاء يتحقّق فيه حضور الرثاء شكلياً، وغيابه مضمونياً وكذلك يكون هذا الأمر في رثاء المرأة التي تنتمي إلى أسرة حاكمة، أو قريبة من ذلك، إذ يعتمد الشاعر في مثل هذه القصيدة إلى ذكر الصفات الكريمة للشخصية الذكورية التي تنضوي تحتها هذه المرأة؛ وذلك لأن العرب في منظورهم النقدي يعدّون مدح الرجل في مقام رثاء المرأة هو كمال مدحها وعلى النقيض من ذلك نجد بعض القصائد في رثاء المرأة يتحقّق فيها حضوره مضمونياً وغيابه شكلياً ولعل ما يجسّد ذلك قصيدة الشريف الرضي في رثاء والدته التي مطلعها^(٤٨)

أبيك لو نزع الغليل بكائي
وأقول لو ذهب المقال بدائي
وفيها يصف أخلاقها مخالفاً بذلك العرف
النقدي الذي يذهب إلى صعوبة رثاء المرأة لقلّة صفاتها، إذ قال:

أنضيت عيشك عفة وزهادة
وطرحت مثقلة من الأعباء
بصيام يوم القيظ تلهب شمسه
وقيام طول الليلة الليلاء
ما كان يوماً بالغيبين من اشترى
رغد الجنان بعيشة خشناء
ولو كان مثلك كل أم برة

عني البنون بها عن الآباء
كيف السلو وكل موقع لحظة
أثر لفضلك خالد بإزائي

الرغم من أنه كان كثيراً ما يتعالى على الخطوب إلا أننا نراه في قصيدته التي رثى بها جدته متفجعاً لفقدائها، إذ قال:^(٤٦)

ألا لا أرى الأحداث حمداً ولا ذماً
فما بطشها جهلاً ولا كفها حِلماً
إلى مثل ما كان الفتى مرجحُ الفتى
يعودُ كما أبدي وبكرى كما أرمى

لك الله من مفعوعة بحبيها
قتيلة شوقٍ غير مُلحقها وصما
أحنُّ إلى الكأس التي شربتُ بها

وأهوى لمثواها الترابَ وما ضمّاً
إن في ظلّ الهيمنة الذكورية لا بدّ للشاعر من توظيف القناع ليتسنى له تمرير خطابه على أن هذا القناع يكون وسيلة يحاول بها مقارنة أوصاف الفحولة على نحو غير مباشر، وذلك حينما يذكر بعض الصفات التي يمتدح بها أحد المقربين من المرأة المرثية، ولعله يفعل ذلك بغية تحقيق أمرين في آن واحد رثاء المرأة وإرضاء الذائقة النقدية التي بسطت سلطتها على الشعراء، وألزمهم انتهاج هذا السلوك في رثاء المرأة، وإن شئت قل في الرثاء بأنواعه كافة، إذ استحسّن النقاد قول أبي الطيب في رثاء أخت سيف الدولة^(٤٧):

يا أختَ خيرٍ أخٍ، يا بنتَ خيرٍ أبٍ
كنايةً بهما عن أشرف النسبِ
أجل قدركِ أن تُسمى مؤنثةً

ومن يصفك فقد سمّاكِ للعربِ
على أن النقد العربي القديم وهو يصدر عن آراء نقدية في الشعر والأدب. يتأثر بالعوامل السوسيو ثقافية، إذ تفرض نفسها بقوة على شتى معارف الحياة. من هنا فالشاعر الذي يريد رثاء امرأة ما لا بدّ له من أن يرثيها من خلال الرجل الذي ينتسب إليها زوجاً كان، أو أباً، أو أخاً، وذلك بإضفاء الصفات الحميدة إليه، هذا في حالة كون المرأة المرثية تنتمي إلى الأسرة الحاكمة. وهنا نلاحظ اختلافاً وعدم تطابق بين أفق النص وأفق انتظار القارئ فعلى الرغم من



فعلات معروف تقر نواظري

فتكون أجلب جالب لبكائي

ما مات من نزع البقاء وذكره

بالصاحات يعد من الأحياء

وإذا كانت هذه الأبيات تتضمّن جزءاً من

الجواب على السؤال القائل، هل لسان الشاعر يضيّق

وقريحته تصدأ عندما تكون المرثية امرأة؟. فذلك لا

يعني أنه بمقدور كل الشعراء الدخول إلى معتكك هذا

اللون من الشعر.

ولا يفهم من هذا كله أن القراءة في مثل

هكذا موضوعات تغلق الباب أمام القارئ الحاذق

الذي لا شك أنه يستطيع ملء الفجوة بناءً على مبدأ

يقول أنه لا وجود لقراءة أحادية وفقاً للمنظور النقدي

الحديث.

نتائج البحث

١- يرجع النقد القديم سبب قلّة رثاء المرأة إلى قلّة

الصفات التي تتحلّى بها فضلاً عن ضيق الكلام عليها،

ويعدّ قصيدة رثاء المرأة التي تتوافر على هذه الصفات

ذمّاً للمرأة في مقابل مدح قصيدة رثاء الرجل وعلى

هذا يقع النقد العربي القديم في التناقض، الأمر الذي

يعطي الشاعر مبرراً في أن تكون قصيدة رثاء المرأة

لديه ذات خصوصية ونهج مغاير تماماً لقصيدة رثاء

الرجل.

٢- يعدّ النقد العربي القديم قصيدة الرثاء صنو قصيدة

المديح وبذلك فرض على الرثاء متابعة المديح في إنشاد

القيم الذكورية وهذا يقود بدوره إلى تهميش المرأة

ومن ثم وضع عقبة أمام الشاعر أو المبدع في ولوج

هذا النوع من الشعر.

٣- أن موجّهات قراءة الشعر في النقد العربي القديم

أسهمت بشكل إيجابي في تقبّل هذا اللون من الشعر

تارَةً وبشكل سلبي تارَةً أخرى، وذلك تبعاً لمؤثرات

الغرض الشعري والتقاليد الشعرية وهيمنة الشاعر

الكبير.

٤- يعمد الشاعر سواء في العصر الجاهلي، أو الإسلامي

أو الأموي في رثائه غالباً إلى إبراز المثل الأعلى للجماعة،

ولم يكن في أدبيات العرب أن تجعل من المرأة مثلاً

أعلى للجماعة، الأمر الذي أدّى إلى غياب أو قلّة شعر

رثاء المرأة.

٥- أن غياب رثاء المرأة في الشعر الجاهلي أعقبه حضور

على استحياء في العصر الإسلامي والأموي ثم أصبحت

ثنائية الغياب والحضور تسير جنباً إلى جنب وذلك في

العصر العباسي الذي شهد فيه هذا الموضوع حضوراً

مطلقاً، إذ كان رثاء المرأة ينحو منحيين أحدهما يتحقّق

فيه الحضور مضمونياً والآخر شكلياً.

٦- المرثيات من النساء بوصفهن أمهات الشعراء، أو

زوجاتهم، أو نحو ذلك، والقول فيهن يعني انتهاك

خصوصية لا يرضى أحد بإبرازها، لأن حجاب المرأة

شيء راسخ في الذهنية العربية والإسلامية.

٧- افتقار المرأة في المنظومة السوسيو ثقافية إلى

صفات تزاخم فيها الرجل في ميدانه وإن وجدت تعدّ

من النقاط السلبية.

٨- بالرغم من المكانة التي حصلت عليها المرأة في

العصر الإسلامي، إلا أننا نجد حضورها نسبياً في الرثاء،

فأغلب الشعراء مازالوا متأثرين بالتقاليد الشعرية

الجاهلية

٩- ان الشاعر العباسي على الرغم من العوامل

السوسيو ثقافية التي أسهمت في تغييب المرأة بوصفها

مرثية إلا أنه استطاع كسر أو تعديل أفق الانتظار من

خلال إيجاد المعادل الموضوعي الذي اتاح له فرصة

خلق صفات للمرأة تنافس فيها صفات الرجل مجارة

للقيم الفحولية .

١٠- مثّلت الحضارة التي شهدها العصر العباسي عاملاً

مؤثراً في تغيير موقف الشاعر من رثاء المرأة فضلاً عن

موقف النقد الذي أفصح عن إعجابه لكثير من نماذج

هذا الرثاء.



رثاء المرأة بين الغياب والحضور ...

الهوامش:

- ١- العمدة، ابن رشيقي، باب الرثاء، ١٤٧/٢.
- ٢- ينظر: اسس النقد الأدبي عند العرب، أحمد أحمد بدوي، ص ٢٤٦.
- ٣- العمدة، ابن رشيقي، ج ١، ص ١٢٣.
- ٤- العمدة، ج ٢: ١٥٤.
- ٥- فحولة الشعراء، الاصمعي، ص ٤٦-٤٧.
- ٦- نقد الشعر، قدامة بن جعفر، ص ١١٨.
- ٧- العمدة، ابن رشيقي، ج ٢، ص ١٤٧.
- ٨- نقلاً عن، النقد الأدبي وعلم الاجتماع، محمد دياب، مجلة فصول، ص ٦٩.
- ٩- زهر الآداب وثمر الألباب، ابي اسحاق الحصري القيرواني ١: ٤٠٤.
- ١٠- ديوان المتنبي، ج ٢١٦/١.
- ١١- تنبيه الأديب على ما في شعر أبي الطيب من الحسن والمعيب، عبد الله بن عبد الرحمن باكثير الحضرمي، ص ٩٦.
- ١٢- ديوان المتنبي: ج ١٤٧/٣.
- ١٣- ديوان المتنبي: ج ٢٢١/١.
- ١٤- الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي الجرجاني، ٤٧٦.
- ١٥- ينظر الصدق الفني في الشعر العربي حتى نهاية القرن السابع الهجري، د. عبد الهادي خضير نيشان، ٣٢٥.
- ١٦- العمدة في محاسن الشعر ولآدابه ونقده، ابن رشيقي القيرواني، ج ٢: ١٥٤.
- ١٧- الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، ص: ٧٣.
- ١٨- المرأة في أدب العصر العباسي، د. واجدة مجيد الاطراقي، ص ٢٧.
- ١٩- ينظر: الرثاء في الشعر الجاهلي وصدور الإسلام، حسين جمعة، ص: ٦٣.
- ٢٠- سورة التكويد الآيات: ٩، ٨.
- ٢١- ينظر: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، الراغب الاصفهاني، تحقيق ٦٨٢/١.
- ٢٢- المرأة العربية في جاهليتها واسلامها عبد الله عفيفي: ج ٢، ١٦.
- ٢٣- ينظر المرأة العربية ج ٢: ٢٤.
- ٢٤- زهر الآداب وثمر الألباب، الحصري القيرواني،
- شرح: علي البجاوي: ١/ ٤٨٤.
- ٢٥- زهر الآداب وثمر الألباب، الحصري القيرواني، شرح: علي البجاوي، ١/ ٤٨٤.
- ٢٦- زهر الآداب وثمر الألباب، الحصري القيرواني، شرح: علي البجاوي، ١/ ٤٨٤.
- ٢٧- المرأة في الجزيرة العربية في القرن الاول الهجري "دراسة أدبية"، د. مصطفى عبد اللطيف جياووك، ص ٢٧٩.
- ٢٨- الديوان المنسوب إلى الامام علي (ع)، جمع عبد العزيز الكرم، ص ١٠٣.
- ٢٩- الرثاء في الشعر العربي، محمود حسن أبو ناجي، ص: ١٣٥.
- ٣٠- ديوان جرير ص ١٥٤-١٥٥.
- ٣١- سورة الحجرات آية: ١٤.
- ٣٢- ديوان الفرزدق، علي فاعور، ص: ٣٢٥-٣٢٦.
- ٣٣- نفسه: ٤٢٢-٤٢٣.
- ٣٤- المرأة في الجزيرة العربية في القرن الاول الهجري "دراسة أدبية"، د. مصطفى عبد اللطيف جياووك ص: ٢٨٠.
- ٣٥- ديوان أبو النجم العجلي، ص ١٦١-١٦٢.
- ٣٦- ديوان المتنبي، عبد الرحمن البرقوقي، ١٤٩/٣.
- ٣٧- شرح ديوان الحماسة لأبي تمام أحمد بن محمد المرزوقي، غريد الشيخ: ٦٦٥-٦٦٤.
- ٣٨- ديوان ابن الزيات: تحقيق. جميل سعيد: ٦٧.
- ٣٩- العمدة، ج ٢: ١٥٦.
- ٤٠- الرثاء في الشعر العربي، محمود حسن أبو ناجي: ١٥٩.
- ٤١- العمدة، ابن رشيقي، ج ٢: ١٥٧.
- ٤٢- ينظر: مقدمة ديوان ديك الجن: تحقيق أحمد مطلوب وعبد الله الجبوري: ٩٠-٩١.
- ٤٣- سقط الزند، أبي العلاء المعري، ص ٢٧٣-٣١١.
- ٤٤- ديوان أبي فراس الحمداني، شرح د. خليل الدويهي، ص ١٦١.
- ٤٥- ينظر العمدة، ابن رشيقي، ج ٢/١٥٤.
- ٤٦- ديوان المتنبي، شرح البرقوقي، ج ٤/٢٢٦-٢٢٧.
- ٤٧- ديوان المتنبي، عبد الرحمن البرقوقي، ١٤٩/٣.
- ٤٨- شرح ديوان الشريف الرضي، محمد محيي الدين عبد الحميد، ج ٣/١٦٣.



المصادر والمراجع

- 1- القرآن الكريم
- 2- أسس النقد الأدبي عند العرب، د. أحمد أحمد بدوي، مكتبة نهضة مصر، ط ٢، ١٩٦٠ م.
- 3- تنبيه الأديب على ما في شعر أبي الطيب من الحسن والمعيب، عبد الله بن عبد الرحمن باكثير الحضرمي، تحقيق رشيد عبد الرحمن صالح، منشورات وزارة الاعلام، بغداد ١٩٧٧ م
- 4- ديوان أبي فراس الحمداني، شرح د. خليل الدويهي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٩٩٤ م.
- 5- ديوان أبي النجم العجلي، جمع وتحقيق د. محمد أديب عبد الواحد جمران، مجمع اللغة العربية، دمشق، ٢٠٠٦ م
- 6- ديوان ابن الزيات: تحقيق، د. جميل سعيد، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٩٩٠ م.
- 7- ديوان جرير، دار بيروت، ١٩٨٦ م.
- 8- ديوان ديك الجن، تحقيق أحمد مطلوب وعبد الله الجبوري، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٤ م.
- 9- ديوان سقط الزند، أبي العلاء المعري، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٩٩٠ م
- 10- ديوان الفرزدق، تحقيق علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٨٧ م.
- 11- ديوان المتنبي، تحقيق عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ١٩٨٦ م.
- 12- الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام، حسين جمعة، دار رسلان، ٢٠١٧ م.
- 13- الرثاء في الشعر العربي، محمود حسن أبو ناجي، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٩٨١ م.
- 14- زهر الآداب وثمر الالباب، أبي اسحاق الحصري القيرواني، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، ط ١، ١٩٥٣ م.
- 15- شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، أحمد بن محمد المرزوقي، غريد الشيخ، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ط ١، ٢٠٠٣ م.
- 16- شرح ديوان الشريف الرضي، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار احياء الكتب العربية، ط ١، ١٩٤٩ م.
- 17- الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط ٥، ١٩٨٦ م
- 18- الصديق الفني في الشعر العربي حتى نهاية القرن السابع الهجري، د. عبد الهادي خضير نيشان، الطبعة الأولى، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة ٢٠٠٧ م.
- 19- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محيي الدين، دار الجيل بيروت - لبنان، ط ٥، ١٩٨١ م
- 20- فحول الشعراء، الأصمعي، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط ١، ٢٠٠٥ م.
- 21- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء. الراغب الاصفهاني، تحقيق: د. رياض عبد الحميد مراد، دار صادر، بيروت ط ٢، ٢٠٠٦ م.
- 22- المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها، عبدالله عفيفي، ط ٢، ١٩٣٣ م.
- 23- المرأة في أدب العصر العباسي، د. واجدة مجيد الاطراحي، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين - الامارات، ط ١، ٢٠٠٢ م.
- 24- المرأة في الجزيرة العربية في القرن الاول الهجري "دراسة أدبية، د. مصطفى عبد اللطيف جياووك، مؤسسة المختار، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١١ م
- 25- النقد الأدبي وعلم الاجتماع، محمد دياب، مجلة فصول، مج ٤، العدد الأول، ١٩٩٨ م.
- 26- نقد الشعر قدامة بن جعفر، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (د. ت).
- 27- الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي الجرجاني، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، علق محمد البجاوي، د. ت، د. ت، مكتبة لسان العرب .



جماليات الظواهر النحوية والصرفية في الجزء الأول من ديوان الشريف الرضي

م.د. إسماعيل بكري قلعه جي
مُحاضر في قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة حلب، سورية

Aesthetics of grammatical and morphological phenomena in the first part of the Diwan of Sharif Radi

Lecturer Dr. Ismail Bakri Qal'ajji

Lecturer at the Department of Arabic Language and Literature,
College of Art and Human Sciences, University of Halab, Syria

الملخص

يرمي هذا البحث إلى الوقوف على المعاني ذات القيم الجمالية لعناصر النظامين النحوي والصرفي في الجزء الأول من ديوان الشريف الرضي الذي يتخذ من معطيات النحو والصرف روافدً جمالية تصب في معين موهبته الفذة في التعبير، فيتعاوض عنده الطبع مع الصنعة في ولادة القصيد.

وفي سبيل هذه الغاية قُسم البحث بعد المقدمة على قسمين: الأول يدرس جماليات الظواهر النحوية متفرعةً إلى فرعين: الأول يختصّ بما يخرج عن القاعدة المتفق عليها كمجيء المبتدأ ضميراً متصلًا، وتقديم خبر الفعل الناقص الجملة الفعلية على اسمه، وحذف الحرف المصدرية (أن)، ودخول الفاء على الجواب الواقع بعد قسم فشرط، والرتبة النحوية. والفرع الثاني يختصّ بما ينضوي تحت القاعدة ويتميّز عن أصل الاستعمال كمجيء التمييز معرفًا بـ(أل)، ومجيء (ما) شرطية للظرفية الزمانية، واقتران خبر (لعل) بـ(أن) المصدرية، وحذف المضاف والمضاف إليه، وإبدال النكرة من المعرفة، ومجيء الاستثناء المفرغ مسبقًا بالنفي المعنوي، واستعمال لغة (أكلوني البراغيث)، ونصب الاسم المعطوف على خبر (ما) المجرور بالباء الزائدة، وتصدير الجملة الحالية بالواو والمضارع الملبث، وحذف الصفة، وزيادة أحرف الجر.

أما القسم الثاني فيدرس جماليات الظواهر الصرفية متفرعةً إلى فرعين: الأول يختصّ بما يخرج عن القاعدة كالجمع على غير قياس، وقلب كسرة عين الفعل فتحةً وقلب لاهه ألفًا، وتخفيف الهمز على غير قياس. والفرع الثاني يختصّ بما ينضوي تحت القاعدة ويتميّز عن أصل الاستعمال كقصر الممدود ومد المقصور، وإجراء الوصل مُجرى الوقف، وتحويل همزة القطع إلى وصل والوصل إلى قطع، وإجراء الفتحة مُجرى الضمة والكسرة في الإعلال بالتسكين، ومعاملة الاسم المنقوص المنصوب معاملة المرفوع والمجرور، والقلب المكاني.

وينتهي المطاف بالخاتمة والنتائج التي كان من أبرزها أنه إذا وقع تنازع بين الفعلين الناقص والتام على الاسم المرفوع بعدهما ألا يكون الضمير المقدر اسمًا لـ(كان) عائدًا على الاسم المرفوع، بل ضمير شأن تفسره جملة خبر (كان) المؤلفة من الفعل التام وفاعله.

الكلمات المفتاحية: جماليات الظواهر، النحوية والصرفية، الشريف الرضي.



Abstract

This research aims to examine the meanings of the aesthetic values of the grammatical and morphological systems in the first part of Al-Sharif Al-Radi's Diwan, who benefits from the data of grammar and morphology as aesthetic tributaries that pour into his unique talent of expressing thoughts, so that his temperament and craftsmanship are combined in the birth of the poem.

To this end, this research is divided, after the introduction, into two parts: the first studies the aesthetics of grammatical phenomena, which in turn is subdivided into two branches: the first is concerned with what deviates from the rules agreed-upon. For example, when the subject comes in the form of connected pronoun, and when the predicate of the incomplete verb in verbal sentences precedes its noun, the deletion of the infinitive letter (أَنْ), and the entry of F letter فاء on the answer located after the condition and the grammatical rank. As to the second branch, it is concerned with what falls under the rule, such as when the object of specification is defined by (the), when 'ma' (ما), meaning what, come as a conditional for the adverb of time, when the predicate of (لعل), meaning perhaps, is associated with the infinitive 'if' (ان), the deletion of the construct in the genitive case, the substitution of the indefinite with the definite, and the advent of the exception preceded by a moral negation, the accusation of noun on the predicate 'ma' (ما) with the extra 'ba' ب letter, the initiation of the circumstantial sentence with the 'w' letter (waw واو) and the affirmative present sentence, the deletion of the adjective, and the addition of prepositions.

As for the second section, it studies the aesthetics of morphological phenomena, subdivided into two branches: the first is concerned with what deviates from the norm, such as the irregular plural, changing the genitive case (كسرة) of the verb into the objective case and changing its L'Lam' لام into A 'alf' الف. The second branch is concerned with what falls under the rule and is distinguished by use such as shortening the extended and extending the short, making the connection, converting the hamzat of cutting همزة القطع to joining one and the joining one into cutting one. Finally, and changing the accusative case into the nominative and genitive case, and the treatment of the imperfect noun in the accusative case as the nominative and genitive.

Keywords: the aesthetics of phenomena, grammatical and morphological, Al-Sharif Al-Radi.



نظيرها، فنجده فناً لغوياً يبني نتاجه على تحولات تضمن له انعكاس المعنى الخفي المرهف عبر مرآة النظامين النحوي والصرفي، وليس عبر الألفاظ وحدها، «فالنحو ليس موضوعاً يحفل به المشتغلون بالمثمل اللغوية، والذين يرون إقامة الحدود بين الصواب والخطأ... النحو مشغلة الفنانين والشعراء، والشعراء، والفنانون هم الذين يفهمون النحو، أو هم الذين يبدعون النحو، فالنحو إبداع»^(١)، ويلاحظ من يقرأ ديوان الشريف أن هذا النوع من الإبداع هو سمة شاملة لنتاجه الشعري عامة، غير أننا اقتصرنا في هذا البحث على الجزء الأول من ديوانه لسببين: الأول أن هذا الجزء نُشر بتحقيق وشرح رصينين للعلامة محمد محيي الدين عبد الحميد، في حين لم يُنشر له جزء ثانٍ بالتحقيق نفسه على حدّ اطلاعنا. والسبب الثاني أن دراسة ديوانه كاملاً لا يمكن أن يحيط بها بحث بهذا الحجم.

- الهدف من البحث:

يهدف البحث إلى تجلية الجماليات النحوية والصرفية الناجمة عن الانزياح الواعي لعناصر هذين النظامين عند الشريف الرضي على نحو يبرز براعته اللغوية إلى جانب موهبته الشعرية.

- مشكلة البحث:

تتلخّص مشكلة البحث في الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- هل تؤثر دراية الشاعر النحوية والصرفية في جمالية النص مثلما هو الأمر عند الشعراء قبل نشأة هذين العلمين؟
- أخرج الشريف الرضي عن أصل القاعدة بالعدول النحوي والصرفي أم بقي في إطار الجائز؟
- ما الأبعاد الجمالية للعدول النحوي والصرفي في شعر الرضي؟

- منهج البحث وحدوده:

يعتمد البحث المنهج الوصفي في تحليل الظواهر النحوية والصرفية البارزة في الجزء الأول فقط من ديوان الشريف الرضي، سواءً أكانت ممّا خرج عن أصل القاعدة أم لم يخرج عنها، شريطة أن يكون ما لم يخرج عن القاعدة ممّا يتمييز استعماله عن الأصل ويؤدّي فائدة جمالية.

إن استيعاب النحو والصرف لا يتأتى إلا لمن اجتمعت له الموهبة والصنعة ليكون فناً لغوياً يصنع بالنحو واللغة مثلما يصنع الرسام بأحاسيسه وألوانه، فالفنان اللغوي لا يكون فناً إلا بنحوه وموهبته، وحين نتحدّث عن هذا النمط من الشعراء فخير مثال لهم هو الشريف الرضي (٣٥٩-٤٠٦هـ = ٩٧٠-١٠١٥م) ذو الحسن الحسين الذي يقول عنه الثعالبي معرّفًا به: هو «أبو الحسن مُحَمَّد بن الحسين بن موسى بن مُحَمَّد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جَعْفَر بن مُحَمَّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السّلام، ومولده ببغداد سنة تسع وخمسين وثلاثمائة، وابتدأ يقول الشعر بعد أن جاوز العشر سنين بقليل وهو اليوم أبداع أبناء الزمان وأنجب سادة العراق، يتحلّى مع محتدّه الشريف ومفخره المنيف بأدب ظاهر وفضل باهر وحظ من جميع المحاسن وافر، ثم هو أشعر الطالبين: من مضى منهم ومن غير على كثرة شعرائهم المفلقين... ولو قلت إنّه أشعر قريش لم أبعد عن الصدق، وسيشهد بما أجره من ذكره شاهد عدل من شعره العالي القدح الممتنع عن القدح الذي يجمع إلى السلاسة متانته، وإلى السهولة رصانه، ويشتمل على معان يقرب جناها ويبعد مداها»^(٢).

وذكر ابن جني (ت ٣٩٢هـ) أن الشريف الرضي أحضر إلى ابن السيرافي النحوي (ت ٣٨٥هـ) وهو طفل لم يبلغ عشر سنين، فلقته النحو^(٣)، وتابع تحصيله النحوي عند شيوخ عصره كأبي الفارسي (ت ٣٧٧هـ) وابن جني وأبي الحسن علي بن عيسى بن الفرّج الرّبعي البغدادي (ت ٤٢٠هـ)^(٤)، «الشريف الرضي يمتاز بأنه جمع بين الشعر والعلم... وقلّما يجتمعان في شاعر مجيد كبير»^(٥)، ومن أشهر مؤلفاته: "المجازات النبوية"، و"تلخيص البيان عن مجاز القرآن"، و"حقائق التأويل في متشابه التنزيل"، و"خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب"، وغيرها. ولما كتب الشريف الشعر وهو نحوي وناقد - إذا صحّ التعبير - استطاع أن يوظف معطيات النحو والصرف توظيفاً جمالياً مقصوداً مشفوعاً بالشاعرية التي قلّ



نظراً لاتساع شعر الرضي الذي يزيد عن ستة عشر ألف بيتٍ وثرائه الأدبي واللغوي، وجد كثير من الدارسين ضالّتهم فيه، غير أن البحث النحوي والصرفي في شعره لمّا ينل بعداً ما يستحقه من اهتمام؛ فهذا النوع من البحث يتطلّب جهداً وزمناً مضاعفين في ظلّ غياب التحقيق والشرح المعمّقين للديوان ما خلا جزأه الأول بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد وشرحه، فكان البحث النحوي والصرفي خجولاً في هذا الميدان، نذكر من ذلك رسالة ماجستير بجامعة ذي قار بعنوان "البنية الصرفية وأثرها في دلالة النص الشعري: حجازيات الشريف الرضي أمودجاً" للباحث حسين التميمي، ورسالة ماجستير بجامعة الخرطوم بعنوان "أساليب الاستفهام في شعر الشريف الرضي: دراسة نحوية بلاغية" للباحثة علوية محمد علي، وبحث بعنوان "طقيّات الشريف الرضي دراسة في البنية الفنيّة" للدكتور علي كاظم المصلاوي، وهذه الأبحاث، على ما فيها من جهدٍ محمودٍ لأصحابها، لا تفي بالغنى النحوي والصرفي الذي يخترنه ديوان الشريف؛ لذلك سنسلط الضوء في هذا البحث على ما أمكننا من ظواهر، ويبقى الأمل معقوداً منّا على استكمال هذا البحث فيما تبقى من شعر الشريف إن شاء الله تعالى في قابل الأيام.

أولاً- جماليات الظواهر النحوية:

تنقسم الظواهر النحوية في شعر الشريف إلى قسمين: الأول يخرج في عدوله عن القاعدة مطلقاً، والثاني يخرج عن أصل الوضع ويتميّز عنه من دون أن يخرج عن القاعدة، فيبقى في إطار الجائز.

أ- الظواهر النحوية التي خرجت عن القاعدة:

ندرس في هذا المبحث العدول النحوي الذي كسر القاعدة المتفق عليها عند الجمهور، ونبحث عن تخريج منطقي له، ونحاول تبيان جماليته، وهذا النوع من العدول يتضمّن: مجيء المبتدأ ضميراً متصلاً، وتقديم خبر الفعل الناقص الجملة الفعلية على اسمه، ووصف المنادى النكرة المقصودة، وحذف الحرف المصدرى (أن)، ودخول الفاء على الجواب الواقع بعد

قسم فشرط، والرتبة النحوية.

١- مجيء المبتدأ ضميراً متصلاً:

تجيز الصناعة النحوية للمبتدأ أن يجيء اسماً ظاهراً أو مصدرًا مؤوَّلاً أو ضميراً منفصلاً أو جملة محكية، لكنها لا تجيز مجيئه ضميراً متصلاً كما في قول الشريف راثياً^(٧):

بَيْنَاهُ كَالْوَرَقِ النَّضِيرِ تَقَصَّفَتْ

أَغْصَانُهُ وَتَصَلَّبَتْ شَجَرَاؤُهُ

فالظرفان (بيننا، وبينما) لا يُضَافان إلا إلى الجملة سواءً كانت فعلية أم اسمية^(٨)، لذلك لا بدّ من إعراب الضمير المتصل الهاء في محل رفع مبتدأ والكاف خبره، والجملة الاسمية المؤلفة منهما في محل جر مضاف إليه.

ولو أراد الشاعر فصل الضمير لوجد مندوحةً إليه، فكان له أن يقول على التشبيه المؤكّد بدلاً من التام: (بَيْنَاهُ هُوَ الْوَرَقُ النَّضِيرُ تَقَصَّفَتْ أَعْصَانُهُ) من دون أن يتأثر الوزن، لكنه آثر العدول إلى الهاء المتصلة لإظهار التقصّف الذي أصاب المرثي، فضلاً عمّا يؤدّيه صوت الألف والهاء من (بَيْنَاهُ) من إيحاء يشبه صوت الندبة ويجلّي حجم الألم.

٢- تقديم خبر الفعل الناقص الجملة الفعلية على اسمه:

إذا كان خبر الفعل الناقص جملة فالأصل ألاّ يتقدّم على اسمه^(٩)؛ لثلا يقع تنازع بين الفعل الناقص والجملة الفعلية على الاسم المرفوع بعدهما، ولثلاً يقع لبس بين اسم الفعل الناقص وركني الجملة الاسمية، غير أنّ تقديم الخبر الجملة الفعلية وقع في قول الشريف في رثاء أمه^(٩):

لَوْ كَانَ يُبْلِغُكَ الصَّفِيحُ رَسَائِي

أَوْ كَانَ يُسْمِعُكَ التُّرَابُ نِدَائِي

لَسَمِعْتِ طَوْلَ تَأْوِهِي وَتَفَجَّعِي

وَعَلِمْتِ حُسْنَ رِعَايَتِي وَوَفَائِي

حيث تقدّم الفعل (يُبْلِغُكَ) في صدر البيت الأول على الاسم المرفوع (الصَّفِيحُ)، كما تقدّم الفعل (يُسْمِعُكَ) في عجز البيت على الاسم المرفوع (التُّرَابُ)، فوقع التنازع بين (كان) و(يُبْلِغُكَ) و(يُسْمِعُكَ) على



جماليات الظواهر النحوية والصرفية ...

معاملة المضارع المعتل الناقص المنصوب معاملة المرفوع بتسكين لامه كما سئى في حديثنا عن العدول الصرفي، فَيَرُدُّ هذا الرأي بقوله من القصيدة ذاتها^(١٤):

وَوَلَاكَ الشَّبَابُ عَلَى الْعَوَانِ
فَبَادِرُ قَبْلَ يَعْزِلُكَ الْمَشِيبُ
حيث ظهرت الضمة على الفعل (يعزلك) بعد حذف (أَنْ)، كما في قوله من القصيدة ذاتها^(١٥):

وَمَنْ رَجَمَ السَّمَاءَ فَلَا عَجِيبُ
يُقَالُ حَتَّى يَوْجَهُ الْبَدْرِ تَرْبَا
حيث حذف (أَنْ) قبل الفعل (يُقَالُ) ورفع، وأقام جملة (يُقَالُ) مقام المبتدأ المؤخر للخبر المقدم (عجيب).

وعلى ما يبدو أن الحذف قد وقع في هذه الشواهد لضرورة النظم، لذلك نرى أن نقدر قبل الأفعال المرفوعة حرفاً مصدرياً مهماً، وتبقى الجملة صلة الموصول الحرفي المحذوف، ويبقى المصدر المؤول في محل جرٍّ مضافاً إليه في الأبيات الثلاثة الأولى، ومبتدأً مؤخرًا في البيت الرابع.

٤- دخول الفاء على الجواب الواقع بعد قسم فشرط: تقتضي القاعدة النحوية عند اجتماع القسم والشرط غير الامتناعي أن يكون الجواب للأسبق منهما، وأن يكون جواب الثاني محذوفاً لدلالة جواب الأول عليه، أما إذا كان الشرط امتناعياً فيبقى الجواب له وإن سبق بالقسم، ويكون التركيب الشرطي كله جواباً للقسم. غير أن الشريف لم يجر دائماً على هذه القاعدة، فتراه أحياناً يقدم القسم على الشرط غير الامتناعي، ثم يأتي بالجواب مقترباً بالفاء، مما يجعله جواباً للشرط لا للقسم، ومنه قوله في الشيب^(١٦):

لَيْنٌ أَنْعَضَتْ مِنِّي شَيْبَ رَأْسِي
فِيَّيْ مُبْغِضٌ مِنْكَ الشَّبَابَا
وقوله مُفَاخِرًا^(١٧):

لَيْنٌ كُنْتُمْ فِي آلِ فِهْرِ كَوَاكِبَا
إِذَا غَاضَ مِنْهَا كَوَكَبٌ فَاصٌ كَوَكَبٌ
فَنَعْتِي كَنَعَتِ الْبَدْرِ يَنْسَبُ بَيْنَكُمُ
جَهَارًا وَمَا كُلُّ الْكَوَاكِبِ تُنْسَبُ

وقوله في الرثاء^(١٨):

(الصَّفِيحُ، وَالتُّرَابُ)، وعندئذ يُرْجَحُ إعراب الاسمين المرفوعين (الصَّفِيحُ، وَالتُّرَابُ) فاعلين للفعلين التامين؛ لأنهما أقرب إليهما، ونقدر اسمًا محذوفًا لـ(كَانَ) يعود على ذينك الاسمين، وبذلك نعالج مشكلة التنازع، فنقع في مشكلة أخرى، وهي عودة الضمير المحذوف على متأخر، ولو أعملنا (كَانَ) في الاسمين المرفوعين لأشكَل ذلك أيضًا لأنك تُعْمِلُ العامل الأبعد وتترك الأقرب، وهذا موضع خلاف بين الكوفيين والبصريين^(١٩).

والمخلص من ذلك ألا يكون الضمير المقدر اسمًا لـ(كَانَ) عائدًا على الاسم المرفوع، بل هو ضمير الشأن الذي تفسره جملة خبر (كَانَ) المؤلفة من الفعل وفاعله، وهذا التقدير هو الأنسب للصناعة النحوية ولمراد الشاعر الذي لم يقدم ويؤخر هنا مرتين اضطرارًا، بل ليظهر ألمه من الشأن الذي هو فيه من عدم قدرته على تبيخ صوته لأمه الفقيده.

٣- حذف الحرف المصدري (أَنْ):

حُذِفَتْ (أَنْ) المصدرية الناصبة قبل المضارع في بعض المسموع، ورُوي المضارع بعد حذفها بالنصب تارةً، وبالرفع تارةً أخرى، كقولهم: (تَسْمَعُ بِالْمُعِيدِي خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ)، وَ(حُذِ اللَّصُّ قَبْلَ يَأْخُذُكَ)، والأفضل عدم محاكاة هذه الأمثلة والقياس عليها حرصًا على سلامة اللغة^(٢٠)، غير أنه ورد حذف (أَنْ) ورفع المضارع بعدها في بضعة أبيات من شعر الشريف، ومنها قوله من النسيب^(٢١):

وَلِي نَظْرَةٌ لَا تَمْلِكُ الْعَيْنُ أُحْتَهَا

مَخَافَةٌ يَنْتُوها عَلَيَّ رَقِيبُ
حيث حذف (أَنْ) قبل الفعل (ينتوها) ورفع، وأضاف المصدر (مخافة) إلى الجملة، وحقه أن يُضَافَ إلى المفرد.

ومنه قوله في النسيب أيضًا^(٢٢):

تَمَلَّ مِنَ التَّصَابِي قَبْلَ تُمْسِي

وَلَا أَمَمٌ صَبَاكَ وَلَا قَرِيبُ
حيث حذف (أَنْ) قبل الفعل (تُمسي) ورفع، وأضاف الظرف (قبل) إلى الجملة، وحقه أن يُضَافَ إلى المفرد.

وقد يُقال في هذين البيتين إنهما على



(ت ٦٢٦هـ)، ومنهم من اتخذ موقفاً وسطاً كالسيرافي، فقبله لاعتبارات فنية يحددها جوُّ التركيب^(٢٤)، وعلى هذا الموقف نقرأ الرتبة في شعر الشريف بين المفعولين الأول والثاني، وبين المفعول به وكل من الفاعل والاسم المجرور، وبين المبتدأ والاسم المجرور.

أ- الرتبة بين المفعولين الأول والثاني، وبين المفعول به والفاعل:

الأصل في ترتيب المفعولين الأول والثاني مع الأفعال التي تنصب مفعولين ليس أصلهما مبتدأ وخبراً أن يتقدم ما فيه معنى الفاعلية على ما فيه معنى المفعولية، أما قول الشريف يصف صاحبه في السفر^(٢٥):

يُوسِّدُ الرَّحْلَ خَدًّا مَا تَوَسَّدَهُ

قَبْلَ الْمَطَالِبِ غَيْرَ الْحُسْنِ وَالطَّيِّبِ
فقد كان من حقه أن يقول في الجملة الأولى:
(يُوسِّدُ الخَدَّ رَحْلاً)، وفي الجملة الثانية: (مَا تَوَسَّدَ غَيْرَ الحُسْنِ)؛ فقلب في الأولى بين المفعولين، وقلب في الثانية الذي فيه معنى الفاعلية، وهو أحقُّ بالتعريف الأول الذي فيه معنى الفاعلية، ورتبته مقدمة على المفعول الثاني (رَحْلاً) الذي فيه معنى المفعولية وهو أحقُّ بالتنكير. وفي الجملة الثانية يجب أن يكون فاعل (تَوَسَّدَ) مستتراً يعود على الخَدِّ، ومفعوله هو كلمة (غير)، وهذا هو الأصل في استعمال (وَسَّدَ، وَتَوَسَّدَ)؛ تقول: «تَوَسَّدَ فُلَانٌ ذِرَاعَهُ إِذَا نَامَ عَلَيْهِ وَجَعَلَهُ كَالْوِسَادَةِ لَهُ... يُقَالُ وَسَدَ فُلَانٌ فُلَانًا وَسَادَةً، وَتَوَسَّدَ وَسَادَةً إِذَا وَضَعَ رَأْسَهُ عَلَيْهِ»^(٢٦).

ولعل الشاعر أثر قلب الرتبة ليحقق غايتين: دلالية وصناعية. فالأصل في القلب النحوي مع الأشياء التي تلاصق أعضاء الجسد أن يكون للدلالة على تحرك تلك الأشياء وثبات العضو من الجسد، فيقولون: (أَدْخَلَ القلنسوةَ في رأسه) مع أن الرأس هو ما أُدْخِلَ فيها؛ للدلالة على أن الرأس ثابتٌ والقلنسوة هي التي تُؤَخِّدُ وتُوضَعُ على الرأس، ومثله ما يحدث من أخذِ رحلِ الناقةِ ووضعه وسادةً تحت الخد. وأما الغاية الصناعية فهي أنه أراد أن يتمم البيت بعد الجملة الأولى في وصف الخدِّ لا الرحل؛ فقلب بين الرحل والخد ليعود

لَيْنٍ لَمْ نُطِلْ لَدَمَ التَّرَائِبِ لَوْعَةً
فِي أَنْ تَنَا لَدَمًا وَرَاءَ التَّرَائِبِ
وقوله متغزلاً^(١٩):

لَيْنٍ كُنْتُ أَخَلَيْتَ الْمَكَانَ الَّذِي أَرَى
فَهَيْهَاتَ أَنْ يَخْلُو مَكَانَكَ مِنْ قَلْبِي
وقوله مادحاً^(٢٠):

لَيْنٍ كَانَ حَوْفِي مِنْ سِطَاكَ مُبْعَدًا
فِيَا رَبِّمَا كَانَ الرَّجَاءُ مُقَرَّبًا
وقوله في مقدمة النسيب^(٢١):

فَلَيْنٍ فُجِحْتُ بِلِمَّةٍ فَيِنَانَةٍ
مَاتَ الشَّبَابُ بِهَا وَلَمَّا يُعْقَبِ
فَلَقَدْ فُجِحْتُ بِكُلِّ قَرَعٍ بَادِخِ

مِنْ عَيْصِ مُدْرِكَةِ الْأَعَزِّ الْأَطْيَبِ
وقد خرج النحاة هذه الظاهرة على زيادة اللام في (لَيْنٍ)، ورأوا أنه «لو كانت اللام للتوطئة لم يُجَبَّ إِلاَّ القسم»^(٢٢). وإذا تأملنا الشواهد التي عرضها النحاة على هذه الظاهرة وشواهدا عند الشريف، وجدنا الفاء لم تدخل الجواب إلا إذا كان الكلام مصدراً بـ(لَيْنٍ)، لذا يرى الفراء أن كثرة اجتماع اللام مع (إِنْ) جعلتهما كالكلمة الواحدة، مثلما هو الأمر في كثرة اجتماع اللام مع (قَدْ)، فصارتا معاً (لقد) كالكلمة الواحدة، فألغيت اللام من (لَيْنٍ) لأنها انسبكت مع أم الباب في الشرط، وصار الجواب للشرط^(٢٣).

ولم يكن عسيراً على الشاعر أن يلتزم بأصل الوضع مع الحفاظ على الوزن، وذلك بأن يضع واواً أو فاءً مكان اللام من (لَيْنٍ)، أو أن يستخدم (إِذَا) المؤلَّفة من (إِنْ+ما) بدلاً من (فَلَيْنٍ) في الشاهد الأخير، لكنه قصد هذا الاستعمال؛ ليكسر أفق التوقع عند المتلقي، ويجذب انتباهه إلى الجواب، ويُخْرِجُ الكلامَ من دائرة الإنشاء التي يجتلبها القسم إلى دائرة الإخبار التي يحكم بها على الشرط من جوابه.

٥- الرتبة النحوية:

انقسم العلماء إزاء ظاهرة الرتبة النحوية ثلاثة أقسام: فمنهم من رفضه كسيبويه (ت ١٨٠هـ) وابن سنان (ت ٤٦٦هـ) وحازم القرطاجني (ت ٦٨٤هـ)، ومنهم من قبله مطلقاً كالفراء (ت ٢٠٧هـ) والسكاكي



جماليات الظواهر النحوية والصرفية ...

وَأَبْلَجَ وَطَاءٍ عَلَى خَدِّ لَيْلِهِ
 كما فَارَقَ النَّصْلَ الْمُضِيَّ قِرَابٍ
 فقد قال المحقق في تعليقه عليه: «وقوله:
 (كما فَارَقَ النَّصْلَ الْمُضِيَّ قِرَابٍ) فيه قلب، فإن
 النصل هو الذي يفارق قرابه، لكن لما كان الفراق لا
 يكون إلا بين اثنين صح أن يُنسب إلى أيهما»، فعلله
 بذلك تعليلاً لغوياً فحسب، وإذا نظرنا إلى القلب
 من الناحية الجمالية، وجدناه يحقق في هذا البيت
 غايتين: موسيقية ومعنوية، فالموسيقية تتجلى في جلب
 (قِرَابٍ) إلى حيز القافية، فتنضم الباء إلى الروي الذي
 بُنيت عليه القصيدة، والمعنوية أنك تجد الشاعر حين
 يتحدث عن السيف يريد الممدوح الأبلج، وعندما
 يتحدث عن القراب يريد الليل الذي يحيط بالممدوح،
 والممدوح لا يخرج من الليل كما يخرج السيف من
 غمده، بل الليل هو من ينجلي عن الممدوح حيث
 يكون، ولولا هذا المعنى لما قلب.

د- الرتبة بين المبتدأ والاسم المجرور:

قلب الرتبة بين المبتدأ والاسم المجرور قليل؛ لأن العلاقة
 النحوية بينهما منعدمة، لكن إذا كان الجار والمجرور
 متعلقان بالخبر - والخبر هو المبتدأ في المعنى- يُصبح
 القلب سائغاً كما في قول الشريف مادحاً^(٢٩):

يَدٌ فِي قَائِمِ الْعَضْبِ
 فما الإِنْظَارُ بِالضَّرْبِ
 فقد قال المحقق في تعليقه عليه: «وفي
 صدر هذا البيت قلب، فقد كان من حق الكلام أن
 يقول: (قائم العضب في يدي) فقلب العبارة. والقلب
 ممّا اختلف فيه علماء البلاغة: فأنكره جماعة منهم؛
 لأنه في نظرهم عيٌّ وعجز عن أن يأتي المتكلم بالعبارة
 الدالة على مراده، وأجازه قوم إذا اشتمل على سرٍّ من
 أسرار الكلام»، ولعل السر الذي أراه الشريف ههنا
 هو شدة تمكّن اليد من السيف وكأنها جزء منه، فقلب
 بينهما ليجعلهما كالشيء الواحد، ولو أراد الخروج من
 ذلك لما عجزت عنه ملكته اللغوية والشعرية.

ب- الظواهر النحوية التي تنضوي تحت القاعدة:

ندرس في هذا المبحث العدول النحوي الذي
 ينضوي تحت القاعدة ويتميز عن أصل الاستعمال،

الضمير المتصل الهاء من (تَوَسَّدَهُ) على الخد، ولو
 أنه لم يقلب في الجملة الأولى فقال: (يُوسِّدُ الخَدَّ رَحْلاً
 مَا تَوَسَّدَهُ قَبْلَ المَطَالِبِ غَيْرِ الحُسْنِ وَالطَّيِّبِ) لأصبح
 الوصف للرحل، ولو أنه لم يقلب في الجملة الثانية
 فقال: (مَا تَوَسَّدَ قَبْلَ المَطَالِبِ غَيْرِ الحُسْنِ وَالطَّيِّبِ)
 لما استقام نظم البيت، ولما أشار من طرفٍ خفيٍّ إلى
 أن هذا الخد هو مستودع الحسن والطيب اللذين
 يتوسّدانه.

ب- الرتبة بين المفعول به والاسم المجرور:

المفعول به والاسم المجرور في الصناعة
 النحوية أخوان؛ لأن الاسم المجرور مفعول غير صريح؛
 لذلك يقع قلب الرتبة بينهما كما في قول الشريف
 مادحاً^(٢٧):

أَنْتَ أَفْسَدْتَنِي عَلَى كُلِّ مَأْمُولٍ

وَأَعْدَيْتَنِي عَلَى كُلِّ خَطْبٍ
 فإذا حملت صدر البيت على ظاهره يكون
 الممدوح قد أفسد الشاعر، فلم يعد صالحاً لبلوغ
 المأمول، ولكن المعنى على خلاف ذلك، فقد أراد
 بـ(أَفْسَدْتَنِي عَلَيْهِ) كما ذكر المحقق: «صيرته في نظري
 غير صالح لأن توضع الآمال عنده»، وهذا المعنى لا
 يستقيم إلا على القلب بين المفعول به (ياء المتكلم)
 والاسم المجرور (كُلِّ مَأْمُولٍ)، فيكون التركيب على
 الأصل: (أَفْسَدْتَنِي عَلَى كُلِّ مَأْمُولٍ عَلَيَّ)، وقد لجأ الشاعر
 إلى القلب لتحقيق المواءمة اللفظية والمقابلة المعنوية
 بين صدر البيت وعجزه، فيكون قوله: (أَفْسَدْتَنِي عَلَى
 كُلِّ مَأْمُولٍ) متناظراً ومنسجماً في اللفظ مع قوله:
 (أَعْدَيْتَنِي عَلَى كُلِّ خَطْبٍ)، ومتقابلاً معه من حيث
 المعنى؛ أي إن الممدوح له فعّال متقابلان: (أَفْسَدْتَنِي،
 وَأَعْدَيْتَنِي)؛ فهو يُفسد المأمول بجعله هيئاً في عين
 الشاعر بعد أن استعظمه واستصعبه، وفي الوقت
 نفسه يقوّي الشاعر لمواجهة الخطوب.

ج- الرتبة بين الفاعل والمفعول به:

ممّا يُسهّل قلب الرتبة بين الفاعل والمفعول
 به أنهما يحملان دلالتين نحويتين متناقضتين، فيؤمّن
 اللبس بينهما، ويقع القلب كما في قول الشريف
 مادحاً^(٢٨):



البصريون، بل نائبة عن الضمير، والتقدير: (الشعر رقابهم) على إعمال الاسم المشتق، فلما أراد الشاعر أن يخفف نصب على التمييز.

٢- مجيء (ما) شرطية للظرفية الزمانية:

ذكر ابن مالك أن «جميع النحويين يجعلون (ما) و(مهما) مثل (من) في لزوم التجرد عن الظرفية مع أن استعمالها ظرفين ثابت في أشعار الفصحاء من العرب»^(٣٥)، واستشهد على ذلك بعدد من الأبيات كقول الفرزدق^(٣٦):

وما تحي لا أرهب وإن كنت جارماً

ولو عدّ أعدائي عليّ لهم دخلاً

حيث جاءت (ما) شرطية للظرفية الزمانية، والمعنى: لا أرهب شيئاً طيلة حياتك. فهي تشبه في المعنى (ما) المصدرية الزمانية، ولولا جزم الفعلين بعدها لذهبتا إلى أنها المصدرية، ولعل هذا ما دفع محقق ديوان الشريف الرضي إلى الوقوع في الشبهة بينهما حين وقف على قوله معزياً^(٣٧):

مَا بَقِيَتْ كَفُكُ الصَّنَاعِ لَنَا

فَكُلُّ كَسْرٍ يَكُونُ مَرْوُوبًا

وقوله معزياً أيضاً^(٣٨):

وَمَا بَقِيَ الْجَبَلُ الْمُشْمَخِرُ

فَمَا صَرْنَا الْجَبَلَ الْوَاجِبُ

فقال في تعليقه على البيت الأول: «(ما) في قوله: (مَا بَقِيَتْ) مصدرية ظرفية تفسر بالمدّة مضافة إلى مصدر الفعل الذي دخلت عليه»، وقال في تعليقه على البيت الثاني: «(ما) في قوله: (مَا بَقِيَ الْجَبَلُ الْمُشْمَخِرُ) ظرفية مصدرية»، ففي كل من هذين البيتين جاء فعل الشرط ماضياً، فلم يظهر الجزم، لكن جواب الشرط جاء جملة مقترنة بالفاء، فاستدلنا بذلك على أنها (ما) الشرطية التي أشربت معنى الزمان، لِمَا بينها وبين (ما) المصدرية الزمانية من شبه في اللفظ، ومعروف أن العرب قد تعطي الشيء حكم ما أشبهه في لفظه.

وإذا أخذنا بتفسير المحقق في البيت الأول، فهو مقبول على نية التقديم والتأخير، فيكون التقدير:

(فَكُلُّ كَسْرٍ يَكُونُ مَرْوُوبًا مَا بَقِيَتْ كَفُكُ الصَّنَاعِ لَنَا)،

ونبدي رأينا النحوي فيه، ونحاول تبيان جماليته، وهذا النوع من الانزياح يتضمّن: مجيء التمييز معرفاً بـ(أل)، ومجيء (ما) شرطية للظرفية الزمانية، واقتزان خبر (لعل) بـ(أل) المصدرية، وحذف المضاف والمضاف إليه، وإبدال النكرة من المعرفة، ومجيء الاستثناء المفرغ مسبوqاً بالنفي المعنوي، واستعمال لغة (أكلوني البراغيث)، ونصب الاسم المعطوف على خبر (ما) المجرور بالباء الزائدة، وتصدير الجملة الحالية بالواو والمضارع المثبت، وحذف الصفة، وزيادة أحرف الجر.

١- مجيء التمييز معرفاً بـ(أل):

ذهب البصريون إلى أن التمييز لا يكون إلا نكرة، وأجاز الكوفيون تعريفه، واستدلوا عليه بقول الشاعر^(٣٩):

رَأَيْتَكَ لَمَّا أَنْ عَرَفْتَ وَجُوهَنَا

صَدَدْتَ وَطَبْتَ النَّفْسَ يَا قَيْسَ عَنْ عَمْرٍو

ف(النفس) عند الفريقين تمييز معرف

بـ(أل)، لكن البصريين أولوه على زيادة (أل)^(٣٦)، بينما عدّه الكوفيون أصلاً.

وجاء التمييز معرفاً بـ(أل) في قول الشريف

مادحاً^(٣٣):

فَمَا وَلَدَ الْأَجَارِبُ مِنْ مَمِيمٍ

نَظِيرَهُمْ وَلَا الشُّعْرُ الرَّقَابَا

ف(الرّقاب) تمييز للصفة المشبهة (الشّعْرُ)، وهذا جائز قياساً؛ لأن المميّز مشتق معرف بـ(أل)؛ قال

سيبويه: «وعلى هذا الوجه تقول: هو الحسن الوجه، وهي عربية جيدة... وقد يجوز في هذا أن تقول: هو الحسن الوجه»^(٣٣)؛ فهو يجيز النصب والجر، والنصب عنده أجد؛ لأنه أخفّ الحركات من جهة، ولأن الأصل في المضاف إليه أن يسبق باسم لا معرف بـ(أل) ولا منون من جهة ثانية، فيكون النصب على التمييز خيراً من الجر مع وجود (أل) في المضاف إضافةً لفظية.

واستشهد لكلامه بيت يشبهه في تركيبه بيت الشريف الرضي، وهو قول الشاعر^(٣٤):

فَمَا قَوْمِي بِنَعْلَبَةَ بْنِ سَعْدٍ

وَلَا بِفَرَاةَ الشُّعْرِ الرَّقَابَا

وهذه الـ(أل) ليست زائدة كما ذهب



جماليات الظواهر النحوية والصرفية ...

خَلِيلِي أَطْلِقَا رَسَنِي فَإِنِّي

أَشَدُّكُمَا عَلَى عَزْمِ مَضَاءِ

فقد أراد: (أطلقا رسن حِصَانِي)، فحذف

المضاف إلى ياء المتكلم؛ وكل ذلك للاختصار اعتماداً على دلالة السياق.

ومن حذف المضاف إليه قوله من القصيدة

ذاتها^(٤٧):

فإن تَرَبّاً إذا ما سِرْتُ شَخْصِي

أَمَامَكُمَا فَلِي قَلْبٌ وَرَاءَ

وقوله رائيّاً^(٤٨):

وكأنتا في العَيْشِ نَطْلُبُ غَايَةً

وَجَمِيعُنَا يَدْعُ السَّنِينَ وَرَاءَ

فقد أراد في البيت الأول: (وراء القوم) على

حدّ تعبير المحقق، وأراد في البيت الثاني: (وراءه)،

فحذف المضاف إليه لفظاً مع بقاءه منوياً في المعنى؛ وذلك للعلم به من جهة، وإقامة حرف الروي الهمزة من جهة أخرى.

٥- إبدال النكرة من المعرفة:

الأكثر في البديل أن يطابق المبدل منه في

التعريف والتنكير، لكنه حكم ليس بلازم^(٤٩) كما في

قوله تعالى: (كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنْتَهِنَا نَسْفَعْنَا بِالنَّاصِيَةِ نَاصِيَةٍ

كَأَذِيَّةٍ حَاطَّةٍ) [العلق: ١٥-١٦]، حيث جاءت النكرة

غير المحضة (نَاصِيَةٍ) بدلاً من المعرفة (النَّاصِيَةِ)، ومنه

قول الشريف مادحاً^(٥٠):

وَاحِسَا الرُّكْبِ عَلَى حَا

جَةِ ذِي الْقَلْبِ الطَّرُوبِ

مُسْتَهَامٍ دَلَّةَ الشَّوِّ

فِي عَلَى دَارِ الْحَبِيبِ

فالنكرة غير المحضة (مُسْتَهَامٍ) بدل من

المعرفة (ذِي الْقَلْبِ الطَّرُوبِ)، وهذا الانزياح عن

الأصل مقصود من الشاعر، وليس ضرورة؛ لأنه يمكنه

رفعها على قطع الصفة كما في رواية أخرى^(٥١)، فتكون

خبراً لمبتدأ محذوف تقديره (هو). لكنه آثر البديل

ليُظْهِرَ جماليته في العود على البدء من خلال حمل

الملتقى على الموازنة بين المبدل منه والبديل من حيث

مستوى الشحنة العاطفية التي يحملها كل منهما؛ إذ

لكننا لا نستطيع حمل البيت الثاني عليه لأنه مصدر بالواو، فلا بد حينئذٍ أن نعدّ الفاء زائدة في الشطر الثاني، وهذا ليس من مواضع زيادتها.

٣- اقتران خبر (لعل) بـ(أن) المصدرية:

الأصل في الأحرف المشبهة بالفعل ألا يقع

خبرها مصدرًا مؤوَّلاً إلا (لعل)، فيجوز فيها ذلك تشبيهاً

لها بـ(عسى)^(٣٩)؛ لأنهما تشتركان في معنى الرجاء، وعليه

جاء قول الشريف مادحاً^(٤٠):

لَعَلِّي أَنْ أَهْرَكَ فِي مَرَامٍ

فَأَبْلُوَ مِنْكَ مُنْدَلِقَ الْغُرُوبِ

وقوله متشوقاً لأهل البيت عليهم السلام^(٤١):

لَعَلِّي أَنْ أَبْلُ بِكُمْ غَلِيلاً

تَعَلَّلَ بَيْنَ قَلْبِي وَالْحِجَابِ

وعلى ما يبدو أن هذا الاستعمال يُفصح عن

تعلُّق أكبر بالمرجوع؛ لأن فيه مُضَاعَفَةً لمعنى الرجاء من

خلال حضور (لعل) لفظاً، واستحضر (عسى) حُكْمًا،

فكأنه ترجى مرتين.

٤- حذف المضاف والمضاف إليه:

أجاز النحاة حذف المضاف وإقامة المضاف

إليه مقامه إذا كان جزءاً أو كالجزء منه^(٤٢)، وأجازوا

حذف المضاف إليه أو حذفهما بقريئة دالة يؤمّن بها

اللبس^(٤٣)، مع العلم أن حذف المضاف إليه «أقل من

حذف المضاف، وأبعد قياساً. وذلك لأن الغرض من

المضاف إليه التعريف والتخصيص، وإذا كان الغرض

منه ذلك وحذف، كان نقضاً للغرض، وتراجُعاً عن

المقصود»^(٤٤) إلا إذا دل عليه المعنى دلالة واضحة.

فمن حذف المضاف قول الشريف مادحاً^(٤٥):

قَدْ عَزَّ مَنْ صَنَّتْ يَدَاهُ بَوَجْهِهِ

إِنَّ الدَّلِيلَ مِنَ الرَّجَالِ الطَّالِبِ

فقد أراد: (بمائه وجهه) على حدّ تعبير

المحقق، لكنه حذف المضاف لكثرة الاستعمال، ممّا

يدفع الملتقى إلى ملء الفراغات التي يتركها له الشاعر،

فيغدو مشاركاً للشاعر في نتاجه الشعري، وليس مجرد

مستهلك فحسب.

ومنه قوله شاكياً^(٤٦):



وبين الأفعال المنفية (لا وجود، ولم يُرد، ولم أستوح) بدلتها الألف.

٧- استعمال لغة (أكلوني البراغيث):

تقوم هذه اللغة على إحقاق علامة تثنية أو جمع بالفعل، ثم إسناده إلى فاعل ظاهر، وقد خرّجها النحاة على ثلاثة أوجه: أولها أن تكون الواو من (أكلوني) علامة جمع، و(البراغيث) هي الفاعل، وثانيها أن تكون الواو هي الفاعل و(البراغيث) بدلاً منها، وثالثها أن تكون (البراغيث) مبتدأ مؤخرًا، وخبره جملة (أكلوني) المؤلفة من الفعل والفاعل^(٥٦).

وقد جاءت جملة من أبيات الشريف على هذه اللغة، فاخضت بنون النسوة دون غيرها من الضمائر، وهذه الأبيات هي قوله في رثاء الحسين (عليه السلام)^(٥٧):

أوردنّه أطراف كلّ فضيلة
وقوله متحسرًا^(٥٨):

نهضتُ وقد قعدن بي الليالي
فلا خيل أعن ولا ركاب
وقوله رائيًا^(٥٩):

خطون إينا الخيل والبيض والقنا
فما منعت عنا القنا والقواضب
وقوله رائيًا^(٦٠):

سقى الله حصباء الثرى كلّ ليلة
سحائب ينزعن الرياح الحواصبا
جنادل من قير جعلن صدورها

جباه الحبا دون القبور محاربا
فكأنه يُعامل نون النسوة معاملة تاء التانيث الساكنة، فيجعلها مثلها لا محل لها، فيأتي بالفاعل بعدها، ومهما يكن التفسير النحوي لهذه الظاهرة فإنها تمنح الكلام قدرًا من التشويق؛ لأنها تدفع المتلقّي، بعد أن يأتيه الضمير غير عائد على سابق، إلى البحث عن مرجع الضمير، فيقع الاسم الظاهر في نفسه موقعًا حسنًا بعد أن كان يبحث عنه، فيجده كأنه وجد ضالته.

٨- نصب الاسم المعطوف على خبر (ما) المجرور بالباء

قدّم الشاعر شحنة عاطفية كبيرة في المبدل منه بمفهوم الطرب، ثم جعل المتلقّي يحذفها ويقيم مقامها الشحنة العاطفية الأكبر في البديل بمفهوم الهيام؛ لأن البديل على حذف المبدل منه، ويكون أوضح وأخصّ منه، وهو المقصود بالحكم لا المبدل منه.

٦- مجيء الاستثناء المفرغ مسبقًا بالنفي المعنوي:

أجاز النحاة أن يقع الاستثناء المفرغ بعد الإيجاب الذي يحمل معنى النفي، كقوله تعالى: **وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَتِمَّ نُورُهُ** [التوبة: ٣٢] حيث جعلوا المصدر المؤول مفعولًا به للفعل (يأتي) لأنه بمعنى (لا يريد)^(٥٢)، ومن هذا ما تجده في قول الشريف مادحًا^(٥٣):

خطبت شعري إلى قلب يَصْنُ به
إلا عليك فباشر غير مخطوب
وقوله في الفراق^(٥٤):

ولما أبا الأظعان إلا فراقنا
وللبين وعد ليس فيه كذاب
رجعت ودمعي جازع من تجلدي
يروم نزولًا للجوى فيهاب
وقوله مادحًا^(٥٥):

ونفضت إلا من هواك حواطري
نفض المشر بالعرء وعاء

فلاستثناء في الشواهد الثلاثة مفرغ، والجار والمجرور (عليك) في الشاهد الأول متعلقان بالفعل (يَصْنُ) لأنه بمعنى (لا وجود)، و(فراقنا) في الشاهد الثاني مفعول به للفعل (أبى) لأنه بمعنى (لم يُرد)، وشبه الجملة (من هواك) مع المفعول به (حواطري) في الشاهد الثالث معمولان للفعل (نفضت) لأنه بمعنى (لم أستوح).

وتنبع جمالية هذا الاستعمال من العدول عن الفعل الألف وقعًا في النفس إلى الفعل الأشدّ وقعًا وتأثيرًا فيها، ومثل ذلك يحصل عندما تقول للطالب الذي أجاب فأخطأ: (جوابك خطأ)، فيكون أشدّ وقعًا في نفسه من قولك له: (جوابك غير صحيح) مع أن الناتج الدلالي منهما واحد، وهذا تمامًا ما تجده في الموازنة بين الأفعال المثبتة (يَصْنُ، وأبى، ونفضت) بدلتها على "البخل والرفض القاطع والنفذ القوي"،



الزائدة:

يرى المحدثون أنه إذا لم يُنصب الخبر صراحةً بعد (ما) فالأحسن إهمالها؛ لأنها عامل ضعيف، ومن ذلك جرّ خبرها بالباء الزائدة^(٦١)، كما في قول الفرزدق^(٦٢):

لَعَمْرُكَ مَا مَعْنُ بِنَارِكَ حَقَّهُ
وَلَا مُنْسِيٌّ مَعْنٌ وَلَا مُتَيَسِّرٌ

حيث جاء المعطوف (مُنْسِيٌّ) مرفوعاً ودلّ على أنها مهملة، على خلاف ما تجده في قول الشريف مادحاً^(٦٣):

وَمَا أَنْتَ بِالْمَبْخُوسِ حَظًّا مِنَ الْعُلَا

وَلَا قَانِعًا مِنْ عَيْشِهِ بِكُفَاءٍ
حيث جاء بالاسم المعطوف (قَانِعًا) منصوباً حملاً على محل الخبر (المبخوس) دليلاً على إعمال (ما) عمل (ليس)؛ لذا يُمكننا القول: إذا دخلت الباء خبر (ما) فيمكن جعلها عاملة أو مهملة إلا إذا دلّ دليل على أحد الوجهين، وإذا انعدم الدليل فالإهمال أرجح، وعليه فإن (لا) من قول سواد بن قارب^(٦٤):

فَكُنْ لِي شَفِيعًا يَوْمَ لَا دُوَّ شَفَاعَةٍ

مُعْنٍ قَتِيلًا عَنْ سَوَادِ بْنِ قَارِبٍ
تحتمل أن تكون عاملة كما صرح بعضهم^(٦٥)، وتحتمل أن تكون مهملة، والإهمال أرجح لانعدام الدليل على الإعمال، بغض النظر عن كون الشاعر حجازياً أو تميمياً، لأن «أهل نجد كثيراً ما يجرّون الخبر بعد (ما) بالباء، وإذا أسقطوا الباء رفعوا، وهذا دليل واضح على أن وجود الباء جارة للخبر بعد (ما) لا يلزم منه كون الخبر منصوب المحل، بل جائز أن يقال: هو منصوب المحل، وأن يقال: هو مرفوع المحل، وإن كان المتكلم به حجازياً، فإن الحجازي قد يتكلم بلغة غيره، وغيره قد يتكلم بلغته»^(٦٦).

٩- تصدير الجملة الحالية بالواو والمضارع المثبت:

الأصل في الجملة الحالية الفعلية المقرونة بالواو ألا يكون فعلها مضارعاً مثبتاً^(٦٧)، على خلاف ما نجده في قول الشريف متعجباً من تقنعه عن طموحاته^(٦٨):

فَمَا لِي أُغْضِي عَنْ مَطَالِبِ جَمَّةٍ

وَأَعْلَمُ أَنِّي عُرْضَةٌ لِقَنَاءِ
حيث جاءت الواو من جملة (وأعلمُ أنّي عُرْضَةٌ لِقَنَاءِ) رابطة للحال ومتلوثة بالمضارع المثبت، والتقدير كما ذهب المحقق على حذف المبتدأ: (وأنا أعلمُ)، وعلى ما يبدو أنّ ما دفع النحاة إلى تقدير المبتدأ في مثل هذا الموضع هو التخلص من اللبس بين العطف والحال، ولكن الشاعر آثر أن يفعل ما فعل ليجعل الفعلين (أغضِي، وأعلمُ) على قدم المساواة في الزمن.

١٠- حذف الصفة:

أجاز النحاة حذف الموصوف كثيراً وحذف الصفة نادراً، فحق الصفة أن تصحب الموصوف إلا إذا ظهر أمره ظهوراً يُستغنى معه عن ذكره، فيجوز تركه وإقامة الصفة مقامه^(٦٩)، وعلى نُذرة حذف الصفة فإنه جائز أيضاً إذا علّمت بقرينة لفظية أو مقامية كما في قوله تعالى: (وَكَانَ وِرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِيَةٍ غَصْبًا) [الكهف: ٧٩]؛ أي (ملك ظالم) و(سفينة صالحة)، وقد تحذف الصفة ويدلّ عليها المتكلم بالتنغيم لإيضاحها كقولنا: "هو رجل"، فنقوي اللفظ ونطيل الصوت ونفخمه للدلالة على أنه رجل عظيم^(٧٠).

ومن حذف الصفة لدلالة السياق قول الشريف مادحاً^(٧١):

جَزَاءَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ تَنَائِي

عَلَى نِعَمٍ مَا تَنَقَّضِي وَعَطَاءِ
حيث عطف النكرة غير الموصوفة (عطاء) على النكرة (نعيم) الموصوفة بجملة (ما تنقضي)، والأصل في المتعاطفين أن يكونا على درجة واحدة من التنكير أو التعريف، فنستدلّ بذلك على صفة محذوفة بعد المعطوف، يمكن تقديرها بقولنا: (وعطاء لا حدود له)، فيكون المتعاطفان نكرة مختصة بالوصف، وقدّرنا الصفة جملة لا مفردة؛ لأن المعطوف عليه موصوف بالجملة.

وقد يُستدلّ على حذف الصفة بعطف الشيء على مثيله، فتفهم من ذلك أنها متمايزان من بعضهما، ولو لم يكونا كذلك لم يكن ثمة مبرر للجمع



بينهما، وهذا ما تراه في قول الشريف من الرثاء^(٧٣) :
 مَا كُنْتُ أَحْسَبُ يَوْمًا
 -وَالدَّهْرُ ضَرَبٌ وَضَرْبٌ-

أَيُّ أَيْبٍ وَبَيْبِي

وَيَبْنَ لُفْيَاكَ سَهْبٌ
 فقد أراد: (والدهر ضربٌ عسيرٌ وضربٌ يسير)، فاستغنى عن الوصف بالعطف.
 وقد حذف الشريف الصفة أيضًا في قوله
 يصف البرق^(٧٣) :
 طَرِبْتُ إِلَيْهِ حَتَّى قَالَ صَحْبِي

لَأَمْرٍ هَاجَ مِنْكَ الْبَرْقُ دَاءً
 فقد ذكر المحقق في تعليقه عليه أن
 «التنوين في قوله: (لأمرٍ) للتعظيم؛ وكأنه قال: (لأمرٍ عظيم)»، وهنا يُستدلُّ على الصفة المحذوفة بالسياق وبالآداء الصوتي وبكثرة الاستعمال، فقد شاع الوصف في مثل هذا الموضع عند العرب بالكرة التامة (ما) الدالة على العظيم كما في قولهم: (لأمرٍ ما جَدَعَ قَصِيرٌ أَنْفَهُ)؛ أي لأمرٍ عظيم^(٧٤).
 ١١- زيادة أحرف الجر:

ذكر النحاة المواضع المطردة لزيادة حروف الجر، وذكروا مواضع أخر سماعية أو نادرة، والأصل في هذا القسم منها أن يكون موقوفًا على السماع، ولكن الشريف قد يستعمله لتحقيق غايات دلالية لا تتأتى بدونه، وهذا ما سنجد في زيادة حرفي الجر الباء (على).

أ- زيادة الباء:

ذكر النحاة أن الباء قد تزداد في المفعول به زيادةً سماعية، ومثلوا لذلك بقوله تعالى: (وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ) [البقرة: ١٩٥]؛ حيث زيدت الباء في (بِأَيْدِيكُمْ) وهي مفعول به لـ(تُلْقُوا)، وقيل ضُمِّنَ (تُلْقُوا) معنى (تَفْضُوا)^(٧٥)، ومثله ما تجده في قول الشريف موبخًا^(٧٦) :

فَأَقْبَلْتَ مِخْفَارَكَ كَيْ تَصْدَعَ بِالْهَضْبِ

فالباء زائدة، و(الهضب) مفعول به لـ(تصدع) الذي من حقه أن يتعدى إلى مفعوله بنفسه؛ تقول: «صَدَعَ الشَّيْءَ يَصْدَعُهُ»^(٧٧)، أو هو على تضمينه

معنى (يحفِر) كما ذهب المحقق بدلالة (مِحْفَار).
 أمَّا قوله في رثاء سيد الشهداء الحسين (عليه السلام)^(٧٨) :

بِأَبٍ بَرٌّ وَجَدُّ مُصْطَفَى
 فهو أيضًا على زيادة الباء في (أَبٍ) الواقع مفعولًا لـ(يدعو)، أو على تضمينه معنى (يستجير) الذي من حقه أن يتعدى بالباء، لكن الوجه الأول أرجح؛ لأنه كرر الفعل ذاته بعده ببيت في قوله^(٧٩) :

أَيُّ جَدٍّ وَأَبٍ يَدْعُوهُمَا
 جَدُّ يَا جَدُّ أَغْنِي يَا أَبَا
 فدُلَّ بذلك أنه أراد معناه الأصلي، ولم يحمله على التضمين، ليجعل الباء زائدة لتوكيد النداء، وإظهار شدة حاجة المنادي في عظيم محتته إلى المنادي.
 ب- زيادة (على):

أجاز النحاة زيادة (على) للتعويض عن أخرى محذوفة أو لغير التعويض^(٨٠)، وعلى الوجه الثاني يُحمل قول الشريف في وصف الحاقد^(٨١) :

يُعْطِي عَلَى أَضْغَانِهِ بِنِفَاقِهِ
 كَذِي الْعَفْرِ غَطَّى ظَهْرَهُ بِكِفَاءٍ
 فقد أراد: (يُعْطِي أَضْغَانَهُ)، ثم زاد حرف الجر للمبالغة، ويمكن حمله على تضمين (غَطَّى) معنى (تَسْتَرُّ أو أَعْلَقُ)، لكن الوجه الأول أرجح بدلالة الشطر الثاني الذي تعدى فيه الفعل (غَطَّى) إلى مفعوله (ظَهْرَهُ) بلا جارٍ.

ثانيًا- جماليات الظواهر الصرفية:

تنقسم الظواهر الصرفية في شعر الشريف إلى قسمين: الأول يخرج في عدوله عن القاعدة مطلقًا، والثاني يخرج عن أصل الوضع ويتميز عنه دون أن يخرج عن القاعدة، فيبقى في إطار الجائز.

أ- الظواهر الصرفية التي خرجت عن القاعدة:

ندرس في هذا المبحث العدول الصرفي الذي كسر القاعدة المتفق عليها، ونبحث عن تخريج منطقي له، ونحاول تبيان جماليته، وهذا النوع من العدول يتضمّن: الجمع على غير قياس، وقلب كسرة عين الفعل فتحه وقلب لاهم ألقًا، وتخفيف الهمز على غير قياس.



١- الجمع على غير قياس:

ينقسم جمع التكسير إلى سماعي وقياسي، فالأول يؤخذ به كما سُمع عن العرب، والثاني يُقاس على ما أُطرد من الجموع، وإذا تعارض المسموع مع المطرد فإن الحكم بالمسموع أولى، ومثال ذلك ما نجده في قول الشريف مادحاً^(٨٢):
وَمَا كُلُّ فُعَالٍ النَّدَى بِمَشَابِهِ

ولا كُلُّ طُلَّابٍ الْعُلَى بِسِوَاءِ

فقد قال المحقق في تعليقه عليه: «مَشَابِهِ:

جمع (شبهه) على غير قياس، والشبه بفتحتين أو بكسر فسكون: النظير والمثل»، ولا بد أن الشاعر لجأ إلى هذا اللفظ ليقيم الوزن، فجمع (الشَّبهه) أو (الشَّبهه) على (مَشَابِهِ) كما قالوا: «في فلان لَمَحَّةٌ من أبيه، ثم قالوا: فيه مَلَامِحٌ من أبيه أي مَشَابِهِ، فجمعه على غير لفظه، وهو من النوادر»^(٨٣)، وهو أرجح من الرواية الأخرى التي ذكرها المحقق للبيت بلفظ: (شِبَاهه) على أنه جمع (شبيهه)، ثم قال في تعليقه على هذه الرواية: «ولم أجد في معاجم اللغة جمع (شبيهه) على (شِبَاهه)، وإن كان القياس لا يابأه»، فهذه الرواية مرجوحة لأن اللفظ المسموع عن العرب خيرٌ من اللفظ المقيس غير المستعمل، والشاعر ذو الطبع الأصيل يقدم المسموع على غير المسموع؛ فإذا سُمع في جمع التكسير غير قياسه امتنع النطق بقياسه^(٨٤).

٢- قلب كسرة عين الفعل فتحةً وقلب لامه ألفاً:

الأصل أن تُبَدَلَ الياء والواو ألفاً إذا تحركتا وانفتح ما قبلهما، نحو: (سعى، وغزا)، لكن بعض العرب خرجوا عن هذه القاعدة في كلامهم، فبنو طيئً يبذلون كل ياء أو واو متحركة ألفاً إذا تحرك ما قبلها على الإطلاق، دون تخصيص هذه الحركة بالفتح، كقولهم في (بقي، ويموت، وناصية، وأودية): (بَقَى، ويمات، وناصاه، وأوداه)^(٨٥).

ففي لهجة طيئً يتحوَّل (فَعَلَ) المعتلُّ الناقص إلى «فَعَلَّ»، وقد قرئ قوله تعالى: (وَدَّرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرَّبَّآ) [البقرة: ٢٧٨]، بفتح القاف (بَقَى) على لغة الطائيين الذين يبدلون الكسرة فتحةً فتقلب الياء ألفاً^(٨٦)، وعلى هذه اللغة جاءت بعض أشعار الشريف

كما في قوله مادحاً^(٨٧):

وَمَنْ كَانَ ذَا نَفْسٍ تُطِيعُ قَنُوعَةَ

رَضَى بِقَلِيلٍ مِنْ كَثِيرٍ نَرَاءِ

فقد قال المحقق في تعليقه عليه «رضى:

أصله بكسر الضاد وفتح الياء، فقلب الكسرة فتحةً والياء ألفاً، وهذه لغة طيئً؛ يقولون: (بقي، وفنى، ورضى، وغنى) بفتح وسط هذه الأفعال، وقلب يائهنَّ ألفاً»، ونقل عن ابن منظور أنهم يُجرون هذا القلب سواء اتصل بالفعل شيء أم لم يتصل: «وطيئً تقولُ: (بَقَى، وَبَقَتْ) مَكَانَ (بَقِيَ، وَبَقِيَتْ)، وَكَذَلِكَ أَخَوَاتِهَا مِنَ الْمُعْتَلِّ»^(٨٨)، وواضح أن الغرض من القلب في مثل هذه المواضع إنما هو التخفيف اللفظي في النثر والشعر، وقد يُضَافُ إليه الضرورة كما في بيت الشريف السابق وقوله معزياً^(٨٩):

وسيفٌ نُضِيَ مِنْ جَفْنِهِ عَيْرٌ أَنَّهُ

رَضَى حَدَهُ عَنْ غَمْدِهِ الدَّهْرَ صَاحِبَا

الذي تكرر فيه الفعل (رَضَى) كما وجدناه

في البيت الأول، وجاء قبله الفعل (نُضِيَ) على هذه اللغة أيضاً، فقال فيه المحقق: «نُضِيَ: فعل ماض مبني للمجهول، وكان من حقِّ العربية الفصيحة أن يأتي به مكسور الضاد مفتوح الياء كما تقول: (ضَرَبَ)، ولكنه فتح الضاد فانقلبت الياء ألفاً، وهذه لغة من لغات العرب يستعملها الشريف كثيراً»، ومنها قوله راثياً^(٩٠):
نَادَيْتُهُ فَخَفَى عَلَيَّ جَوَابُهُ

بِالْقَوْلِ إِلَّا مَا رَقَّتْ أَصْدَاؤُهُ

حيث فتح الفاء من (خَفِيَ) فانقلبت الياء

ألفاً لتحركها بعد فتح.

٣- تخفيف الهمز على غير قياس:

لتخفيف الهمزة أحكام دقيقة ومحددة، ولكنَّ الشعراء كثيراً ما يخرجون عنها؛ لأنها قضيةٌ ذوقيةٌ لفظيةٌ أكثر من كونها قضيةً قواعديةً منضبطة، ومن ذلك ما تجده في قول الشريف معاتباً الدهر^(٩١):

وَقَالُوا سَهَامُ الدَّهْرِ خَاطٍ وَصَائِبٌ فَكَيْفَ لَقِينَا يَا

لَقَوْمٍ صِيَابَهَا

حيث خَفَفَ همزة (خَاطٍ) بحذفها، وكان

من حقِّها أن تُجَعَلَ بين بين؛ لأنها مضمومة بعد حرف



حرف علة مناسبة لحركة الحرف الذي قبلها رغم أنها مضمومة بعد كسر، على إجراء الوصل مجرى الوقف. وإذا كان الشريف الرضي قد خرج عن قاعدة تخفيف الهمزة في حشو الأبيات فإن ذلك في الضرب أيسر منه كما في قوله في رثاء الحسين (عليه السلام) (٩٨):

كَمْ حَصَانِ الدَّيْلِ تُرْوِي حَدَّهَا

عَبْرَةٌ عِنْدَ قَتِيلٍ بِالظَّمَا

فقوله: (بالظما) أصله: (بالظما)، وكان من

حقه عند تخفيف همزته أن تجعل بين بين لأنها مكسورة وقبلها حرف متحرك (٩٩)، لكنه، على حد تعبير المحقق، سهّل الهمزة بقلبها ألفاً كما صنع في قوله من القصيدة ذاتها (١٠٠):

قَدْ مَضَى الدَّهْرُ وَمَضَى بَعْدَكُمْ

لَا الْجَوَى بَاخٌ وَلَا الدَّمْعُ رَقَا

حيث خفف همزة (رقاً) بإبدالها ألفاً، وكان

من حقها أيضاً أن يجعلها بين بين لأنها مفتوحة بعد حرف مفتوح (١٠١)؛ وذلك ليحقق غايتين: دلالية وشكلية، فالدلالية تتأتى من إطلاق الألف إطلاقاً يتناسب وحجم المعاناة التي يصورها الشاعر، والشكلية هي وحدة الروي بين الأبيات.

وقد ذكر المحقق تعليلاً منطقياً لظاهرة

التخفيف في ضرب البيت بإبدال الهمزة حرف علة مناسبة لحركة الحرف الذي قبلها، وذلك عندما وقف على قوله مادحاً (١٠٢):

أَرْعَيْتَنَا الْكَلًّا الْمَمْطُورَ نَنْشُطُهُ

نَشَطَ الْخَمَائِلِ بَعْدَ الْمَرْبَعِ الْمُوِي

فقد قال في تعليقه على كلمة (الموي):

«وأصله "الموبى" فسهّل الهمزة بقلبها ياءً لأن انكسار ما قبلها مع الوقف عليها يصيرها ساكنة مكسوراً ما قبلها»، وهذا التعليل ينطبق على (الظما، ورقاً) عند الوقف عليهما؛ لأن الوقف عليهما يصيرهما ساكنتين بعد فتح فيكون حكم تخفيفهما بإبدالهما ألفاً، غير أن ما يُضعف هذا التعليل أن السكون فيه عارض للوقف لا متأصل في الحرف، وبذلك نخرج بنتيجة مفادها أن أحكام تخفيف الهمز تكون غير ملزمة للشاعر في حشو البيت في سبيل سلامة الوزن، ويكون في حل تام

مكسور (٩٢)، فحاول المحقق رده إلى القاعدة بعلّة مركبة بقوله: «وأصله (خاطئ) بالهمزة، فقلب الهمزة ياءً لانكسار ما قبلها، ثم عامله معاملة (قاضي)، والهمزة إذا انقلبت حرف علة يجوز في حرف العلة الذي انقلبت إليه أن يُعامل معاملة حرف العلة الأصلي»، وهو تعليل جيد لولا أننا لا ندري على أي أساس قُلبت الهمزة ياءً، فإذا أردنا أن نلتمس لذلك سبباً فلا سبيل له إلا على إجراء الوصل مجرى الوقف: (خاطئ) حيث تُخفف الهمزة بإبدالها ياءً لأنها ساكنة بعد حرف مكسور.

وعلى ذلك يمكننا حمل قول الشريف

مادحاً (٩٣):

كَيْفَ أَرْضَى ظَمًا بِقَلْبِي وَطَرْفِي

يَتَجَلَّى بَرَقَ الرَّبَابِ الْمُرْبِّ

حيث خفف همزة (ظماً) بحذفها، وكان

من حقها أن يجعلها بين بين لأنها مفتوحة بعد حرف مفتوح (٩٤)، أما إذا حملناها على العلة المركبة على طريقة المحقق فنقول: أجرى الوصل مجرى الوقف: (ظماً)، فقلب الهمزة ألفاً لانفتاح ما قبلها، ثم عامله معاملة (عصاً) فصار كالاسم المقصور، مثلما صار (خاطئ) كالمقصور.

وقد يقع ذلك في الأفعال كقوله مادحاً (٩٥):

إِلَيْهِ تَمَجَّجَ النَّفُوسَ الصَّدُورُ

وَفِيهِ تَهَيَّيَ الْعُيُونُ الْقُلُوبُ

حيث خفف همزة (تهئئ) بإبدالها حرف

علة مناسبة لحركة الحرف الذي قبلها، ثم حذف حرف العلة نطقاً وبقي رسماً؛ منعاً من التقائه مع لام التعريف الساكنة، وكان من حق الهمزة أن تجعل بين بين؛ لأنها مضمومة بعد حرف مكسور (٩٦)، وقد قال المحقق في تعليقه عليه: «أصله (تهئئ) بالهمز في آخره، فسهّل الهمزة بقلبها ياءً لانكسار ما قبلها»، وهذا لا يصح أيضاً إلا على إجراء الوصل مجرى الوقف: (تهئئ)، فتخفف الهمزة بقلبها ياءً لأنها ساكنة بعد كسر.

وهذا ما حصل أيضاً في قوله مادحاً (٩٧):

أَهْنَيْكَ بِالْعَيْدِ الْجَدِيدِ تَعَلَّةً

وَعَيْرِكَ بِالْأَعْيَادِ وَاللَّهُوِ يَعْجَبُ

حيث خفف همزة (أهنتك) بإبدالها



جماليات الظواهر النحوية والصرفية ...

والرجاء، والفضاء) من البيت الأول والثاني والثالث والرابع على التوالي، كما حذف همزة (كربلاء، وبلاء) من البيت الخامس، مما منح هذه الكلمات انفتاحاً دلاليّاً يتناسب مع إطلاق الألف وحذف الهمزة على سبيل قصر الممدود، فضلاً عما أضافه على البيت من الرشاقة اللفظية، ولذلك أمثلة كثيرة في شعره^(١٠٨).

وقد وقع منه عكس ذلك من مد المقصور ليحقق قوة لفظية تناسب المعنى كما في قوله مادحاً^(١٠٩):

وما أنتَ بالمَبْخُوسِ حَظًّا مِنَ الْعُلَا
وَلَا قَانِعًا مِنْ عَيْشِهِ بِكَفَاءٍ
فقد ذكر المحقق أنه كان من حقّ (كفاء) أن تكون مقصورة (كفّ) لكنه مدها للضرورة.

أما قوله من القصيدة ذاتها^(١١٠):

وَمِنْ بِيضِ كَأَنَّ مُجَرَّدِيهَا

مُجْرُونَ الْأَكْفِ عَلَى الْأَضَاءِ
فقد ذكر فيه المحقق أيضاً أنه كان من حقّ (أضاء) أن تكون مقصورة (أضاً) لكنه مدها للضرورة، وجاء في اللسان: «الأضأ: العدير... وَالْجَمْعُ أَضَوَاتٌ، وَأَضًا، مَقْصُورٌ، مِثْلُ قَنَاةٍ وَقَنَاءٍ، وَإِضَاءٌ، بِالْكَسْرِ وَالْمَدِّ، وَإِضُونَ كَمَا يُقَالُ: سَنَتْهُ وَسُونُوهُ؛ فَأَضَاءٌ وَأَضًا كحِصَاةٍ وَحِصَى، وَأَضَاءٌ وَإِضَاءٌ كَرَحَبَةٍ وَرِحَابٍ وَرَقَبَةٍ وَرِقَابٍ»^(١١١).

٢- إجراء الوصل مجرى الوقف:

وضع الصرفيون بما استقرؤوه من كلام العرب قواعد ضابطة للوقف والابتداء، غير أن العربي قد يُعامل ما وُصل من الكلام معاملته كما لو أنه وُقف عليه طلباً للخفة وغيرها من التصرفات الصوتية، ومثل هذا جائز في متن الشعر بالحمل على ما يرد في قوافيه^(١١٢)، ومن ذلك ما فعله الشريف في قوله متظلماً^(١١٣):

فَلِمَ أَنَا كَالْغَرِيبِ وَرَاءَ قَوْمٍ

لَوْ اخْتَبَرُوا لَقَدْ كَانُوا وَرَائِي
حيث حذف الفتحة من (لِمَ) لثلاً تتوالى خمسة أحرف متحركة، فينكسر الوزن، أضف إلى ذلك أن هذه الوقفة الخاطفة على الميم توحى بشيء من

منها في عروض البيت وضربه لأنّ دواعي الانسجام اللفظي فيها أقوى من جهة، ولأنهما عارضان للوقف من جهة أخرى.

ب- الظواهر الصرفية التي تنضوي تحت القاعدة:

ندرس في هذا المبحث العدول الصرفي الذي ينضوي تحت القاعدة ويتميز عن أصل الاستعمال، ونبدي رأينا فيه، ونحاول تبيان جماليته، وهذا النوع من الانزياح يتضمّن: قصر الممدود ومدّ المقصور، وإجراء الوصل مجرى الوقف، وتحويل همزة القطع إلى وصل، والوصل إلى قطع، وإجراء الفتحة مجرى الضمة والكسرة في الإعلال بالتسكين، ومعاملة الاسم المنقوص المنصوب معاملة المرفوع والمجرور، والقلب المكاني.

١- قصر الممدود ومدّ المقصور:

لم يُدرج الصرفيون مبحث قصر الممدود ضمن صور تخفيف الهمز، ولكنّه في طبيعته اللفظية يُعدُّ شكلاً من أشكال تخفيف الهمز؛ لأنه يعتمد على حذف الهمزة من الاسم الممدود، وقد ورد هذا النوع من الانزياح الصرفي في بضعة مواضع من شعر الشريف، ومنها قوله راثياً^(١٠٣):

شَرِبْتُ تَخَاذُلَ بِالطَّلَا أَعْضَاؤُهُ

ومنها قوله مفتخرأ^(١٠٤):

رَضِينَا الطُّبَا مِنْ عِنَاقِ الطُّبَا

وقوله من القصيدة ذاتها^(١٠٥):

وَقُمَّمًا تَجْرُ دُيُورَ الرَّجَا

وَتَرَعَى الْعُيُونَ بُرُوقَ الْمُنَى

وقوله من القصيدة ذاتها^(١٠٦):

لَهُمْ كُلُّ يَوْمٍ إِلَى الْغَادِرِي—

—نَ جَمْعٌ تَقَلَّقَ عَنْهُ الْفَضَا

وقوله من القصيدة ذاتها^(١٠٧):

كَرَبَلَا لَا زَلَّتْ كَرْبَاً وَبَلَا

ما لَقِيَ عِنْدَكَ أَلْ الْمُصْطَفَى
حيث حذف همزة (الطلاء، والظباء،



لإقامة الوزن أيضاً، فكأن أنسب للمعنى وأرشق في السمع.

ومن الثاني قوله رائيًا^(١١٨):

وَالإِبْنُ لِلأَبِ إِنْ تَعَرَّضَ حَادِثٌ

أَوَّلَى الأَنَامِ بِأَنْ يَكُونَ وِقَاءً

حيث حوّل همزة (ابن) من الوصل إلى

قطع، فمنحت البيت قوة في السمع، وشكّلت حاجزاً صوتياً يناسب الوقاء الذي يمثله الابن، لأن الموضوع موضع قوة وتثقل.

٤- إجراء الفتحة مجرى الضمة والكسرة في الإعلال بالتسكين:

الأصل في الإعلال بالتسكين أن يجري على

الياء والواو المضمومتين في آخر المضارع، والمضمومتين أو المكسورتين في آخر الاسم المنقوص غير المنون، أمّا الفتحة فتظهر على ما سبق ليخفتها^(١١٩)، لكنه يجوز أن تُعامل معاملة أختيها في الضرورة الشعرية، فتسكن على الياء والواو، فمن الأول قول الشريف مادحاً^(١٢٠):

أُرِدُّ بِهِ أَيِّدِي الأَعَادِي وَأَتَّقِي

تَوَافِدَ شَتَّى مِنْ أَدَى وَبَلَاءِ

فقد ذكر المحقق أنه «سكن الياء

من (أيدي) وحقها الفتح».

ومن الثاني قوله متغزلاً^(١٢١):

لَيْنٌ كُنْتُ أَخْلَيْتَ المَكَانَ الَّذِي أَرَى

فَهَيْهَاتَ أَنْ يَخْلُو مَكَانَكَ مِنْ قَلْبِي

فقد ذكر المحقق أن الفعل «يخلو»

مضارعٌ كان من حقه أن ينصبه بالفتحة الظاهرة لكنه عامل المنصوب معاملة المرفوع فجعل نصبه بفتحة مقدرة، أو إنه أهمل (أن) المصدرية كما يهملون (ما) المصدرية، والأرجح هو الوجه الأول؛ لأنه لم يرد في ديوان الشاعر فعلٌ صحيح مسبوق بناصبٍ مهمّل ليكون نظيراً له، بينما تجد نظائر متعددة للوجه الأول. واجتمع تسكين الواو والياء في قوله معاتباً صديقاً له^(١٢٢):

إِيَّاكَ أَنْ تَسْخُو بِوَعْدِ

سِدِّ لَيْسَ عَزَمَكَ أَنْ تَفِي بِهِ

فقد ذكر المحقق أنه «كان من حقه أن

المفاجأة والاستنكار اللذين يودّ الشاعر التعبير عنهما، مثلما أراد أن يعبر عن نبرة التئيس في قوله مادحاً^(١١٤):

لَكَ مِنْ حِيَاضِ المَجْدِ زُرْقٌ جِمَامِهَا

فَلِمَا تَنَازَعَكَ الوُرُودَ غَرَائِبُ

حيث أثبت الألف من اسم الاستفهام

المجرور (ما) إجراءً للوصل مجرى الوقف ليدلّ بمدّ هذه الألف على تئيس الخصم، وقال المحقق في تعليقه عليه: «وكان من حق الكلام أن يقول: (فَلِمَ يُنَازِعُكَ الوُرُودَ غَرَائِبُ) لأن (ما) الاستفهامية إذا دخل عليها حرف الجر حذف ألفها، لكنه أبقى الألف»، فعامل (ما) التي محلّها الجر بحرف الجر معاملة (ما) التي محلّها النصب والرفع، لأنّ (ما) الاستفهامية إذا كانت في محلّ رفع أو نصب جاز في الوقف عليها وجهان: إما بإثبات الألف أو بحذفها مع زيادة هاء السكت، وإذا كانت في محلّ جر بالإضافة يوقف عليها بوجه وحيد هو حذف الألف وزيادة هاء السكت، وإذا كانت في محلّ جر بحرف الجر كما في بيت الشريف جاز في الوقف عليها وجهان: إما بحذف الألف وتسكين الميم أو بحذف الألف وزيادة هاء السكت، وهو الأجود^(١١٥).

٣- تحويل همزة القطع إلى وصل، والوصل إلى قطع:

يندرج تحويل همزة القطع إلى همزة وصل ضمن مفهوم تخفيف الهمز أيضاً، أمّا تحويل همزة الوصل إلى قطع فيقف منه موقف النقيض، غير أن ما يتفقان فيه أنهما جائزان للضرورة الشعرية، فمن الأول قول الشريف شاكياً^(١١٦):

خَلِيلِيَّ أَطْلِقَا رَسَنِي فَيَائِي

أَشَدُّكُمَا عَلَيَّ عَزْمُ مَضَاءِ

فكما قال المحقق: «الهمزة في (أطلقا) همزة

قطع في الأصل، ولكنه لما اضطرّ لإقامة الوزن وصلها»، فكان ذلك في الوقوع أنسب للمعنى الذي يتطلب سرعة في تنفيذ طلب الشاعر، لأن الموضوع موضع تخفيف.

ومنه قوله^(١١٧):

وَمِمَّا كُلُّ أَعْلَبَ مُسْتَمِيَّتِ

إِنَّ أَنْتَ لَدَدْتَهُ بِالدُّلِّ قَاءِ

حيث حوّل همزة (أنت) إلى همزة وصل



جماليات الظواهر النحوية والصرفية ...

في البيت أكثر، لأنه يتناظر لفظاً مع قوله: (أدان) الذي جاء على الأصل بالحذف، فضلاً عن حسنه العام في كل موضع؛ لوقوع الياء المحذوفة بين حرف مكسور وتونين، فيكون حذفها أسهل من إثباتها، كما في قول المجنون (١٢٩):

ولو أن واشٍ باليمامة داره

وَدَارِي بِأَعْلَى حَضْرَمَوْتِ اهْتَدَى لِيَا

على حذف الياء من (واشٍ) لضرورة الشعر

وَكَانَ الْقِيَّاسُ أَنْ يَقُولَ: (فَلَوْ أَنَّ وَاشِيًّا) وذلك كله للضرورة؛ لأنه يُجرى على الأصل إذا لم يتأثر الوزن كما في قول الشريف مادحاً (١٣٠):

لو أن بأسهم جارى الزمان إذًا

لَأَزْتَدَّ عَنْ شَأْوِهِ مُسْتَرْحِي اللَّبِّبِ

حيث جرى على الأصل في نصب الحال

(مُسْتَرْحِي) بالفتحة الظاهرة ولم يسكنها لسلامة الوزن.

٦- القلب المكاني:

يُعرَّف القلب المكاني بأنه «تقديم بعض أصوات الكلمة على بعض؛ لصعوبة تتابعها الأصلي على الذوق اللغوي» (١٣١)، غير أن الغاية من القلب قد تكون عروضية أكثر منها ذوقية، وهذا ما تجده في قول الشريف مفتخرًا (١٣٢):

وَشَيَّعَنِي قَلْبٌ إِذَا مَا أَمْرُهُ

أَطَاعَ بَعْزِمٌ لَا يَرُوعُ وَرَاءِ

وقوله يصف حاشية الخير للأمير (١٣٣):

جَرِيءٌ يَوْمَ تَبَعْتُهُ لِحَرْبٍ

وَقُورٌ حِينَ تَبَحْتُهُ لِرَاءِ

وقوله مفتخرًا (١٣٤):

فَجَرَّبَنِي تَجْدُنِي سَيْفٌ عَزْمٍ

يُصَمِّمُ عَرْبُهُ وَزِنَادَ رَأِ

فقوله: (رأى) في الأبيات الثلاثة مقلوب

عن (رأى) كما أشار المحقق. ولما وقف العلماء على هذا اللفظ، انقسموا فريقين: فمنهم من قال إنه مقلوب عن (رأى) (١٣٥)، ومنهم من قال إنه مقلوب عن (رأى) (١٣٦)، فأما الفريق الأول فلا يحتاج كلامه إلى تفسير سوى أن في الكلمة قلباً بين موضعَي الهمزة والألف،

ينصب (تسخو) و(تفي) بالفتحة الظاهرة؛ لخفة الفتحة على الواو والياء، ولكنه عامل المنصوب معاملة المرفوع، وكثيراً ما يصنع الشريف ذلك (١٣٣)، «ليس في المضارع فحسب، بل في الماضي أيضاً كقوله مفتخرًا (١٣٤):

وإن نُودِي بِهِ وَالْحِلْمُ يَهْفُو

صَعَى كَرَمًا إِلَى الدَّاعِي وَفَاءَ

وقوله من في رثاء أهل البيت عليهم السلام (١٣٥):

كَرْبًا لَا زَلَّتْ كَرْبًا وَبَلَا

ما لقي عندك آل المصطفى

حيث سكن الفعلين (نُودِي، وُلِقِي) وحقهما

البناء على الفتح الظاهر، وذلك كله للضرورة الشعرية.

٥- معاملة الاسم المنقوص المنصوب معاملة المرفوع والمجرور:

إذا كان الاسم المنقوص منصوباً فمن حقه أن تظهر الفتحة على آخره سواء كان منوناً أم غير منون، أما إذا كان مرفوعاً أو مجروراً فتثبت ياؤه ساكنة إن لم يكون منوناً، وتُحذف مع تقدير الضمة أو الكسرة عليها إذا كان منوناً، لكن الشريف عامل المنصوب معاملة المرفوع والمجرور في موضعين للضرورة: الأول قوله مادحاً (١٣٦):

وما تَعُو الرُّعَاةُ لِذِي حُسَامٍ

إذا مَا لَمْ يَكُنْ رَاعِي رِعَاءِ

حيث سكن الياء من الاسم المنقوص

المنصوب (راعي) حملاً على المرفوع والمنصوب، وكان

حقه النصب لوقوعه خبراً للفعل الناقص، وهذا يشبه

ما تقدم من حديثنا عن إجرائه الفتحة مجرى الضمة

والكسرة في الإعلال بالتسكين.

والثاني قوله رائيًا (١٣٧):

وَلَمْ أَنْسَهُ غَادٍ وَقَدْ أَحْدَقْتُ بِهِ

أَدَانٍ تُرْوِي نَعَشَهُ وَأَقَارِبُ

الذي قال فيه المحقق: «كان من حق

العربية عليه أن يقول: (وَلَمْ أَنْسَهُ غَادِيًا) لكنه عامل

الاسم المنقوص في حال النصب كعاملته في حال الرفع

والجر»، وفي هذا الانزياح يقول «أبو العباس المبرد:

وهو من أحسن ضرورات الشعر؛ لأنه حمل حالة

النصب على حالتي الرفع والجر» (١٣٨)؛ ويظهر حسنه



مع أم الباب في الشرط، ويصبح الجواب للشرط.
 ٤- تتوقّف الرتبة النحوية على ما سُمع عن العرب، ولا يجوز اتباعه إلا لاعتبارات فنية تفرّضها جمالية التركيب الشعري.

٥- إذا كان المميّز مشتقاً معرّفًا ب(أل) جاز قياسًا أن يأتي التمييز معرّفًا بها.

٦- يجوز مجيء (ما) الشرطية للظرفية الزمانية حملًا لها على شبيحتها في اللفظ، وهي (ما) المصدرية الزمانية.

٧- إذا زيدت الباء في الخبر بعد (ما) جاز إعمالها وإهمالها إلا بدليل مانع، وإذا انعدم الدليل فالإهمال أرجح.

٨- إذا دخلت الواو الحالية على المضارع المثبت يجب تقدير مبتدأ بينهما تخلصًا من اللبس بين العطف والحال.

٩- إذا تعارض المسموع مع القياسي المطرد في جمع التكسير فإن الحكم بالمسموع أولى.

١٠- وجدنا أن الشاعر في معرض أحكام تخفيف الهمز أمام أمرين: أن يكون استعماله لها لسلامة الوزن إن كانت في حشو البيت، أو يكون في حلّ تامّ منها إن كانت في عروض البيت وضربه؛ لأنّ دواعي الانسجام اللفظي فيهما أقوى من جهة، ولأنهما عارضان للوقف من جهة أخرى.

١١- يوصي البحث باستكمال تحقيق ديوان الشريف الرضي وشرحه على منهج محمد محيي الدين عبد الحميد، أو العمل على نشره إن كان موجودًا ولم يُنشر؛ لما له من أهمية في التأسيس للبحث النحوي والصرفي في شعر الشريف.

١٢- يوصي البحث بدراسة أوسع للظواهر النحوية والصرفية في ديوان الشريف الرضي ضمن رسائل ماجستير ودكتوراه تشمل شعره كلّ ما فيه من توظيف جمالي لما خرج عن أصل الوضع.

أما الفريق الثاني فيمكن تفسير كلامه بأن في الكلمة قلبًا بين مكائِي الهمزة الساكنة والياء المتحركة، فصارت: (رَيْئُ)، ثم قلب الياء ألفًا لتحركها بعد فتح، فصارت (راءً)، ولمّا صارت الهمزة طرفًا في الكلمة حملت حركة الإعراب، فصارت في أبيات الشريف (راءٍ) على وزن (فُلُج). ولا شكّ أنّ الرويِّ هو ما حمّله على القلب، لأنه قلب في ضرب كل بيت لا في حشوه.

الخاتمة والنتائج والتوصيات:

في ختام مطافنا بأشعار الشريف الرضي وتأملنا لها من منظار بنيتها النحوية والصرفية نجد أن شاعرنا قد أحاط بذينك العلمين وسعى في سبيل تحصيلهما منذ نعومة أظفاره، فكان استعماله للعدول فيهما استعمالًا واعيًا مشفوعًا بالموهبة الشعرية، ممّا جعل عدوله حلية للقصيدة تؤثّر أكلها الجمالي دون تكلف أو تصنع، وتكشف النقاب عن استعمالات جديدة للغة تثبت حيويّتها وتطوّرهما مرونتها وشجاعتها، وهكذا نرى أن دراية الشاعر اللغوية تُسهم في استثمار وسائل النحو والصرف استثمارًا جماليًا ربما لا يتهيأ بالقدر ذاته للشاعر الذي يملك الجانب الأول فقط من جانبي الإبداع، وهو الموهبة. وننتهي بعدُ إلى النتائج والتوصيات الآتية:

١- إذا تعارض الوزن والإيقاع مع أصل الوضع النحوي والصرفي، فالوزن والإيقاع مقدّمٌ على القاعدة عند الشريف الرضي، لذلك جاء في شعره عدول فيه شجاعة كمجيء المبتدأ ضميرًا متصلًا، وحذف الحرف المصدرية (أنّ) مع إبقاء عمله.

٢- إذا وقع تنازع بين الفعلين الناقص والتام على الاسم المرفوع بعدهما لا يكون الضمير المقدّر اسمًا لـ(كانَ) عائدًا على الاسم المرفوع، بل ضمير شأن تفسّره جملة خبر (كانَ) المؤلّفة من الفعل التام وفاعله.

٣- إن كثرة اجتماع اللام الموطئة للقسم مع (إنّ) الشرطية جعلتهما كالكلمة الواحدة مغلّبةً الشرط على القسم، وعليه فقد تُلغى اللام من (لَيُنْ) لأنها انسبكت



جماليات الظواهر النحوية والصرفية ...

- ١٨- المصدر: ص ٣٤٢. اللطم: الترائب: جمع تربيته، وهي عظام الصدر.
١٩- المصدر: ص ٤٠٨.
٢٠- المصدر: ص ٤٧٨. السطاء: مصدر (ساطى): قهر وغلب، وأصله ممدود فقصره.
٢١- المصدر: ص ٤٣١-٤٣٢. اللمة: الشعر الذي بلغ شحمة الأذن: فينانة: طويلة حسناء. لما يعقب: لم يترك لي خلقاً أستعصم به. باذخ: سام. العيص: الأصل. مدركة: ابن إياس بن مضر.
٢٢- الأنصاري، ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعراب: تح: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط ٦، ١٩٨٥م: ٣١٢/١.
٢٣- معاني القرآن: تح: أحمد النجاشي ومحمد النجار وعبد الفتاح الشلبي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط ١، د.ت: ٦٧/١.
٢٤- شبايك، عيد محمد: القلب عند البلاغيين والنحاة العرب: دار حراء، القاهرة، ط ١، ١٩٩٨م: ص ٢٤-٣٤.
٢٥- المصدر: ص ١٠٥.
٢٦- ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، تح: عبد الله الكبير ومحمد حسب الله وهاشم الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، ط ١، د.ت.: مادة (و س د).
٢٧- المصدر: ص ٨٣. مأمول: مرتجى لمنح الغائب. أعديتني: نصرتني.
٢٨- المصدر: ص ١١٣. أبلج: مشرق الوجه، ويُطلق على الكريم. وطأ على خدَّ ليله: يسير سيراً حثيثاً في الليل بلا خوف. القراب: الغمد.
٢٩- المصدر: ص ٨٧.
٣٠- البيت لراشد بن شهاب اليشكري. ينظر: الضبي، المفضل بن محمد: المفضليات: تح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون: دار المعارف، القاهرة، ط ٦، ١٩٧٩م: المفضلية رقم: ٨٧، ص ٣١٠.
٣١- الحازمي، أحمد: فتح رب البرية في شرح نظم الأجرومية: مكتبة الأسد، مكة المكرمة، ط ١، ٢٠١٠م: ص ٥٥٢.
٣٢- المصدر: ص ١٨٣. الأجارب: حي من بني سعد. الشُّعر: مفردها أشعر، وهو الغزير الشعر، وأراد بالشُّعر الرقاب فزاره.
٣٣- الكتاب: تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٣، ١٩٨٨م: ٢٠١/١.

الهوامش:

- ١- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر: تح: مفيد محمد قمحية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٣م: ١٥٥/٣.
٢- ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٩٧١م: ٤١٦/٤.
٣- أبو عليوي، حسن محمود: الشريف الرضي دراسة في عصره وأدبه: مؤسسة الوفاء، بيروت، ط ١، ١٩٨٦م: ص ٢٠٠-٢١٣.
٤- الحلي، حازم سليمان: الشريف الرضي وجهوده النحوية: كلية الفقه بجامعة الكوفة، ط ٢، ١٩٩٠م: ص ٧.
٥- ناصف، مصطفى: النحو والشعر قراءة في دلائل الإعجاز: مجلة فصول، العدد ٣، ١٩٨١م: ص ٣٦.
٦- الشريف الرضي، أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى: ديوانه: تحقيق وشرح: محمد محيي الدين عبد الحميد: دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط ١، ١٩٤٩م: ٤٧/١. النصير: اليناع. تقصفت: تكسرت. تصلبت: جفت. الشجرا: جماعة الشجر.
٧- حسن، عباس: النحو الوافي: دار المعارف، القاهرة، ط ٣، ١٩٧٤م: ٢٨٨/٢.
٨- جطل، مصطفى: النحو والصرف: منشورات جامعة حلب، ط ١، ١٩٨٥م: ١١٧/١.
٩- المصدر: ص ٤٥. الصفيح: جمع صفيحة: حجارة عريضة توضع فوق القبر.
١٠- الأنباري، أبو البركات: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين: تح: محمد محيي الدين عبد الحميد: المكتبة التجارية الكبرى، ط ٤، ١٩٦١م: ٧١/١-٨٠.
١١- النحو الوافي: ٤/٤٠٠-٤٠١.
١٢- المصدر: ص ٤٢٥. ينثو: يذيع وينشر.
١٣- المصدر: ص ٤٣٣. التملّي: الاستمتاع. الأمم: القصد.
١٤- المصدر: ص ٤٣٥.
١٥- المصدر: ص ٤٤٠.
١٦- المصدر: ص ١٨٠.
١٧- المصدر: ص ٢٤٤-٢٤٥. فهر: أبو قبيلة من قريش، وهو فهر بن مالك بن النضر بن كنانة. غاض: غاب. فاض: طلع.



- سلسلة التراث (٦٠)، ط١، ١٩٧٧م: ص٢١١: فيه (١ذا)
بالنصب، و(مستهامً) بالرفع.
٥٢- المغني: ٨٨٦/١.
٥٣- المصدر: ص١٠٩.
٥٤- المصدر: ص١١١.
٥٥- المصدر: ص٣٦.
٥٦- المغني: ٤٩٥/١، ومثّل لهذه اللغة بقوله: (قاما
أخواك).
٥٧- المصدر: ص١٥٩.
٥٨- المصدر: ص٢٨٠. أعنّ: مؤلف من الفعل أعانَ
ونون النسوة.
٥٩- المصدر: ص٣٢٦.
٦٠- المصدر: ص٣٧٢. الحصاء: صغار الحصى. ينزغن:
يجذبن. الحواصب: جمع حاصب، وهي الريح
الشديدة. جنادل: جمع جندل، وهو الحجر الضخم.
الحيا: المطر. المحارب: جمع محراب.
٦١- جطل، مصطفى: النحو والصرف: منشورات
جامعة حلب، ط١، ١٩٨٥م: ٤٥/٢.
٦٢- الخزانة: ٣٧٥/١.
٦٣- المصدر: ص٦. الكفاء: جمع كُفّية، وهي القُوت
اليسير.
٦٤- يعقوب، إميل بديع: المعجم المفصل في شواهد
العربية: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٦م:
٤٠٦/١.
٦٥- المرادي، حسن بن قاسم: الجنى الداني في حروف
المعاني: تح: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل: دار
الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٢م: ص٥٤.
٦٦- ابن مالك، جمال الدين محمد، شرح تسهيل
الفوائد: تح: عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي
المختون، دار هجر، ط١، ١٩٩٠م: ٣٨٤/١.
٦٧- المغني: ٥٢١/١.
٦٨- المصدر: ص٢.
٦٩- الزمخشري، محمود بن عمر: المفصل في صناعة
الإعراب: تح: علي بو ملح، مكتبة الهلال، بيروت،
ط١، ١٩٩٣م: ص١٥٢.
٧٠- ابن جني، أبو الفتح عثمان: الخصائص: تح: محمد
علي النجار: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١،
١٩٥٢م: ٣٧٠/٢-٣٧١.
٧١- المصدر: ص١.

- ٣٤- البيت للحارث بن ظالم. ينظر: البغدادي، عبد
القادر: خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب: تح: عبد
السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٨٤م:
٤٩٢/٧.
٣٥- شرح الكافية الشافية: تح: عبد المنعم أحمد
هريدي، مكة المكرمة، ط١، ١٩٨٢م: ١٦٢٥/٣.
٣٦- ديوانه: شر: علي فاعور، دار الكتب العلمية،
بيروت، ط١، ١٩٨٧م: ص٤٦٧. الذل: الثأر.
٣٧- المصدر: ص٣٠٩. الصّناع: الماهر في العمل.
مرؤوب: اسم مفعول من الفعل (رأب) بمعنى أصلح.
٣٨- المصدر: ص٣٢٤. مشمخر: عال شامخ. واجب:
اسم فاعل من الفعل وجبَ وجِبُ، بمعنى سقط.
٣٩- ابن يعيش، موفق الدين: شرح المفصل: قدم له:
إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١،
٢٠٠١م: ٥٧١/٤-٥٧٢.
٤٠- المصدر: ص٢١٩. تقول: هزرت فلانًا؛ تريد أنك
طلبت معروفه، وفلان يهتّر للندی والكرم. يبلو: يختبر
ويجرب. مندلق: مندفع. عُروب: جمع عَرَب، وهو
الدلو العظيمة.
٤١- المصدر: ص٢٥٧. الغليل: حرارة الجوف. الحجاب:
لحمة رقيقة بين الجنبين.
٤٢- الغلاييني، مصطفى: جامع الدروس العربية:
المكتبة العصرية، بيروت، ط٢٨، ١٩٩٣م: ٨٢/٣.
٤٣- الزمخشري، محمود بن عمر: المفصل في صناعة
الإعراب: تح: علي بو ملح، مكتبة الهلال، بيروت،
ط١، ١٩٩٣م: ص١٣٨. وشرح المفصل: ٢٠٤/٢.
٤٤- شرح المفصل: ٢٠٠/٢.
٤٥- المصدر: ص١٥٦.
٤٦- المصدر: ص٢٣.
٤٧- المصدر: ص٢٣.
٤٨- المصدر: ص٢٩.
٤٩- المغني: ٥٩٤/١.
٥٠- المصدر: ص٩٥.
٥١- الشريف الرضي: أبو الحسن محمد بن الحسين
بن موسى: ديوانه: منشورات مطبعة وزارة الإرشاد
الإسلامي، إيران، ط١، ١٤٠٦هـ: ٥٧/١: وفيه (مستهامً)
بالرفع. وكذلك في طبعة دار صادر، بيروت، ١٩٦١م:
٥٧/١. أما الديوان بصنعة أبي حكيم الخبري، تح: عبد
الفتاح محمد الحلو، مطبوعات وزارة الإعلام العراقية،



جماليات الظواهر النحوية والصرفية ...

- ٧٢- المصدر: ص ٣٨٠. وضبط (أحسب) بفتح السين وكسرها، وضبط (سهب) بفتح السين وكسرها.
- ٧٣- المصدر: ص ٢٣.
- ٧٤- جامع الدروس العربية: ٢٢٣/٣.
- ٧٥- المغني: ١٤٧/١.
- ٧٦- المصدر: ص ٨٩. المحفار: آلة للحفر. تصدع: تشق أو تكسر، وأراد هنا تحفر. الهضب: جمع هضبة، وهي جبل خلق ن صخرة واحدة، والمحفار لا ينال من ذلك أبداً.
- ٧٧- لسان العرب: مادة (ص د ع).
- ٧٨- المصدر: ص ٧٤.
- ٧٩- المصدر: ص ٧٤.
- ٨٠- المغني: ١٩٢/١.
- ٨١- المصدر: ص ٥. أضغان: أحقاد. العقز: الجرح. كفاء: سترة.
- ٨٢- المصدر: ص ١٠.
- ٨٣- الجوهري، إسماعيل بن حماد: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: تح: أحمد عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٩٨٧م: مادة (ل م ح).
- ٨٤- الصبان، محمد بن علي: حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك: تح: طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة التوفيقية، ط ١، د.ت.: ١٩١/٤. والنحو الوافي: ١٩٢/٣.
- ٨٥- قشاش، أحمد: الإبدال في لغات الأزدي دراسة صوتية في ضوء علم اللغة الحديث: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ع ١١٧، ٢٠٠٢م: ص ٤٦٨.
- ٨٦- عمر، أحمد مختار: معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي: عالم الكتب، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٨م: ١٨٨/١.
- ٨٧- المصدر: ص ٨.
- ٨٨- لسان العرب: مادة (ب ق ي).
- ٨٩- المصدر: ص ٣٧٣. نُضِي من جفنه: أُخرج من غمده.
- ٩٠- المصدر: ص ٤٩. زقت: صاحت.
- ٩١- المصدر: ص ١٢٨. خاط: لا يصيب مرماه. صياب: جمع صائب.
- ٩٢- أنيس، محمود راشد: بحوث في التصريف المشترك: دار الأصيل، حلب، ط ٢، ٢٠٠٨م: ص ١٣٦.
- ٩٣- المصدر: ص ٨٦. طُرْفِي: عيني ولحظي. يَنْجَلِي: يستطلع ويستكشف. الرَبَاب: السحاب. المَرْبُ: المقيم.
- ٩٤- بحوث في التصريف المشترك: ص ١٣٥.
- ٩٥- المصدر: ص ١٣٥.
- ٩٦- بحوث في التصريف المشترك: ص ١٣٦.
- ٩٧- المصدر: ص ١٥١.
- ٩٨- المصدر: ص ٧٠. حسان الذيل: عفيفة طاهرة نقية العرض. الظمأ: العطش. وأراد بالقتيل عطشاً: الحسين (عليه السلام).
- ٩٩- بحوث في التصريف المشترك: ص ١٣٦.
- ١٠٠- المصدر: ص ٧٦. الجوى: الحزن. باخ: برد. رقا: سكن وانقطع جريانه.
- ١٠١- بحوث في التصريف المشترك: ص ١٣٥.
- ١٠٢- المصدر: ص ١٠٨. أرعيتنا: مكنتنا من الرعي. نشطه: ناخذه بسرعة لسهولة أمره ويُسّر مأخذه. الخمائل: أراض منبسطة مخضوذة. المربع: المكان الذي يُقام فيه زمن الربيع. الموي: المهلك.
- ١٠٣- المصدر: ص ٥٠. الشرب: جمع شارب. الطلاء: الخمر. تخاذل الأعضاء: عجزها عن الحركة.
- ١٠٤- المصدر: ص ٦٠. الطبا: جمع طبة، وهي حدّ السيف أو الرمح. الطبا: جمع طبية. الطلا: جمع طلية، وهو العنق. الطلا: ولد الطبية.
- ١٠٥- المصدر: ص ٦١.
- ١٠٦- المصدر: ص ٦٦. تقلقل: تحرك، وهنا بمعنى ضاق.
- ١٠٧- المصدر: ص ٦٩.
- ١٠٨- يُنظر: ٤٢/٦٧-٤٦/٦٨-٤٠/٧٠-١١/٧١-١٦/٧٢-١٨+٢٤/٧٣.
- ١٠٩- المصدر: ص ٦. الكفاء: جمع كفية، وهي القوت اليسير.
- ١١٠- المصدر: ص ١٥.
- ١١١- مادة (أ ض و).
- ١١٢- قباوة، فخر الدين: علم الصرف: مكتبة لبنان، بيروت، ط ١، ٢٠١٢م: ص ٣٢٥.
- ١١٣- المصدر: ص ١٩.
- ١١٤- المصدر: ص ١٦١. زُرُق: جمع أزرق، وهو الماء الصافي. جمام: جمع جمّة، وهي معظم الماء. ورود الماء: الذهاب إليه للاستسقاء.
- ١١٥- بحوث في التصريف المشترك: ص ٩٨.
- ١١٦- المصدر: ص ٢٣.
- ١١٧- المصدر: ص ٢٧. أغلب: شجاع، وأصله الأسد العظيم العنق. لددته: أصله صببت اللدود في فمه،

- ٧٢- المصدر: ص ٣٨٠. وضبط (أحسب) بفتح السين وكسرها، وضبط (سهب) بفتح السين وكسرها.
- ٧٣- المصدر: ص ٢٣.
- ٧٤- جامع الدروس العربية: ٢٢٣/٣.
- ٧٥- المغني: ١٤٧/١.
- ٧٦- المصدر: ص ٨٩. المحفار: آلة للحفر. تصدع: تشق أو تكسر، وأراد هنا تحفر. الهضب: جمع هضبة، وهي جبل خلق ن صخرة واحدة، والمحفار لا ينال من ذلك أبداً.
- ٧٧- لسان العرب: مادة (ص د ع).
- ٧٨- المصدر: ص ٧٤.
- ٧٩- المصدر: ص ٧٤.
- ٨٠- المغني: ١٩٢/١.
- ٨١- المصدر: ص ٥. أضغان: أحقاد. العقز: الجرح. كفاء: سترة.
- ٨٢- المصدر: ص ١٠.
- ٨٣- الجوهري، إسماعيل بن حماد: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: تح: أحمد عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٩٨٧م: مادة (ل م ح).
- ٨٤- الصبان، محمد بن علي: حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك: تح: طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة التوفيقية، ط ١، د.ت.: ١٩١/٤. والنحو الوافي: ١٩٢/٣.
- ٨٥- قشاش، أحمد: الإبدال في لغات الأزدي دراسة صوتية في ضوء علم اللغة الحديث: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ع ١١٧، ٢٠٠٢م: ص ٤٦٨.
- ٨٦- عمر، أحمد مختار: معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي: عالم الكتب، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٨م: ١٨٨/١.
- ٨٧- المصدر: ص ٨.
- ٨٨- لسان العرب: مادة (ب ق ي).
- ٨٩- المصدر: ص ٣٧٣. نُضِي من جفنه: أُخرج من غمده.
- ٩٠- المصدر: ص ٤٩. زقت: صاحت.
- ٩١- المصدر: ص ١٢٨. خاط: لا يصيب مرماه. صياب: جمع صائب.
- ٩٢- أنيس، محمود راشد: بحوث في التصريف المشترك: دار الأصيل، حلب، ط ٢، ٢٠٠٨م: ص ١٣٦.
- ٩٣- المصدر: ص ٨٦. طُرْفِي: عيني ولحظي. يَنْجَلِي: يستطلع ويستكشف. الرَبَاب: السحاب. المَرْبُ: المقيم.



بها الاستشهاد، وهي: (فَلَوْ كَانَ وَاشٍ...).

١٣٠- المصدر: ص ٢٠٢. وضبط فيه (الزمان) بالرفع سهواً. جرى الزمان: غالبه. الشأو: الغاية. اللب: جلدة أو حبل يشد في صدر الدابة ليمنع استئخار الرحل أو السرج، ويضرب استرخاؤه مثلاً للشدة التي تذهل الراكب.

١٣١- بروكلمان، كارل: فقه اللغات السامية: تر: رمضان عبد التواب: منشورات جامعة الرياض، ط ١، ١٩٧٧م: ص ٨٠.

١٣٢- المصدر: ص ٢. شيعني: جرأني وشجعني. يروغ: يحميد ويميل.

١٣٣- المصدر: ص ١٩.

١٣٤- المصدر: ص ٢٢. يصمم: ينفذ. غرب السيف: حدّه.

١٣٥- شرح الكافية الشافية: ٢/٤١٧٢.

١٣٦- أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف: ارتشاف الضرب من لسان العرب: تح: رجب عثمان محمد، مرا: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١، ١٩٩٨م: ١/٣٣٤.

واللُدود: ما يُصَبُّ من الدواء في أحد شَقِي الفم، وجعل الذل لدوداً على سبيل المجاز. قاء: أخرج ما في جوفه؛ يريد أنك إن حاوت إذلاله لم يقبله.

١١٨- المصدر: ص ٣٤.

١١٩- بحوث في التصريف المشترك: ص ٦٣-٦٤.

١٢٠- المصدر: ص ٨. نوافذ: جمع نافذة، وهي الطعنة التي تخترق الجوف.

١٢١- المصدر: ص ٤٠٨.

١٢٢- المصدر: ص ٤٤٢.

١٢٣- يُنظَر مثلاً: المصدر: ١٠/٥٣-٧٧/٥٨-٦٩/١.

١٢٤- المصدر: ص ٢٨. فاء: رجع.

١٢٥- المصدر: ص ٦٩.

١٢٦- المصدر: ص ١١. تعنو: تخضع وتناقذ.

١٢٧- المصدر: ص ٣٣٠. أحذقت به: أحاطت به. الأداني: جمع أدنى، وهو الأشد قرابةً. تروي نعشه: يسكبون عليه دموعهم.

١٢٨- الأشموني، علي بن محمد: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك: تح: محمد محيي الدين عبد الحميد: دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٨م: ١/٧٩.

١٢٩- الخزانة: ١٠/٤٨٤. وذكر له روايةً أخرى يسقط



جماليات الظواهر النحوية والصرفية ...

- ١٥- بروكلمان، كارل: فقه اللغات السامية: تر: رمضان عبد التواب: منشورات جامعة الرياض، ط١، ١٩٧٧م.
- ١٦- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر: تح: مفيد محمد قمحية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.
- ١٧- جطل، مصطفى: النحو والصرف: منشورات جامعة حلب، ط١، ١٩٨٥م.
- ١٨- الجوهرى، إسماعيل بن حماد: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: تح: أحمد عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٨٧م.
- ١٩- الحازمي، أحمد: فتح رب البرية في شرح نظم الأجرومية: مكتبة الأسد، مكة المكرمة، ط١، ٢٠١٠م.
- ٢٠- حسن، عباس: النحو الوافي: دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٧٤م.
- ٢١- الحلبي، حازم سليمان: الشريف الرضي وجهوده النحوية: كلية الفقه بجامعة الكوفة، ط٢، ١٩٩٠م.
- ٢٢- الزمخشري، محمود بن عمر: المفصل في صناعة الإعراب: تح: علي بو ملح، مكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
- ٢٣- الزمخشري، محمود بن عمر: المفصل في صناعة الإعراب: تح: علي بو ملح، مكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
- ٢٤- سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب: تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م.
- ٢٥- شايك، عيد محمد: القلب عند البلاغيين والنحاة العرب: دار حراء، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.
- ٢٦- الشريف الرضي، أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى: ديوانه بصنعة أبي حكيم الخبري، تح: عبد الفتاح محمد الحلو، مطبوعات وزارة الإعلام العراقية، سلسلة التراث (٦٠)، ط١، ١٩٧٧م.
- ٢٧- الشريف الرضي، أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى: ديوانه: تحقيق وشرح: محمد محيي الدين عبد الحميد: دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط١، ١٩٤٩م.
- ٢٨- الشريف الرضي: أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى: ديوانه: منشورات مطبعة وزارة الإرشاد الإسلامي، إيران، ط١، ١٤٠٦هـ.
- ٢٩- الصبان، محمد بن علي: حاشية الصبان على شرح

المصادر والمراجع:

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- ابن جنبي، أبو الفتح عثمان: الخصائص: تح: محمد علي النجار: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، ١٩٥٢م.
- ٣- ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٧١م.
- ٤- ابن مالك، جمال الدين محمد، شرح تسهيل الفوائد: تح: عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المختون، دار هجر، ط١، ١٩٩٠م.
- ٥- ابن مالك، جمال الدين: شرح الكافية الشافية: تح: عبد المنعم أحمد هريدي، مكة المكرمة، ط١، ١٩٨٢م.
- ٦- ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، تح: عبد الله الكبير ومحمد حسب الله وهاشم الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، ط١، د.ت.
- ٧- ابن يعيش، موفق الدين: شرح المفصل: قدم له: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
- ٨- أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف: ارتشاف الضرب من لسان العرب: تح: رجب عثمان محمد، مرا: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.
- ٩- أبو عليوي، حسن محمود: الشريف الرضي دراسة في عصره وأدبه: مؤسسة الوفاء، بيروت، ط١، ١٩٨٦م.
- ١٠- الأزهرى، خالد: شرح التصريح على التوضيح: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
- ١١- الأشموني، علي بن محمد: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك: تح: محمد محيي الدين عبد الحميد: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
- ١٢- الأنباري، أبو البركات: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين: تح: محمد محيي الدين عبد الحميد: المكتبة التجارية الكبرى، ط٤، ١٩٦١م.
- ١٣- الأنصاري، ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعراب: تح: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط٦، ١٩٨٥م.
- ١٤- أنيس، محمود راشد: بحوث في التصريف المشترك: دار الأصيل، حلب، ط٢، ٢٠٠٨م.



دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
٣٥- قباوة، فخر الدين: علم الصرف: مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ٢٠١٢م.
٣٦- قشاش، أحمد: الإبدال في لغات الأزد دراسة صوتية في ضوء علم اللغة الحديث: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ع١١٧، ٢٠٠٢م.
٣٧- المرادي، حسن بن قاسم: الجنى الداني في حروف المعاني: تح: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.
٣٨- ناصف، مصطفى: النحو والشعر قراءة في دلائل الإعجاز: مجلة فصول، العدد٣، ١٩٨١م.
٣٩- يعقوب، إميل بديع: المعجم المفصل في شواهد العربية: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

الأشموني لألفية ابن مالك: تح: طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة التوفيقية، ط١، د.ت.
٣٠- الضبي، المفضل بن محمد: المفضليات: تح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون: دار المعارف، القاهرة، ط٦، ١٩٧٩م.
٣١- عمر، أحمد مختار: معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي: عالم الكتب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م.
٣٢- الغلاييني، مصطفى: جامع الدروس العربية: المكتبة العصرية، بيروت، ط٢٨، ١٩٩٣م.
٣٣- الفراء، يحيى بن زياد: معاني القرآن معاني القرآن: تح: أحمد يوسف النجاتي ومحمد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط١، د.ت.
٣٤- الفرزدق، همام بن غالب: ديوانه: شر: علي فاعور،



التاريخيُّ والمتخيّل السردِي دراسة في الرواية العراقية بعد 2003م

م. د. مرتضى حسين علي

The historical and imaginative narrations: a study in the Iraqi novel after 2003 AD

Lecturer Murtadha Hussein Ali

الملخص

تعدّ الرواية نوعاً أدبياً مميّزاً في الإبداع الأدبي والثقافي. والرواية بوصفها نصاً أدبياً تتفاعل مع مختلف النصوص الأخرى، حيث تنطلق من واقعها وتتفاعل معه لتكون شكلها الأدبي والجمالي، وحين نركّز في هذا البحث عن العلاقة بين تفاعل الرواية العراقية مع الجانب التاريخي لابد من رسم البيانات الدالّة في خصوصية الناحية التاريخية وكيفية توظيفها في الجنس الأدبي الروائي عبر بعض النماذج الروائية وأثرها في الفكر الحديث والمعاصر من أجل كشف الجوانب الأدبية والفكرية والجمالية والانخراط في أسئلة فكرية تسلّط الضوء على الجانب المضمّر من التاريخ العراقي من منظور نقدي مفتوح قائم على البحث والحوار. والمتّبع للمشهد الروائي العراقي يجد أن الاشتغال على التاريخ يشكّل الهاجس المعرفي الموجه للخطاب السردِي حيث يتمّ عبره الولوج إلى حبات سردية تربط الماضي بالحاضر سعياً منها في الكشف عن علاقة المتخيّل السردِي بالواقعة التاريخية.

الكلمات المفتاحية: الرواية والتاريخ، المتخيّل الروائي، الروائي التاريخي، الرواية والتراث.

Abstract:

The novel is a distinct literary genre in literary and cultural creativity. The novel as a literary text interacts with various other texts because it starts from its reality and interacts with it to form its literary and aesthetic form. When we focus in this research on the relationship between the interaction of the Iraqi novel with the historical aspect, it is necessary to draw data indicating the specificity of the historical aspect and how to employ it in the literary genre of fiction. This can be achieved through some narrative models and their impact on modern and contemporary thought in order to reveal the literary, intellectual and aesthetic aspects and engage in intellectual questions that shed light on the implicit side of Iraqi history from an open critical perspective, based on research and dialogue. The follower of the Iraqi novelist scene finds that working on history constitutes the cognitive obsession that guides the narrative discourse, through which access is made to narrative plots linking the past to the present, in an effort to reveal the relationship of the narrative imagination to the historical reality.

Keywords: novel and history, fictional novelist, historical novelist, novel and heritage.



بيوم كذا، وورخته" (١)، ويرد التاريخ عند ابن منظور (٧١١هـ) بقوله: "التَّاريخُ تعريفُ الوقتِ والتَّوريخُ مثله أَرخَ ليومَ كذا وقتَه" (٢)، ولا يبتعد مفهومه في المعجم الوسيط عن سابقه فهو يدلُّ على زمن الحادثة ووقتها" (أَرخَ) الكتاب: حدّد تاريخه... ونحوه: فصلّ تاريخه وحدّد وقته" (٣). لذا يرد مفهوم التاريخ للإعلام بالوقت مضافاً إليه الأخبار والوقائع التي ترد فيه.

التاريخ اصطلاحاً:

يعرّف ابن خلدون (٨٠٨هـ) التاريخ في مقدمته بقوله: "فن عزيز المذهب، جمّ الفوائد، شريف الغاية، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلافهم، والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياستهم. حتى تتمّ فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه" (٤). وجاء تعريفه في معجم المصطلحات الأدبية في اللغة والأدب بأنه: "جملة الأحوال والأحداث التي يمرّ بها كائن ما، وتصديق على الفرد والمجتمع، كما تصدق على الظواهر الطبيعية والإنسانية" (٥). ويرى (جبور عبد النور) في معجمه أن التاريخ "علم يبحث في الإنسان ومجتمعاته، موضحاً كل ما يتعلّق بالاقتصاد العام، والأتماط الفكرية والعلمية. فإن كلا من هذه المجتمعات هو كائن حيّ، وعلى التاريخ أن يصف أحواله وتطوره. وبذلك يُصبح هذا العلم سيرة عامة للإنسانية في جميع مظاهرها الاجتماعية منذ أقدم العصور إلى وقتنا الحاضر" (٦). ويضيف (د. فيصل دراج) أن علم التاريخ تأسس على "الإنسان النوعي الذي يسائل حاضره المكتشف ماضيه البعيد، كما لو كانت رغبة الاكتشاف تحوّل الماضي إلى حاضر إبداعي جديد" (٧).

لذا فالتاريخ يرتبط بالحقائق الماضية، وهو عملية نقل تلك الحقائق والبحث عن فتراتها الزمانية والمكانية بهدف تأصيلها ومتابعة تسلسلها التاريخي، والكشف عن جذورها التاريخية بصورة متزامنة مع واقعها الحاضر؛ لمعرفة نواحي القوة والضعف في مجالات الحياة الإنسانية كافة.

الرواية والتاريخ:

يعدّ التاريخ مادة مهمة للأدب، حيث ينهل الأديب من أحداثه وموضوعاته وشخصياته، لذا فإن العلاقة بين الأدب والتاريخ هي علاقة أزلية حيث يراهن الأدب على الإبداع والتخيّل لتحقيق الجمال في

شكّل التاريخ مادة مهمة للأدب لاسيما الروائي منه حيث ينهل الروائي من موضوعاته وشخصياته وأحداثه، فيتخذ منها المادة الأساس في تكوين صرحه الجديد القائم على الموازنة بين ماضيه وحاضره. والرواية التي تستلهم التاريخ في مضمونها تسعى إلى تحقيق التواصل في التجربة الإنسانية، فهي لا تنقل الحقائق بتفاصيلها بقدر ما تخلق لنا عالماً متخيلاً يتسم بالفكر والشعور، وأن الحقائق التاريخية لا يمكن أن تمثّل كما جاءت في كتب المؤرخين بل عن طريق تفاعل وحوار يقدمها الروائي بالطريقة التي يفكر فيها ويراهما، ذلك أنه في هذا المجال يقوم بتقديم الفكرة من التاريخ ليعيد إليها الحياة محاولاً بذلك تقديم التجربة الإنسانية بجوانبها المختلفة.

تصف الروايات التاريخية المعاصرة المشكلات الراهنة، فهي تعرض الأحداث والشخصيات ومشكلات المجتمع إذ تسلط الضوء على الجوانب الخفية التي ضللت واستبعدت لأسباب سياسية أو فكرية أو اجتماعية، فهي أكثر الروايات عرضة للنقد؛ لأن الروائي يتحرّك بمساحات ضيقة من حيث الزمان والمكان ولكنه من جانب آخر يستطيع التحرك عبر مخيلته بأساليب جديدة يبتعد بها عن التقريرية والمباشرة في نقل أحداث الماضي.

حفلت العديد من الروايات العراقية بأشكال عدّة من مظاهر التاريخ لاسيما السياسي منه، إذ تخلّت بدورها عن الشكل التقليدي الموعول في الماضي ونقل أحداثه بل اتسع منظورها ليشمل الكشف عن الجوانب المضمرّة منه وتطويع التاريخ وإعادة بناؤه فنياً، وتقديم قراءات جديدة تتسع لكل التجارب الإنسانية وإظهار قيمتها الفنية والجمالية، لذا ظهرت بعض الأعمال الروائية العراقية التي تعاملت بحذر مع التاريخ وتجاوزت الاسقاط المباشر في نقل الأحداث والشخصيات بأسلوب موضوعي قادر على تجاوز محنة الانزلاق في فخ الأحداث التاريخية بواقعيّتها وقداستها.

التمهيد:

التاريخ لغة:

ترد لفظة التاريخ عند الجوهري بأنه: "تعريف الوقت، والتورخ مثله، وأرخت الكتاب



التاريخيُّ والمتخيَّل السردِي ...

يشكّل الروائي التاريخ في متخيله بلغة فنية وجمالية مركّزا فيها على المضمّن من التاريخ، ومن هذا المنطلق تتحدّد معالم انتاجه الروائي، وأن التعامل مع التاريخ في المكوّن الروائي لا يشترط بالضرورة اعتماده بديلا للتخيّل الروائي، لذا يصف (كولز ويلسون) العلاقة بين الروائي والوقائع التاريخية بقوله: "إذا اعتبر المؤلف وضعًا تاريخيًا بوصفه امكانية غير معروفة وكشفه للعالم الإنساني. فإنه سيؤد وصفه كما هو. لكن ذلك لا يمنع من اعتبار الإخلاص للواقع التاريخي مسألة ثانوية بالنسبة لقيمة الرواية. إن الروائي ليس مؤرّخًا ولا نبيا إنه مكتشف للوجود"^(١٤).

لأشكّ أن الرواية التي تبني على أساس تاريخي تتضمّن وجود بنية تاريخية تتأسس عليها كما هي في الواقع لكنها في الوقت ذاته تسمو بدورها فوق ذلك الواقع بما يضمن اظهار الجوانب الإنسانية بصورة أدبية. وتتجلّى أهمية توظيف التاريخ في العمل الروائي عند دراسته لتاريخ الفرد والمجتمع بكل فئاته حتى المهمّشة منها، فالرواية بوصفها نوعا أدبيا تعمل على دراسة الفرد وايجاد العلاقة بينه وبين محيطه الاجتماعي، كما أن "التغيير في التوجّه الزمني وفي منطقة بناء الأنماط لا يظهر في مكان آخر بشكل أعمق وأعظم إلا في إعادة ترميم صورة الإنسان داخل الأدب"^(١٥). لذا يصف (جورج لوكاش) هذا النوع من الروايات بأنها "رواية تثير الحاضر ويعيشها المعاصرون بوصفها تاريخهم السابق بالذات"^(١٦). إذ ليس من الضرورة في الرواية التاريخية إعادة سرد الأحداث الماضية بقدر إيقاظ الشعور للناس الذين برزوا في تلك الأحداث، أي أن ما يهمنا هو معايشة دوافعهم الاجتماعية والإنسانية التي ظهرت في أفكارهم وشعورهم كما ظهرت تماما في واقعهم التاريخي"^(١٧).

وتقع على الروائي مسؤولية كبيرة عند تناوله للماضي التاريخي خاصة عندما يكون مفهومه عن الحقيقة التاريخية لا ينطبق تماما مع المضمون الموضوعي للتاريخ مثلما فعل (ديكنز) (١٨١٢-١٨٧٠) في روايته (قصة مدينتين) التي تتناول فيها أحداث الثورة الفرنسية نجده يكشف عن الاختيارات الشخصية لأبطال روايته وحجم الأزمة التاريخية في تلك الفترة المضطربة من التاريخ، وإن كان يعرض في روايته بعض الحقائق التاريخية فهي رغبة منه

حين أن التاريخ يراهن على الحقيقة والواقعية لتحقيق الموضوعية^(١٨). والرواية من بين الأجناس الأدبية التي اهتمت بالحضور التاريخي؛ كونها تحتاج إلى تلك الحوادث والشخصيات لبناء كيائها الجمالي. وعلى الرغم من حاجة الروائي للواقعية التاريخية في عمله الإبداعي إلا أنه يختلف عن المؤرخ الذي يهتم بدقة الواقعة التاريخية^(١٩)، فالروائي يوظف هذه الواقعية التاريخية وهو في الوقت ذاته لا يمثل نقلا أمينًا لمعطياتها كما هو حال المؤرخ^(٢٠).

لذا فالرواية التاريخية تزوج بين الكتابة الروائية والرواية التاريخية، فالتاريخ لا يسعى إلى إظهار تفاصيل مآسي الشعوب ومشاعرهم أو في نقل الحوار بين الطبقة الحاكمة وبين عامة الناس بقدر نقل تلك الوقائع من أسماء الحروب وتاريخها وأسماء الشخصيات المنتصرة والمهزومة. وهنا تكمن أهمية العمل الأدبي في نقل الجانب الإنساني وتبدّل المشاعر تجاه تلك الوقائع التي تتبادل فيها أدوار المجرم والضحية بقدر معايشة التفاصيل التي تجعلنا نعطي التبريرات المقنعة لتلك الوقائع"^(٢١).

إن التاريخ في مظاهره المتعدّدة "يلعب عددا من الأدوار شديدة الاختلاف على مستويات مختلفة من العمومية. وليس ثمة اتفاق حول الماضي التاريخي هل يتمّ تقديمه دائما على أنه فردي خاص مرّ وانقضى (أي يختلف عن الحاضر) أم يقدم هذا الماضي بوصفه نمطيا أي الحاضر أو على الأقل يشترك مع الحاضر في قيمه من خلال الزمن"^(٢٢).

تسعى الرواية التاريخية إلى تحقيق أهداف مهمة للمزاوجة بين الماضي والحاضر لاستشراف المستقبل، وعلى الرغم من اعتمادها على الوقائع التاريخية إلا أنها لا تمثل الواقع بكل تفاصيله بقدر توظيفه لخدمة المتخيّل الأدبي بطريقة فنية وجمالية. لذا تبقى الوقائع التاريخية عرضة للتحريف بما يخدم الضرورة الفنية، فالرواية التاريخية ذات طبيعة مركبة فهي تجمع بين التاريخ والرواية، والحقائق التاريخية التي تصل إلينا عبر العمل الروائي قد تكون غير مستقرة بسبب ظروف وقوعها واعتمادها على المدوّنين الذين يختلفون بدورهم بتسجيل تلك الوقائع، فضلا عن أن الرواية التاريخية لا تقدّم الحقائق المتعلقة بالتاريخ بقدر تصويرها للحياة الإنسانية"^(٢٣).



مع حدث ما، وتعطيه امتدادات كبيرة في الزمان والمكان وتخرجه من الوثوقية إلى النسبي. وإذا كان المتخيل ينشأ عن المادة التاريخية، فهو لا يعطي قيمة كبيرة للحقيقة التاريخية^(٢١). فالرواية التاريخية لا تنقل التاريخ بحرفيته بل في كيفية إظهاره بصورة سردية داخل المكون الروائي وفق قواعد المتخيل الروائي الذي يجعلها مختلفة عن الخطاب التاريخي^(٢٢). وهذا ما يؤكد (حسين خمري) في كتابه (فضاء المتخيل) إذ يجد أن المتخيل يعيد تشكيل بنى الواقع، وصياغته بصورة جديدة، حيث يمثل الواقع أحد عناصره الأساس. وبذلك يعيد صياغته وتشكيله وإعادة إنتاجه من جديد^(٢٣).

ولابد من الإشارة إلى أن التخيل في الروايات التقليدية يختلف في تصويره عن الرواية الحديثة، فالرواية التقليدية التزمت في وصف الأحداث ونقلها وارتكبت إلى المزج بين الواقع والخيال بصورة فنية جمالية لا تتعدى نطاق العقل نظرا لهيمنة التوثيق الموضوعي في تشخيص الذات والواقع، أما الرواية الحديثة فقد تجاوزت الواقع والخيال معا إلى التخيل وخلق عوالم قائمة على الانزياح والمفارقة وتجاوز الوعي والواقع إلى عوالم اللاواقع واللاوعي وهذا ما نجده في رواية التخيل التاريخي، والصوفي، والأسطوري^(٢٤).

وفي الحديث عن بناء المتخيل التاريخي في الرواية المعاصرة يرى (د. عبد الرحمن منيف) أن ما يميز الرواية التاريخية المعاصرة جنوحها للجانب السياسي حيث "أن الرواية التاريخية التي تعتمد على وقائع معاصرة، أو تعتمد على وقائع حدثت في فترة سابقة، تعد رواية سياسية بالدرجة الأولى، وتنبع أهميتها من القضية التي طرحها أو الهدف الذي تحاول الوصول إليه. فالرواية السياسية بمقدار ما تعتمد على الأحداث، في مفهوم معين، فإنها لا تخضع للتاريخ كوقائع أو كإطار، بصورة كلية ودائمة، ومن هنا يمكن عدها مختلفة نسبيا عن الرواية التاريخية بالمفهوم التقليدي^(٢٥). ولاشك أن هذا التصور حول الرواية التاريخية المعاصرة يشاركه فيه عدد من الروائيين من بينهم الروائي (أمين معلوف) ف "الرواية التاريخية عند أمين معلوف قراءة روائية سياسية للتاريخ أو قراءة روائية تاريخية للسياسات القديمة التي حكمت منذ قرون خلت^(٢٦). وكذلك في بعض

في اضعاء طابع الحياة المعاشة وطبيعة تلك الحقبة التاريخية، في حين تمكّن (والترسكوت) في روايته (قلب مدلوثنان) من الاستعانة بشخصيات غير تاريخية مثلت ملامح عصر كامل من تاريخ انكلترا^(١٨).

لذا فإن إعادة خلق الماضي التاريخي لا يشترط نقل الحقائق التاريخية بكل تفاصيلها بل يمكن أن تكون الشخصية المتخيلة تحمل حقائق تلك الفترة حتى وإن لم تكن تاريخية المهم كيفية تصوير الشخصية الإنسانية بجوانبها المختلفة التي يتم عبرها تكوين مفهوم شامل عن طبيعة الحياة وأشكالها في تلك الفترة.

ومن الضروري التفريق بين نوعين من الروايات التاريخية الأولى تفحص البعد التاريخي للوجود الإنساني، والثانية التي تمثل وضعا تاريخيا، أو وصفا لمجتمع في لحظة معينة، أو تاريخا مرويّا، فكل الأحداث التاريخية في العمل الروائي تترجم معرفة غير روائية في لغة روائية إبداعية تدرك عبرها حقائق التجربة الإنسانية بصورة متخيلة بكافة جوانبها، وليس مجرد تسليط الضوء على شخصيات وأحداث تاريخية^(١٩).

أصبحت الرواية التاريخية تاريخا متخيلا يدخل في التاريخ الموضوعي، فهي ليست مجرد سرد أدبي للتاريخ الموضوعي، بل أصبح التاريخ المتخيل بصورته الإبداعية يتجاوز تلك المظاهر الخارجية ليغوص في أعماق المضمّن من تاريخ الأفراد والجماعات والأحداث والوقائع الجزئية والعامّة من مشاعر وهواجس وتطلعات ورغبات وأفكار وقيم وتناقضات وصراعات وأزمات ومؤامرات وعوامل وأوضاع نفسية واجتماعية، وما يجمعها ويفرقها من أزمنة وأمكنة ومصالح فردية أو جماعية، فقد أصبحت الرواية التاريخية هي التاريخ الإبداعي متعدد المستويات والأبعاد الوجدانية والمعرفية للتاريخ الموضوعي نفسه^(٢٠).

تهدف الرواية التاريخية إلى إضفاء عنصر التخيل على الوقائع التاريخية، فقد حدّد الروائي الجزائري (واسيني الأعرج) ذلك بقوله: "التاريخ هو المادة المنجزة التي مرّ عليها زمن يضمن حدود المسافة التأملية بينه وبين تلك المادة. أما المتخيل فهو المادة السردية المنجزة التي تنشأ من خلال العلاقة الخلاقة



التاريخيُّ والمتخيَّل السردِي ...

تحولات عدَّة، فقد كان العراق مضطربا سياسيا منذ تأسيس الدولة العراقية وحتى استلام العسكر السلطة بانقلاب ١٤ تموز/ يوليو ١٩٥٨م، ثم دخل بعد ذلك صراعا دمويا على سلطة عبد الكريم قاسم (١٩٥٨-١٩٦٣)، بعدها جاء انقلاب تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٦٤م الذي أزاح سلطة البعث، لكنه عاد بانقلاب مضاد في ١٧ تموز/ يوليو ١٩٦٨م ليكونَ سلطته التي تصنعت الانفتاح على مختلف القوى السياسية، ثم عدَّ عدته لحرب طويلة مع إيران (١٩٨٠-١٩٨٨)، بعد ذلك اجتياحه الكويت عام (١٩٩١م) انتهت بحصار طويل نخر في بنية المجتمع العراقي وخزبه، فضلا عن القمع السياسي لمعارضيه، لينتهي الأمر بتسليم العراق للقوات الأمريكية والقوات المتحالفة معها، تجلَّى ذلك في دوامة عنف لا تزال قائمة حتى الآن، ممَّا جعل الإنسان العراقي مشغولا بين موت يهدده في كل لحظة سواء أكان ذلك في المعتقلات والسجون أم بين جوع أعوام الحصار، أم في تفجيرات يومية ومذابح طائفية بعد الاحتلال^(٢٩). لذا لجأ الروائيون العراقيون إلى تصوير الوقائع التاريخية السياسية عبر رواياتهم التي صوّرت أحداث العراق السياسية، ومن بينهم الروائي (غائب طعمة فرمان) الذي تابع تلك الأحداث في رواياته وأزمنتها التاريخية منذ الحرب العالمية الثانية حتى منتصف السبعينات، وهو يتابع الأزمنة التاريخية والعلاقات الاجتماعية من قيم وعادات وصراعات انسانية، وكذلك الروائي (إبراهيم الخطيب) في وصفه حقبة متتالية في عهد العراق السياسي الملكي والجمهوري في الطورين منه. ويتابع الروائي انقسامات السلطة عبر شخصياته الروائية التي تتجادب أو تتنافر فيما بينها وفق ظروفها وقناعاتها ومصالحها^(٣٠). وكذلك أشار الروائي (فاضل العزاوي) في روايته (مدينة من رماد) إلى آلية تاريخ السلطة السياسية عبر العلاقة بين الجلاذ والضحية^(٣١).

يتجلَّى توظيف التاريخ السياسي في الرواية العراقية في عدَّة روايات منها ما تناول تاريخ العراق السياسي قبل ٢٠٠٣م متمثلا في الاضطهاد والظلم الذي مارسه السلطة السياسية الحاكمة، وبعضها تناول حالة الانتقال من الحكم الدكتاتوري إلى مابعد احتلال العراق عام ٢٠٠٣م، والمدة التي تليها في تصوير حالة الفراغ السياسي والافتتال الطائفي من تفجيرات وصراع

أعمال الروائي (واسيني الأعرج) لا سيما في روايته (نوار اللوز تغريبة صالح بن عامر الزوفري) إذ "يتجسّد الامتداد بين التاريخي والواقعي من خلال السياسي والسياسي بكونه بنية تتجذّر من خلال علاقة الحاكم بالمحكوم بواسطة القهر والقمع هي ما تحكّم عمق الصلة الرابطة. وكأن التاريخ والواقع لا يتحقّقان إلا عبر سلطة الحاكم القاهرة والقامعة"^(٣٢). فضلا عن الأعمال الروائية الأخرى التي عالجت علاقة التاريخ بالسياسة ومنها روايات (جمال الغيطاني) التي نجدها تفيض بالمادة التاريخية الحية بوصفها عملا "إبداعيا نقديا عميقا عن ظواهر القمع والاستبداد والفساد واغتراب الإنسان في واقع الخبرة العربية المعاصرة. وفي روايات صنع الله إبراهيم في أبنية فنية رفيعة، متداخلة الأزمنة، متعدّدة التشكيل وقائع من التاريخ القديم والحديث... لتبيّن ملامح التردّي والانهيار والتفسّخ الذي ينخر في قلب الأوضاع العربية الراهنة"^(٣٨).

وفي الحديث عن الرواية العراقية وعلاقتها بتوظيف الوقائع التاريخية في السرد الروائي يتجلَّى البعد السياسي بشكل مميّز حيث لا تكاد أي رواية عراقية لا سيما المعاصرة منها أن تخلو من الجانب السياسي وبالأخص بعد عام ٢٠٠٣م نظرا لتردّي تلك الأوضاع وما شابها من اقتتال داخلي وتردّي الأوضاع المعيشة، فقد اقترن تردّي تلك الأوضاع بمخلفات النظام الديكتاتوري السابق وما خلفه من تهالك للمؤسسات وتحطيم البنى التحتية التي لا يزال العراق يعاني منها لهذه الفترة.

ونجد أن هنالك العديد من الروايات العراقية المعاصرة ملتصقة بشكل مباشر بالتاريخ العراقي الحديث، إذ وجد الروائي العراقي أمامه فيضا من الأفكار والمعاني وهو يسرد التاريخ السياسي والثقافي والاجتماعي بغية توظيفها في أعماله الروائية التي أصبح من الضروري تسليط الضوء عليها للكشف عن الجانب الإنساني ومعاناة الشعب العراقي في مواجهة حاضره وهو يستذكر ما أحلَّ به من عقبات تاريخية على الأصدعة كافة تكاد تعيد صورها في حاضره ومستقبله.

المبحث الأول: المتخيَّل السردِي والتاريخ السياسي شهدت الساحة السياسية في العراق



رحلة هروبه من العراق بعد ملاحقته من قبل السلطة البعثية بقوله: "عند الرابعة والنصف صباحا من العام ٢٠٠٠م كان هذا التوقيت بالضبط هو الوقت الفعلي لبداية ألم أكبر ولبداية هم لا ينتهي ولبداية موت جديد لا حياة بعده..كنت على مقربة من المنفذ الحدودي(طربيل) الذي استقبلنا بنفس الوجوه المكفهرة ونفس سدنة الموت، وقفنا بطابور منتظم كل منا ينتظر الجواز والعبور من الحدود الملتهبة للمرور حيث قعر الوجع"^(٣٥). تؤكد الحادثة استبداد السلطة في ملاحقة معارضيهما وتصفيتهما، ويسرد لنا (أحمد) أحداث سقوط النظام عام (٢٠٠٣م) ودخول القوات الأمريكية ليجد نفسه أمام عالم لا يملك بوصلته الحقيقية وما يخفيه من أخطار تهدد حياته ومستقبله" في بداية العام ٢٠٠٣م كانت القطعات العسكرية الأمريكية تشن هجوما جويا على العراق لتترك الدولة وتحول وجهتها إلى الحرب"^(٣٦). لذا يدرك (أحمد) أن السلطة السياسية حوّلت العراق إلى سجن كبير يهدد مواطنيه ممّا ولّد حالة الخوف من المجهول الذي ينتظره "شعرت فعلا أنني خائن لأنني ولدت في بقعة لا تمنح ساكنيها الراحة أبدا بل تزج بهم إلى المقابر، إلى الموت، إلى الدمار والخراب، إلى الفناء"^(٣٧). أدرك (أحمد) أن الخروج من قبضة السلطة السابقة أدخله في قبضة الاحتلال والموت، فلم يجد الفرق بين سلطة تحاول السيطرة والتحكم بمقدرات البلد وبين سلطة تحاول أن تحمي مصالحها ونفوذها في الشرق الأوسط.

وفي رواية (وحدها شجرة الرمان) للروائي(سنان أنطوان) تسرد الوقائع التاريخية السياسية التي عصفت بالبلاد أيام النظام الديكتاتوري السابق وفترة ما بعد الاحتلال عام ٢٠٠٣م لتبين حالة الفوضى وعدم الاستقرار، إذ يسرد (الشيخ الفرطوسي) تاريخ الانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١م بقوله: "تحدثت الأخبار على الراديو عن انتفاضة بدأت شرارتها في البصرة وأخذت تعمّ مدن الجنوب بعد أن نادى بوش الشعب العراقي لأن يأخذ الأمور على عاتقه. أنت تعرف بقية القصة. غيروا النخمة بعد عدّة أيام ولم يهبّ أحد لمساعدة الذين ثاروا. ثم جاء الحرس الجمهوري وبطش وذبح وصار الكل يسمى غوغاء"^(٣٨). يتضح البعد التاريخي في الرواية في كيفية

على السلطة. وتمثّل رواية (المحرقة) للكاتب(قاسم محمد عباس) تاريخ العراق السياسي قبل ٢٠٠٣م، لتوضّح حالة الحرب التي استمرّت لثمان سنوات في صورة أصبحت جزءا من ذاكرة الوطن التاريخية، فقد اسهمت الرواية في الافصاح عن تاريخ الجنود العراقيين الذين غيبتهم الحرب وزادت من معاناة شعب يريد الخلاص من النظام الديكتاتوري المتعسف. تدور أحداث الرواية حول شخصية (مروان) الطالب الجامعي الذي يحلّ محلّ أخيه في المعركة ليجد نفسه جنديا في محرقة لحرق الأطراف البشرية المتبقية من الحرب" فالمحرقة كانت الجزء الأخير من هيكل المركز الطبي الذي اختيرت كوادره من المدنيين الذين يساندون القطعات الطبية العسكرية"^(٣٩)، فالمحرقة تمثّل حياة الجنود الذين استشهدوا في المعارك، تاريخ المغيبين بين قتل وسجون "جيل تحطّم على مرأى من نظر العالم، لا أدري كيف سيتحدثون عنا فيما بعد"^(٤٠). هذا الحوار الذي قدّمه (مروان) يكشف عن وثيقة تاريخية مهمّة من حياة العراقيين، وثيقة جيل منهار استبعد وهُمّش، لتؤكد حالة الاستبداد السياسي للنظام السابق في الاهتمام بالحروب والقتل والسيطرة على السلطة.

وتتحدّث رواية (بوصلة القيامة) للروائي (هيثم الشويلي) عن معاناة الشخصية الرئيسة(أحمد) وأبوه (النقيب جليل)، ليسرد قصته الممتدّة من ستينيات القرن الماضي حتى عام(٢٠٠٣م)، مصوّرا الكثير من الوقائع التاريخية السياسية من اعتقالات واستباحة حرمان عبر مشاهد القتل والاعتقالات التي طالت معارضي السلطة، فالنقيب (جليل) يمتلك وعيا ثوريا أراد عبره تغيير نظام الحكم البعثي"فلول البعث ترصدني وعائلتي، ولها في كل مكان عين وأنا أخشى على هذا الطفل منهم فإنهم إن عرفوا أنه ابني فلن يرحموا على الرغم من أنه ما زال قطعة لحم صغيرة تشعّ من بين جنباتها البراءة كقطعة من قماش بيضاء لا تشوبها شائبة"^(٤١). لذا نجد أن التاريخ السياسي للنظام السابق حافل بالممارسات القمعية والاساليب الاستبدادية لتصفية معارضيها، ولم يكتفِ النظام السابق بملاحقة الضباط والثوار المعارضين لسياسته بل ملاحقة أبنائهم وأقربائهم، إذ يسرد لنا (أحمد جليل)



التاريخيُّ والمتخيّل السردِي ...

وإنّما تصف العادات والأفكار والممارسات والتقاليد السائدة"^(٤٠). ومن النماذج الروائية التي تستحضر التاريخ الثقافي رواية (أساتذة الوهم) للروائي (علي بدر) فهي تشير إلى مشكلة الضياع الثقافي وضياع الهوية لنخبة من الشعراء في فترة الثمانينيات من القرن الماضي، فهي تعدّ خلاصة الحياة الثقافية التي عاشها المثقفون في بحثهم عن فلسفة الحياة وهم يجابهون الموت والتهميش في ظل الحروب. تدور أحداث الرواية عام ١٩٨٧م، لمجموعة من الشعراء يمثّلون أزمة المثقف العراقي في علاقته بالسلطة والحرب" لقد ماتوا...نعم، ماتوا ولم ينشروا شيئاً ولم يسمع عنهم أحداً، ولكنهم موجودون في هناك، في المدينة المحلومة، في الشرف الرفيع للمجهولين إنه لشرف ما بعده شرف طالما لم يعد لشرف أمتي بعد الحرب أي معنى في حياتي"^(٤١).

يتضح عبر النص الروائي التاريخي الثقافي الذي مرّ به العراق بوصفه لحالات التهميش والاقصاء الثقافي في الثمانينيات وهو يعيش أزمة صراعه الداخلي في مواجهة ظروف الحرب. فشخصية (الدكتور إبراهيم) تختار الشعر للهروب من منغصات الحياة وخيبة الأمل في مواجهة الحرب والاستبداد الثقافي، فالشعر بالنسبة له هو النقاء الروحي الذي يستطيع عبره التغلّب على القوى التي تكبّل حريته "فالشعر نسبة له هو الذي دفعه إلى السمو والتعالّي، ذلك أنه أشبه بالموت لأنه انتصار على الحياة. وهو الذي جعل الشاعر مهربة الشيطان، الشيطان في الحنين إلى اللانهاي واللامحدود... قال إنه يؤدّ أن يكون فاوست آخر يسعى إلى اكتناه أسرار الوجود والقبض على مفاتيح الحياة وحلّ لغز الكون"^(٤٢). يحاول (إبراهيم) أن يحيلنا إلى شخصية تاريخية (فاوست)^(٤٣) للدلالة على حالة التمرد على الأوضاع القائمة محاولاً إثبات وجوده عن طريق التوجّه إلى الشعر الذي يعدّه سلاحاً يشهره وقت ما يشاء على الحياة المعدّمة وهو يناقش مسألة الحياة والموت.

ومن جانب آخر يحيلنا الروائي إلى قضية بالغة الأهمية في تصويره حالة الازدهار الثقافي في الثمانينيات متمثلة بـ"إعلانات عن حفلات الفرق الأجنبية القادمة إلى بغداد...فرقة شكسبير تقدّم هاملت على مسرح الرشيد، فرقة الجاز في فندق المنصور ميلاً، أسبوع الأفلام الروسي على قاعة المسرح

قمع الثورة الشعبانية وتشويه صورتها أمام المجتمع العربي والعالمي بوصفهم (غوغاء) خارجين عن سلطة الدولة، والذين جرى تعذيبهم وتصفيتهم بوحشية للإمساك بالحكم.

وفي حادثة أخرى يتجلّى البعد التاريخي في الرواية بذكر حالة الفراغ السياسي والاقتتال الداخلي بعد احتلال العراق عام ٢٠٠٣م، إذ يذكر البطل (جواد كاظم) أثناء عمله في المغيسل حالات القتل اليومي على يد الأمريكان فضلاً عن التفجيرات اليومية في العراق بقوله: "الموت أكثر سخاء بفضل الأمريكان. حمودي كان يجيء مرّة في نهاية الشهر لتسليم نصف دخل المحل. وفي كل مرة كنتُ أسأله فيها عن أحواله وعن الشغل، كان يقول إنه يزداد وكنتُ أعرف ذلك لأن ما يسلّمني إياه يزداد كل شهر. سألته ذات مرّة عن الذين يغسلهم فقال إن الكثيرين منهم يموتون برصاص الأمريكان، لكن هناك الكثير من ضحايا الجرائم التي انتشرت بشكل لم يسبق له مثيل، بالإضافة إلى التفجيرات والمفخخات"^(٤٤). لذا يصف الروائي المشهد السياسي بعد عام ٢٠٠٣ بالدموي تكثرت فيه النزاعات الداخلية والجرائم والقتل اليومي فضلاً عن التفجيرات التي تطال مختلف أبناء الشعب العراقي وهذا المشهد لا يختلف كثيراً عن حالات القمع والقتل وتكميم الأفوّه التي سادت عصر الدكتاتور السابق في الخوف على السلطة وقتل معارضيه.

المبحث الثاني: المتخيّل السردِي والتاريخ الثقافي

وظّفت الرواية العراقية الموروث الثقافي في بعض نماذجها الرواية عبر حالات الانتماء والهوية، وسعت إلى رسم صورة تختلف عن الصورة التقليدية التاريخية المتعارف عليها، فقد حاول الروائيون خلق شخصيات روائية متخيلة تسعى إلى الانتماء الفكري لتلك الشخصيات الثقافية الموروثة في محاولة منها لإثبات هويتها، أو للهروب من الواقع المعيش باستحضارها ومساءلتها عن واقعها المقلوب سعياً لتغيير واقعها أو الانتماء إلى واقع خيالي تعيشه مع تلك الشخصيات لإدانة حاضرها المتردّي.

تسعى الرواية التي تستحضر التاريخ بأبعاده الثقافية إلى إظهار المشكلات الراهنة عبر قيمتها التاريخية المتجددة، فهي "لا تصف حوادث معيّنة،



من الماضي يعتمد إلى المقارنة بين تاريخها وبين تاريخ معاصر يشهد صراعا على سطح العلاقات الإنسانية والفكرية. وهذا ما نجده في شخصية (فاهم) الذي أراد أن يبيّن أن الفكر المجتمعي في وقته لا يختلف عن سابقه في زمن (الرصافي) وهو في ذلك أراد أن يقف موقف المتمرد على الأفكار الرجعية التي امتدت لعهود طويلة" أيها الشاعر الكبير..أنا أشاركك مواقفك المتمردة والغاضبة على أجدادنا. لكن الآن أفق متمردا ضد أقراني الذين أراهم يبنون أفكارا أقدم من أفكار أجدادي.. فكيف الحال سيدي" (٤٧). يتضح البعد التاريخي للشخصية الثقافية وكيفية محاربتها للتخلف الثقافي والاجتماعي منذ القدم، لذا أراد الروائي أن يبيّن امتداد ذلك التخلف الفكري إلى وقته الحاضر في واقع لا تبتعد أفكاره الحاضرة عن ماضيه.

وفي مشهد روائي آخر يطلعنا الروائي على تراجع الثقافة في العراق لاسيما بعد ٢٠٠٣م وتراجع اقبال المواطنين على دور السينما والمسرح والاكتفاء بالمشاهد السياسية المتناحرة وصور المباني الثقافية المهدامة، وهذا ما نجده في وصف (فاهم) للمباني الثقافية أثناء حديثه مع وديعة " كانت روايات الحرائق وخرائط السخام المنتشرة على المباني ووجوه المارة الخائفة من لحظة مجنونة... في شارع السعدون رأيت سينما السندباد وأطلس والنجوم والنصر وبابل كلها تحوّلت إلى بنايات مهدمة وزجاج متناثر وأكوام من الأنقاض ومزابل... انظري إلى هذا الشارع الضيق المحاذي لسينما النصر هناك مسرح بغداد... هناك تعلّمت أبجدية الثقافة والإنسانية.

- أرادت أن تواسيني فقالت: ليش هي السينما والمسرح وحدهما اللذان أهملنا مو حتى الإنسان أهمل وأصبح سلعة رخيصة.
- كأن كل ما ناضلنا من أجله، أنا وزملائي سرابا لم نتحرّر من التخلف والفساد الأفكار الرجعية تنتعش في البلاد كالوباء" (٤٨).

لأشك أن تراجع الحركة الثقافية في العراق يرجع إلى ارتباطه بالوضع المتأزم الداخلي المتمثل بالاحتلال والحروب الداخلية التي لم تفسح المجال لأي حركة فكرية أو ثقافة وافدة جديدة يمكن أن يكون لها صدى فكري يطمح نحو رؤيا ثقافية مستقبلية، بل أصبحت الثقافة في العراق لاسيما بعد الاحتلال

الوطني" (٤٣) على إنها كانت تمثّل تحديا "لاتجاه إيران الإسلامية، ومن جهة أخرى كان تدعيما لحركة اجتماعية معادية للحركات السياسية الدينية في الداخل، واستجابة لمتطلبات العلاقة مع الغرب" (٤٤). فتاريخ الحركة الثقافية المدنية في الثمانينيات كانت تقف وراءها توجّهات سياسية من قبل سلطة النظام السابق للابتعاد عن الفكر الديني الذي تتبعه دولة إيران الإسلامية ومعاداة الحركات الدينية في داخل العراق تبعا لظروف الحرب مع إيران ونشر الأفكار الغربية. ممّا "أوصلنا إلى نوع من التناقض الفصامي إن جاز التعبير، وأدّى إلى تهدّم الحياة المدنية في التسعينيات، ذلك أن القهر السياسي لن يسمح بتطور حياة مدنية بالمرة" (٤٥).

ويشير الروائي إلى أسباب التدهور الثقافي في العراق هو التمسك بالمرور التاريخي وكذلك الانبهار بالثقافة الأوروبية الحديثة دون أن يحقّق ثقافته الجديدة النابعة من تجديد موروثه العريق "ربما مشكلتنا نحن في بغداد هي التقليد الأعمى، فتاريخنا الحديث هو تاريخ قراءة وإساءة قراءة أكثر ممّا هو تاريخ تجربة... لا شيء يفصلنا عن التاريخ مطلقا، كلنا. فالمشايخ في الجوامع قرأوا كتب التاريخ الضخمة وأرادوا تطبيقها كما هي، والمثقفون المعاصرون قرأوا ثقافة أوربا، وأرادوا تطبيقها كما هي، إنهم يعيشونها وكأنها حاضرة في دهمهم وروحهم، وبدلا من أن يفرز الواقع والأفكار، أصبحت الأفكار هي التي تريد خلق الواقع. ولذلك فقدنا البوصلة" (٤٦). وفي العراق ربما يكون تقليد الثقافة الغربية ناجما من انحسار الدور الطبيعي للحركة الثقافية في ظلّ السياسات المتعاقبة والاهتمام بالعمل السياسي الذي جعل من المثقف العراقي يقرأ عن الثقافات الغربية الأكثر توسّعا في مجال التجربة الإنسانية وظهور الفلاسفة والمفكرين الغربيين فضلا عن انتشار الكتب المترجمة عن الغرب التي استحوذت على اهتمام الطبقة المثقفة في ذلك الوقت.

وفي رواية (زهامر x) للروائي (عبد الزهرة علي) يستحضر الروائي شخصية الشاعر (الرصافي) (٤٧) لتكون شاهدا على التدهور الثقافي والإنساني في العراق، هذا الشاعر الذي عرّف بتمرده على التخلف والأفكار الرجعية، فالروائي عند ذكره شخصية ثقافية



التاريخيُّ والمتخيَّل السردِي ...

الدولة العراقية حتى اليوم^(٥٠). يتضح من النص الروائي حالة القمع التي تتعرض لها النخبة الثقافية في العراق بهدف إشباع المصالح السياسية ومحاربة الكفاءات العلمية والثقافية بهدف عدم إطلاع الشعب على ثقافات الدول وتاريخها ودورها في محاربة الفكر الرجعي والثورات التي حصلت في تلك البلدان وما صاحبها من تغيير على المستوى السياسي والثقافي. لذا يجد الروائي صدى لمحاولات إعادة كتابة التاريخ "بوصفها الحركة الثقافية في المجتمع من جهة، وحقلاً ثقافياً مهماً في انتاج الوعي الثقافي من جهة أخرى"^(٥١).

المبحث الثالث: المتخيَّل السردِي والتاريخي الديني
وظفت الرواية العراقية في بعض نماذجها الوقائع التاريخية الدينية؛ لأجل استذكار حدث تاريخي لا يخلو من قصيدة لا سيما عند انصهار الحاضر بتكوين تلك الوقائع وإعادة تشكيلها لخلق أفكار جديدة تأصل جذورها من الماضي لإدانة الحاضر. وسعت الرواية العراقية إلى تقديم التاريخي الديني برؤية جديدة، إذ لم يعد التمثيل الحي للتاريخ يشكل الغاية الأساس بقدر ما يمثل من تجارب أحدثت آثارها الإنسانية بصورة نمطية في حاضرها ومستقبلها^(٥٢).

تشير رواية (بنادق النبي) للروائي (سالم حميد) إلى تاريخ الديانة المانوية ونبياها (ماني البابلي) الذي ذكره (ابن النديم) في كتابه (الفهرست) بقوله: "وزعم ماني أنه الفارقليط المُبشِّر به عيسى (عليه السلام) واستخرج ماني مذهب من المجوسية والنصرانية وكذلك القلم الذي يكتب به كتب الديانات مُستخرج من السرياني والفارسي"^(٥٣). ولم يكن الروائي (سالم حميد) أول من تطرَّق إلى (المانوية) في روايته بل سبقه في ذلك الأديب (أمين معلوف) في روايته (حدائق النور) حيث أشار إلى التسامح الديني الذي يقوم في جوهره على احترام الآخر ونبذ التطرُّف والتعصُّب الديني "ومما يدعو للانتباه هو دقة المعلومات التاريخية عن ماني والملوك والأباطرة الذين سعى ماني إلى نقل دعوته إليهم، وقدرة الروائي الإضافة من خيالاته وسدَّ ثغرات التاريخ ببناء حلقات مهمة في ماضي الديانة المانوية... وكان أمين معلوف يتحدث عن رؤيته الخاصة للعالم، فأعماله الروائية المنتكبة على التاريخ التي تدعو لعالم روائي مثالي يطمح للتسامح محاولاً تجسيد ذلك بأمثلة

تحاول أن تخرج من التوتُّر والإعلام السياسي المهيمن عليها والذي حاول تغيير مسار الثقافة نحو توجهاته السياسية.

وتشير رواية (عجائب بغداد) للروائي (وارد بدر السالم) إلى انحسار الواقع الثقافي في العراق بسبب الصراعات الدموية التي جرت على أرضه، حيث الرواية بحادثة مقتل الإعلامية العراقية (أطوار بهجت)^(٥٤) في (٢٢ فبراير ٢٠٠٦م) مع أفراد عملها في سامراء، لتؤكد حالة الفوضى الداخلية وتأثيرها على الحركة الثقافية وحرية الرأي في العراق. وكذلك في تسليط الضوء على واقع العراق الثقافي في العراق بعد تعرُّضه لحالة التهميش والاقصاء منذ زمن النظام السابق وحتى بعد الاحتلال وهذا ما أكده الروائي في أثناء طرحه آراء شخصية (الأستاذ الجامعي) في تصوير حالات الاغتيال اليومي التي يتعرض لها نخبة من العلماء والأدباء والمفكرين بقوله: "كان عليّ أن أهاجر كما هاجر أساتذة وكفاءات وطلبة ومعلمون ومهندسون وضباط وصحفيون وأدباء وعاطلون ولصوص ونساء ورجال وصبيان وبنات.. كان عليّ أن التحق بتلك القوافل التي نجت بأرواحها وعقولها... رصاصتان أخطأتني وحالة خطف واحدة نححت بسهولة مطلقة"^(٥٥). يوحي لنا المشهد السردِي طبيعة الحركة الفكرية بعد الاحتلال وأثر الصراعات الداخلية في تحجيم دور المؤسسة الثقافية في العراق عبر عمليات القتل أو الخطف أو التهجير بغية القضاء على الكفاءات العلمية والثقافية التي حاولت النهوض بالواقع الثقافي ونشر الأفكار المعادية للحروب والطائفية ونزاعات السلطة.

لذا يشير (الأستاذ الجامعي) إلى أن الشعوب تصنع حضاراتها بالفكر والمعرفة، وسبب تأخر الدول يكمن في سياساتها المحجفة في حقِّ علمائها ومفكرها "عندما قرأت التاريخ وجدتُ أن الحضارات معرفة وعلم في كل وجودها المتصارع. هناك دول تصنَّع المعرفة تصنعها كما تصنَّع السيارات.. مشكلتنا تكمن في التاريخ الشخصي العقيم. صدام حسين خاض حرباً إلكترونية عن بُعد بعضاً الجاهلية وخطابات اللسان العربي... في حين أن الحياة العصرية تتطلب دهاء المعارف والعلوم وتقنيات الحداثة التكنولوجية... هناك في الحياة معارف كثيرة لم تأخذ طريقها إلى الحياة. لسنا شعباً جاهلاً، لكن سلطانتنا جاهلة منذ تأسيس



من الماضي لعل البشر تعتبر^(٥٤).

وفي رواية (بنادق النبي) تتجسد الأحداث عبر ثلاثة أصوات وهي صوت البطل (أسمر بن شولي) المصاب بنوع من الذهان الذي أدى به إلى فقدان الاتصال مع الواقع "أنا أعاني من انفصام في الشخصية، وحسب الروحانيين تتقمصني روح لم يتم التعرف على هويتها بعد، غير أنني أعرف أنها تعود لرجل مانوي مجهول، أو ربما لأحد تلاميذ النبي ماني أو للنبي نفسه وقد تقبلت هذه الروح الغريبة في جسدي على مضض، ثم اعتدت على الأمر شيئاً فشيئاً، وبدأت أعتاد على وجوده في ذهني، أما الآن فلا أتصور نفسي بدون هذا المانوي الذي ينام ويصحو معي، ربما لا يمكن أن تحمل الوحدة، ولا يمكن أن اتخيل خروجه من نفسي، فأنا وهو نتقاسم هذا الجسد منذ أن قرأت كتاب النبي ماني لكن الأمر لا عدالة فيه، لأنني أنا من يتحمل الآلم والمعاناة، بينما هو لا يشاركني إلا في الآراء، ويحدثني ويذكرني بالأمر التي قد تعيب عن ماني"^(٥٥)، وصوت (النبي ماني) الذي ينطلق من شخصية (أسمر) "أنا المانوي الذي يتقمص جسد أسمر، وأنا لا أعرف هل أنا النبي ماني نفسه أم واحد من أتباعه.. فالأرواح ليست لها ذاكرة واضحة، وحتى لو كنت أعرف فلن أصرح أبداً بهذه الحقيقة، وليس صحيحاً من أنني لا أتألم ولا أعاني كما يدعي صاحبي أسمر، ففي أحيان كثيرة لا يستشيرني، وإنما يتخذ قرارات مستعجلة ومتهورة"^(٥٦)، ثم صوت الراوي العليم الذي يؤكد حقيقة التشبث الذهني للبطل في طرح فكرة القرين الذي يصاحب بطل الرواية "كان المانوي قابعا في نفس أسمر، يحادثه في بعض الأحيان ويهمس في نفسه: لا تنس الرسم.. لا تنس مخطوطة النبي ماني، اقرأ، تعلم أي شيء"^(٥٧).

لم يكن الغرض الرئيس في الرواية نشر تاريخ ثقافة الديانة المانوية بقدر الانزياح الذي رافقه من تسليط الضوء على فكرة الاقتتال الطائفي في العراق لا سيما بعد ٢٠٠٣م الذي أدى بتباعد الأفكار المتسامحة التي نادى بها الأديان واحترام الرأي الآخر وعدم تكفيره وقتله ونشر مبادئ السلام والحب والحرية.

وفي موضع آخر من الرواية يشير الروائي إلى التاريخ الديني المتمثل بقوم (يأجوج ومأجوج) الذين ذكرهم القرآن الكريم "قَالُوا يَا دَا الْقُرَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا

عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا"^(٥٨)، وبيان فسادهم في الأرض وكفرهم، إذ يذكر لنا الروائي طبيعة العلاقة بين هؤلاء الأقوام وبين البشر قديماً متمثلة بمحاولة إزاحة الجدار الفاصل بينهما بألسنتهم الخشنة، وحديثاً بمحاولة البشر نشر الشر والبغضاء بألسنتهم والتحريض على قتل الآخر" قال اسم: في الحقيقة بين الحرب والسلام غشاء رقيق من المشاعر. قال المانوي: بين البشر وقوم يأجوج ومأجوج جدار من الحجر، لكن ليأجوج ألسن خشنة تلحس بها هذا الجدار، وكأما تلحق دماء بني الإنسان.. اللسان هو الخطر سواء عند الجن أو عند الإنسان، فالإنس لا تلحق الجدار الفاصل، إنما تثير القلاقل بألسنتها الخشنة... الشر قريب منا، هذا ما تريد أن نخبرنا به الأحداث والقصص"^(٥٩). استطاع الروائي بأسلوب أدبي مميز من استدعاء التاريخي الديني ليدمج في هموم بلده المعاصرة المتمثلة بنشر الأفكار المتطرفة ومحاربة الآخر وتهميشه واستقصائه بوساطة اللسان المتطرف الذي يدعو لسفك الدماء والتحريض على الحروب مثلما كان قوم (يأجوج ومأجوج) يحاولون بوساطته هدم الجدار للتلذذ بقتل الناس ونشر الظلم والفساد.

وفي رواية (صحراء نيسابور) يطلعنا الروائي (حميد المختار) على تاريخ المتصوفة، إذ يذكر لنا ناشر الرواية (محمد البدوي) فكرة الرواية بقوله: "ينقلنا الروائي العراقي حميد المختار إلى عالم صحفي يسعى إلى انجاز بحث عن أحد المراجع الدينية والصوفية، إنها رحلة مسكونة بجملة من الخوارق والكرامات تنخرط في إيقاع الحياة اليومية في الظاهر ولكنها تنقلنا إلى عوالم أخرى غريبة أحياناً... هي رحلة الانعتاق تتوق إلى الحرية، حرية الجسد وحرية الروح والعقل المكبل بكل العادات والموروث الثقافي والحضاري"^(٥٩). كما سعى الروائي إلى إظهار تلك الحرية وكيفية الخلاص من قيود الحياة ومنغصاتها عبر ذكره زيارة قبور الأولياء والمتصوفة وهي من الشعائر الدينية التي تمارس منذ القدم وحتى وقتنا الحاضر، حيث كلف مدير التحرير بطل الرواية (الصحفي) بالكتابة عن قبور الأولياء والمتصوفة "قلبت القائمة وقرأت ما فيها وإذا بها تحتوي على كثير من أسماء الأولياء فقد ابتدئت بمعروف الكرخي وبشر الحافي والسري السقطي والحارث المحاسبي والجنيد البغدادي وأحمد



للظلم والاستبداد وما تحمله من معانٍ سامية يمتدّ صداها لعقود طويلة وهي تذكّرنا بتلك المعركة الأليمة التي تخلّى فيها الظالمون عن أبسط مقومات الإنسانية في حرمان أهل البيت (عليهم السلام) من ماء الفرات لتصبح تلك الفاجعة معادلاً موضوعياً يسلّط الضوء على الظلم ومن يمثّله أمام الآخر المضطهد، حيث تروي (أم حسن) إحدى قصصها حول شحة ماء الفرات عن الأهالي وارتباط ذلك بالحادثة التاريخية الدينية عندما حرم الحسين وأهل بيته (عليهم السلام) من ماء الفرات "زينب أخت الحسين..ارتفعت وهي تحمل أخاها الجريح وراحت تحوم بالهواء فوق رؤوسهم، جانت رأسها شامخة تنوش الغيوم...سمعوا صوت مو واضح قال لهم: هذا الحسين الجريح اطلبوا غفرانه أيها العراقيين، لأنكم تحملون اللعنة وراح تمر السنين محملة بالكوارث والآلام والأمراض والغزاة القساة وراح تذوقون العذاب والهون إلى أن يغفر لكم الحسين الشهيد خذلانكم له" فدلالة ماء الفرات في المقطع السردِي تشير إلى علاقة التاريخية بين الماضي والحاضر بما يحمل من دلالة وقوف الشعب العراقي وصمودهم في وجه تحديات زمن الحرب والحصار الاقتصادي وما تبعه من موت وجوع. لذا تكاد الرواية "أن تصبح الوعي الإبداعي الأدبي بالنسيج العميق المتشابه لخبرتنا الإنسانية التاريخية المعاصرة، في خصوصياتها وعموميتها"^(٦٤)، بما يجسد الطابع الفكري الذي يجسد المواقف الطبقيّة والهجوم والأزمات النفسية والاجتماعية بمستوياتها كافة الطبقيّة، لتنتفتح على مساحات واسعة يتمثّل فيها العمل السياسي والاجتماعي المحور الأساس بتصوير الفيض الإنساني الإشكالي وعلاقته بالزمن التاريخي المعبر عن تلك الأزمات في وقتنا الحاضر.

لذا أصبحت الرواية لاسيما الحديثة تاريخاً متخيلاً تحلّق في فضاءات زمنية مختلفة، فهي لاتعدّ سرداً للتاريخ الموضوعي في صورته الخارجية بل تغوص في أعماق التاريخ الإبداعي المتخيّل الذي يجاوز المظاهر الخارجية لينقل صورة ما يدور بين الأفراد والجماعات والأحداث والوقائع من أفكار وأيديولوجيات ومشاهد وقيم ومواقف وصراعات تتفاوت فيما بينها في مراحلها التاريخية لتؤكد طبيعة تلك المواقف في ربط الحاضر بماضيه في صورة متخيلة

النوري وأبو بكر الشبلي والحسين بن منصور الحلاج وابن عربي والنفري وبهلول المجنون وإبراهيم بن آدم ومحمد بن علي الجبلي... حيث كان أبي يأخذني في ليالي الخميس إلى تلك المراقد ليشارك الدراويش والعرفاء في طقوسهم التي كانت تخيفني كثيراً"^(٦٥). يستعرض الروائي مجموعة من أسماء المتصوّفة وتاريخهم إشارة منه إلى عاداتهم وكيفية ممارسة طقوسهم العبادية، وهو يرى أن تلك الطقوس فيها تربية للنفس والقلب في تطهيرهما من الرذائل وهو المبدأ الذي يقوم عليه الفكر الصوفي "تلك الفسحات التي تقودك إلى مسالك نور الأرواح الخافت الذي يضيء مكامن النفس التواقفة إلى ضوء ما يخلّصها من متاهات اللامتناهيّة حتى أنني بدأت أنسى الأصحاب وعقدة حياتي وإحساسي بالعجز"^(٦٦).

كذلك يشير الروائي إلى كتاب نهج البلاغة، إذ يبدأ فصل الرواية الثاني بـ (المخطوطة الملكية) التي تبيّن عظمة الخالق وكيفية تقرب الإنسان إليه "اللهم اغفر لي ما تقربتُ به إليك بلساني ثم خافه قلبي، اللهم اغفر لي رمزات الألحاح وسقطات الألفاظ وشهوات الجنان وهفوات اللسان"^(٦٧). إن عودة الروائي إلى التاريخ الديني من أدعية ومعتقدات وطقوس عبادية يهدف إلى إيجاد العلاقة القائمة بين الحاضر وتاريخه القديم، وكيفية رؤية الإنسان لمعتقداته الدينية وكيفية توظيفها في تطهير نفسه من شرورها لاسيما في زمن كثرت فيه الحروب والموت، فأصبح الإنسان بحاجة إلى فهم فلسفة الحياة بكل جوانبها للخلاص من واقعه المتشظّي "لقد كان مشهد الوجود دفقا من ماء الحياة يُحيي الأرض وينبت الزرع ويزيد الحرث والنسل، إنه طلسم الوجود وسرّ الينبوع الخالد للإنسان وتعويذة السماء التي أقامت للإنسان متاريس وجواشن ضد الرغبات الوحشية والنفس اللوامة والقلوب الضالّة بصخب الأبالسة والشياطين"^(٦٨).

وفي رواية (الصمت حين يلهو) لـ(د. خولة الرومي) نجد استحضار الواقعة التاريخية الدينية (معركة الطف) وكيفية توظيفها في تاريخ العراق المعاصر لاسيما التسعينات من القرن الماضي (الحصار الاقتصادي) وما شهدته المواطن العراقي من ظلم وجوع وحروب متتالية، فقد عمدت الكاتبة إلى استحضار الشخصية الدينية (زينب) (عليها السلام) في رفضها



التي تعتمد على إبراز التاريخ السياسي لا تخضع للتاريخ بصورة كلية ودائمة بحيث تحوّل الجانب التخيلي الإبداعي إلى أرشيف للأحداث الماضية، بل تحاول الكشف عن تجارب الأفراد وسلوكهم وأفكارهم وبيان الجوانب المضمرة التي تصبّ في الاطار العام للرواية.

وقدّمنا في المبحث الثاني علاقة المتخيّل السردى بالتاريخ الثقافى العراقى فى إظهار المشكلات الراهنة وعلاقتها التاريخية عبر وصفها لحالات التهميش والاقصاء للجانب الثقافى فى فترات محدّدة من تاريخ العراق لاسيما فى صراعاته الداخلىة التى لم تفسح المجال لأى حركة فكرية مستقبلية، وكذلك فى الانبهار بالثقافة الغربية دون النهوض بثقافة جديدة نابعة من تجديد موروثه الثقافى العريق، فضلا عن تراجع الثقافة العراقىة بعد عام (٢٠٠٣) وتراجع اقبال المواطنين على دور السينما والمسرح وانشغالهم بالمشاهد السياسية المتناحرة وصور المباني الثقافىة المهذمة.

وتناولنا فى المبحث الثالث علاقة المتخيّل السردى بالتاريخ الدينى عبر استحضارها لتاريخ الأديان والمذاهب، حيث لم يكن الغرض من استحضارها نشر ثقافتها بقدر تسليط الضوء على جانب المحبة والتسامح ونبذ الصراعات والافتتال ونشر الأفكار المتسامحة واحترام الرأى الآخر ونشر مبادئ السلام والحب والحرية ورفض الظلم والاستبداد.

تعيد لنا أبعاد التجربة الإنسانية أكثر توسيعا وتعميقا وإبداعا وتجديدا.

الخاتمة:

حاولنا فى هذا البحث ايجاد العلاقة بين الرواية العراقىة والتاريخ عبر كىفية توظيف الجانب التاريخى فى الجنس الأدبى الروائى من أجل كشف الجوانب الأدبىة والجمالىة والفكرىة التى تسلط الضوء على الجانب المضمّر من التاريخ العراقى بمختلف مستوياته. إذ نجد أن الاشتغال على الجانب التاريخى يشكّل الجانب الإبداعى المتخيّل الذى يتمّ عبره الولوج إلى حبات سردية تربط الماضى بالحاضر رغبة فى الكشف عن جمالياته الخاصة وقضاياها المثارة. فالرواية لا تقدّم الحقائق التاريخىة كما هى بقدر تصويرها للحياة الإنسانية.

أشرنا فى المبحث الأول إلى علاقة المتخيّل السردى بالتاريخ السياسى فى العراق عبر نماذج روائية سعت إلى إبراز التاريخ السياسى العراقى فى فترات متعاقبة بغية الكشف عمّا يوثق من تاريخ العراق السياسى من حروب وثورات مرورا باحتلال العراق والفترات التى تليه. ولم يكن الهدف من استحضار الوقائع التاريخىة الكشف عن الأحداث وتوثيقها، بل فى الافصاح عن الجوانب الإنسانية المهملشة للشخصيات التى رافقت تلك المتغيّرات ومعاناتها جراء تلك التحوّلات السياسىة وما تحمله من انتقادات صريحة للأيدىولوجيات الفكرىة السياسىة، فالرواية



- ١٧- ينظر: المرجع نفسه: ٤٦.
- ١٨- ينظر: الروائي التاريخي بين الحقيقة التاريخية والخيال الفني: ١٨١.
- ١٩- ينظر: فن الرواية، ميلان كونديرا: ٤١.
- ٢٠- ينظر: الرواية بين زمنيتها وزمنها مقارنة مبدئية عامة، محمود أمين العالم، مجلة فصول، العدد الأول، ١٩٩٣، ١٥-١٦.
- ٢١- التخيل التاريخي السرد، والإمبراطورية، والتجربة الاستعمارية، عبد الله إبراهيم، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١١: ١١.
- ٢٢- ينظر: الرواية التاريخية وقضايا النوع الأدبي، سعيد يقطين، مجلة نزوى، العدد ٤٤: ٢٠٠٧: ٧٩.
- ٢٣- ينظر: فضاء المتخيّل دراسة أدبية، حسين خمري، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، ٢٠٠١: ٥١.
- ٢٤- ينظر: رواية كتاب الأميرمسالك أبواب الحديد بين الحقيقة التاريخية والمتخيّل الروائي، السعيد زعباط، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، ٢٠١١: ٧.
- ٢٥- تساؤلات وملاحظات حول الرواية التاريخية، د. عبد الرحمن منيف، مجلة الأقاليم، العدد الأول، ١٩٤٧: ٥.
- ٢٦- أمين معلوف والرواية التاريخية، مشهور مصطفى: ٨٧.
- ٢٧- الرواية والتراث السردِي، سعيد يقطين، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٢: ٥١.
- ٢٨- الرواية بين زمنيتها وزمنها مقارنة مبدئية عامة، محمود أمين العالم: ١٩.
- ٢٩- ينظر: الرواية العراقية: رصد الخراب العراقي في أزمان الدكتاتورية والحروب والاحتلال وسلطة الطوائف، سلام إبراهيم، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، ٢٠١٢: ٢-٣.
- ٣٠- ينظر: الرواية العراقية المغتربة رحلة مضادة إلى الوطن، فاطمة المحسن، الحوار المتمدن، العدد ١٦٣، ٢٠٠٢: ٤.
- ٣١- ينظر: رواية مدينة من رماد العلاقة بين الجلاذ والضحية، جمعة عبد الله، مقال في جريدة الناقد العراقي، الملف الثالث، ٢٠١٧.
- ٣٢- رواية المحرقة، قاسم محمد عباس، ط١، دار المدى للثقافة والنشر، بغداد، ٢٠١٠: ١٩٠.
- ٣٣- المصدر نفسه: ١٩٠.
- ٣٤- رواية بوصلة القيامة، هيثم الشويلي، ط١، مداد للنشر والتوزيع، الإمارات، ٢٠١٧: ٢٦.
- ١- الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٣هـ)، ج١، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٧: ٤١٨.
- ٢- لسان العرب، ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري (ت٧١١هـ)، المجلد الثالث، دار صادر، بيروت، د.ت: ٤.
- ٣- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٤: ١٣.
- ٤- مقدمة ابن خلدون، ولي الدين عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون (٧٣٢-٨٠٨هـ)، تح: عبد الله محمد الدرويش، ط١، دار يعقوب للنشر، دمشق، ٢٠٠٤: ٩٢.
- ٥- معجم المصطلحات الأدبية في اللغة والأدب، مجدي وهبه، كامل المهندس، ط٢، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤: ٨٢.
- ٦- المعجم الأدبي، جبور عبد النور، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م: ٥٥.
- ٧- الرواية وتأويل التاريخ نظرية الرواية والرواية العربية، د. فيصل دراج، ط١، المركز الثقافي العربي، المغرب، ٢٠٠٤: ٩-١٠.
- ٨- ينظر: رواية الرواية التاريخية تسلية الماضي، ليندا هتشيون، مجلة فصول، العدد الثاني، ١٩٩٣: ١٠٠.
- ٩- ينظر: أمين معلوف والرواية التاريخية، مشهور مصطفى، مجلة البيان الكويتية، العدد: ٢٩٦، ١٩٩٤: ٨٥.
- ١٠- ينظر: فضاء المتخيّل مقاربات في الرواية، حسين خمري، ط١، منشورات الاختلاف، بيروت، ٢٠٠٢: ٤٢.
- ١١- ينظر: أمين معلوف والرواية التاريخية: ٨٥.
- ١٢- الرواية التاريخية تسلية الماضي، ليندا هتشيون: ١٠٤.
- ١٣- ينظر: الروائي التاريخي بين الحقيقة التاريخية والخيال الفني، حسين يوسف حسين، مجلة أدب الرافيدين، العدد: ٢٤، ١٩٩٢: ١٧٥-١٧٩.
- ١٤- فن الرواية، ميلان كونديرا، ترجمة: د. بدر الدين عرودي، ط١، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٩٩: ٤٩.
- ١٥- الملحمة والرواية، ميخائيل باختن، ترجمة: جمال سعيد، معهد الإنماء العربي، بيروت، ١٩٨٢: ٥٩.
- ١٦- الرواية التاريخية، جورج لوكاش، ترجمة: د. صالح جواد كاظم، ط٢، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦: ٨٩.



- وأدبية لها ديوان شعري بعنوان (غوايات البنفسج) ورواية وحيدة هي (عزاء أبيض).
- ٤٩- رواية عجائب بغداد، وارد بدر السالم، ط٢، مؤسسة تائر العصامي للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠١٦م: ١٥٠.
- ٥٠- رواية عجائب بغداد: ١٦٣-١٦٤.
- ٥١- توظيف التراث في الرواية العربية، محمد رياض وتار، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٢م: ١٢٣.
- ٥٢- ينظر: رواية الرواية التاريخية تسلية الماضي، ليندا هتشيون: ١٠٤.
- ٥٣- الفهرست، ابن النديم، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، دت: ٤٥٨.
- ٥٤- أمين معلوف والكتابة الروائية التاريخية، د. سليمة بالنور، مجلة مقاربات جامعة الشيخ العربي التبسي، الجزائر، المجلد السادس، العدد الحادي عشر، ٢٠١٣م: ١٤٢.
- ٥٥- رواية بنادق النبي، سالم حميد، ط١، دار سطور للنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠١٧: ١٣.
- ٥٦- المصدر نفسه: ١٥.
- ٥٧- المصدر نفسه: ١٦٧.
- * سورة الكهف (الآية: ٩٤)
- ٥٨- رواية بنادق النبي: ١٧٥.
- ٥٩- رواية صحراء نيسابور، حميد المختار، ط١، البدوي للنشر والتوزيع، تونس، ٢٠١٨: ٥.
- ٦٠- المصدر نفسه: ١١.
- ٦١- المصدر نفسه: ١١٩.
- ٦٢- المصدر نفسه: ٢٧، ويمكن الرجوع إلى كتاب نهج البلاغة، الشريف الرضي، ط٤، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ٢٠٠٤: ١٠٤.
- ٦٣- المصدر نفسه: ٥٤.
- ٦٤- الرواية بين زمنيتها وزمانها مقارنة مبدئية عامة، محمود أمين العالم: ١٦.
- ٣٥- المصدر نفسه: ١٧٨.
- ٣٦- المصدر نفسه ١٩٠-١٩١.
- ٣٧- المصدر نفسه: ١٣١.
- ٣٨- رواية وحدها شجرة الرمان، سنان أنطون، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٠م: ١٦٤-١٦٥.
- ٣٩- المصدر نفسه: ١٤٥.
- ٤٠- الرواية التاريخية، علي أدهم، مجلة الثقافة، العدد: ٦٦٢، ١٩٥١م: ٩.
- ٤١- رواية أساتذة الوهم، علي بدر، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١١: ٩٣.
- ٤٢- المصدر نفسه: ٥٤.
- *- فاوست أو فاوستوس هو الشخصية الرئيسية في الحكاية الألمانية الشعبية عن الخيميائي الألماني الدكتور يوهان جورج فاوست الذي يحقق نجاحاً كبيراً ولكنه غير راضٍ عن حياته فيُرم عقداً مع الشيطان يسلم إليه روحه في مقابل الحصول على المعرفة المطلقة وكافة الملذات الدنيوية.
- ٤٣- رواية أساتذة الوهم: ٩٦-٩٧.
- ٤٤- المصدر نفسه: ٩٨.
- ٤٥- المصدر نفسه: ٩٨.
- ٤٦- المصدر نفسه: ١٠٦-١٠٧.
- *- معروف الرصافي (١٨٧٥-١٩٤٥م) شاعر عراقي امتاز أسلوبه بمتانة اللغة وحصانة الأسلوب، وله آثار كثيرة في النثر والشعر، واللغة والأدب، أشهرها ديوانه (ديوان الرصافي) الذي رتبته إلى أحد عشر باباً في الكون والدين والاجتماع والفلسفة والوصف والحرب والرثاء والتاريخ والسياسة.
- ٤٧- رواية زهايمر، عبد الزهرة علي، دار ميزوبوتاميا للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠١٥م: ١٤.
- ٤٨- المصدر نفسه: ١٠٨-١٠٩.
- *- أطوار بهجت (١٩٧٦-٢٠٠٦) صحفية ومراسلة



الشروق الدولية، ٢٠٠٤م.

المراجع:

- ١- التخيل التاريخي السرد، والإمبراطورية والتجربة الاستعمارية، عبد الله إبراهيم، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١١م.
- ٢- توظيف التراث في الرواية العربية، محمد رياض وتار، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٢م.
- ٣- الرواية التاريخية، جورج لوكاش، ترجمة: صالح جواد كاظم، ط٢، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦م.
- ٤- الرواية العراقية: رصد الخراب العراقي في أزمان الدكتاتورية والحروب والاحتلال وسلطة الطوائف، سلام إبراهيم، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، ٢٠٠٢.
- ٥- رواية مدينة من رماد العلاقة بين الجلاذ والضحية، جمعة عبد الله، مقال في جريدة الناقد العراقي، الملف الثالث، ٢٠١٧م.
- ٦- الرواية وتأويل التاريخ نظرية الرواية والرواية العربية، د. فيصل دراج، ط١، المركز الثقافي العربي، المغرب، ٢٠٠٤.
- ٧- الرواية والتراث السردِي، سعيد يقطين، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٢.
- ٨- فضاء المتخيّل مقاربات في الرواية، حسين خمري، ط١، منشورات الاختلاف، بيروت، ٢٠٠٢م.
- ٩- فن الرواية، ميلان كونديرا، ترجمة: د. بدر الدين عرودي، ط١، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٩٩م.
- ١٠- الملحمة والرواية، ميخائيل باختين، ترجمة: جمال سعيد، معهد الإنماء العربي، بيروت، ١٩٨٢م.

الدوريات:

- ١- أمين معلوف والرواية التاريخية، مشهور مصطفى، مجلة البيان الكويتية، العدد: ٢٩٦، ١٩٩٤.
- ٢- أمين معلوف والكتابة الروائية التاريخية، د.سليمة بالنور، مجلة مقاربات، جامعة الشيخ العربي التبسي، الجزائر، المجلد السادس، العدد الحادي عشر، ٢٠١٣م.
- ٣- تساؤلات وملاحظات حول الرواية التاريخية، د. عبد الرحمن منيف، مجلة الأقلام، العدد الأول، ١٩٤٧م.
- ٤- الروائي التاريخي بين الحقيقة التاريخية والخيال الفني، حسين يوسف حسين، مجلة أدب الرافدين، العدد: ٢٤، ١٩٩٢.
- ٥- الرواية بين زمنيتها وزمنها مقارنة ميدئية عامة، محمود أمين العالم، مجلة فصول، العدد الأول، ١٩٩٣م.

المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- الفهرست، ابن النديم محمد بن إسحاق المعتزلي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.
- ٣- مقدمة ابن خلدون، ولي الدين عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون (٧٣٢-٨٠٨هـ)، تح: عبد الله محمد الدرويش، ط١، دار يعقوب للنشر، دمشق، ٢٠٠٤م.

الروايات:

- ١- رواية أساتذة الوهم، علي بد، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١١م.
- ٢- رواية بنادق النبي، سالم حميد، ط١، دار سطور للنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠١٧م.
- ٣- رواية بوصلة القيامة، هيثم الشويلي، ط١، مداد للنشر والتوزيع، الإمارات، ٢٠١٧م.
- ٤- رواية زهايمر، عبد الزهرة علي، دار ميزوبوتاميا للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠١٥.
- ٥- رواية صحراء نيسابور، حميد المختار، ط١، البدوي للنشر والتوزيع، تونس، ٢٠١٨م.
- ٦- رواية عجائب بغداد، وارد بدر السالم، ط٢، مؤسسة تائر العصامي للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠١٦م.
- ٧- رواية المحرقة، قاسم محمد عباس، ط١، دار المدى للثقافة والنشر، بغداد، ٢٠١٠م.
- ٨- رواية وحدها شجرة الرمان، سنان أنطون، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٠م.

المعاجم:

- ١- الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٣هـ) ج١، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.
- ٢- لسان العرب، ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري (ت١١٧١هـ)، المجلد الثالث، دار صادر، بيروت، د.ت.
- ٣- المعجم الأدبي، جبور عبد النور، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م.
- ٤- معجم المصطلحات الأدبية في اللغة والأدب، مجدي وهبه، كامل المهندس، ط٢، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤م.
- ٥- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة



فاطمة المحسن، الحوار المتمدن، العدد: ١٦٣، ٢٠٠٢م.
الرسائل الجامعية:

١- رواية كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد بين
الحقيقة التاريخية والتمثيل الروائي، السعيد زعباط،
رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر،
٢٠١١م.

٦- الرواية التاريخية، علي أدهم، مجلة الثقافة، العدد:
٦٦٢، ١٩٥١م.

٧- الرواية التاريخية وقضايا النوع الأدبي، سعيد
يقتين، مجلة نزوى، العدد: ٤٤، ٢٠٠٧م.

٨- رواية الرواية التاريخية تسلية الماضي، ليندا
هتشيون، مجلة فصول، العدد الثاني، ١٩٩٣.

٩- الرواية العراقية المغتربة رحلة مضادة إلى الوطن،



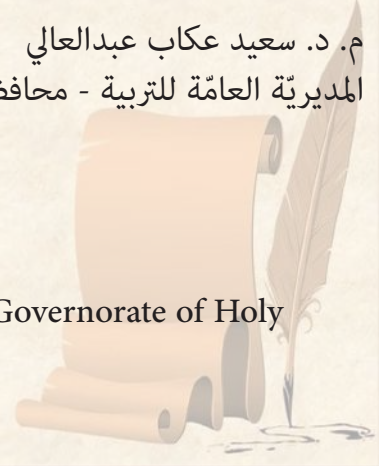
التقديم والتأخير في سورة (الكهف) (دراسة توليدية تحويلية)

م. د. سعيد عكاب عبدالعالي
المديرية العامة للتربية - محافظة كربلاء المقدسة

Advance and Delay in Surat Al-Kahf
(Transformational generative study)

Lecturer Dr. Saeed Akab Abdulali

General Directorate of Education - The Governorate of Holy
Karbala



الملخص

يهدفُ البحثُ إلى تسليط الضوء على دراسة النظرية التوليدية التحويلية، وتطبيقها على اللغة العربية، وبيان مدى الإفادة منها، لا سيّما في النصّ القرآنيّ، فغاية هذه الدراسة تطبيق قوانين هذه النظرية على سورة (الكهف) المباركة.

فجاء البحث في محورين، كان الأول منهما في النظرية التوليدية التحويلية في النحو العربيّ، مع الإشارة إلى المراحل التي مرّت بها تلك النظرية، وأمّا المحور الثاني؛ فكان دراسةً تطبيقيةً على التقديم والتأخير في سورة (الكهف)، عقبتهما - المحورين - خاتمةٌ تضمّت أهمّ النتائج التي توصل إليها البحث. الكلمات المفتاحية: (التقديم، التأخير، توليدية، تحويلية)

Abstract

The research aims to shed light on the study of the transformational generative theory, its application to the Arabic language, and to show the extent of its benefit, especially in the Qur'anic text.

The research comes into two parts, the first of which focuses on the transformational generative theory in the Arabic grammar, with reference to the stages that that theory went through, whereas the second one is an applied study on the introduction and delay in Surat Al-kahf (The Cave). Afterwards, the conclusion is presented that includes the most important results of the research.

Keywords: Advance, Delay, generative ,Transformational



المحور الأول: النظرية التوليدية التحويلية في النحو العربي بدأت الأفكار عند اللسانيين تضيق ذرعاً بالطابع الوصفي الذي هيمن على درس اللساني بعدما سيطرت المدرسة الوصفية البنيوية على درس اللساني في الغرب^(١)، وقد نشأ الاتجاه التوليدي في دراسة اللغة على أنقاض اللسانيات الوصفية، فكان من البديهي أن تؤدى الانتقادات التي وجهت إلى الوصفيين إلى البحث عن أمودج جديد يجيب عن الأسئلة التي لم تستطع اللسانيات الوصفية الإجابة عنها^(٢).

ومنذ إصدار تشومسكي كتابه الأول (البنية النحوية)، تغير اتجاه اللغة من الوصفية إلى منهج جديد، ما يعرف الآن بـ (النحو التوليدي)، والحق أن تشومسكي يمثل ثورة حقيقية؛ لأنه قوّض الدعائم التي تقوم عليها اللسانيات الحديثة^(٣).

لقد قاد تشومسكي ثورة علمية (نجم عنها بروز أمودج جديد للتفكير في اللغة أفرز مجموعة من الأشكال يجب أن يعنى بها اللغوي، ومن ضمنها الاهتمام بالجهاز الداخلي الذهني للمتكلمين عوض الاهتمام بالسلوك الفعلي)^(٤).

ومن الجدير بالذكر أن تشومسكي كان وثيق الصلة بأعمال الوصفيين الأمريكيين، من أمثال (بلومفيلد وهارسين)، حتى أن بعض الدارسين يرى أن تشومسكي يمثل صورة متطورة للوصفيين الأمريكيين، بل ((إن هناك من الباحثين من لا يتوانى عن ربط نظريته التوليدية بالبنيوية، فقد أطلق (بباجيه) على الاتجاه التوليدي مصطلح البنيوية التحويلية)^(٥).

عرفت النظرية التوليدية طريقها إلى الثقافة العربية في بداية سبعينيات القرن الماضي، إذ تبنى عدد من الباحثين العرب التعريف بأصول هذه النظرية ومبادئها، مع تقديم تطبيقات مهمة على اللغة العربية، وبدأوا يطبقونها على النصوص العربية في مجال التحليل والدراسة^(٦).

وقال الفهري: ((وحين عدت إلى المغرب في أواخر عام (١٩٧١)، لم أجد أحداً يهتم بالنحو التوليدي، ولا بالنحو الوظيفي غير الفرنسي، ولا التيارات الذريعية.... إلخ، وكل ما سمعته عن اللسانيات هو كلام عن مارتيني وكرياس)^(٧).

ولكن يجب الإشارة إلى أن اللسانيات العربية انقسمت على نوعين: اللسانيات البنيوية، والتي تتمثل في جهود الرواد المصريين الذين أوفدوا إلى الجامعات الأوربية والأمريكية، واللسانيات التوليدية التي بدأت

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين.

أما بعد؛ فقد خطا البحث اللساني في البلاد العربية خطوات مهمة، كانت بداياتها منذ منتصف القرن الماضي، وبالتحديد بعد عودة الموفدين المصريين من جامعات أوروبا، حيث درسوا هناك مناهج التفكير اللساني الحديث، وبعد عودتهم قاموا بنشر بحوثهم اللسانية التي غطت جميع مستويات درس اللساني (الصوتية والصرفية والتركيبة والدلالية).

ومن نتائج البحث اللساني ما وصلنا من نظرية (تشومسكي)، النظرية التوليدية التحويلية، وقد أفاد منها علماء العربية، وحاولوا الاستفادة منها في اللغة العربية، ورغم صعوبة تطبيقها على اللغة العربية، إلا أنها محاولة نحو مواكبة تطور اللغات في العالم؛ ولهذا كان بحثنا في سورة الكهف وفق النظرية التوليدية التحويلية الذي حاولنا فيه تحليل النصوص القرآنية وفق المنهج التحليلي والتفسيري الذي يتم عبر مناقشة القضايا الواردة، وتحليلها، وبيان رأي المفسرين فيها.

وقد قسّمت بحثي هذا على مقدمة ومحورين، فكان المحور الأول في أسس النظرية التوليدية التحويلية ومراحل تطورها، وأما الثاني؛ فكان دراسة تطبيقية على التقديم والتأخير في سورة (الكهف)، عقبتهما - المحورين - خاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

واعتمد البحث على مصادر منوعة في اللغة والتفسير والنحو، مثل: الكتاب لسيبويه (ت ١٨٠هـ)، والأصول في النحو لابن السراج (ت ٣١٦هـ)، وشرح ابن عقيل (ت ٧٦٩هـ)، ومن كتب التفسير مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، والميزان في تفسير القرآن للطببائي، ومن كتب اللغة الحديثة كتاب اللغة لفندريس، واللسانيات العربية الحديثة للدكتور مصطفى غلفان، وكتاب العربية وعلم اللغة البنيوي للدكتور حلمي خليل.

هذا والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين محمد وآله الطيبين الطاهرين.



التقديم والتأخير في سورة (الكهف) ...

٣- للحدس دور مهم في تمييز الجمل الصحيحة من الجمل غير الصحيحة، فالسامع المثالي له ملكة يستعملها في التمييز، وإن كان إنجازه الفعلي لجمل اللغة محدوداً.

الخطوط الأساسية لنظرية القواعد التوليدية
وضع (تشومسكي) خطوطاً أساسية لنظرية

القواعد التوليدية التحويلية، منها:

١- الكفاية اللغوية والأداء الكلامي
كل إنسان يستطيع أن ينشأ في بيئة معينة، وأن يعبر بلغة تلك البيئة، ويفهم عدداً غير محدود من جمل تلك اللغة، حتى ولو لم يسمع بها، فالإنسان ذو قدرة غير محدودة.

وفي إطار النظرية التوليدية التحويلية، وفي مفهوم أصحابها، تسمى مقدرة الإنسان على إنتاج الجمل: بالكفاية اللغوية، ونستطيع التمييز بين الكفاية اللغوية والأداء الكلامي، الكفاية اللغوية تعني: معرفة ضمنية باللغة، في حين أن الأداء الكلامي هو الاستعمال الآتي للغة ضمن سياق معين^(١٤)، إذ تتضمن القدرة اللغوية مهارات ذهنية عدة، أهمها التصور الذهني، ثم التنظيم، ثم التابع الذي يجعل ((المهارات الذهنية قادرة على البقاء، والاستمرار))^(١٥).

٢- القواعد النحوية

تعتمد القواعد النحوية على الكفاية اللغوية التي يمتلكها المتكلم، والتي تساعده على إنتاج جمل لغته غير المتناهية سواء من حيث عددها، أو من حيث عدد عناصرها، فهي تصف كل الجمل التي تدرج ضمن اللغة وتفسرها، إذن القواعد تهتم بوصف الجمل بصورة وافية.

تحدد النظرية التوليدية التحويلية في الواقع موضوع دراستها بالإنسان المتكلم السوي التابع لبيئة لغوية متجانسة تماماً، فهو يستطيع أن يتكلم لغة معينة، وينتج جملاً ويفهمها، ويدي بأحكام عليها من حيث الخطأ والصواب في التركيب^(١٦).

٣- الجمل الأصولية

بما أن بإمكان متكلم اللغة أن يدي بأحكام حول مجموعة من الكلمات المتلاحقة من حيث أنها تؤلف جملة صحيحة، أو جملة غير صحيحة في لغته، فالجملة الصحيحة هي الجملة الأصولية، وغير الصحيحة هي الجملة غير الأصولية^(١٧).

وجد (تشومسكي) أن للظواهر التركيبية مستوى عميقاً خاصاً بها مستقلاً عن المستويات الصرفية والفونولوجية يعمد إلى تقديم التفسير الدلالي

مع جهود المغاربة الذين توجهوا نحو أفكار المدرسة التوليدية التحويلية، وهذا النوع هو الذي دخل إلى الثقافة العربية في بداية السبعينات^(١٨).

لقد لاحظ (تشومسكي) أن الامكانيات الموجودة في اللغات اللسانية تجعل الناطقين بها قادرين على الإبداع، ويظهر هذا الإبداع ابتكار جمل، وتراكيب لم يكونوا قد سمعوا بها من قبل، وهم في الوقت نفسه على قدر كبير من الوعي اللغوي، وقد رأى (تشومسكي) أن أي نظرية لغوية وضعت أساساً لمعالجة ما في اللغة من هفوات^(١٩).

ولما كانت نظرية (تشومسكي) وضعت لمعالجة القضايا اللغوية، وبالخصوص التفسيرية منها، أي: ((إن كلا من القواعد التحويلية، والقواعد الدلالية يشكل آليّة خاصّة ومستقلّة، ممّا يعني أن الجمل السطحية التي ترجع إلى بنية عميقة واحدة لها المدلول نفسه، إذ التفسير يقع فقط على البنية العميقة المشتركة))^(٢٠)، وفي ضوء هذا الكلام نستطيع أن نرجع هذه التراكيب إلى منشأ واحد ألا وهو الجملة العميقة، فهي أساس الجملة السطحية.

وإذا أمعنا النظر نرى أن (تشومسكي) يسعى لجعل هذه النظرية عامّة في جميع اللغات، وأن هناك تركيبات أساسية تشترك فيها اللغات جميعاً، وأن وظيفة القواعد التحويلية في هذه النظرية تحويل تلك التراكيب الأساسية إلى تراكيب سطحية، وهي التراكيب المنطوقة فعلاً ويسمونها المتلقي^(٢١).

وإذا أردنا أن ندرس اللغة يجب علينا أن نتخذ منهاجاً لدراسة اللغة، وفي هذا الموضوع يقول (تشومسكي): إن علينا البحث في اللغة مستعملين أساليب البحث في العلوم الطبيعية في صياغة الفرضيات، واختبار صحتها بمقابلتها بالمعطيات، وجعل هذه النظرية أبسط ممّا يكون أن تكون عليه، وهذا لا يعني أن هذا النهج سيتكلل بالنجاح، وقد يظهر لنا أن استعمال طرائق العلوم الطبيعية وأساليبها لا يوصلنا إلى ما نبتغيه، وفي هذا المجال تكون التجربة ضرورة^(٢٢).

إن أهم الأفكار التي تبنتها المدرسة التوليدية التحويلية، والتي تُعدّ رئيسة هي^(٢٣):

١- النحو وسيلة لتوليد الجمل الصحيحة في لغة معينة، وهذا يعني أن البحث موجه بشكل رئيس إلى الجملة؛ لأنها تُعدّ الوحدة اللغوية الأساسية.

٢- للجمل الحقيقية المنجزة فعلاً بُنى عميقة يتحتم وصفها لفهم البنى السطحية.



للجمل، وأطلق عليه اسم: (الجملة العميقة)، ومستوى آخر سطحياً يقدم التفسير الصوري لها، وسماه: (الجملة السطحية)، وقد نجم عن تمييزه بين هذين المستويين إدخال المكوّن الدلالي في عملية التحليل اللساني الذي يعتمده القائم بالتحليل^(١٨).

طرائق توليد الجملة التوليدية التحويلية

عند صياغة الجملة التحويلية يجب مراعاة قواعد وأنظمة وضعها أصحاب النظرية التوليدية التحويلية، وتكون في ثلاث طرائق^(١٩):

الطريقة الأولى

تقوم على مبدأ مؤداه أنّ الجمل تُؤدّ عن طريق سلسلة من الاختيارات، فإذا اخترنا مثلاً كلمة (هؤلاء) لنبدأ بها الجملة، فهذا الاختيار يحدّد العنصر التالي له، فنقول: (هؤلاء الطلاب، أو هؤلاء الطالبات، والاختيار الثاني يحدّد العنصر الثالث.... إلخ)، وهكذا يوصل إلى نهاية الجملة، وهذه الطريقة تنتج عدداً محدوداً من الجمل، وقد تولّد جملاً غير صحيحة^(٢٠).

الطريقة الثانية

وتقوم هذه الطريقة على تحليل الجملة إلى مكوناتها المباشرة، وينطلق منها (تشومسكي) في توليد الجملة بكتابة أركانها، فجملة (الرجل ضرب الكرة)، تُحلّل وفق القواعد الآتية:

الجملة ← مركّب اسمي + مركّب فعلي

الرجل ضرب الكرة ← الرجل + ضرب الكرة

المركب الاسمي ← أداة تعريف + اسم

الرجل ← ال + رجل

المركب الفعلي ← فعل + مركّب اسمي

ضرب الكرة ← ضرب + ال + كرة

الاسم ← (رجل، كرة) + ال

الفعل ← ضرب

الطريقة الثالثة

وهي ما تسمى بالقواعد التحويلية، وتحتوي هذه الطريقة على عدد من القواعد التفصيلية، بقصد سدّ النقص في الطريقة الثانية، إذ أُدخلت عليها عناصر (الإفراد، والجمع، والأفعال المساعدة، والأزمنة، والبناء للمجهول)، ومثال على ذلك المعادلة السابقة في

الطريقة الثانية:

الجملة ← مركّب اسمي + مركّب فعلي

المركّب الفعلي ← فعل + مركّب اسمي

المركّب الاسمي ← مركّب اسمي (مفرد)، مركّب اسمي (جمع)

مركّب اسمي (مفرد) ← أداة تعريف + اسم

مركّب اسمي (جمع) ← أداة تعريف + اسم + جمع الاسم ← ال + (رجل، كرة)

الفعل ← (ضرب، أكل، أخذ،...)

زمن الفعل ← (مضارع، ماض)

صيغ الفعل ← (فعل، فعل، فعل،...)

وهذه الطريقة تفسح مجالاً كبيراً أمام تكوين الاختيارات والتحويلات، وفيها قواعد معيّنة، ومن أهمّ هذه القواعد عند التحويلين: الحذف، والإحلال، والزيادة، وإعادة الترتيب^(٢١).

التقديم والتأخير (الترتيب)

التقديم والتأخير (الترتيب)، مصطلح يُستعمل في علم اللغة للإشارة إلى صيغة العلاقات المكوّنة للسياق الخطّي في الوحدات اللسانية^(٢٢)، وتؤدّي اللغة وظيفتها في ضوء ترتيب المفردات في التراكيب الجمليّة؛ لتجعلها صحيحة نحويّاً، ومعنوياً، فإذا ((اختلّ هذا النظام من ناحية من نواحيه لم يحقّق الكلام الغرض منه، وهو الإفهام))^(٢٣).

إذن فإنّ رتبة كلّ كلمة داخل الجملة تأخذ مكانتها الخاصّة بها وتؤشّرها^(٢٤)، فالتقديم والتأخير عند التحويلين هو تفسير مواقع بعض التراكيب، وذلك بتقديمها أو تأخيرها؛ لغرض معنويّ، شريطة أن لا يخلّ بتركيب الجملة ومعناها، أي: تكون صحيحة نحويّاً ودلاليّاً.

والتقديم والتأخير عند التحويلين يكون في مواضع قليلة جدّاً؛ لأنّ اللغة الإنكليزيّة لا تتمتّع بحريّة الحركة؛ لأنّها لغة خالية من الحركات الإعرابيّة في أواخر الكلمات^(٢٥).

وأما النحاة القدماء؛ فقد قالوا بالتقديم والتأخير، ومنهم سيبويه (ت١٨٠هـ)، فقد استعمل مصطلح التقديم والتأخير، وما تصوّف منه، نحو: (قدّمت، ويقدم، وأخرت، وأخروها، ومقدّمًا، ومؤخراً) في كتابه بكثرة^(٢٦)، وهذا التفكير النحويّ عند (سيبويه) أخذ حيّاً واضحاً، فلا خلاف بينه وبين المحدثين من حيث المصطلح والمحتوى.



التقديم والتأخير في سورة (الكهف) ...

مواضع التقديم والتأخير

إنَّ الترتيب العامَّ لمفردات اللغة الإنكليزية في التركيب النحوي هو: (فاعل + فعل + مفعول به)، قد يُغيَّر ترتيب هذا التركيب، وذلك لتقديم بعض عناصرها على بعض، ويكون لغرض معنوي، ومن مواضع التقديم والتأخير عند التحويلين: تقديم المفعول به، ويُقدَّم لتأدية معانٍ معيَّنة منها: لغرض العناية والاهتمام، وهذا الغرض يوافق النحويين القدماء أمثال (سيبويه)^(٣٧)، أو لغرض البناء للمجهول.

ومن مواضع التقديم والتأخير: تقديم (الجملة الظرفية)، فقد ذكر التحويليون تقديم (الجملة الظرفية)، والجملة الظرفية في اللغة الإنكليزية تشتمل على (حروف الجرّ، وظروف الزمان والمكان)، ويأتي تقديم (الجملة الظرفية) عند التحويلين لغرض الاهتمام، وقد يكون التقديم والتأخير طريقاً يتم به تصحيح الكلام الذي خرج على الأصل المقرّر في بنائه^(٣٨).

وفي ضوء هذه المقدّمة التي تمّ عرضها، نجد أنّ مصطلح (التقديم والتأخير) كان عند القدماء أمثال (سيبويه)، وعند المحدثين أصحاب النظرية التحويلية أمثال (تشومسكي)، فسيبويه رأى أنّ التقديم والتأخير له أهميّة في بناء الجملة العميقة، وما تُعطيه من معنّى، والتحويليون رأوا ما رآه (سيبويه)، فهم ساروا على فكرته واتّجاهه، وبهذا نقول: إنّ التحويليين بزعامة رأس مدرستهم (تشومسكي)، قد ساروا في نظريّتهم على هدى ما قاله (سيبويه)، بالرغم من اختلاف اللغتين، وتباعد الزمن.

أمّا ترتيب الجملة على الوجه الأصليّ، وأقصد الجملة العربية؛ فقد ورد اختلافٌ طفيفٌ بين العلماء في ترتيبها، فمثلاً ورد عن الرضيّ (ت ٦٨٦هـ) الترتيب الآتي^(٣٩):

(فعل + فاعل + مصدر + مفعول به + ظرف زمان + ظرف مكان + مفعول له + مفعول معه)، وأمّا الاشموني (ت ٩٠٠هـ)؛ فرتّبها:

(فعل + فاعل + مصدر + مفعول به + مفعول له + ظرف زمان + ظرف مكان + مفعول معه).

وأما المحدثون، ومنهم تمام حسّان؛ فرتّبها^(٤٠):

(فعل + فاعل + مفعول به + مفعول معه + مصدر + ظرف زمان + ظرف مكان + مفعول له).

ومن هنا نرى أنّ ترتيب القدماء لا يختلف عن المحدثين إلّا في المكملات، والاختلاف فيها في

موضوعين، أو ثلاثة.

المحور الثاني: التقديم والتأخير في سورة الكهف (دراسة توليديّة تحويليّة)

سورة الكهف سورة مكّيّة، آياتها مئة وعشر آيات، السورة تضمّنت ((الدعوة إلى الاعتقاد الحقّ، والعمل الصالح بالإنذار، والتبشير كما يلوح إليه ما افتتحت به من الآيتين، وما اختتمت به))^(٤١)، وسُمّيت سورة الكهف؛ لتضمّنها قصّة أصحاب الكهف الذين نبذوا الزينة، وتركوا الجاه والمال، وهاجروا إلى الله سبحانه وتعالى.

وتقسّم السورة على أكثر من محور قصصيّ، **الأوّل:** قصّة أصحاب الكهف الذين هداهم الله،

فهاجروا في سبيله، وتركوا الأموال والقصور، والمحور **الثاني:** قصّة صاحب الجنتين الذي تفاخر على صاحبه بما لديه من أموال وأولاد، فهو خرج من الحقّ إلى الباطل بركونه إلى الزينة، والمحور الثالث: قصّة موسى والرجل العابد العالم، وما اشتملت عليه من مواضع وحكم.

ثمّ ختمت السورة المباركة بالمحور الرابع: بقصّة العابد ذي القرنين الذي ملك الأرض، وأخذ يوجب مشرقها إلى مغربها، ولكنّه لم تغرّه الدنيا، ولم ينس ربّه على عظمة جنده، وما آتاه الله من الملك، فهو لم يكن مغروراً كصاحب الجنتين الذي غرّته حفنة من المال والولد.

وسوف نقوم ببيان مواطن التقديم والتأخير في السورة المباركة في هذا البحث إن شاء الله تعالى، مع بيان المعنى العامّ للآية التي جاء فيها التقديم والتأخير وفق التفسير القرآنيّ.

أ. تقديم الخبر على المبتدأ
الأصل في المبتدأ أن يتقدّم على الخبر^(٤٢)، ولكن قد يتقدّم الخبر على المبتدأ لغرض معيّن، وقد وردت في سورة الكهف أمثلة على تقديم الخبر على المبتدأ منها:

١- قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ من الآية: ٢٦.

هذه الآية المباركة لها علاقةٌ بالتي قبلها، إذ هي تتحدّث عن خلاف الناس في قصّة أصحاب الكهف، ومدّة لبثهم وعددهم، وهذا الآية تأمر النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) بالاحتجاج عليهم بأنّ هذا العلم لم يكن منه، وإمّا هو من عند الله، وأنّه أعلم به من غيره.

في الآية المباركة جملة مؤلّفة من مبتدأ



كانت (كان ثمر له) - في غير النص القرآني - فُقِّدَ الخبر لكون الثمر نكرةً، ولا يصح الابتداء بالنكرة المحضة ما لم تفد^(٣٤).

وتتكوّن الجملة التحويلية الأولى (وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ) من العناصر الآتية:

- ج ← مركب فعليّ + مركب اسميّ
م. ف ← فعل ناقص
م. س ← اسم + اسم + تنوين
اسم ← ل + هاء
اسم ← ثمر + تنوين

ووفق العناصر السابقة كانت لدينا الجملة التحويلية الآتية: (كان + ل + هاء + ثمر).

إذن الجملة تكوّنت من: (فعل ماضٍ ناقص (كان) + جار ومجرور (له) متعلقٌ محذوفٌ يقع خبر (كان) مقدّم + (ثمر) اسم كان، وهذه الجملة التحويلية سبب تحويلها تقديم خبر كان.

٢- قال الله تعالى: ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ من الآية: ٤٣.

الآية المباركة تشير إلى نهاية قصة ذلك الرجل صاحب الجنتين، بعدما أحيط بثمره وخسر جنته وثمارها، ومعنى الفتنه: الجماعة الناصرة له، ولم يكن ممتنعاً بقوته^(٣٥).

في الآية الكريمة جملةٌ تحويليةٌ مؤلّفةٌ من كان، وخبرها فُدم على اسمها، والجملة ((وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ)) هي الجملة التحويلية، إذ كانت قبل التحويل - خارج النص القرآني - (ولم تكن فتنه له)، فنرى التقديم كان لسبب لغوي؛ وهو كون اسم كان نكرةً، ولا يصح الابتداء بالنكرة، وهناك سببٌ معنويٌّ، وهو نفي كون ذلك الرجل يمتلك فتنه ناصرةً له مطلقاً.

وتتكوّن الجملة التحويلية الأولى (تكن له فتنه) من العناصر الآتية:

- ج ← مركب اسميّ + مركب حرفيّ + مركب اسميّ
م. س ← ضمير + فعل
م. ح ← حرف + ضمير
م. س ← اسم + تنوين
ضمير ← ت
فعل ← كن
حرف ← ل
ضمير ← الهاء
اسم ← فتنه + تنوين ضم

ومن هذه العناصر تنتج الجملة التحويلية الآتية: (ت + كن + ل + هاء + فتنه + تنوين ضم).

وخبر (لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)، نرى الخبر المتعلّق به (الجار والمجرور) تقدّم على المبتدأ؛ لكون المبتدأ نكرةً، ولا يجوز الابتداء بالنكرة بلا مسوّغ، هذا من جانب، ومن جانبٍ آخر أفاد التقديم حصر الغيب بالله سبحانه وتعالى.

وهذه الجملة (لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) جملةٌ تحويليةٌ؛ لأنّها لم تكن بحسب الترتيب الأصليّ - بحسب القواعد التوليدية - ممّا جعلها تُعطي معنًى زائداً على المعنى الأصليّ، وأصل الجملة في غير النص القرآني الكريم ما يأتي: (غيب السموات والارض له)، وتتكوّن الجملة الأولى من العناصر الآتية (الرمز (ج): يعني الجملة، (م. ف): يعني مركب فعلي، و(م. س): يعني مركب اسمي).

- ج ← مركب اسميّ + مركب اسميّ
م. س ← حرف + ضمير
م. س ← اسم + اسم
حرف ← ل (حرف جر)
ضمير ← الهاء
اسم ← غيره
اسم ← ال + سماء + ات

ومن هذه العناصر تنتج الجملة التحويلية الآتية: (ل + هاء + غيب + ال + سماء + ات).

إذن الجملة تتكوّن من: (جار ومجرور متعلّق بخبر مقدّم + مبتدأ مؤخّر + مضاف إليه)، فهذه جملةٌ تحويليةٌ، وسبب تحويلها الترتيب.

ب- تقديم خبر كان على اسمها

في الأصل يأتي بعد اسم كان خبرها، ولكن قد يتقدّم خبرها على اسمها لعلّةٍ لفظيةٍ، أو معنويّةٍ؛ فتحوّل الجملة التوليدية إلى جملةٍ تحويليةٍ، وممّا جاء مقدّمًا من سورة الكهف ما يأتي:

١- قال تعالى: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ﴾ من الآية: ٣٤.

الآية الكريمة تتحدّث عن صاحب الجنتين الذي كان يحاور صاحبه الفقير، فأخذ يسخر منه ويتكبّر عليه، وقيل: معناه كان لنخله ثمرٌ، وقيل: كان للرجل ثمرٌ من غير جنته، أو كانت له أموالٌ محدودةٌ، أو كان له جميع الأموال^(٣٦)، والقريب للذهن عود الضمير على الرجل.

في الآية المباركة جملةٌ تحويليةٌ، وعلّة تحويلها (الترتيب)، وهو تقديم خبر كان على اسمها ((وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ)) والجملة قبل التحويل



التقديم والتأخير في سورة (الكهف) ...

الآية الكريمة تبين حال الذين آمنوا وعملوا صالحًا في الحياة الدنيا، فكان جزاؤهم الحسن، ومن هذا الجزاء جنات الفردوس، والفردوس يذكر ويؤث، وقيل: البستان بالرومية^(٣٧).

إنَّ في الآية المباركة جملةً تحويليةً، وسبب تحويلها هو تقديم خبر كان على اسمها، وهي: (كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتٌ)، وأصلها التوليدي - في غير القرآن الكريم - قبل أن يُقدِّم الخبر كانت بهذه الصورة: (كانت جنات الفردوس لهم).

وهذه الجملة التحويلية (كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتٌ) تتكوّن من العناصر الآتية:

ج ← مركب فعليّ + مركب اسميّ

م. ف ← فعل + علامة تأنيث + حرف + ضمير

م. س ← اسم + علامة مؤنث

فعل ← كان + ت

حرف ← ل

ضمير ← هم

اسم ← جنّة + ات

ومما سبق كانت الجملة التحويلية الآتية: (كان + ت + ل + هم + جنّة + ات).

إذن فالجملة تتكوّن من: (فعل ماضٍ ناقص + ت + جار ومجرور) متعلّق بخبر كان + اسم + علامة جمع المؤنث، فأتضح أنّ خبر كان المتعلّق به (له) قدّم على اسمها (جنات).

ج - تقديم خبر (إن) على اسمها

في الأصل يأتي اسم (إن) بعدها مباشرة، أو نقول: لا يأتي بعد خبرها، ولكن قد يتقدّم خبرها لأغراض لغوية، أو معنوية ذكرها النحاة، أو أصحاب المعاني، منها: إذا جاء اسمها نكرة، أو أريد العناية والاهتمام بالخبر؛ فأثّه يقدم على الاسم.

ويرى أصحاب النظرية التوليدية التحويلية أنّ الجملة إذا قدّم أحد أركانها على الآخر فإنها ستكون تحويليةً بعدما كانت توليديةً، ومن هذه الجمل التحويلية جملة إن وأخواتها إذا قدّم خبرها على اسمها، وقد ورد على ذلك في سورة الكهف مثال واحد في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا لِينْدِرُ بِأَسَا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ الآية: ٢.

الآية الكريمة فيها إشارة إلى الإنذار، والتخويف، وإنّ هناك عذابًا شديدًا لمن عصى وكفر، وفي الوقت نفسه إشارة لمن آمن، وعمل صالحًا، بأنّ له جزاءً وثوابًا حسنًا في الآخرة على إيمانه، وطاعته في

إذن فالجملة تتكوّن من: (ضمير + فعل ماضٍ ناقص + خبر كان مقدّم + اسم كان مؤخر).

٣- قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا﴾ من الآية: ٨٢.

في الآية الكريمة إشارة إلى العناية الإلهية، إذ بين عنايته بطفلين يتيمين في المدينة، وهذا الاهتمام ناتج من صلاح أبيهما؛ ولهذا يقال: التقوى تنفع الذرية، فهذا الأب الصالح استحق أن يطمئن على ولديه اليتيمين، وسوف يأخذان الكنز الذي خبأه لهما تحت الجدار، وحيث أنّ الجدار كان على وشك الوقوع، فجاء هذا العبد الصالح، وأقام الجدار بلا مقابل^(٣٨).

وفي الآية المباركة جملةً تحويليةً مكوّنة من كان واسمها وخبرها، وقد تقدّم خبرها على اسمها؛ وذلك لكون اسمها نكرة، ولا يصحّ الابتداء بالنكرة، هذا من الناحية اللغوية، وأمّا من ناحية المعنى؛ فإنّ ظرف المكان الذي فيه الكنز كان موضع اهتمام أكثر من الكنز؛ لكون الورثة لا يستطيعون حماية الكنز؛ لذلك قام العبد الصالح بإصلاح الجدار الذي يمثّل التحتية، وأصل الجملة التوليدي: (كان كنز تحته)، فلمّا تقدّم الخبر أصبحت تحويلية.

وتتكوّن الجمل التحويلية (وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا)، من العناصر الآتية:

ج ← مركب فعليّ + مركب اسميّ

م. ف ← فعل

م. س ← اسم + ضمير + اسم

فعل ← كان (ناقص)

اسم ← تحت (ظرف)

ضمير ← الهاء

اسم ← كنز

وهنا كانت الجملة الآتية: (كان + تحت + هـ + كنز)

إذن الجملة التحويلية السابقة تتكوّن من: (فعل ماضٍ ناقص + ظرف مكان + ضمير مضاف إليه، والظرف والضمير متعلّقان بمحذوف خبر كان مقدّم + اسم كان).

وهذا التقديم للظرف والمضاف إليه (الضمير)، إمّا أن يكون هو الخبر على رأي بعض النحويين، أو يكون متعلّقًا بمحذوف اسميّ، أو فعليّ هو الخبر.

٤- قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ الآية: ١٧.



وفي الآية المباركة جملةً تحويليةً، وسبب تحويلها تقديم ما حقه التأخير، والجملة هي (أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا) أصل الجملة التوليدية: (أَنَّ أَجْرًا لَهُمْ) - في غير القرآن الكريم - ولما أريد الاهتمام بالمؤمنين قُدِّمَ الضمير الدال عليهم، هذا من الناحية المعنوية، وأمَّا من ناحية اللغة؛ فَأَنَّ النكرة لا يصحُّ الابتداء بها إِلَّا لمُسَوِّغٍ معيّنٍ، وتتكوّن الجملة التحويلية من العناصر الآتية:

وفي الآية المباركة جملةً تحويليةً، وسبب تحويلها تقديم ما حقه التأخير، والجملة هي (أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا) أصل الجملة التوليدية: (أَنَّ أَجْرًا لَهُمْ) - في غير القرآن الكريم - ولما أريد الاهتمام بالمؤمنين قُدِّمَ الضمير الدال عليهم، هذا من الناحية المعنوية، وأمَّا من ناحية اللغة؛ فَأَنَّ النكرة لا يصحُّ الابتداء بها إِلَّا لمُسَوِّغٍ معيّنٍ، وتتكوّن الجملة التحويلية من العناصر الآتية:

ج ← مركّب حرفي + مركّب فعلي + مركّب حرفي

ج ← مركّب حرفي + مركّب اسمي

م. ح ← واو + أداة نفي

م. ح ← حرف + حرف + ضمير

م. ف ← فعل + ضمير + ضمير + نون

م. س ← اسم + تنوين

م. ح ← أداة + أداة + اسم

حرف ← أَنَّ

أداة نفي ← ما

حرف ← ل

فعل ← انسى + نون الوقاية

ضمير ← هم

ضمير ← الياء

اسم ← أجر + تنوين فتح

ضمير ← الهاء

ووفق العناصر السابقة كانت الجملة التحويلية الآتية: (أَنَّ ل + هم + أجر + تنوين).

أداة ← إِلَّا

اسم ← ال + شيطان

إذنٌ فالجملة مكوّنة من: (حرفٍ مشبّهة بالفعل + حرف جرّ + ضمير مجرور + اسمٌ منصوب)، ونرى أَنَّ الجار والمجرور متعلّق بمحدوفٍ في محلّ رفع خبر أنّ.

ومما سبق تنتج الجملة التحويلية الآتية: (و + ما + انسى + ن + ي + هـ + إِلَّا + ال + الشيطان).

إذنٌ فالجملة تتكوّن من: (و + أداة نفي (حرف) + فعل + حرف + مفعول به (مقدّم) أول + مفعول به (مقدّم) ثان + أداة حصر + فاعل).

٢- قال تعالى: ﴿فَأَرَادْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاءً وَأَقْرَبَ رَحْمًا﴾ الآية: ٨١.

الآية الكريمة تشير إلى تعليل فعل العبد الصالح بعد قتله الغلام، وبعد أن اعترض عليه موسى (عليه السلام)، فعلّل ذلك بإرادة الإبدال لأبويه بأقرب منه رحمةً وعطفًا عليهما.

وقال صاحب تفسير الميزان في الآية المباركة: ((تَلَوُّحٌ إِلَى أَنَّ إِيمَانَ أَبَوَيْهِ كَانَ ذَا قَدْرِ عِنْدَ اللَّهِ، وَيَسْتَدْعِي وَلَدًا مُؤْمِنًا صَالِحًا يَصِلُ رَحْمَهُمَا، وَقَدْ كَانَ الْمُقْضَى فِي الْغَلَامِ خِلَافَ ذَلِكَ، فَأَمَرَ اللَّهُ الْخَضِرَ بِقَتْلِهِ لِيُبَدِّلَهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاءً وَأَقْرَبَ رَحْمًا))^(٤١)، في الآية المباركة جملةً تحويليةً سبب تحويلها تقديم المفعول به على الفاعل، وهي: (يبدلها ربهما)، فترى المفعول به الضمير (هما) تقدّم على الفاعل ربهما، ويمكن تحليل الجملة إلى عناصرها الآتية:

ج ← مركّب فعلي + مركّب اسمي

م. ف ← فعل + ضمير

م. س ← اسم + ضمير

١- قال تعالى: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْثَقْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَآبِي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنَسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ﴾ من الآية: ٦٣. الآية الكريمة تتحدّث عن قصة موسى عند سفره طلباً للعبد الصالح الذي أتبعه لغرض التعلّم، وقبل أن يجده طلب من فثاه أن يُحضّر لهم الغداء، فذكر الفتى ما حصل معه عند الصخرة عندما سقط الحوت في الماء، ورجعت له الحياة، فأخذ يسبح، وهو

وجاءت في سورة الكهف آياتٌ فيها مفاعيل متقدّمة على فاعلاتها، فعُدّت الجملة بسببها - التقديم والتأخير - جملةً تحويليةً، ومن هذه الآيات:

١- قال تعالى: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْثَقْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَآبِي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنَسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ﴾ من الآية: ٦٣.

الآية الكريمة تتحدّث عن قصة موسى عند سفره طلباً للعبد الصالح الذي أتبعه لغرض التعلّم، وقبل أن يجده طلب من فثاه أن يُحضّر لهم الغداء، فذكر الفتى ما حصل معه عند الصخرة عندما سقط الحوت في الماء، ورجعت له الحياة، فأخذ يسبح، وهو



التقديم والتأخير في سورة (الكهف) ...

نائب الفاعل، وسبب تحويلها هو تقديم المفعول به، فضلاً عن حذف الفاعل منها، والجمله هي: (نُفِّخَ فِي الصُّورِ)، وتتكوّن هذه الجمله من العناصر الآتية:

| | |
|--------|--------------------------------------|
| ج ← | مركب فعليّ + مركب حرفيّ + مركب اسميّ |
| م. ف ← | فعل |
| م. ح ← | حرف |
| م. س ← | أداة + اسم |
| فعل ← | نفخ |
| حرف ← | في |
| اسم ← | ال + صور |

ومن هذه العناصر نحصل على الجمله التحويلية الآتية: (نُفِّخَ + في + ال + صور).

إذّن تكوّنت الجمله من: (فعل ماضٍ مبنيّ للمجهول + حرف جرّ + أداة تعرف + اسم مجرور)، وشبه الجمله متعلّقة بمحذوف في محلّ رفع نائب فاعل، وهذا سبب تحويلها، أعني حذف الفاعل، وتقديم المفعول به.

خاتمة

شغل البحث في دلالة الالفاظ فكر اللسانيين العرب المحدثين، فأخذوا يحاولون تطبيق النظرية التي وضعها العلماء الغربيون، وتوظيفها لصالح اللغة العربية، والحقّ يقال: إنّ العلماء الغربيين ومنهم العالم (تشومسكي)، لم يرد أنّ يضع نظريته للغة فحسب، بل أراد وضعها لجميع اللغات، ولكن لغتنا العربية لها قوانين وأنظمة جعلتها تبدو أصعب من اللغات الأوربية في تطبيق النظرية التوليدية التحويلية.

وأهمّ النتائج التي يمكن تسجيلها في ضوء بحثنا هذا (التقديم والتأخير في سورة الكهف) كانت الآتية:

١- الترابط الذي أشار إليه (تشومسكي) في نظريته، وهو البنية العميقة والبنية السطحية، وما ألحق بهما من قوانين، يمكن أنّ يرى واضحاً في اللغة العربية؛ وهذا يعني أنّ نظرية (تشومسكي) كانت نظرية عامّة للغات جميعاً.

٢- يمكن للباحث أنّ يأخذ نصّاً قرآنيّاً، وتحليله وفق النظرية التوليدية التحويلية، والخروج بفائدة لا يمكن الاستهانة بها، فالتحليل وفق تلك النظرية يكون أكثر دقّة وشموليّة في بيان المعاني التي تحملها التراكيب والجمل.

٣- استوعبت النظرية التوليدية التحويلية الحالات

| | |
|--------|------|
| فعل ← | يبدل |
| ضمير ← | هما |
| اسم ← | ربّ |
| ضمير ← | هما |

ومن هذه العناصر تنتج الجمله التحويلية الآتية: (يبدل + هما + ربّ + هما).

وبهذا تكوّنت لدينا جملته تحويلية من: (فعل + مفعول به مقدّم + فاعل + مضاف إليه).

هـ المبني للمجهول

يتّم التوصل إلى البناء للمجهول في اللغة العربية بتقديم المفعول به إلى الأمام، ويعدّ هذا التقديم تغييراً لحال الجمله من التوليدية إلى التحويلية، ومن آيات سورة الكهف الواردة فيها جملته المبني للمجهول، والتي تعدّ جملته تحويلية، ما يأتي:

١- قال تعالى: ﴿وَوَضَعَ الْكِتَابَ فِئْرِ الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾ من الآية: ٤٩.

في الآية الكريمة إشارة إلى وضع الكتاب يوم القيامة ونصبه؛ ليحكم عليه، وهذا دليل على خوفهم ممّا في الكتاب؛ لاحتوائه على الأعمال السيئة؛ ولذلك عُدّي به (من) (٤٩).

في الآية المباركة جملته تحويلية، وسبب تحويلها البناء للمجهول (تقديم المفعول به وحذف الفاعل)، والجمله هي: (وَضَعَ الْكِتَابَ)، وتتكوّن هذه الجمله التحويلية من العناصر الآتية:

| | |
|--------|-------------------------|
| ج ← | مركب فعليّ + مركب فعليّ |
| م. ف ← | فعل |
| م. س ← | أداة + اسم |
| فعل ← | وضع |
| اسم ← | ال + كتاب |

ومن هذه العناصر نحصل على الجمله التحويلية الآتية: (وضع + ال + كتاب).

ووفق ما سبق تنتج الجمله الآتية: (فعل ماضٍ مبني للمجهول + أداة تعريف + نائب فاعل).

٢- قال تعالى: ﴿وَنُفِّخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْتَهُمْ جَمْعًا﴾ من الآية: ٩٩.

الآية المباركة تتحدّث عن حال الخلائق يوم القيامة، يوم يختلط بعضهم في بعض كموج البحر، فقد يكون المقصود بذلك اختلاط الناس ببعضهم، وقد يكون المقصود اختلاط الناس في الجنّ، أو الجنّ في الجنّ، وعبر عنهم بالموج؛ لكثرتهم مع بيان نفخ الصور، وما ينتج عنه (٤٣).

في الآية الكريمة جملته تحويلية، وهي جملته



التقديم والتأخير في سورة (الكهف) ...

- الهوامش:**
- ١- ينظر: قراءة جديدة في نظرية تشومسكي اللغوية، د. عباس حسن: ١.
 - ٢- ينظر: التفكير الدلالي في الدرس اللساني، خالد خليل: ١٨٧.
 - ٣- ينظر: النحو العربي والدرس الحديث، عبده الراصدي: ١٠٩.
 - ٤- اللسانيات واللغة العربية، عبد القادر الفهري: ١ / ٦٥.
 - ٥- التفكير الدلالي في الدرس اللساني: ١٨٨، وينظر: العربية وعلم اللغة النبوي، حلمي خليل: ٨.
 - ٦- ينظر: التفكير الدلالي في الدرس اللساني: ٢٠٩.
 - ٧- اللسانيات واللغة العربية: ١ / ٦٢.
 - ٨- ينظر: نشأة الدرس اللساني، فاطمة الهاشمي: ٣.
 - ٩- ينظر: اللسانيات، المجال والوظيفة، والمنهج، سمير شريف استيتية: ١٧٣.
 - ١٠- اللسانيات التوليدية التحويلية، عادل فاضوني: ٥٤.
 - ١١- ينظر: النظرية التوليدية التحويلية وتطبيقاتها في النحو العربي، أحمد المهدي المنصوري: ٣٢٦.
 - ١٢- ينظر: النظرية النحوية، مازن الوعر: ٣٢.
 - ١٣- ينظر: دراسات في اللسانيات العربية، عبد الحميد السيد: ٧٧.
 - ١٤- ينظر: الألسنية التوليدية والتحويلية، ميشال زكريا: ٨.
 - ١٥- اللسانيات، المجال والوظيفة والمنهج: ١٧٧ - ١٧٨.
 - ١٦- ينظر: الألسنية التوليدية والتحويلية: ٩.
 - ١٧- ينظر: المصدر السابق: ٩.
 - ١٨- ينظر: المباحث في النظرية الألسنية، ميشال زكريا: ١١٢.
 - ١٩- ينظر: دراسات في اللسانيات العربية: ٧٨ - ٧٩.
 - ٢٠- ينظر: إحياء النحو، إبراهيم مصطفى: (أ).
 - ٢١- ينظر: دراسات في اللسانيات العربية: ٧٧ - ٨٠.
 - ٢٢- ينظر: جذور النظرية التوليدية والتحويلية في كتاب سيويه، جابر عبد الأمير التميمي: ٧٧.
 - ٢٣- من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس: ٢٩٥.
 - ٢٤- اللغة، فندريس: ١٠٩.
 - ٢٥- ينظر: المنهج التوليدي والتحويلي، عفت كاظم السوداني: ١١٨.
 - ٢٦- ينظر: الكتاب، سيويه: ١ / ٣٤، ٤٥، ٤٧، ٥٦، ٥٩.
 - ٢٧- ينظر: المصدر السابق: ٣٠٠ - ٣٠١.
 - ٢٨- ينظر: المصطلح النحوي في كتاب سيويه، صباح العبيدي: ١٠٣.
 - ٢٩- ينظر: الكافية، شرح الرضي: ١ / ٢١٦.
 - ٣٠- ينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان: ٣٧٨.
 - ٣١- الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١٣ / ٣٣٢.
 - ٣٢- ينظر: شرح ابن عقيل، على ألفية ابن مالك: ١ / ٢٢٧.
 - ٣٣- ينظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، علي محمد دخيل: ٣٩٠.
 - ٣٤- ينظر: الأصول في النحو، ابن السراج: ١ / ٥٩.
 - ٣٥- ينظر: تفسير القرآن الكريم، عبد الله شبر: ٢٩٨.
 - ٣٦- ينظر: التفسير المطول، محمد راتب النابلسي: ٧ - ٨.
 - ٣٧- ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ١٣ / ٣٩٦.
 - ٣٨- ينظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٣٥٥.
 - ٣٩- الكتاب: ١ / ٣٤.
 - ٤٠- ينظر: تفسير القرآن الكريم: ٣٠١.
 - ٤١- الميزان في تفسير القرآن: ١٣ / ٣٤٤.
 - ٤٢- ينظر: المصدر السابق: ١٣ / ٣٢٠، وينظر: مجمع البيان، الطبرسي: ٦ / ٣٥٠.
 - ٤٣- ينظر: تفسير القرآن الكريم: ٣٠٤.



المصادر والمراجع

• القرآن الكريم

- ١- إحياء النحو، إبراهيم مصطفى، القاهرة، ١٩٥٩م.
 - ٢- الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن السري بن سهل، المعروف بابن السراج (ت ٣١٦هـ)، ت: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت.
 - ٣- الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، د ميشال زكريا، بيروت - لبنان، ١٩٨٤م.
 - ٤- البيان في رائج القرآن، تمام حسان، دار النشر عالم الكتب، ط، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
 - ٥- تفسير القرآن الكريم، السيد عبد الله شبر، دار الإسلام، ط، ١٠، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
 - ٦- التفسير المطول، موسوعة النابلسي، محمد راتب النابلسي، الدرس (٧ - ٨) بتاريخ ٢٧ / ١١ / ١٩٧٨م.
 - ٧- التفكير الدلالي في الدرس اللساني، خالد خليل، الدار البيضاء للعلوم ناشرون، جامعة بغداد، كلية التربية، ابن رشد.
 - ٨- التفكير اللغوي بين القديم الحديث، د كمال محمد بشر، دار عربية، القاهرة، ٢٠٠٥م.
 - ٩- جذور النظرية التوليدية التحويلية في كتاب سيبويه، جابر عبد الأمير جبار التميمي، رسالة ماجستير، بغداد، ٢٠٠٣م.
 - ١٠- دراسات في اللسانيات العربية، عبد الحميد السيد، دار الحامد، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
 - ١١- شرح ابن عقيل (ت ٧٦٩هـ) على ألفية ابن مالك (ت ٦٧٢هـ) بيروت، ط ١٥، ١٩٧٢م.
 - ١٢- العربية وعلم اللغة البنيوي، د. حلمي خليل، دار المعرفة لجامعة الاسكندرية، ١٩٨٨م.
 - ١٣- قراءة جديدة في نظرية تشومسكي اللغوية، د. عباس حسن، مكتبة لسان العرب الإلكترونية، ٢٠٠٦، (بحث).
 - ١٤- الكافية في النحو، شرح الرضي، (ت ٦٨٦هـ) يوسف حسن عمر، جامعة قار يونس - ليبيا.
 - ١٥- الكتاب، ابو بشر عمرو بن عثمان سيبويه (ت ١٨٠هـ) مكتبة الخارجي، القاهرة، ١٩٨٨م.
 - ١٦- اللسانيات التوليدية التحويلية، د. عادل فاضوني، دار التعليمية للطباعة والنشر، بيروت، ط ١، ١٩٩٨م.
 - ١٧- اللسانيات العربية الحديثة، د. مصطفى غلفان، ط ١ الدار البيضاء، ٢٠٠٦م.
- ١٨- اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج، د. سمير شريف، ط ١، الاردن، ٢٠٠٥م.
 - ١٩- اللسانيات واللغة العربية، نماذج تركيبية ودلالية، د. عبد القادر الفاسي الفهري، دار الشؤون الثقافية، مشروع النشر المشترك، بغداد، د.ت.
 - ٢٠- اللغة، ج - فندريس، ترجمة عبد الحميد القصاص، ومحمد الرواقي، القاهرة.
 - ٢١- المباحث في النظرية الألسنية وتعلم اللغة، د. ميشال زكريا، ط ١، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ٢٠٠٠م.
 - ٢٢- مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن، الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
 - ٢٣- المصطلح النحوي في كتاب سيبويه، صباح عبد المهدي العبيدي، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٠م.
 - ٢٤- من أسرار اللغة، د. إبراهيم انيس، القاهرة، ط ٥، ١٩٧٥م.
 - ٢٥- المنهج التوليدي والتحويلي، عفت كاظم السوداني، رسالة دكتوراه، جامعة بغداد، ٢٠٠٠م.
 - ٢٦- الميزان في تفسير القرآن، العلامة محمد حسين الطباطبائي، براديم، ط ١، ٢٠٠٤م.
 - ٢٧- النحو العربي والدرس الحديث، د. عبده الراصدي، القاهرة، ١٩٨٦م.
 - ٢٨- نشأة الدرس اللساني في الوطن العربي، فاطمة الهاشمي بكوش، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، ١٩٩٩م.
 - ٢٩- النظرية التوليدية التحويلية وتطبيقاتها في النحو العربي، د. أحمد المهدي المنصوري، د. سمهان الصالح، مجلة جامعة القدس المفتوحة، مجلد ٣، العدد ٧٥، ٢٠٢١م.
 - ٣٠- النظرية النحوية، والدلالية في اللسانيات التحويلية والتوليدية، د. مازن الوعر، مجلة اللسانيات، ١٦٤، الجزائر، ١٩٨٢م.
 - ٣١- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، علي محمد علي دخيل، دار التعارف للمطبوعات، ط ٢، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.



العنوانُ في الرواية العراقية بعد عام 2003 الدلالات والتراكيب

م. د. خالد مرعي المسعودي
مديرة تربية كربلاء المقدسة

The title in the Iraqi novel after 2003

Signs and structures

Lecturer Dr Khaled Marei Al Masoudi



الملخّص

يدورُ هذا البحث مدار الرواية العراقية التي التبتت بالوجع العراقي بعد، 2003 لكننا وملتطلبات البحث العلمي اخترنا العناية بالعنوان فقط إذ ليس من الدقة العلمية الخوض في تفاصيل متشعبة كتشعب موضوعات الرواية العراقية في الحقبة موضوع الدراسة، لذا كان عنوان بحثنا (دلالة العنوان في الرواية العراقية) إذ من غير الممكن الخوض في حيثيات الرواية العراقية بكل مخاضاتها، فقد وجدنا بأن العنوان كفيل بإيضاح بعد مهم من أبعاد الفكرة الروائية في المدة موضوع الدراسة، لكن الخوض في مفصليات العنوان بكل ما يعنيه قد يتطلب مجالاً أوسع من هذا البحث المقتضب.

Abstract

This research revolves around the Iraqi novel, which was overwhelmed with pain after 2003. However, for the requirements of scientific research, we chose the title carefully since as it is not scientifically accurate to delve into manifold details such as the bifurcation of the topics of the Iraqi novel in the era under study. Thus, this research has been entitled as 'the significance of the title in the Iraqi novel' because it is not possible to delve into the merits of the Iraqi novel with all its struggles. It is found that the title is enough to clarify an important dimension of the novelistic idea in the period under study. In addition, delving into the articulations of the title with all its meanings may require a broader field of this brief research.



مجموعة من العلاقات اللسانية قد ترد طالع النص لتعيينه وتعلن فحواه وترغب القراء فيه^(٤).

وعرف رولان بارت العنوان بأنه: ((عبارة عن أنظمة دلالية سيمولوجية تحمل في طياتها قيما أخلاقية واجتماعية وأيديولوجية^(٥).

فيما عرفه ليو هوك بقوله: ((مجموعة من العلامات اللسانية التي يمكن أن تدرج على رأس نص لتحده وتدل على محتواه العام وتغري الجمهور المقصود^(٦)) وينسحب أمر الاختلاف في التعريف إلى النقاد العرب إذ نرى تباينا واضحا بينهم في تعريف العنوان ففي الحين الذي يرى فيه محمود عبد الوهاب بأنه بنية صغرى لا تعمل إلا بالتأزر مع البنى الأكبر^(٧) فإن جميل حميداي يصفه بأنه مفتاح تقني يجس به نبض النص وتجاعيده وتضاريسه^(٨).

تاريخية العنوان

وردت مفردة العنوان في الأدب العربي القديم بالمعنى نفسه الذي تستعمل فيه الآن، فالمفردة لم تتعرض لانزياحات دلالية كما نجد ذلك في المفردات العربية الأخرى، فقد ورد مرارا في الشعر العربي بالدلالة نفسها، قال سوار بن المضرب: حاجة دون أخرى قد سنحت بها جعلتها للتي أخفيت عنوانا^(٩).

وكان الشعراء يذكرون التعبير (عنوان الكتاب) كما نذكره نحن اليوم، قال أبو داود الرواسي: لمن طلل كعنوان الكتاب بطن أواق أو قرن الذهب^(١٠) لكن العنوان بوصفه مجالا دراسيا لم يبرز إلا في بداية العصر الحديث حتى أن غولدمان الناقد المعروف وصفه ذات مرة بالمسألة البسيطة حين ذكر إن: ((الذين تعرضوا إلى مسألة بسيطة مثل العنوان في رواية الراي الذي يشير- مع ذلك بوضوح - إلى مضمون الكتاب، ليتفحصوه بما يستحق من عناية^(١١)) وورد العنوان بعد ذلك في جهود مجموعة من النقاد الأجانب ومن ثم العرب ((وتنبه إليه الباحثون في مجال السيميوطيقا وعلم السرد والمنطق وأشاروا إلى مضمونه الإجمالي في الأدب والسينما والإشهار نظرا لوظائفه المرجعية واللغوية والتأثيرية والأيقونية، وحرصوا على تمييزه في دراسات معمقة بشرت بعلم جديد ذي استقلالية تامة، ألا وهو (علم العنوان) الذي ساهم في صياغته وتأسيسه باحثون غربيون معاصرون منهم: جيرار جنيت وهنري متران ولوسيان غولدمان وشارل كريفل وروجر روفر وليوهويك^(١٢) فلم يكن هناك اهتمام بالعنوان قبل العصر الحديث، يقول عبد الله الغدامي

يكتسب هذا البحث أهميته من أهمية الموضوع الذي يعالجه وخطورته فلا يخفى ما للعنوان من وظائف دلالية كثيرة؛ أيديولوجية، وتعيينية، تأثيرية، وإيحائية، وتأويلية يضيفها على النص المعنون، فالعنوان يعدّ مفتاحا أساسيا يتسلح به المحلل للولوج إلى أغوار النص العميقة قصد استنطاقها وتأويلها^(١٣) ولا يخفى كذلك أنّ الرواية العراقية بعد ٢٠٠٣ شكلت متنا سرديا غنيا بالدلالات على الأصدّة كافة بدءا من العنوان وانتهاء بالنص نفسه فضلا عن العدد الكبير من الإصدارات الذي تجاوز الخمسمائة رواية وهو بحد ذاته يمثل حراكا سرديا لم يشهده الأدب العراقي مطلقا.

وتبعا لطبيعة الموضوع قسّم البحث الى ثلاثة مباحث كان الأول منها في التعريف بالعنوان ولمحة مختصرة عن تطوره اصطلاحيا. فيما تكفل المبحث الثاني تحليل الدلالات الزمانية والمكانية في عناوين الروايات العراقية. وتكفل المبحث الثالث في مناقشة الدلالات التركيبية التي حفلت بها عناوين الروايات العراقية التي صدرت في هذه الحقبة.

المبحث الأول

العنوان في اللغة والاصطلاح

يرد العنوان في المعاجم اللغوية من ثلاثة جذور؛ الأول الجذر اللغوي (عنا) بمعنى أراد، وعنيت بالقول أردت، والعنوان بضم العين وكسرهما سمة الكتاب، وعنونه عنونة وعنوانا: وسمه بالعنوان، أمّا الجذر الثاني فهو (ع ن) بمعنى عرض ولفت الانتباه إلى الشيء، وعن الكتاب يعنه عنا وعننته بمعنى عينته وعنونته، أمّا الجذر الثالث فهو (علن) فيقال علونت الكتاب أظهره أي بمعنى عنونته^(١٤) والعنوان في الاصطلاح القديم ((هو أن يأخذ المتكلم في غرض له من وصف أو فخر أو مدح أو هجاء أو عتاب أو غير ذلك ثم يأتي لقصد تكميله بألفاظ تكون عنوانا لأخبار متقدمة وقصص سالفة^(١٥).

والظاهر من المعاني المتقدمة أن العنوان يراد منه شيء يذكر للاستدلال به، فهو واسطة لتعرف من خلاله على بنية النص.

أمّا العنوان في كتب المصطلحات الحديثة فهو لا يخلو من المصاعب لعدم ضبطه بدقة ويمكن أن نلاحظ ذلك في اختلاف الرؤى بين النقاد، فقد عرف بأنه



شكَّ أن التعريف يخزن الرؤية المعرفية التي ينطلق منها الناقد.

ففي معجمه يعرف سعيد علوش العنوان بأنه مقطع لغوي أقل من الجملة نصاً أو عملاً فنياً^(٢٩) وهو تعريف مشكل تعوزه الدقة، ولا دليل عليه كما يرى حميد الشيخ فرج الذي أبدى اعتراضه على علوش مبيناً أنه يمكن للعنوان أن يكون جملة مستشهدا بعنوانين كتب عربية قديمة مثل: مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي وكتاب ابن خلدون المعنون بـ: ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ويعترض عليه أيضاً في قوله: (نصاً أو عملاً فنياً) إذ يرى بأن النص في المفهوم المعاصر يشتمل على كل عمل فني، مكتوباً أو لوحة أو بناء^(٣٠).

المبحث الثاني

الدلالات الزمانية والدلالات المكانية للعنوان في الرواية العراقية بعد ٢٠٠٣
قبل الولوج إلى متن الرواية يصادفنا العنوان بوصفه ((رسالة لغوية تعرف بهوية النص، وتحدّد مضمونه، وتجذب القارئ إليه وتغويه به^(٣١))) ومن العنوان تبدأ عملية الفهم والتأويل، وهما أن العنوان يكون مكثفاً دائماً ومختصراً فإنه حتماً سيكون مشبّحاً بالدلالات التي تكون في النهاية الجسر الواصل بين الكاتب والمتلقي فهو ((علامة أو إشارة تواصلية له وجود فيزيقي/ مادي وهو أول لقاء مادي محسوس يتم بين المرسل(النّاص)، والمتلقي^(٣٢))) لكن دور العنوان لا يتحدّد بهذا الوصف بل يعدّ ((رسالة لغوية تعرف بتلك الهوية وتحدّد مضمونها، وتجذب القارئ إليها وتغريه بقراءتها، وهو الظاهر الذي يدلّ على باطن النص ومحتواه^(٣٣).

أولاً: الدلالات الزمانية

للزمن في العنوان دلالات كثيرة بل تتعدّد هذه الدلالات بتعدد القراءات وهما أن الرواية العراقية في الحقبة موضوع الدراسة امتهنت التوثيق لثلاثة أزمنة فإن الألفاظ المستعملة الدالة على الزمن في الرواية العراقية اصطبغت بصيغة المدة التي تتحدّث عنها، وحين يتم التركيز على الزمان في العنوان فإن في ذلك دلالات تخضع لتأويلات متعددة فالعنوان كما يرى الناقد الطاهر روايته ((أول عبارة هه، ويؤكد مطبوعة وبارزة من الكتاب،

((العناوين في القصائد ماهي إلا بدعة حديثة، أخذ بها شعراؤنا محاكاة لشعراء الغرب - والرومانسيون منهم خاصة))^(٣٤) إلا أن العنوان بوصفه مصطلحاً نقدياً لم ينل اهتمام النقاد ولم يعط حظه من البحث والتنظير والتفكير بصورة عملية دقيقة إلا مع الناقد جيرار جينيت الذي أكد أن الوظيفة الأولى للعنوان هي (التعيينية) الأمر الذي فتح المجال أمام النقاد الآخرين ليجدوا في العنوان وظائف أخر فوظيفته عند غريفل (استدعائية) وعند ميتران (تسموية) وعند غولنشتاين (تمييزية وتلخيصية) وعند كونروويس (الوصفية).^(٣٥) وممّا تقدّم نجد أن الوظائف المتقدمة ترادف عند جيرار جينيت فلا فرق كبير دلالياً بين المصطلحات: التعيين والاستدعاء والتسمية والتمييز والوصف ويمكن القول إن تلك الوظائف كلها تشترك في بيان أهمية العنوان وماهيته.

وهما أن العنوان يمثّل عتبة فإن المتلقي يمكن أن يستشعر أهميته منذ الوهلة الأولى الذي يدرك فيها أهمية العتبة في حياته العادية إذ من غير الممكن منطقياً الدخول للشئ أياً كان بصورة صحيحة دون المرور بالعتبة، ومن هنا يمكن أن نقول بأن جينيت كان مصيباً في وصف العنوان بهذه الصفة.

ولابد من الإشارة هنا أن حظ العنوان في النقد العربي والغربي كان متفاوتاً إلى حدّ بعيد فقد أهمل العنوان عندنا ولا نكاد نعثّر على دراسة تأصيلية له عند نقادنا قبل التأثر بما كتبه الغربيون على الضدّ ممّا نراه في النقد الغربي فقد كتب فيه تأصيلاً هناك مجموعة كبيرة من النقاد ترجمت عدد من كتاباتهم، منهم ليو هوك ورولان بارت وجاك دريدا وروبرت شولز^(٣٦).

أمّا النقاد العرب فقد كتبوا في العنوان متأثرين بما كتبه الغربيون - كما مرّ - ومن أبرز النقاد الذين انشغلوا في دراسة العنوان: محمود عبد الوهاب^(٣٧) وياسين النصير^(٣٨) وسمير الخليل^(٣٩) وخالد حسين^(٤٠) وحميد الشيخ فرج^(٤١) وجميل الحميداي^(٤٢) وعبد الله الغدّامي^(٤٣) ومحمد مفتاح^(٤٤) ومحمد عويس^(٤٥) وشعيب حليفي^(٤٦) ومحمد فكري الجزائر^(٤٧) وصباح حسن عبيد التميمي^(٤٨) ويمكن أن نرصد مجموعة من الاشكاليات في التناول النقدي العربي لمصطلح العنوان الأمر الذي يحيل على اشكاليات نقدية أساسية تطرّق لها النقاد في أكثر من موضع^(٤٩) ويمكن أن نقف على واحدة من تلك الاشكاليات بخصوص العنوان وتتمثّل في تعريف العنوان، إذ لا



فالرواية كتبت بنكهة عراقية خالصة ويتجلى هذا الأمر من خلال التشديد على موضوعة الموت الذي فرض هيمنته في أجواء الرواية بوصفه الثيمة الواضحة التي يجب إبرازها في هذه المدة فالكلمة في الرواية المذكورة مشاريع موت مؤجل وبحسب تعبير الراوي إن الكل مدفونون في أجسادهم بانتظار لحظة وضعهم تحت التراب فأغلب أبطال الرواية إمّا سجناء ينتظرون لحظة اعدامهم أو جنود ينتظرون ساعة موتهم ممّا دفع البعض إلى اتخاذ طرائق قد تثير السخرية كما نرى في بطل الرواية الذي ادعى الجنون هرباً من نيران الحرب أمّا العامة من الناس فإنهم يعيشون لحظات القلق والخوف بانتظار مصيرهم الذي لا يعدو الأمرين السابقين. إن الدلالة الزمنية للتركيب اللغوي (العصر الزيتوني) تتجسد في شخصية (الرفيق موحان) الذي يثير الرعب في قلوب الناس في مدينة الثورة فضلاً عن الرعب الذي يثيره أخوه (فرحان) الذي يعمل مشرحاً في المستشفى وبذلك جسّد الروائي الشؤم كله في شخصية (فرحان) إلى الحد الذي جعل الكلاب نفسها تهرب منه حينما تراه ((حين يمرّ فرحان تتحرك أوراق شجيرات الخروع والسيسبان وزهرة الشمس وتتمايل أعواد القصب والبردي في الحدائق الكبيرة أمام البيوت، حين يمرّ يخرس الدجاج وينكمش البط خانساً وتنسل الكلاب إلى أقرب ملاذ تضع ذيولها بين ساقبها، فرحان الشبح يمرّ مثل النسيم المخيف في أفلام الرعب^(٣٧))) ورغم الذي تقدّم من دلالات مأساوية نجد أن الروائي رسم بطل الرواية بصورة القارئ المثقف المغترب الذي يمتلك روحاً شفافة وحساً مرهفاً الذي طالما تغزّل بصاحته (سلامة فريد) بكلام يشبه كلام الشعراء ليكسر الروائي أجواء الحزن والفجائع بأجواء العشق بين البطل وصاحبته؛ هذه الفجائع التي يختتمها الروائي بمشاهد المقابر الجماعية التي أعقبت انتفاضة، ١٩٩١ وهكذا نجد أن عنوان هذه الرواية كان يدلّ على لون البدلات التي يرتديها رجال السلطة آنذاك بحيث يرمز إلى هذه المدة مصطلح العصر الزيتوني بوصفه ((نظاماً سيمائياً ذا أبعاد دلالية وأخرى رمزية تغري الباحث بتتبّع دلالاته ومحاولة فكّ شفرته الرامزة^(٣٨))) ومن الروايات التي حملت دلالات زمانية موحية رواية (تغريبة ابن زريق البغدادي الأخيرة) للروائي (سلام عبود) إذ نجد أن العنوان في

أو نص يعاند نصاً آخر ليقوم مقامه تفردته على مرّ الزمان، وهو قبل كل شيء علامة اختلاقية عدولية، يسمح تأويلها بتقديم عدد من التنبؤات حول محتوى النص ووظيفته المرجعية، ومعانيه المصاحبة وصفاته الرمزية، وهو من كل هذه الخصائص يقوم بوظيفتي التحريض والإشهار^(٣٩)) نلاحظ من خلال استقراء بسيط للروايات العراقية الصادرة بعد ٢٠٠٣ أن الروائي العراقي إمّا أن يتحدث عن فترة زمنية سابقة لعام ١٩٦٨ أو يتحدث عن الحقبة الممتدة من ١٩٦٨ إلى ٢٠٠٣ أو يتحدث عن الحقبة الزمنية الممتدة من ٢٠٠٣ إلى يومنا هذا إن هذا التحقيب للروايات العراقية الصادرة بعد ٢٠٠٣ يشير بأن الروائي العراقي مسكون بهاجس توثيق الوجد العراقي لذلك نلاحظ أن الحديث عن هذه الحقبة الثلاث هو حديث ذو شجون دائماً. لكن اللافت للنظر أن الروائي العراقي في الحقبة موضوع الدراسة أولى عناية خاصة بدلالات العنوان انطلاقاً من إيمانه بأن العنوان قد يشكّل مؤثراً كبيراً على نفسية المتلقّي، وهذا بحدّ ذاته مؤشر وعي عند الكاتب العراقي وهو يلتفت لأهمية العنوان بعد آحاد من الإهمال وهو أمر قد ينطبق على النتاج الأدبي كله ولا يقتصر على الروايات، فالعنوان لم يعد ((هو الذي يتقدّم النص ويفتتح مسيرة موه، أو مجرد اسم يدلّ على العمل الأدبي؛ يحدد هويته ويكرّس انتماءه لأب ما، لقد صار أبعد من ذلك بكثير، وأضحت علاقته بالنص بالغة التعقيد، إنه مدخل إلى عمارة النص، وإضاءة بارعة وغامضة لإبهائه وممراته المتشابكة...)) لقد أخذ العنوان يتمرّد على إهماله فترات طويلة، وينهض ثانية من رماده الذي حجبته عن فاعليته، وأقصاه إلى ليل من النسيان، ولم يلتفت إلى وظيفة العنوان إلا مؤخراً^(٤٠))) ومن الروايات التي صدرت في هذه الحقبة رواية (خضر قد والعصر الزيتوني) للروائي (نصيف فلك) ومن ملاحظة العنوان نجد أن الكاتب كان يدور مدار عقدي السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي حتى يصل إلى احتلال العراق للكويت. والظاهر من خلال العنوان أن هناك كوميدياً لكنها ملتبسة بالحزن بوصفه — أي العنوان — ((العلامة التي تطبع الكتاب أو النص وتسمه وتميّزه عن غيره، وهو كذلك من العناصر المجاورة والمحيطه بالنص الرئيس إلى جانب الحواشي والهوامش والمقدمات والمقتبسات والأدلة الأيقونية^(٤١)))



لذا وجدنا روايات عراقية كثيرة وظّف كتابها أماكن عراقية وغير عراقية في عنونة رواياتهم كما نجد ذلك في روايات: الجنائن المعلقة لبرهان الخطيب^(٤٣) والشماعية لعبد الستار ناصر^(٤٤) وغرباء في الرمادي لجاسم سلمان^(٤٥) وقيامة بغداد لعالية طالب^(٤٦) والمنطقة الخضراء لشاكر نوري^(٤٧) وحسنة الهور لعبد اللطيف الحرز^(٤٨) وضياح في حفر الباطن^(٤٩) ونجمة البتاوين لشاكر الأنباري^(٥٠) ومشرحة بغداد لبرهان الشاوي^(٥١) وأموات بغداد لجمال حسين علي^(٥٢) وفي المدونة الروائية العراقية الصادرة في الحقبة وموضوع البحث نجد للمكان دلالات كثيرة، وكل تلك الدلالات تعبر بألم عن مأساة العراقيين بل لا نخالف الحقيقة إن قلنا بأن الدلالات المكانية في العنوان ربما تفوق دلالات الزمن يتبين ذلك من خلال استقراء عناوين الروايات فقد كتب عبد الله صخي روايته (خلف السدة) وكتبت حوراء النداي روايتها (تحت سماء كوبنهاجن) وكتب ميثم سلمان (قشور بحجم الوطن) وكتب حسين سرمك روايته (ما بعد الجحيم) وكتب ناظم العبيدي روايته (أقصى العالم) وكتب أحمد غانم عبد الجليل روايته (بين الجنة والنار) وكتب حسين السكاف روايته (كوبنهاجن، مثلث الموت) وكتب نزار عبد الستار روايته (الأمريكان في بيتي) وكتب برهان الشاوي روايته (مشرحة بغداد)، وكتب أحمد السعداوي (البلد الجميل)، وكتب صموئيل شمعون (عراقي في باريس) وكتب علي بدر (مصايح أورشليم) وكتب عبد الستار ناصر (الشماعية) وكتب جاسم سلمان (غرباء في الرمادي) وكتبت عالية طالب (قيامة بغداد) وكتب شاكر الأنباري (نجمة البتاوين). ففي رواية (خلف السدة) التي كتبها عبد الله صخي ونشرت عام ٢٠٠٨ نجد أن للمكان في الذاكرة العراقية حضورا كبيرا، فالكاتب أراد من خلال العنوان (خلف السدة) مدينة الثورة أو مدينة صدام أو مدينة الصدر، وهنا يختزل المؤلف الذاكرة العراقية الموحوجة بسيرة هذه المدينة بوصف العنوان ((نصا مختزلا ومكتثا ومختصرا^(٥٣))) (فسيرة المدينة تعدّ معادلا موضوعيا لسيرة أية مدينة أو قرية بنيت على أساس الفقر والجوع والحرمان لذلك نرى الكاتب يلتفت إلى هذه القضية الهامة ليترك الجماعة هي التي تروي الأحداث رغم أن عائلة سلمان اليونس تعدّ محورا بارزا في الرواية المذكورة. وبما أن الروائي عبد الله صخي أحد سكان هذه المدينة فقد ارتأى أن تكون روايته وثيقة تاريخية لمدينته فأهل مكة أدري بشعابها دون أن يغفل أنه يكتب تلك

هذه الرواية يعتمد على شخصيات التاريخ بوصفها رموزا فاعلة ومناسبة لإسقاط فجائع الحاضر عليها فإن ((مسؤولية الأديب أعظم شأنًا وأبعدها خطرا لأن الأدب وحده من دون سائر الفنون، يقوم على مادة الألفاظ اللغوية أي على مدلولات معنوية صريحة^(٣٩))) لكن ممّا يحسب للكاتب أنه وظّف الترميز بادئا من العنوان بوصفه ((مجموع العلامات اللسانية (كلمات مفردة، جمل، نص) التي يمكن أن تدرج على رأس نصه لتحده وتدلّ على محتواه العام وتعريف الجمهور بقراءته)) فقد كان ليوهوك محققا حين وصفه بهذا الوصف^(٤٠). ومن خلال هذا العنوان تنشّط الأحداث ليخوض الكاتب في قضايا رفض الطائفية والتفرقة على أساس الدين بين البشر، حتى أننا نجد أن أسماء الشخصيات في الرواية هي أسماء تاريخية مثل المجريطي والملك البويهبي والخليفة العباسي. يحاول سلام عبود أن يتكئ على مأساة ابن زريق لمقاربتها في زمن العراق اليوم فالحاضر المجتمعي العراقي صورة مستنسخة لزمان بغداد قبل ألف عام فالأدب خير مصوّر لطبيعة المجتمع في أي لحظة من تاريخه، لذا فإن ((الوظيفة الاجتماعية للأدب تتجلى في نهوضه بأعبائه المعرفية والفكرية والتربوية وذلك فيما يزود به المتلقي من معرفة وخبرة وتوجيه^(٤١))) ونجد المماهة بين وفاة ابن زريق والموت المستمر للفرد العراقي في الزمن الذي يكتب عنه سلام عبود ومن خلال بطل الرواية (أبو سليمان عامر المجريطي) الذي يدفعه الشوق إلى السفر الى العراق للبحث عن الفتاة الجميلة (قمر) صاحبة ابن زريق الذي قال فيها قصيدته التي تعد من عيون الشعر العربي. وتسير أحداث الرواية حينما يدخل المجريطي بغداد ويلتقي بالخطيب البغدادي صاحب كتاب (تاريخ بغداد) ليطلب منه توظيف مادة كتابه في الرواية وبهذا نجد المزوجة بين الماضي والحاضر على مستوى الحياة والموت فمن ناحية الحياة يستدعي المؤلف أشخاصا من بطون التاريخ ومن ناحية أخرى يقارن بين الأحداث القديمة والأحداث الجديدة فموت ابن زريق يمثّل معادلا موضوعيا لموت أي مواطن عراقي وهو يترك حبيبته بأسى كبير (مات العراقي... رفع الشرف، رأيت عن بعد وجه ابن زريق متدمرا هازئا كعادته بلحيته الخفيفة المهذبة وتقاطيع وجهه الصارم لكنه رغم ذلك ظلّ يحتفظ بملامح الكبرياء.^(٤٢))

ثانيا: الدلالات المكانية

للمكان أهمية ملحوظة في تركيب العنوان



له السر الذي دفع الأمريكيان لانزال رجالهم في بيت جلال بالتحديد إذ يتبين أن لجلال أخا هو (كمال) كان موظفا كبيرا مسؤولا عن عمليات التنقيب والبحث عن الآثار العراقية القديمة وقد وصلت معلومات سرية توضح العثور على قلادة الملكة العراقية القديمة (شمشو) وبعد الاحتلال أودع هذه القلادة عند أخيه جلال؛ هذه القلادة كانت من الذهب الخالص المطرز بالحجر الذي يعود لخاتم النبي سليمان وأن شمشو هي ابنة سارة أخت النبي ناحوموهو ما جعل اليهود يتمنون الحصول عليها وهنا نجد الربط العميق بين أسباب احتلال العراق أو الموصل بالتحديد وأسبابه عند اليهود حين احتلوا فلسطين^(٥٨). وفي رواية (مشرحة بغداد) التي كتبها برهان الشاوي يأخذ العنوان بعدا طوباويا غائرا في التخيل رغم وضوح دلالاته العامة فأحداث الرواية تجمع بين اللاواقعية والواقعية إذ أنها تدور في مشرحة بغداد بين الجثث وبين الأسرة التي يلقون عليها بدءا من بطل الرواية الحارس آدم الذي يظهر أخيرا بأنه جثة ميتة، تتصارع الجثث فيما بينها كل يدافع عن انتماؤه أو مكانه في المشرحة أو يبررون قتل غيرهم فيتعاركون حتى يصل بهم الأمر إلى الخروج إلى الشوارع وكأنهم أحياء يرزقون إلى الحد الذي قد يحسب معه القارئ أن هؤلاء أناس يعيشون على أرض الواقع إلا أنهم في الواقع جثث متعفنة ربما لا أحد يعرفهم لتشوههم في التفجيرات وهكذا تجسد الرواية الحيرة التي عاشها العراقيون أثناء اضطراب الوضع بعد الاحتلال الأمريكي وتفشّي الاغتيالات وحوادث التفجيرات حتى اختلطت عليهم أبسط المفاهيم ومن جهة أخرى يمكن أن نلمس بعدا آخر ينطلق هذه المرة من الموروث الديني فهذه الجثث لأبرياء مغدورين فهم شهداء يعيشون بيننا^(٥٩).

المبحث الثالث

دلالات التراكيب اللغوية في العنوان

يتضح من الاستقراء الذي قام به الباحث لعدد كبير من الروايات العراقية التي صدرت في الحقبة موضوع الدراسة أن العنوان بوصفه مركبا لغويا أو بوصفه وحدة صرفية أو نحوية لا يتعدى في أغلب الحالات الجملة الواحدة ولا يتجاوز بضع كلمات والملاحظة الأخرى التي رصدها الباحث أن الغلبة كانت للصيغ الأسمية بدرجة كبيرة حيث لم يعثر الباحث على صيغة فعلية إلا ما ندر، وسيكون اهتمامنا هنا بالتراكيب مجردة دون الالتفات إلى

السيرة بصيغة أدبية معمولا كثيرا على العنوان إذ ((يعدّ العنوان مرسله لغوية تتصل لحظة ميلادها بحبل سري يربطها بالنص لحظة الكتابة والقراءة معا فتكون للنص بمثابة الرأس للجسد نظرا لما يتمتع به العنوان من خصائص تعبيرية وجمالية كبساطة العبارة وكثافة الدلالة وأخرى استراتيجية إذ يحتل الصدارة في الفضاء النصي للعمل الأدبي^(٥٥)) والقارئ في رواية خلف السدة ينفذ يده منها وهو عارف بتفاصيل التاريخ وفي الوقت ذاته متذوقا لجمالية النص فقد يلحظ القارئ وبسهولة أن الروائي مزج التاريخ بالأدب وهو يسرد تاريخ الهجرات الأولى التي اتجهت صوب بغداد من محافظات الجنوب والوسط مكونة كتلة بشرية تفتقر إلى التنظيم والتخطيط حتى أن الحكومة آنذاك أجبرتهم أن يسكنوا خلف السدة التي تحيط ببغداد آنذاك وهنا نلتقي مع دلالة جديدة للعنوان فقد نظر إلى المهاجرين بأنهم من الفقراء والمعوزين والأمية وربما نظر لهم بأن مقرهم (خلف) السدة فمفردة خلف التي ترادف مفردة وراء تحمل من المعاني ما يجعلها على النقيض من مفردات قبل وأمام ولكنها تعرف الفوارق الكامنة في الوعي بين هاتين المفردتين، وكأن الكاتب أراد من خلال العنوان أن يجسد حجم الحرمان الذي عاناه سكان هذه المدينة ليزيد في المتن سردا يوضح تاريخ تلك المدينة منذ وصول الدفعات الأولى حتى ما بعد سنة، ١٩٦٨ وعليه يصبح ((العنوان ضرورة كتابية^(٥٥)))) وهنا نجد أن العنوان كان متوافقا مع المتن بل كان مدخلا يشي بأنه لا يمكن فصله عن بدن الرواية مطلقا^(٥٦). وفي رواية (الأمريكان في بيتي) التي كتبها نزار عبد الستار نجد أن الدلالة المكانية للعنوان (بيتي) تنسجم مع تصور العراقيين للوطن على أنه بيتهم جميعا ممّا يشي بدلالة الالتصاق بالوطن وحبّه، فالعنوان بحسب ليو هوك ((مجموعة العلامات اللسانية (كلمة، جملة، نص) التي يعين أن تدرج على رأس نص لتحده وتدلّ على محتواه العام وتعرّف الجمهور بقراءته))^(٥٧) فالإنسان يتعلّق بالوطن كما يحبّ المرء بيته ويحافظ عليه من كل دخيل أو غريب رغم أن أحداث الرواية تدور في مدينة الموصل وأن بطلها جلال يعمل اعلاميا ويمارس كافة الحيل من أجل تمويه سلطات الاحتلال الأمريكي للاستمرار في عمله. والبيت المقصود في العنوان هو بيت جلال الذي احتلته القوات الأمريكية ليكون هذا الاحتلال محور تساؤل استغرق حله متن الرواية كلها فبعد أن يستمر القارئ بالرواية حتى النهاية ينكشف



عددها قليل جدا في عناوين الروايات التي استقرت قياسي للصيغ الأسمية ورغم ذلك وجد هناك من ارتأى من الروائيين أن يختار لروايته جملة فعلية تامة كما نجد ذلك في روايات: وأقبل الخريف مبكراً هذا العام لقصي الشيخ عسكر^(٨٩) وجدّد موته مرتين لحמיד الربيعي^(٩٠) وحينما خرجت من الحلم لعلي عباس خفيف^(٩١) ولا يخفى على القارئ ما للصيغ الفعلية من دلالات تشير بالحركة والتغيير ومن هنا وبسهولة أيضا يمكن أن نوازن بين طرفي الروائيين العراقيين ونلاحظ كم الفرق كبير فبعضهم كان يأنس لا أمل له في الخلاص وبعضهم الآخر كان مدفوعا بهاجس التغيير.

وفضلا على ما تقدّم فقد وجد الباحث عناوين مكونة من شبة جملة باستعمال أحد أحرف الجر كما في روايات: عاشقان من بلاد الرافدين لجاسم المطير^(٩٢) وقوة الضحك في أورا لحسين مطلق^(٩٣) والعودة إلى كاردينيا لفوزي كريم^(٩٤) وحمار على أنه جبل لعبد الستار ناصر^(٩٥) وفي الطريق اليهم لهدية حسين^(٩٦) وأنف الوردة أنف كليوباترا لنعيم عبد مهلهل^(٩٧) وهنا نجد أن هذه العناوين التي تضمّنت أشباه جمل (جار ومجرور أو مضاف ومضاف إليه) ربما كانت ترمز بطرف خفي إلى التعلّق بشيء ربما يكون الأمل بالخلاص فأشباه الجملة لا معنى مستقل لها فهي تعرف بما تتعلّق به.

وقد اختار بعضهم عناوين نادرة كما فعل سنان أنطوان حين وسم إحدى رواياته بجملة نداء: يا مريم^(٩٨) وهنا نقف عند دلالة النداء التي تتعدّى الوظيفة الجمالية والبلاغية إلى توجيه الأنظار إلى المنادى والاهتمام به فالنداء يجمع بين الإيجاز والايحاء باستمالة المخاطب والاطمئنان إليه.

وقد مال عدد من الروائيين العراقيين إلى استعمال مفردات أجنبية في عنونة رواياتهم كما نجد ذلك في روايات: فيكتوريا لسامي ميخائيل^(٩٩) ناسوس لمحيي الدين زنكنة^(١٠٠) وديالاس بين يديه لشاكر نوري^(١٠١) وديسكولاند لأسعد الجبوري في حين مال البعض الآخر إلى استيحاء التاريخ في عنونة روايته كما نجد في روايات ألفاظا تاريخية: غرباء مثل الحسين لعبد الجبار ناصر^(١٠٢) ومناهة آدم لبرهان الشاوي^(١٠٣) وهذه كلها تشي بأن الروائي يتعمّد الغموض بتوظيفه تلك المفردات الأجنبية لسبب أو لآخر.

الخاتمة

بعد هذه الجولة التي كانت بمثابة سباحة في عناوين الروايات العراقية التي صدرت بعد عام

مواقعها الإعرابية لاختلاف النحاة في اعراب العناوين فقد قالوا بأن العنوان قد يعرب خبرا لمبتدأ محذوف وقالوا بأنه مبتدأ وخبره محذوف وقالوا بأنه مفعول به لفعل وفاعل محذوفين وهناك أقوال أخر لا تعني البحث.

لوحظ بأن الروائي العراقي كثيرا ما يلجأ إلى العنونة بمفردة واحدة لما لها من وقع في نفس القارئ، فلطالما كان العنوان مفردة واحدة معرفة (اسم) كما نجد ذلك في روايات: الراقصة لشاكر الأنباري^(٦٠) ودعبول لأمل بورتر^(٦١) والجدار لليلى جراغي^(٦٢) وقد يكون مفردة واحدة نكرة كما نجد ذلك في روايات: إعجام لسنان انطوان^(٦٣) وغايب لبتول الخضيري^(٦٤) وقد يكون مفردة واحدة مثنى كما في رواية: الضالان لمحمود سعيد^(٦٥) أو مفردة واحدة جمعا كما في روايات: قتلة لضياء الخالدي^(٦٦) وشياطين لغالب حسن الشابندر^(٦٧) والأضرحة لعزیز التميمي^(٦٨) وقد يكون العنوان مفردتين وقد لوحظ أنه غالبا ما يكون مضافا ومضافا إليه كما في روايات: عالم صدام حسين لمهدي حيدر^(٦٩) وما بعد الحب لهدية حسين^(٧٠) وأقمار عراقية في السويد لعلي عبد العال^(٧١) وزائفة الوجد لعبد عون الرضوان^(٧٢) وزهرة الرازقي لسلام عبود^(٧٣) وسوق هرج لعائد خصباك^(٧٤) ونبوءة الغيوم لعاتي بركات^(٧٥) ونزوة الموتى لشاكر نوري^(٧٦) ونهر جاسم لقصي الشيخ عسكر^(٧٧) أو مفردتين لكنهما معطوف ومعطوف عليه كما في روايات: الخائف والمخيف لزهير الجزائري^(٧٨) ودروب وغبار لجنان جاسم حلاوي^(٧٩) شلومو الكردي وانا و الزمن لسهير نقاش^(٨٠) وياسين وصحبه لحاتم جعفر^(٨١) وصخب ونساء وكاتب مغمور لعلي بد^(٨٢) أو مفردتين لكنهما صفة وموصوف كما في روايات: البلد الجميل لأحمد السعداوي^(٨٣) والحدود البرية لميسلون هادي^(٨٤) (ولجوء عاطفي لعبد الستار البيضاني^(٨٥)) وقد وجدت مجموعة من العناوين مكونة من جملة اسمية تامة كما في روايتي: إنه يحلم أو يلعب أو يموت لأحمد السعداوي^(٨٦) والتراب لا يتشابه

لفاطمة الحساني^(٨٧) أو جملة اسمية محذوفة المبتدأ كما في رواية: يوميات فتاة عراقية تقاوم العنوسة لكلشان البياتي^(٨٨) وما تقدّم يحيلنا كله لدلالة الاسم على الثبوت والدوام وقد يكون هذا إشارة إلى ما يضمه الكتاب العراقيون من يأس وغياب الأمل في تغيير الواقع السياسي والاجتماعي في بلدنهم لشدة الضنك الذي عايشه أولئك الكتاب.

أما الصيغ الفعلية فقد لاحظ الباحث إن



العنوانات كانت تصف البيئة العراقية بتفاصيلها الأمر الذي كون هوية روائية عراقية خاصة للمرة الأولى في تاريخ الأدب العراقي.

خامسا: احتفى الروائي العراقي وهو يعنون رواياته بالصيغ الأسمية كثيرا لما للاسم من دلالات في الثبوت وعدم التغيير وهو أمر يعكس شيئا مما كان يستشعره الروائي العراقي من يأس وغياب الأمل في اصلاح الواقع العراقي أو يشير من وجه آخر بالهمّ الضاغط على الذاكرة العراقية حتى بعد أن حصل التغيير السياسي في البلاد وهو ما أيّدته الحوادث بعد أن رافق هذا التغيير كثيرا من المتاعب والأحداث السياسية التي عصفت بالبلاد وما زالت تعصف به إلى الآن.

٢٠٠٣ يمكن للباحث أن يقف على عدد من النتائج عسى أن تكون منطلقا للبحث أكثر في هذا المجال:

أولا: غزارة الإنتاج الروائي العراقي بعد ٢٠٠٣ يشي بأن فسحة الحرية والمنتفّس التعبيري أطلق العنان للمخيلة الروائية العراقية أن توثق الحدث العراقي فضلا عن ذلك كان جانب الربح المالي مهيمنا على غزارة الانتاج.

ثانيا: اتصف المتن الروائي العراقي في أغلب مفاصله بالفجائية تعبيرا عن عقود من الكبت والحرمان.

ثالثا: كان العنوان في الروايات العراقية نابعا من لبّ الأحداث التي تتناولها الرواية ولم يكن أبدا ترفا كتابيا. **رابعا:** لوحظ بأن الدلالات الزمانية والمكانية في



الهوامش:

- ١- ينظر دينامية النص، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط.
 - ٢- ينظر، لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان، ط: ٢٠٠٠، المواد (عنا) و(عن) و(علن)
 - ٣- معجم مصطلحات النقد العربي القديم، د. أحمد مطلوب، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط، ٢٩٨: ٢٠٠١، نقلًا عن كتاب تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان اعجاز القرآن، تحقيق د. حفني محمد شرف، القاهرة، ١٩٦٣.
 - ٤- مدخل نظري لدراسة العنوان، محمد رشد، شبكة الانترنت.
 - ٥- نقلًا عن: السيموطيقا والعنونة، د. جميل حمداوي، مجلة عالم الفكر، مج، ع٥، ٩٦: ١٩٩٧، ٣
 - ٦- عتبات جبرار جينيت من النص إلى المناس، عبد الحق بلعابد، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط. ٣٧، ٢٠٠٨، ١
 - ٧- ينظر، ثريا النص ٩.
 - ٨- ينظر: السيموطيقا والعنونة: ٩٦.
 - ٩- عنوان النفاسة في شرح الحماسة، أبو عبد الله محمد بن قاسم بن زكور الفاسي، تحقيق محمد جمالي وعبد الصمد بالخياط ومصطفى لغفيري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط. ١٥٩ / ٣: ٢٠١٣
 - ١٠- لسان العرب، ابن منظور: باب العين.
 - ١١- الرواية والواقع، لوسيان غولدمان وآخرون، ترجمة رشيد بنجدو، عيون المقالات، دار قرطبة، الدار البيضاء، ط. ١٢، ١٩٨٨
 - ١٢- صورة العنوان في الرواية العربية: جميل حمداوي، شبكة الانترنت.
 - ١٣- الخطيئة والتكفير، من البنيوية إلى التشرحية، قراءة نقدية لنموذج الإنسان المعاصر، عبد الله الغدامي، النادي الأدبي الثقافي، جدة، المملكة العربية السعودية، ط. ٢٦١: ١٩٨٥
 - ١٤- ينظر، مدخل نظرية لدراسة العنوان، محمد رشد، شبكة الانترنت.
 - ١٥- ينظر، العنوان في الشعر العراقي الحديث: ١٨.
 - ١٦- ينظر، كتابه: ثريا النص، محمود عبد الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الموسوعة الصغيرة، ١٩٩٥.
 - ١٧- ينظر كتابه: الاستهلال، فن البدايات في النص الأدبي، ياسين النصير، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط. ١٩٩٣.
- ١٨- ينظر كتابه: علاقات الحضور والغياب في النص الأدبي، مقاربات نقدية، د. سمير الخليل، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط. ٢٠٠٨، ١
 - ١٩- ينظر كتابه: في نظرية العنوان، مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية، د. خالد حسين، دار التكوين للطباعة والنشر، ط، ١. ٢٠٠٧
 - ٢٠- ينظر كتابه: العنوان في الشعر العراقي الحديث.
 - ٢١- ينظر دراسته المنشورة في مجلة عالم الفكر: السيموطيقا والعنونة.
 - ٢٢- ينظر كتابه: الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشرحية، قراءة نقدية لنموذج انساني معاصر، د. عبد الله الغدامي، النادي الأدبي، الثقافي، جدة، السعودية، ط. ١٤٠٥، ١
 - ٢٣- ينظر كتابه: دينامية النص، تنظير وإيجاز، د. محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط. ٢٠٠٦، ٣
 - ٢٤- كتابه العنوان في الأدب العربي، النشأة والتطور، محمد عويس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط، ١، ١٩٨٨.
 - ٢٥- النص الموازي في الرواية، استراتيجية العنوان، شعيب حليفي، مجلة الكرمل الفلسطينية، العدد، ٤٦ سنة ١٩٩٦.
 - ٢٦- كتابه العنوان وسيموطيقا الإتصال الأدبي، محمد فكري الجزار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط، ١، ١٩٩٨.
 - ٢٧- كتابه: شعرية النص الموازي في الخطاب الشعري المعاصر، المقولة والاجراء، د. صباح حسن عبيد التميمي، الدار المنهجية، عمان، الأردن، ط، ١، ٢٠١٨.
 - ٢٨- ينظر مثلا، اشكاليات الخطاب النقدي العربي المعاصر، د. علي حسين يوسف، وإشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، يوسف وغليسي، الدار العربية ناشرون، بيروت، ط. ١، ٢٠٠٨.
 - ٢٩- ينظر: معجم المصطلحات الأدبية، سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط. ١٥٥: ١٩٨٥، ١
 - ٣٠- ينظر، العنوان في الشعر العراقي الحديث: ٤٠ - ٥
 - ٣١- شعرية عنوان كتاب الساق على الساق فيما هو الفارياق، محمد الهادي المطوي، مجلة عالم الفكر، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مجلد، ٢٨ العدد الأول، يوليو/ سبتمبر، ٤٥٧: ١٩٩٩.
 - ٣٢- سيمياء العنوان، بسام قطوس . ٣٦
 - ٣٣- قراءات في الشعر العربي الحديث، بشرى البستاني دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط، ١، ٣٤: ٢٠٠٢ .



- ٥٢- ينظر، اموات بغداد، جمال حسين علي، دار الفارابي، بيروت، ط٢٠٠٨.
- ٥٣- قراءة في كتاب سيمياء العنوان للدكتور بسام قطوس، الطيب بودربالة، محاضرات الملتقى الوطني الثاني السيمياء، والنص الأدبي، منشورات جامعة بسكرة، ١٥، ١٦، أبريل، ٢٠٠٢، ص. ٥٢
- ٥٤- سيميائية العنوان في "مقام البوح" لعبد الله العيش، شادية شقروش، محاضرات الملتقى الوطني الأول السيمياء والنص الأدبي، منشورات جامعة بسكرة، ٧، ٦، نوفمبر، ٢٧١: ٢٠٠٠
- ٥٥- العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي، محمد فكري الجزائر، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، ١٩٩٨: ١٥
- ٥٦- ينظر، خلف السدة، عبد الله صخي، دار المدى، بغداد، ط. ٢٠٠٨، ١
- ٥٧- ينظر المرجع السابق: ١٧
- ٥٨- ينظر، الأمريكان في بيتي، نزار عبد الستار، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط. ٢٠١١، ١
- ٥٩- ينظر، مشرحة بغداد، برهان الشاوي، المؤسسة العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط. ١، ٢٠١٢.
- ٦٠- ينظر، شاعر الانباري، دار المدى، بغداد، ط. ٢٠٠٣، ١
- ٦١- ينظر، دعبول، امل بورتتر، دار فضائات، ط. ٢٠٠٩، ١
- ٦٢- ينظر، الجدار، ليلي جراغي، دار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط. ٢٠٠٩، ١
- ٦٣- ينظر، اعجام، سنان انطوان، دار الاداب، بيروت، ط. ٢٠٠٤، ١
- ٦٤- ينظر، بتول الخضيري، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط. ٢٠٠٤، ١
- ٦٥- ينظر، الضاللات، محمود سعيد، دار الاداب، بيروت، ط. ٢٠٠٣، ١
- ٦٦- ينظر، قتلة، ضياء الخالدي، دار التنوير، بيروت، ط. ٢٠١٢، ١
- ٦٧- ينظر، الشياطين، غالب حسن الشابندر، فيشوميديا، السويد، ط. ٢٠١٢، ٢
- ٦٨- ينظر، الاضحة، عزيز التميمي، دار ازمنة، ط. ٢٠٠٤، ١
- ٦٩- ينظر، عالم صدام حسين، مهدي حيدر، دار الجمل، بيروت، ط. ٢٠٠٣، ٢
- ٧٠- ينظر، ما بعد الحب، هدية حسين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط. ٢٠٠٣، ١

- ٣٤- شعرية الدال في بنية الاستهلال في السرد العربي القديم ضمن الماشئة و النص الأدبي، الطاهر رواينية، أعمال ملتقى معهد اللغة العربية وآدابها، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة ١٧/١٥ مايو، ١٤١: ١٩٩٥
- ٣٥- شعرية الرواية، علي جعفر العلاق، مجلة علامات في النقد، مج٦، ع٢٣، السنة. ١٠٠: ١٩٩٧
- ٣٦- صورة العنوان في الرواية العربية، جميل حمداوي، <http://www.arabicnadwah.com/articles/2007/01/unwan-hamadaoui.htm>
- ٣٧- خضر قد والعصر الزيتوني، نصيف فلك، دار المدى، بغداد، الطبعة الاولى، ٦
- ٣٨- سيمياء العنوان، بسام قطوس، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ص. ٣٣، ط. ٢٠٠١، ١
- ٣٩- الرموز التراثية العربية في الشعر العربي الحديث، خالد الكركي، دار الجبل، بيروت، لبنان، مكتبة الرائد العلمية، عمان، الأردن، ط. ١، ١٩٨١، ٢١
- ٤٠- العنوان في الثقافة العربية، التشكيل ومسالك التأويل، محمد بازي، منشورات الاختلاف، الرباط، المغرب، ط. ٧: ٢٠١٢ -
- ٤١- أسئلة الواقعية والالتزام، نبيل سليمان، دار الحوار للنشر والتوزيع سوريا، ط. ١، ٩٣: ١٩٨٥
- ٤٢- تغريبة ابن زريق البغدادي الاخيرة، سلام عبود، دار الحصاد، دمشق، سوريا، ط. ١٧١: ٢٠١٠، ١
- ٤٣- ينظر، الجنائن المعلقة، برهان الخطيب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط. ٢٠٠٦، ١
- ٤٤- ينظر، الشماعية، عبد الستار ناصر، دار المدى، بغداد، ط. ٢٠٠٧، ١
- ٤٥- ينظر، غرباء في الرمادي، جاسم سلمان، دار الفارابي، بيروت، ط. ٢٠٠٨، ١
- ٤٦- ينظر، قيامة بغداد، عالية طالب، دار شمس للنشر والتوزيع، ط. ٢٠٠٨، ١
- ٤٧- ينظر، المنطقة الخضراء، شاعر نوري، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط. ٢٠٠٩، ١
- ٤٨- ينظر، حسناء الهور، عبد اللطيف الحرز، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط. ٢٠٠٩، ١
- ٤٩- ينظر، ضياع في حفر الباطن، عبد الكريم العبيدي، مؤسسة مسارات للتنمية الثقافية والاعلامية، بغداد، ط. ٢٠٠٩، ١
- ٥٠- ينظر، نجمة البتاويين، شاعر الانباري، دار المدى، بغداد، ط. ٢٠١٠، ٢
- ٥١- ينظر، مشرحة بغداد، برهان الشاوي، دار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط. ٢٠١٢، ١



العنوانُ في الرواية العراقية بعد عام 2003 ...

- ٧١- ينظر، اقمار عراقية في السويد، علي عبد العال، دار المدى، بيروت، ط٢٠٠٤،
- ٧٢- ينظر، زائبة الوجد، عبد عون الرضوان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١٢٠٠٤،
- ٧٣- ينظر، زهرة الرازقي، سلام عبود، دار الحصاد، دمشق، ط٢٠٠٤، ١
- ٧٤- ينظر، سوق هرج، عائد خصباك، دار الهلال، مصر، ط٢٠٠٤، ١
- ٧٥- ينظر، نبوءة الغيوم، عاتي البركات، دار الجمل، بيروت، ط٢٠٠٤، ١
- ٧٦- ينظر، نزوة الموتى، شاعر نوري، دار الفارابي، بيروت، ط٢٠٠٤، ١
- ٧٧- ينظر، نهر جاسم، قصي الشيخ عسكر، دار الاضواء، بيروت، ط٢٠٠٤، ١
- ٧٨- ينظر، الخائف والمخيف، زهير الجزائري، دار المدى، بغداد، ٢٠٠٣
- ٧٩- ينظر، دروب وغبار، جنان جاسم حلاوي، دار الاداب، بيروت، ط٢٠٠٣، ١
- ٨٠- ينظر، شلومو الكردي وانا والزمن، سمير نقاش، دار الجمل، بيروت، ط٢٠٠٤، ١
- ٨١- ينظر، وياسين وصحبه، حاتم جعفر، كوبنهاغن، ط٢٠٠٤، ١
- ٨٢- ينظر، صخب ونساء وكاتب مغمور، علي بدر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١ بيروت، ٢٠٠٥
- ٨٣- ينظر، البلد الجميل، احمد السعداوي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط٢٠٠٤، ١
- ٨٤- ينظر، الحدود البرية، ميسلون هادي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط٢٠٠٤، ١
- ٨٥- ينظر، لجوء عاطفي، عبد الستار البيضاوي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط٢٠٠٤، ١
- ٨٦- ينظر، انه يحلم او يلعب او يموت، احمد سعداوي، دار المدى، بغداد، ط٢٠٠٨، ١
- ٨٧- ينظر، والتراب لا يتشابه، فاطمة الحساني، دار نينوى، ط٢٠٠٨، ١
- ٨٨- ينظر، يمويات فتاة عراقية تقاوم العنوسة، كلشان البياتي، جداول للنشر والتوزيع، بيروت، ط٢٠١١، ١
- ٨٩- ينظر، واقل الخريف مبكرا هذا العام، قصي الشيخ عسكر، شمس للنشر والتوزيع، ط٢٠١١، ١
- ٩٠- ينظر، وجدد موته مرتين، حميد الربيعي، دار فضائات، عمان، ط٢.
- ٩١- ينظر، وحينما خرجت من الحلم، علي عباس خفيف، دار ازمنة، بيروت، ط٢٠٠٨، ١
- ٩٢- ينظر، عاشقان من بلاد الرافدين، جاسم المطير، دار العربية للعلوم، بيروت، ط٢٠٠٣، ١
- ٩٣- ينظر، قوة الضحك في اورا، حسن مطلق، الدون كيشوت للنشر والتوزيع، ط٢٠٠٣، ١
- ٩٤- ينظر، العودة الى كاردينيا، فوزي كريم، دار المدى، بغداد، ط٢٠٠٤، ١
- ٩٥- ينظر، حمار على جبل، عبد الجبار ناصر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط٢٠٠٤، ١
- ٩٦- ينظر، في الطريق اليهم، هدية حسين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط٢٠٠٤، ١
- ٩٧- ينظر، انف الوردة انف كيلوباترا، نعيم عبد مهلهل، دار نينوى، ط٢٠١٠، ١
- ٩٨- ينظر، يامريم، سنان انطوان، دار الجمل، بيروت، ط٢٠١٢، ١
- ٩٩- ينظر، فكتوريا، سامي ميخائيل، دار الجمل، بيروت، ط٢٠٠٥، ١
- ١٠٠- ينظر، ثاسوس، محي الدين زنكنة، دار ثاراس للطباعة والنشر، ط٢٠٠٥، ١
- ١٠١- ينظر، ديالاس بين يديه، شاعر نوري، دار الفارابي، بيروت، ط٢٠٠٦، ١
- ١٠٢- ينظر، غرباء مثل الحسين، عبد الجبار ناصر، دار المصرية اللبنانية، بيروت، ط٢٠١٢، ١
- ١٠٣- ينظر، متاهة ادم، برهان الشاوي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط٢٠١٢



المصادر والمراجع

- ١- الاستهلال، فن البدايات في النص الأدبي، ياسين الناصر، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط١، ١٩٩٣.
- ٢- أسئلة الواقعية والالتزام، نبيل سليمان، دار الحوار للنشر والتوزيع سوريا، ط١، ١٩٨٥.
- ٣- إشكاليات الخطاب النقدي العربي المعاصر، د.علي حسين يوسف، دار الروسم، بغداد، ط١، ٢٠١٦.
- ٤- إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، يوسف وغليسي، الدار العربية ناشرون، بيروت، ط١، ٢٠٠٨.
- ٥- تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان اعجاز القرآن، تحقيق د.حفني محمد شرف، القاهرة، ١٩٦٣.
- ٦- ثريا النص، محمود عبد الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الموسوعة الصغيرة، ١٩٩٥.
- ٧- الخطيئة والتكفير، من البنيوية إلى التشرحية، قراءة نقدية لنموذج الإنسان المعاصر، عبد الله الغذامي، النادي الأدبي الثقافي، جدة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٩٨٥.
- ٨- دينامية النص، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩١.
- ٩- الرموز التراثية العربية في الشعر العربي الحديث، خالد الكركي، دار الجيل، بيروت، لبنان، مكتبة الرائد العلمية، عمان، الأردن، ط١، ١٩٨٩: ٢١٠.
- ١٠- الرواية والواقع، لوسيان غولدمان وآخرون، ترجمة رشيد بنجدو، عيون المقالات، دار قرطبة، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٨.
- ١١- السيموطيقا والعنونة، د.جميل حمداوي، مجلة عالم الفكر، مج، ع٥: ٩٦، ١٩٩٧، ٣.
- ١٢- سيمياء العنوان، بسام قطوس، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ط١، ٢٠١١.
- ١٣- سيميائية العنوان في "مقام البوح" لعبد الله العيش، شادية شقروش، محاضرات الملتقى الوطني الأول السيمياء والنص الأدبي، منشورات جامعة بسكرة، ٧٦، نوفمبر، ٢٠٠٠.
- ١٤- شعرية الدال في بنية الاستهلال في السرد العربي القديم ضمن الماشئة و النص الأدبي، الطاهر راوية، أعمال ملتقى معهد اللغة العربية وآدابها، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة ١٥/١٧مايو، ١٩٩٥.
- ١٥- شعرية الرواية، علي جعفر العلاق، مجلة علامات في النقد، مج٦، ع٣، السنة ١٩٩٧.
- ١٦- شعرية العنوان في الشعر العراقي الحديث، دراسة سيميائية، حمد الشيخ فرج، دار ومكتبة البصائر، بيروت، ط١، ٢٠١٣.
- ١٧- شعرية النص الموازي في الخطاب الشعري المعاصر، المقولة والاجراء، د. صباح حسن عبيد التميمي، الدار المنهجية، عمان، الأردن، ط١، ٢٠١٨.
- ١٨- شعرية عنوان كتاب الساق على الساق فيما هو الفارياق، محمد الهادي المطوي، مجلة عالم الفكر، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مجلد، ٢٨ العدد الأول، يوليو/ سبتمبر، ١٩٩٩.
- ١٩- صورة العنوان في الرواية العربية: جميل حمداوي، شبكة الانترنت.
- ٢٠- عتبات جيرار جينيت من النص إلى المناس، عبد الحق بلعابد، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط١، ٢٠٠٨.
- ٢١- علاقات الحضور والغياب في النص الأدبي، مقاربات نقدية، د.سمير الخليل، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ٢٠٠٨.
- ٢٢- عنوان النفاسة في شرح الحماسة، أبو عبد الله محمد بن قاسم بن زاكور الفاسي، تحقيق محمد جمالي وعبد الصمد بالخياط ومصطفى لغفيري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٣.
- ٢٣- العنوان في الأدب العربي، النشأة والتطور، محمد عويس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٨٨.
- ٢٤- العنوان في الثقافة العربية، التشكيل ومسالك التأويل، محمد بازي، منشورات الاختلاف، الرباط، المغرب، ط١، ٢٠١٢.
- ٢٥- العنوان وسيموطيقا الاتصال الأدبي، محمد فكري الجزائر، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، ١٩٩٨.
- ٢٦- في نظرية العنوان، مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية، د.خالد حسين، دار التكوين للطباعة والنشر، ط١، ٢٠٠٧.
- ٢٧- قراءات في الشعر العربي الحديث، بشرى البستاني، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٢: ٣٤.
- ٢٨- قراءة في كتاب سيمياء العنوان للدكتور بسام قطوس، الطيب بودربالة، محاضرات الملتقى الوطني الثاني السيمياء، والنص الأدبي، منشورات جامعة بسكرة، ١٥، ١٦ أفريل، ٢٠٠٢.
- ٢٩- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٠.
- ٣٠- مدخل نظري لدراسة العنوان، محمد رشد، شبكة الانترنت.



العنوانُ في الرواية العراقية بعد عام 2003 ...

- ١٨- حمار على جبل، عبد الجبار ناصر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٤، ط١.
- ١٩- حينما خرجت من الحلم، علي عباس خفيف، دار أزمنة، بيروت، ٢٠٠٨، ط١.
- ٢٠- الخائف والمخيف، زهير الجزائري، دار المدى، بغداد، ٢٠٠٣.
- ٢١- خضر قد والعصر الزيتوني، نصيف فلك، دار المدى، بغداد، الطبعة الاولى، ٢٠٠٨.
- ٢٢- خلف السدة، عبد الله صخي، دار المدى، بغداد، ط١، ٢٠٠٨.
- ٢٣- دروب وغبار، جنان جاسم حلاوي، دار الآداب، بيروت، ٢٠٠٣، ط١.
- ٢٤- دعبول، أمل بورتري، دار فضاءات، ٢٠٠٩، ط١.
- ٢٥- ديالاس بين يديه، شاكر نوري، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٦، ط١.
- ٢٦- ديسكولاند، اسعد الجبوري، فضاءات، بيروت، ٢٠١٠، ط١.
- ٢٧- الراقصة شاكر الانباري، دار المدى، بغداد، ٢٠٠٣، ط١.
- ٢٨- زائفة الوجد، عبد عون الرضوان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٤، ط١.
- ٢٩- زهرة الرازقي، سلام عبود، دار الحصاد، دمشق، ٢٠٠٤، ط١.
- ٣٠- سوق هرج، عائد خصباك، دار الهلال، ٢٠٠٤، مصر، ط١.
- ٣١- شلومو الكردي وانا والزمن، سمير نقاش، دار الجمل، بيروت، ٢٠٠٤، ط١.
- ٣٢- الشماعية، عبد الستار ناصر، دار المدى، بغداد، ٢٠٠٧، ط١.
- ٣٣- الشياطين، غالب حسن الشابندر، فيشوميديا، السويد، ٢٠١٢، ط٢.
- ٣٤- صخب ونساء وكاتب مغمور، علي بدر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٥، ط١.
- ٣٥- الضالان، محمود سعيد، دار الآداب، بيروت، ٢٠٠٣، ط١.
- ٣٦- ضياع في حفر الباطن، عبد الكريم العبيدي، مؤسسة مسارات للتنمية الثقافية والإعلامية، بغداد، ٢٠٠٩، ط١.
- ٣٧- عاشقان من بلاد الرافدين، جاسم المطير، دار العربية للعلوم، بيروت، ٢٠٠٣، ط١.
- ٣٨- عالم صدام حسين، مهدي حيدر، دار الجمل، بيروت، ٢٠٠٣، ط٢.

- ٣١- معجم المصطلحات الأدبية، سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٨٥.
- ٣٢- معجم مصطلحات النقد العربي القديم، د.أحمد مطلوب، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ٢٠٠١.
- ٣٣- النص الموازي في الرواية، استراتيجية العنوان، شعيب حليفي، مجلة الكرمل الفلسطينية، العدد ٤٦، سنة، ١٩٩٦.

الروايات

- ١- الأضرحة، عزيز التميمي، دار ازمنة، ط١، ٢٠٠٤.
- ٢- إعجام، سنان انطوان، دار الآداب، بيروت، ط١، ٢٠٠٤.
- ٣- أقمار عراقية في السويد، علي عبد العال، دار المدى، بيروت، ٢٠٠٤، ط١.
- ٤- الأمريكان في بيتي، نزار عبد الستار، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠١١.
- ٥- أموات بغداد، جمال حسين علي، دار الفارابي، بيروت، ط١، ٢٠٠٨.
- ٦- أنف الوردة أنف كليوباترا، نعيم عبد مهلهل، دار نينوى، ط١، ٢٠١٠.
- ٧- إنه يحلم أو يلعب أو يموت، أحمد سعداوي، دار المدى، بغداد، ٢٠٠٨، ط١.
- ٨- ثاسوس، محي الدين زنكنة، دار ثاراس للطباعة والنشر، ط١، ٢٠٠٥.
- ٩- بتول الخضيري، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٤، ط١.
- ١٠- البلد الجميل، احمد السعداوي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠٤، ط١.
- ١١- التراب لا يتشابه، فاطمة الحساني، دار نينوى، ط١، ٢٠٠٨.
- ١٢- تغريبة ابن زريق البغدادي الأخيرة، سلام عبود، دار الحصاد، دمشق، سوريا، ط١، ٢٠١٠.
- ١٣- الجدار، ليلي جراغي، دار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠٠٩، ط١.
- ١٤- جدد موته مرتين، حميد الربيعي، دار فضاءات، عمان، ٢٠١٢، ط١.
- ١٥- الجنائن المعلقة، برهان الخطيب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٦، ط١.
- ١٦- الحدود البرية، ميسلون هادي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٤، ط١.
- ١٧- حسناء الهور، عبد اللطيف الحرز، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠٠٩، ط١.



- ٣٩- العودة إلى كاردينيا، فوزي كريم، دار المدى، بغداد، ٢٠٠٤، ط١.
- ٤٠- غرباء في الرمادي، جاسم سلمان، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٨، ط١.
- ٤١- غرباء مثل الحسين، عبد الجبار ناصر، دار المصرية اللبنانية، بيروت، ٢٠١٢، ط١.
- ٤٢- فكتوريا، سامي ميخائيل، دار الجمل، بيروت، ٢٠٠٥، ط١.
- ٤٣- في الطريق اليهم، هدية حسين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٤، ط١.
- ٤٤- قتلة، ضياء الخالدي، دار التنوير، بيروت، ٢٠١٢، ط١.
- ٤٥- قوة الضحك في اورا، حسن مطلق، الدون كيشوت للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣، ط١.
- ٤٦- قيامة بغداد، عالية طالب، دار شمس للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨، ط١.
- ٤٧- لجوء عاطفي، عبد الستار البيضاوي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٤، ط١.
- ٤٨- ما بعد الحب، هدية حسين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٣، ط١.
- ٤٩- متاهة آدم، برهان الشاوي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٢، ط١.
- ٥٠- مشرحة بغداد، برهان الشاوي، المؤسسة العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٢، ط١.
- ٥١- المنطقة الخضراء، شاعر نوري، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠٠٩، ط١.
- ٥٢- نبوءة الغيوم، عاتي البركات، دار الجمل، بيروت، ٢٠٠٤، ط١.
- ٥٣- نجمة البتاوين، شاعر الانباري، دار المدى، بغداد، ٢٠١٠، ط١.
- ٥٤- نزوة الموتى، شاعر نوري، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٤، ط١.
- ٥٥- نهر جاسم، قصي الشيخ عسكر، دار الاضواء، بيروت، ٢٠٠٤، ط١.
- ٥٦- وأقبل الخريف مبكرا هذا العام، قصي الشيخ عسكر، شمس للنشر والتوزيع، ٢٠١١، ط١.
- ٥٧- ياسين وصحبه، حاتم جعفر، كوبنهاغن، ٢٠٠٤، ط١.
- ٥٨- يامريم، سنان انطوان، دار الجمل، بيروت، ٢٠١٢، ط١.
- ٥٩- يوميات فتاة عراقية تقاوم العنوسة، كلشان البياتي، جداول للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١١، ط١.



الأفعال الكلامية في الخطاب السياسي للمرجعية الدينية العليا (الخطاب السياسي 2014م - 2018م) أنموذجا

حسن كاظم الزهيري

أ. د علاء جبر الموسوي

مديرية تربية كربلاء المقدسة

The speech acts in the political speeches of the supreme religious authority (political speeches 2014 - 2018 AD) as a model.

Prof Dr. Alaa Jabr Al-Mousawi,

Researcher: Hassan Kazem Al-Zuhairi

الملخص

تشكّل نظرية أفعال الكلام النواة المركزية للنظرية التداولية، وقد نشأت هذه النظرية بسبب اهتمام كثير من الباحثين بدراسة اللغة الطبيعية في جانب استعمالها الفعلي والحقيقي، اتخذ البحث من الخطاب السياسي للمرجعية الدينية العليا مَدَوْنَةً للفحص والتحليل، يتكوّن البحث من مبحثين: الأول: خُصّص للمسائل النظرية فيما يخص هذه النظرية، والآخر: مبحث تطبيقي يبيّن أنّ الخطيب يصدّر خطابه عن كفاءة تواصلية يجسدها خطابه عبر استعماله للأفعال الكلامية، وفي الخاتمة يرسو البحث بعد المبحثين التنظيري والتطبيقي على شاطئ النتائج التي حصدها، وقائمة بالمصادر والمراجع التي اتّكأ عليها، وآخر دعوانا أنّ الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على نبينا وشفيعنا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

الكلمات المفتاحية: أفعال الكلام، الخطاب السياسي، المرجعية الدينية.

Abstract

The theory of speech acts constitutes an integral part in the pragmatic theory. This theory arose due to the interest of many researchers in studying natural language in terms of its actual use. Falling into two sections, the research adopted the political speeches of the supreme religious authority as a source of data for investigation and analysis. The first section is devoted to the theoretical issues related to this theory, and the other is an applied study that shows that the preacher's communicative competence that is embodied in his speech through his use of speech acts. In the conclusion, after the theoretical and applied topics, the results are presented followed by a list of the resources and references on which it relied.

Keywords: speech acts, political speeches, religious authority.



سيركز البحث على تداولية الدرجة الثالثة: دراسة الأفعال الكلامية في الخطاب السياسية للمرجعية الدينية العليا ودورها في تداول الخطاب

المبحث الأول: الأفعال الكلامية (مفاهيم نظرية).
تمثل أفعال الكلام محور العملية التواصلية. وعنصرًا أساسيًا في صناعة المعنى وفقًا للمقارنة التداولية، والفعل الكلامي هو (أصغر وحدة لاتصال انساني يُمارس بها المتكلم فعلًا اتجاهاً سامعاً)^(١)، ولا شك أن أول مفهوم أُسس للفكر اللساني التداولي كان على يد جون أوستن "John Austin" " هو نظرية الأفعال الكلامية، وقد عرف أوستن الفعل الانجازي بأنه ((ما نقوم به من خلال كلامنا))^(٢). أي ما يجره كلامنا من آثار، أما فان دايك فقد أشار إلى وجود علاقة وثيقة بين مفهوم الفعل الانجازي، وبين مفهوم الحدث ووفق تلك الإشارة ينطلق في تعريف الفعل بقوله: ((الفعل هو كل حدث حاصل بواسطة الكائن الإنساني))^(٣)؛ أي ((عندما يتحدث المتكلم، فإنه في الواقع يخبر عن شيء، أو يصرح تصريحًا ما، أو يأمر، أو ينهي، أو يلتمس، أو يعد، أو يشكر، أو يعتذر، أو يُحذر، أو يدعو، أو يُسمي، أو يستغفر، أو يُسبح، أو يمدح، أو يذم، أو يحمّد الله، أو يعقد صفقة تجارية، أو يتزوج، أو يطلق، الخ))^(٤). وهذا يعني أن تداولية أفعال الكلام أتاحت لتحليل الخطاب منهجية جديدة، كونها نظرت إلى الكلام بوصفه فعلًا لغويًا Speech Act، بدلًا عليه قصد المتكلم، وكونها برهنت على أن إدراك المعاني الحقيقية للمنطوقات اللغوية إنما يتحقق في سياقات الاتصال الفعلية^(٥).

قسّم أوستن أفعال الكلام إلى ثلاثة أقسام:

- ١- ((فعل القول: Locutionary act، ويراد به التلفظ بقول ما استنادًا إلى جملة من القواعد الصوتية، والتركيبيّة التي تضبط استعمال اللغة))^(٦).. أوهي: فعل العبارة، وهي الإشارات الصوتية بحسب سنن اللغة الداخلي^(٧).
- ٢- ((فعل الانجاز: Illocutionary، ويراد به القصد الذي يرمي إليه المتكلم من فعل القول؛ كالوعد، والأمر، والاستفهام، والتحذير....))^(٨). أي صياغة لفظ ليؤدي وظيفة نريد اتمامها^(٩).
- ٣- فعل التأثير: Perlocutionary؛ ويراد به التأثير الذي يحدثه فعل الإنجاز في المخاطب، أي أنه يفهم المخاطب أنه يحثه على أن يتخذ موقفًا مُحددًا تجاه

من المعلوم أن إدراك مفهوم اللغة مُرتبط منذ القدم بمفهوم مزاج لها، هو وظيفتها التواصلية والتبليغية، وهو ما نتلمس وجوده في التراث اللغوي العربي منذ نشأته، ومعلوم أيضًا أن القائل والسامع خاضعان لنواميس اللغة وقواعدها، فالكلام لا يكون إلا على سمتها وقوانينها، وقد عبّر أبو الفتح بن جني (ت ٣٩٢هـ) عن مفهوم اللغة بأصدق تعبير فحد اللغة عنده ((إنها أصواتٌ يعبر بها كل قوم عن أغراضهم))^(١٠).

سيتّم التركيز في هذا البحث على تطبيق الآليات التداولية لأفعال الكلام التي تسهم في تحليل الخطاب السياسي للمرجعية الدينية العليا، ثم لفهم مضامينها الدلالية، لكون التداولية نسفا معرفيا استدلاليا واسعا، يُعالج الملفوظات ضمن أنساقها التلفظية والخطابات ضمن أنساقها التخاطبية، وينماز بكفاية علمية تفسيرية لدراسة الظواهر الخطابية التواصلية^(١١)؛ بمعنى آخر أنها نظرية تدرس الوظيفة الحقيقية للغة المتمثلة في الاتصال: كيف يتم؟ لمن يوجّه؟ في أي مناسبة؟ ممّا يدخل في تحليل الخطاب، إذ تعدّ اللغة نظامًا للاتصال والتعبير بين بني البشر^(١٢)؛ أي أن اللغة ومواقف التواصل والخطابات التي يستعملها الناس لفهم العالم، إنما هي صناعة اجتماعية، ونتائج تاريخية لشبكة التفاعلات القائمة بينهم^(١٣).

وتظهر العلاقة الوثيقة بين الخطاب والتداولية لكون الخطاب بصورة خاصة هو حدثا تواصليا حقيقيا أداته اللغة، أو هو سلوك علامي يحمل المعنى، وبما أن الخطاب مصدر ونتيجة معرفتنا باللغة يجعلنا نعيد تسييق الممارسة الاجتماعية عبر الخطاب^(١٤).

ويعدّ هانسون (Hansson) أول من ميّز التداولية بثلاث درجات، وأول من اختار اصطلاح الدرجات بدلًا من الأجزاء، وتعتمد كل درجة على مظاهر السياق الذي يختلف من درجة إلى أخرى وهذه الدرجات هي^(١٥):

- ١- تداولية الدرجة الأولى: وتتجلى في دراسة الرموز الإشارية وبحسب ظروف استعمالها، من المخاطب والمخاطب ومحددات الزمان والمكان.
- ٢- تداولية الدرجة الثانية: وتتجلى في دراسة الكيفية أو الطريقة التي ترتبط بها القضية بالجملة المعبر عنها؛ أي بمعنى آخر دراسة قوانين الخطاب، والظواهر الضمنية للغة^(١٦).
- ٣- تداولية الدرجة الثالثة: وتتجلى في نظرية أفعال اللغة.



أما سيرل فقد صنّف الأفعال اللغوية وحصرتها في خمسة أصناف^(٢٢):

أ- الخبريات (Assertives): وتختص الخبريات بأنّ المتكلم يلتزم ويتعهد بوجود حالة الأشياء في الكون وبقوى المحتوى القضوي، ومن الخبريات: أثبت، وأؤكد، واستنتج، وافترض.

ب- التوجيهيات (Directives): وخاصة التوجيهيات أنّها تمثل سعي المتكلم لجعل المخاطب يفعل شيئاً ما، وهذا السعي تختلف درجته بين مجرد الطلب والاقتراح أو اللتماس أو الأمر أو اللحاح في السؤال، وأبرز أفعال هذا الصنف: أطلب، وأمر، وأرجو، وأنصح^(٢٣).

ت- الوعديات (Commissives): وخاصية الوعديات أنّ غرضها القولى هو التزام المتكلم بدرجات مختلفة باعتماد سلوك معين مستقبلاً ومن أمثلتها: تعهد، وراهن، وتعاهد، وصادق، ووافق.

ث- الإفصاحيات (Expressives): أما غرض القول في الإفصاحيات، فهو التعبير عن حالة نفسية معينة في شرط الصدق بإزاء حالة الأشياء التي يحددها المحتوى القضوي، ومن الإفصاحيات: أشكر، وأهنئ، وأعتذر، وأشجّب، وأرحّب^(٢٤).

ج- الإيقاعات (Declaratives): وتمتاز الإيقاعات بأنّها إيجاد لحالة من حالات الأشياء في الكون بمجرد إنجاز عمل لغوي إيقاعي ناجح، مثل أقدم استقالتي، ومجرد قول عبارة الطلاق بنجاح يوقع الطلاق ويوجده، ومجرد التصريح بالقبول بالزواج هو تحقيق للزواج

المبحث الثاني: الدراسة التطبيقية لنظرية أفعال الكلام
عند رصد مجموعة من الخطب توصّل البحث إلى أنّ الخطاب السياسي للمرجعية الدينية العليا تحتشد بأنواع متعدّدة منها الأفعال الإخبارية، والتوجيهية، والإلزامية، والتعبيرية.

١- الإخباريات (التقريريات) (Assertives):
ويتضمّن العمل الإنجازي فيها ما ينقله المتكلم من وقائع ما عبر قضية يعبر بها عن هذه الواقعة، وأفعال هذا الصنف تحتمل الصدق والكذب، وشرط الإخلاص فيها يتمثل في النقل الأمين للواقعة^(٢٥).

وهذا الصنف من الأفعال وجده البحث في أعطاف الخطب السياسية للمرجعية الدينية العليا، ومن أمثلة هذه الأفعال ما نجده في قول الخطيب: ((
أ- إنّ التنسيق الرائع الذي كان بين صفوف المقاتلين
جميعاً كان له الأثر الواضح على سير المعركة، إذ إنّ

شيء ما (التأثير في الرأي)، أن يُنجزَ فعلاً معيّناً (التأثير في السلوك)^(١٧). فيدفعه إلى الإقناع، أو التضليل، والملاحظ أنّ الفعل الانجازي كان عند أوستن من أهمّ الأفعال الثلاثة، فوجهٌ إليه همّه حتّى أصبح لبّ هذه النظرية، وأصبحت تُعرف به أيضاً فيُطلق عليها أحياناً نظرية الفعل الانجازي، أو النظرية الانجازية والسبب في ذلك، هو أنّ أوستن أدرك أنّ الفعل اللفظي لا ينعقد الكلام إلّا به، وأنّ الفعل التأثري لا يلازم الأفعال جميعاً، فمنها ما لا تأثير له في السامع أو المخاطب^(١٨).

وما يلاحظ على مؤسسي المذهب التداولي والذين طوّروه تركيزهم في جُل عملهم على الفكرة القائلة بأنّه لا قول بلا فعل، ولا خطاب بلا سعي للتأثير على المتلقي، ولا تأثير إلّا عبر مجموعة من الموروثات والشروط الاجتماعية والثقافية والنفسية واللغوية والمعرفية والبيئية التي تربط الملقى بالمتلقي في مكان وزمان محددين^(١٩). وتهض نظرية الحدث اللغوي على ركيزتين هما: أولاهما أنّ الكلام فعل. والأخرى أنّ إدراك المعنى الحقيقي للمنطوقات اللغوية إمّا يتحقّق في الاتصال الفعلي^(٢٠).

وقد اقترح أوستن ((نمذجة Typology لهذه الأفعال مميّزاً بين خمس طبقات Classes :

- طبقة الأفعال الحكمية Verdictives، وتشمل أفعالاً تعكس قدرة المتكلم على إصدار الأحكام - حسب موقعه الاجتماعي ووضعه الاعتباري كأن يكون قاضياً أو حاكماً - ومن ذلك مثلاً: اعترض - أعلن - صرّح - أدان - برأ - وافق - اتهم...

- طبقة الأفعال التنفيذية Exercitives، وتشمل أفعالاً تُفصح عن قدرة المتكلم على اتخاذ القرارات، وإصدار الأوامر، والتأثير على الآخرين مثل: وافق - حذّر - نصح - زوج - سمى - سمح...

- طبقة الأفعال التعهدية Commissive Verbs، وتشمل أفعالاً يتعهد فيها المتكلم بفعل ما، مثل: التزم - تعهد - وعد - وافق - عزم - نوى - تعاهد...

- طبقة الأفعال السلوكية Behabitives Verbs، وتشمل أفعالاً دالة على سلوك اجتماعي وتصرفات مثل: هنأ - لام - انتقد - تعاطف - رحّب - شكّر - اعتذر...

- طبقة الأفعال العرضية Expositives Verbs، وتشمل أفعالاً يعرض فيها المتكلم وجهة نظر ويقدم حجة مثل: استشهد - مثل - نص - افترض - شهد - حذ - أثبت...^(٢١).



الأومة وعاطفتها جعلها تضع أحدهم هو وقدره ثم تمضي إلى نصف الطريق فتندم ثم ترجع لتحمل الذي تركته وتترك الآخر وهكذا كانت تذهب وتعود إلى أن من الله تعالى عليها بهؤلاء الإخوة الذين أنقذوها وأنقذوا أطفالها، وهذه القصة الإنسانية الرائعة التي يسطرها الإخوة في تلك الظروف العصيبة والمهمّة القتالية لم يغفلوا هذا الجانب وجوانب أخرى...^(٣٦).

بما أنّ الغاية المقصودة من كل قول هي إحداث أثر، أو إنجاز غاية ما، أو فعل ترتب عليه نتائج ما، فإننا نجد أنّ هذه الخطبة قد تضمّنت أفعالا تحدّث فيها الخطيب عن محاور عدّة منها المحور الأوّل: تحدّث فيه عن ما وُسِمَ به المتطوعون من حشدنا المقدّس، وقواتنا الأُمّنيّة البطلة، وهو الشجاعة والتضحّيّة، والتنسيق بين القطعات، وحماية المواطنين من المناطق المحرّرة، والثاني: حديث عن كرم وتضحية المواطنين العراقيين الذين لم تسنح لهم الفرصة بالتطوع لمقاتلة زمر القتل والتكفير من الدواعش فجادوا بأموالهم لنجدة أخوتهم من العوائل النازحة التي أجبرها التنظيم الإرهابي الداعشي على ترك منازلهم وأموالهم، والثالث: تضمّن قصة رواها أحد المقاتلين أثناء إحدى الزيارات التفقدية لممثل المرجعيّة الدينيّة العليا لجبهات القتال والمتمثّلة بغيرّة أبناء القوات الأُمّنيّة والمتطوعين من رجال حشدنا المقدّس، والقصة الأخرى هي قصة رجل في السبعينيات من عمره المبارك، وهو من المتطوعين في الحشد المقدّس وله أربعة أولاد يقاتلون الدواعش، الذي طلب من سماحة المتوليّ الشرعيّ للعتبة العباسيّة المقدّسة أن يدعو له الله جلّت قدرته أن يرزقه الشهادة أثناء مقاتلته التنظيم الإرهابي داعش - التي لم أذكرها لضيق مساحة البحث - قصة التضحية والشجاعة للمتطوعين الذين أنقذوا أختهم في المناطق المحرّرة وأطفالها من جور وظلم داعش وقصة أمومتها وعطفها وحنانها على أطفالها الصغار. فقد تضمّنت هذه الخطبة أفعال من مثل: (تعاملوا، تطهروا، وجدناهم، رأيناهم، يتدافعون، يتنافسون، تدفعهم، أريقت، سبقتي تشرفنا، ذكرّوا، شاهد، اختفت، تريد، تخلص، رأوها، تذهب، ترجع، حار، شكوا، اقترب، عرفتهم، أقبلت... نلاحظ أنّ الزمن الغالب في هذه الأفعال هو الماضي الذي يفيد تقرير الحقائق فالخطيب نقل وقائع من قصص البطولة والشهامة التي وسّمت المقاتل والمتطوع من حشدنا المقدّس الذين روت دماؤهم أرض العراق العزيز ومأساة هذه المرأة العراقيّة التي أنقذ حياتها وأبناءها

الأعزّة قد تعاملوا مع المعركة على أساس القضاء على الإرهابيين ومقاتلتهم، وتطهير جميع الأراضي من دنسهم، وهذا هو الشغل الشاغل لهم، وقد وجدناهم ورأيناهم يتدافعون إلى القتال رغم شراسة المعركة في بعض المواقع، بل يتنافسون على ذلك تدفعهم الشجاعة والحميّة والغيرة، فهم حقاً موضع فخر واعتزاز، وإنّ دماءهم التي أريقت سبقتي حيّة في الضمائر الحرّة وشاهد صدق على هذه البطولات، وإنّ تآثر بعض أجساد الجرحى لهو تاريخ مشرق، وما أعظمه من تاريخ حين يكتب مهادٍ من الدم والتراب ف"لله درهم وعليه أجرهم".

ب- إنّ الإخوة الأعزّة من غير المقاتلين كانوا يملؤون الأرض بكلّ ما جادت به أنفسهم وأموالهم من طعام وشراب وفرش ووسائل الدعم الأخرى، فكان حضورهم حضور أخ لأخيه بل أكثر، وهي ملحمة بطوليّة بحق اشترك فيها هؤلاء الإخوة وهم يجوبون مواضع القتال لتوفير الدعم للمقاتلين الأبطال أو للعوائل المنكوبة، التي نزحت وهي لا تملك شيئاً -شكر الله مساعيهم الجميلة-، وفي نفس الوقت ندعو الجهات المعنية لتوفير كلّ الإمكانيات لتذليل الصعاب أمام عودة النازحين إلى ديارهم، مع تتمين جهد المفازر الطبيّة في بعض مناطق الجبهات وهمتهم العالية على أمل أن يحصلوا أيضاً على دعم متواصل وكبير من تلك الجهات لمعلومية أنّ الساعات الأولى للجريح مهمّة جداً في إنقاذ حياته لو توقّرت الأسباب الضروريّة لذلك.

ختاماً أذكر قضيتين، قصّة تدلّ على الإنسانية

وقصّة تدلّ على الشجاعة والبراعة،
الأولى: (عندما تشرفنا في زيارتنا الأخيرة للإخوة الأعزّاء ذكرنا لنا مجموعة من القصص، عرض إليكم واحدة منها، أنّ البعض شاهد على الكاميرات في وقت متأخّر شاهد امرأة اختفت بطريقة أو بأخرى من الدواعش، وقد رأوها تذهب إلى مكان وترجع إليه ثمّ تعود إلى نصف الطريق وترجع، فحار فيها الإخوة بكونهم شكوا في أمرها هل هي من الدواعش أو لا؟! فاقترب منها ثلاثة أو أربعة من المقاتلين وبعد أن عرفتهم أقبلت عليهم وقالت: إيّ بريئة وأحاول أن أنقذ نفسي، والحمد لله قد وجدناكم، فقالوا لها: ما هي قصّة الذهاب والإياب؟ وقد وجدوا عندها طفلاً عمره بضعة أشهر كانت تحمله على كتفها، ووجدوا آخر معها عمره سنتان وهناك ثالث عمره أكثر من سنتين، فهي لا تستطيع أن تحمل الأطفال ثلاثتهم، وكانت تريد أن تخلص أو تنجو باثنين منهم وتترك واحداً، لكنّ شعور



على المُستمع ليفعل شيئاً ما في المُستقبل وشرط، واتجاه المطابقة في هذه الأفعال من العالم إلى الكلمات وشرط الإخلاص هو القصد^(٣٩). ومن أمثلتها في الخطاب السياسي للمرجعية الدينية العليا قول الخطيب: ((أخواتي الأفاضل، أخواتي المؤمنات أعرض على مسامعكم الكريمة ثلاثة أمور:))^(٣٠). ومثل قوله في خطبة أخرى: ((أخوتي الأعزاء، أخواتي الفاضلات، أعرض على مسامعكم الكريمة ثلاثة أمور:))^(٣١). تحمل العبارات السابقة في أعطافها فعلاً كلامياً غير مباشر، وهو التعبير عن الرغبة، وهو فعل ينتج غرض اللتماس، فالخطيب هنا يلتمس من المخاطبين السماح له بعرض هذه الأمور الثلاثة التي يريد التنبيه إليها، وبهذا الفعل يسعى المتكلم إلى جذب انتباه المُتلقي وإشعاره بأهميته ومشاركته في انتاج الخطاب. ومثل هذه الأفعال نجده في قول الخطيب: ((لذلك ينبغي للجهات المعنية اتخاذ إجراءات جادة لضبط العملية التعليمية والتربوية، وإعادة النظر في الطرائق والآليات والمناهج التعليمية المُتبعة في المدارس، وتطوير قدرات المعلمين والمُدرسين، وتوفير الأجواء المناسبة للطلبة...))^(٣٢). ففي هذه الخطبة يستعمل الخطيب أفعالاً توجيهية مثل (ينبغي، اتَّخذ، إعادة النظر، تطوير القدرات، توفير الأجواء) الغرض منها تقديم توجيهات ونصائح لمن يهّمه الأمر كوزارة التربية، اللجان الرقابية والتربوية في مجلس النواب؛ لتفادي انخفاض نسب النجاح في الصفوف المنتهية مما يؤثر سلباً على مستقبل البلد وسبل تقدمه وازدهاره. ومنها قول الخطيب: ((.. توجد مشكلة حقيقية في التنمية ومن عوامل القضاء على هكذا مشكلة تحتاج إلى جهد كبير في التنمية، وإلى جهد في التخطيط... والاستفادة من ثروات البلد... لا بُدَّ أن نبدأ، ولا بُدَّ أن نسعى، ولكن هذا لا يكفي هناك أجيال ستأتي بعدنا فتقول: ماذا عملتم لنا؟ وماذا أسستُم لنا كي نحن نكون من بناء الاقتصاد في العراق، أو في العالم))^(٣٣). موضوع هذه الخطبة لممثل المرجعية الدينية العليا جاءت لمناقشة قضية ارتفاع معدلات الفقر والبطالة في عدد من المحافظات الوسطى والجنوبية، وعجز الحكومات السابقة وفشلها في وضع خطة تنموية تأخذ بنظر الاعتبار أعداد الشباب في كل محافظة وموارد هذه المحافظة، وأعداد المعامل والمشاريع الصناعية والزراعية وقد تضمّنت أفعالاً توجيهية مثل (لا بُدَّ أن نبدأ، لا بُدَّ أن نسعى، وهذا لا يكفي والأسئلة: ماذا عملتم لنا؟ وماذا أسستُم لنا) وكل هذه الأفعال تضمّنت توجيهاً وإلزاماً

إبناء الحشد المُقدّس من ظلم الدواعش الذين عاثوا بالأرض خراباً وفساداً، فالخطيب هنا يُقرّر حقيقة اجتماعية ووطنية وُسِمَ بها المتطوعون ورجال القوات الأمنية وهي الشجاعة والتضحية ونكران الذات، وجميع هذه الأفعال تتوافر فيها جميع خصائص الفعل الأدائي إلا خصيصة المعنى، أو الدلالة الأدائية، أي أداء الفعل أثناء النطق به؛ لأن هذه الأفعال كلها خبرية تقريرية لا يُقصد منها - عبر سياقها في القصة - الإنجاز، أو الأداء، ولكن يُقصد بعضها الإخبار، ويقصد بعضها الآخر الوصف^(٣٤). ونرى التأثير المتوقع حصوله هو الاعتراف بالفضل والعرفان لهؤلاء الأبطال من العراقيين الذين لولاهم لأصبحنا لقمة سائغة في مأدبة اللؤماء من الدواعش القتلة المُجرمين ومن لف لفهم من زمر القتل والعدوان والتخريب.

ونجد مثل هذه الأفعال في موضع آخر كما في قول الخطيب: ((إننا نكتب تاريخنا بدماء شهدائنا وجرحانا في المعارك التي نخوضها اليوم ضد الإرهابيين وقد امتزجت دماء مكونات الشعب العراقي بجميع طوائفهم وقومياتهم، وأودَّ أن أوكد مرة أخرى على ضرورة حفظ هذا التاريخ الناصع من خلال التوثيق لكل جزئيات الأحداث خوفاً من التضييع أو التبدل، إذ من حق الأجيال القادمة أن تتطلع على تاريخنا وأن تقرأه واضحاً وصادقاً كما قرأنا نحن تاريخ أسلافنا))^(٣٥) تتمثل أفعال الإخبار في هذا المقطع من الخطبة عبر الفعل (أؤكد) فالخطيب هنا يبدو متيقناً مما يقوله وهو ضرورة أن يحفظ تاريخ معارك العراقيين مع نهج وفكر إرهابي مُتكس وفاقد لكل مُفردات الإنسانية والدين (تنظيم داعش الإرهابي)، خوفاً من التزوير الذي طال التاريخ الإسلامي في العصور السابقة لكي تقرأ الأجيال القابلة للتاريخ صادقاً - الذي يجب أن يُكتَب بحروفٍ من ذهب - عبر توثيق نبل العراقيين وشجاعتهم وتكاتفهم وتضحياتهم وكيف حافظوا على البلاد من شرّ هجمة بربرية تترية وضعت شعارها الإسلام والدفاع عنه وهذا محض افتراء وتضليل وكذب وإن هم إلا فكرٌ قبيحٌ سلاحه القتل والاعتداء وسرقة ثروات البلدان خدمةً للمشروع العالمي الكبير، وهذه التنظيمات الإرهابية أدوات هذا المشروع الخبيث لتدمير الإسلام المُحمدي الذي كان مُنشرًا في العراق وباقي البلدان التي استهدفها هذا التنظيم الإجرامي.

٢- التوجيهيات (Directives):

وغرضها الإنجازي التزام المتكلم للتأثير



مُحاربة التنظيم الإرهابي، مستدلاً على قوله بالتقدم الميداني على أرض المعارك بعد صدور فتوى الجهاد الكفائي، وتطوع الآلاف من الشباب والشيوخ للدفاع عن العراق ومقدساته.

٣- الوعديات (الالتزاميات) (Commissives):

وهو كل فعل كلامي يقصد به المتكلم الالتزام طوعاً بفعل شيء للمخاطب في المستقبل، بحيث يكون المتكلم مُخْلِصاً بكلامه، عازماً على الوفاء بما التزم به كأفعال الوعد، والوعيد، والمعاهدة، والضمان والإنذار إلخ، واتجاه المطابقة في هذا النوع من الأفعال من العالم إلى الكلمات^(٣٨). ونجد مثل هذه الأفعال في الخطب السياسيّة للمرجعية الدينيّة العليا في قول الخطيب: ((إنّ استمرار سياسة اللامبالاة، بل غصّ النّظر المقصود، أو غير المقصود عن تدفق هؤلاء المُعزّر بهم إلى العراق سيفاقم من خطورة هذه العصابات على هذا البلد وعلى المنطقة بأسرها، بل سيُشكّل تهديداً حقيقياً للدول التي ينطلقون منها حيث إنّ من الممكن أن يعودوا إليها مُستقبلاً ليشكّلوا خلايا إرهابية...))^(٣٩). استعمل الخطيب في هذه الخطبة فعلي القول (سيفاقم، سيُشكّل)، والمخاطب (الأطراف الإقليمية والدولية وخاصة الدول التي ينتشر فيها الفكر التكفيري الذي خطف عقل وروح العديد من المواطنين في هذه الدول)، والقصد أو الغرض الإنجازي من استعمال هذه الأفعال هو تحذير هذه الدول وخاصة دول الجوار من خطورة السكوت والتغاضي على تدفق هؤلاء الإرهابيون إلى العراق؛ لأنها في المستقبل ستهدّد تلك الدول.

ونجد مثل هذه الأفعال أيضاً في قول الخطيب: ((إننا نأمل أن تقوم الحكومة، ومجلس النواب ومجلس القضاء الأعلى بإجراء الإصلاحات المطلوبة بصورة مدروسة، ولكن من غير تلكؤ وتأخير، وليعلموا أنّ الشعب الكريم يُراقب عملهم ويتابع أداءهم، وسيكون له الموقف المناسب ممّن يُعقل، أو يُماطل في القيام بالإصلاحات ومكافحة الفساد^(٤٠).

نلاحظ أنّ الخطيب في هذا المقطع من الخطبة أنجز فعلاً لغوياً هو التحذير من موقف الشعب العراقي الصابر (سيكون)، والمتكلم هنا هو الخطيب ومعه الشعب العراقي، والمخاطب هو الحكومة ومجلس النواب ومجلس القضاء الأعلى، والقصد أو الفعل الإنجازي هو الوفاء بوعود الإصلاح التي قطعتها الحكومة على نفسها بالإصلاح الشامل في كلّ مفاصل الحياة، وهذا ما حصل بالفعل في

وإنكاراً ولوماً لما آلت إليه حالة البلد بعد أن استبشر المواطن خيراً بالنظام الجديد بعد ٢٠٠٣م وهذا هو عمل الأفعال التوجيهية في الخطاب فهي لا تخلو من أداء مقاصد خطابية ((يُمكن الهدف الغرضي لهذه الأفعال في حقيقة أنّها محاولات من جانب المتكلم للتأثير على المُستمع ليفعل شيئاً ما، ومن الجائز أن تكون محاولات ليئة جداً... أو ربّما تكون محاولات عنيفة جداً))^(٤١). ومثل هذه الأفعال نجدتها في قول الخطيب: ((أيتها المواطنين لا تغرّركم الوعود البراقّة والخطب الرنانة والإعلانات الكبيرة... بل ابحثوا عن ماضي المُرشح، وحققوا في نزاهته وكفاءته وحرصه على العراق والعراقيين، ودعواً الوجه التي لم تجلب الخير لهذا البلد، واستبدلوها بأشخاص آخرين... فاستعينوا بأهل العقل والحكمة... ولا تهتمّوا كثيراً بالانتماءات العشائرية والمناطقية والفتوية، بل اهتمّوا بالشروط الأساسية))^(٤٢). ما نجده في هذه الخطبة أنّ الخطيب قد استعمل الأفعال التوجيهية من مثل (لا تغرّركم، ابحثوا، حققوا، دعوا، لم تجلب، استبدلوها، استعينوا، لا تهتمّوا، اهتمّوا) وكلها أفعال كلامية مباشرة قوتها الإنجازية الحرفية الأمر والنهي ((ويستعمل المخاطب الفعل الكلامي المباشر، عندما يولي عنايته لتبليغ قصده وتحقيق هدفه الخطابي ورغبته في أن يُكلف المُتلقي بعمل ما، أو يوجّه لمصلحته من جهة وإبعاده عن الضرر من جهة أخرى، أو توجيهه لفعل مُستقبلي مُعيّن ويُفترض أن يتّجه المُخاطب بخطابه إلى التكثر من فائدة المُتلقي، فيستعمل هذه الاستراتيجيات في شكلها الأكثر مباشرة للدلالة على قصده كالأمر والنهي الصريحين))^(٤٣). فالججاج بالقوة في هذه الأفعال ذو طبيعة تداولية يسعى إلى تحقّق فائدة لصالح المخاطب، والخطاب موجّه للمواطنين الذين يريدون أن يشاركوا في الانتخابات القابلة لمجلس النواب. ومثل ذلك نجده في قول الخطيب: ((إنّ الحاجة إلى التعاون الدولي لمحاربة " داعش " لا يعني عدم قدرة أبناء الشعب العراقي وقواته المسلّحة على المقابلة مع هذا التنظيم الإرهابي، فقد أثبتت الشهور الماضية بعد صدور الفتوى نداء المرجعية الدينية العليا بوجود الدفاع عن العراق ومقدساته، وما أعقبه من الاستجابة الواسعة للمواطنين وما حصل من تقدّم ميداني على الأرض))^(٤٤). ففي هذه الخطبة نجد الخطيب أنجز فعلين أحدهما مباشر وهو الإخبار عن الحاجة إلى التعاون الدولي في مقاتلة عصابات داعش، وآخر غير مباشر، وهو رفض الاعتقاد بعدم قدرة العراقيين على



عام ٢٠١٩م عبر التظاهرات التي خرجت للإصلاح، واستقالت الحكومة على إثرها؛ بمعنى آخر تحقق ما وعدت به المرجعية الدينية العليا، وهذا ما تستشره في فكرها عن المستقبل المهم أن النتيجة التي أرادها الخطيب (المنشئ) هو التنبيه والتحذير من المماثلة في القيام بالإصلاحات اللازمة على المنظومة الحكومية.

٤- الإفصاحيات التعبيرية (Expressives): وتشمل الأفعال المعبرة عن مشاعر وميول المتكلم، إذن هو تعبير عن الحالة النفسية تعبيراً يتوافر فيه شرط الإخلاص ويمكن أن يكون عبارة عن سرور، أو ألم، أو حب، أو كره، أو فرح، أو ندم.^(٤١) ونجد أن الخطيب السياسي للمرجعية الدينية طُرزت بكثير من هذه الأفعال كما في قول الخطيب: ((إنكم أيها الأعداء أبطال العراق ونجباؤه ومفخرته حاضرًا ومُستقبلًا، ويحق للعراقيين جميعًا أن يفخروا بكم ويفخروا بأبائكم وأمهاتكم الذين قدموا فلذات أكبادهم دفاعًا عن هذا الوطن، ويفخروا بزوجاتكم اللاتي شجعنكم على الذهاب إلى جبهات الحق وحفظن الأولاد والبيوت في غيابكم، إنكم جميعًا موضع فخرنا واعتزازنا وتقدير الكلمات عن أداء بعض حُكمكم...))^(٤٢). ففي هذه الخطبة عبر الخطيب عن الحالة النفسية والشعور الذي يمر بها، يشاركه في هذا الشعور الشعب العراقي الكريم، وهي حالة الشعور بالفخر بالمقاتلين، لما سطره أبطال العراق من ملاحم بطولية في كل المعارك التي خاضوها ضد التنظيم الإرهابي داعش، الفخر بزوجات المقاتلين اللاتي شجعنهم على الذهاب والمشاركة في مقاتلة زمر الغرابة الذين عاثوا فسادًا في الأرض والعرض والممتلكات. فالأفعال الكلامية المتضمنة التعبيرية (الأعداء الأبطال، نجباؤه، مفخرته، يفخروا، قدموا، فخرنا، اعتزازنا، تقصر الكلمات، عن أداء حُكمكم) غرضها الإنجازي هو الفخر وهو تعبير عما يختلج في نفس الخطيب ومعه كل العراقيين. أضف إلى ذلك أن النداء المنعوت ب(الأعداء) الذي ابتدأ به الخطيب خطبته ((إنكم أيها الأعداء أبطال العراق...)) قد لعب دورًا مهمًا في تكثيف الطاقة الحجاجية عبر توجيه المخاطب نحو النتيجة المُبتغاة، وبقي أن نذكر أن استعمال الخطيب الرابطة الحجاجي " إن " مرتين مُستفحةً به خطابه، وفي أعطاف الخطبة له أهمية حجاجية وهي توكيد الكلام.

لتحرير بلادنا من الإرهابيين سائلين الله تعالى أن يُعجل بالنصر المُؤزر لِقوّاتنا على الإرهابيين، ولا يخفى على الجميع أن المعارك ضد الجماعات الإرهابية والسلوك الظالم لهذه الجماعات التي عاثت بالأرض فسادًا قد أفرزت نزوح الكثير من العوائل من مناطقهم إلى خارج المدن، وهؤلاء الإخوة النازحون يعيشون ظروفًا قاسية جدًا خصوصًا مع دخولنا في موسم الشتاء البارد من انعدام الخدمات الإنسانية والطبية، وفيهم الأطفال والنساء والشيوخ^(٤٣). ما نلاحظه في المقطع السابق من الخطبة أن الخطيب لجأ إلى نوعين من الأفعال التعبيرية الأولى: الدعاء للقوات الأمنية، والمتطوعين، وأبناء العشائر عبر الأفعال الكلامية المتضمنة التعبيرية وهي: (سائلين الله، يُعجل، النصر المُؤزر) وغرضها الإنجازي الدعاء، والآخر: المواساة للعوائل النازحة التي أخرجها السلوك الظالم لجماعات داعش الإرهابية وما يعانيه من ظروف قاسية وخاصة في فصل الشتاء مستعملًا الأفعال الكلامية التي تعبر عن الحالة النفسية للمرجعية الدينية العليا وتعاطفها وشعورها بالمواساة لهذه العوائل، وخاصة الأطفال والنساء والشيوخ وهي (نزوح، العوائل، خارج المدن، يعيشون، ظروفًا قاسية، انعدام الخدمات، أطفال، نساء، شيوخ)، وغرضها الإنجازي التعبير عن المواساة والتضامن مع معاناة هذه العوائل النازحة.

ومثل قول الخطيب: ((أخذ الله تعالى بأيدي أبنائنا في القوات المسلحة والإخوة الأعداء من المتطوعين، أخذ الله بأيديهم لنصرة هذا البلد، وإلى مزيد من الانتصارات كي تكسر شوكة الحقد والحاقدين والإرهاب والإرهابيين، أرانا الله تعالى في هذا البلد كل خير، وجعل هذا البلد وبلاد المسلمين في مآمن إن شاء الله تعالى))^(٤٤). نلاحظ أن الخطيب عبر عن مشاعره الصادقة تجاه الرجال الأبطال الذين ذادوا عن حمى الوطن وأهله بالمال والروح، فعبر عن هذه المشاعر الصادقة بالأفعال الكلامية المتضمنة للتعبيرية من مثل (أخذ الله، أبنائنا، لنصرة، البلد، تكسر، شوكة الحقد، أرانا، مآمن) فأنجز الخطيب عملًا لغويًا غرضه الإنجازي الدعاء للقوات الأمنية وبلدنا العراق.

ومثل قوله: ((تحاول هذه العصابات أن تشبع غريزتها الإجرامية وتعوّض عن شعورها بالهزيمة بالانتقام الطائفي من المواطنين الأبرياء صغاراً وكباراً رجالاً ونساء من خلال تفجير المحلات والأسواق المكتظة بالناس، كما حصل خلال الأيام الماضية في خان بني سعد في محافظة ديالى وفي العاصمة بغداد والذي

ومثل قول الخطيب: ((مازالت قوّاتنا البطلية المتمثلة بالجيش والشرطة الاتحادية، والمتطوعين وأبناء العشائر تقاتل الإرهابيين بكل شجاعة وبساله ساعية



وبمناسبة عيد الجيش العراقيّ البطل. وكذلك في قول الخطيب: ((في الوقت الذي ندين ونستنكر بشدّة جريمة اغتيال عددٍ من خطباء وأئمة المساجد من إخواننا أهل السنة في مدينة الزبير، الذين عُرفوا بالاعتدال والوسطية وطالما دعوا إلى تكريس التعايش السلمي وتعزيز التواصل المبنيّ على الاحترام المتبادل والمحبة بين مختلف مكوّنات الشعب العراقي، خصوصاً بين أبناء الطائفتين الكرّميتين السنية والشيعية، إدراكاً ووعياً منهم بأنّ هذا النهج هو جوهر الدعوة المحمّدية الأصيلة وأنّه في مقدّمة ضرورات الحفاظ على وحدة النسيج الاجتماعيّ للشعب العراقي))^(٤٨).

ففي الخطبة السابقة، نجد الخطيب يعبر عن مشاعر الاستنكار والإدانة للجرائم الوحشيّة المخطّط لها من قبل دول عربيّة وعالميّة لضرب النسيج الاجتماعيّ العراقيّ وزرع الفتنة الطائفيّة عبر اغتيال مجموعة من الخطباء الذين طالما عُرفوا بالاعتدال، ونشر الإخوة والمحبة بين أبناء المجتمع الواحد وبين الطائفتين الشيعيّة والسنيّة، سائرين على النهج الإسلاميّ المحمّديّ العظيم الذي ينادي بالتراحم والوحدة بين المسلمين، وهذا مالا يروق ولا يُرضي التنظيمات الإرهابيّة الدواعش وأخوانها التي جاءت من أجل زرع الفرقة والتطرّف والحقد والكرهية بين أبناء الأمتّة الواحدة والوطن الواحد، كي نكون لقمةً سائغةً بغم الأعداء، وهذا ما حصل بالفعل بسبب من فتاوى التكفير المزلّلة للمسلمين، والأفعال الكلاميّة المتضمّنة للتعبيرات (ندين، نستنكر، اغتيال) وغرضها الانجازي هو الإدانة والاستنكار لهذه الجريمة النكراء لأعداء الوحدة والإخوة من التنظيمات الإرهابيّة؛ والسبب في توظيف الخطيب لهذه الأفعال جاء لأنّ تصرّف الإفصاح الانجازي فيها يتمثّل بتحقيق هدف يُنسب إليه (إقناع، حمل على القبول)، أو بإحداث تنمّة تُنسب إليه^(٤٩).

نخلص ممّا ذُكر أنّ للأفعال الكلاميّة دوراً في التواصل بين المرسل والمتلقّي، وهي من التقنيات التي يتوسّل بها الخطيب لمحاولة التأثير على المخاطب لكسبه وإثارة اهتمامه وذلك لتبنيّ طروحاته.

نتائج البحث:

- لعبت نظرية الأفعال الكلاميّة دوراً محورياً في الخطب السياسيّة للمرجعيّة الدينيّة العليا فكان لها دورٌ كبير في التواصل بين المرسل والمتلقّي، وهي من التقنيات التي يتوسّل بها الخطيب لمحاولة التأثير

خلّف المئات من الشهداء والجرحى، وفي أوقاتٍ يُفترض أن يعيش هؤلاء الضحايا فرحة عيد الفطر وإذا بهذه العصابات تحوّلته إلى مناسبة حزن ومصابٍ وبكاء، إنّنا في الوقت الذي نعزّي ونواسي فيه عوائل الشهداء تعمّدهم الله تعالى برحمته الواسعة وتتضامن مع الجرحى من الله عليهم بالشفاء العاجل)^(٤٥). لقد عبّر الخطيب عن مشاعر المواساة والحزن والعزاء لعوائل الشهداء، والدّعاء للجرحى بالشفاء العاجل، والأفعال الكلاميّة المتضمّنة للأفصاحيات كانت (نعزّي، نواسي تعمّدهم، تتضامن، الشفاء العاجل). فالأفعال الكلاميّة في هذه الخطبة غرضها الانجازي المواساة لعوائل الشهداء الذين سقطوا جراء هذا العمل الإجراميّ البشع الذي يُظهر خسة ودناءة وهمجيّة وبؤس وإجرام هذا التنظيم الإرهابي داعش، والدّعاء للجرحى بالشفاء العاجل.

ونجد من مثل هذه الأفعال في قول الخطيب: ((لكنّهم مطمئنون ونحن أيضاً مطمئنون معهم أنّ أدعية هذا اليوم ستكون الحصّة الكبرى هي لهؤلاء الأعزّة المرابطين هناك إن شاء الله تعالى، هؤلاء الذين حموا البلاد والعباد ولا زالوا ونهتّهم إن شاء الله تعالى بالنصر المؤزّر على أن نسمع في القريب العاجل نصراً نهائياً والقضاء على هؤلاء الدواعش إلى غير رجعة بحمد الله تبارك وتعالى))^(٤٦). ومثل قوله: ((إخوتي أخواتي بدءاً نهتّي الشعب العراقيّ بذكري تأسيس جيش أبنائه الجيش العراقيّ البطل مثنمين التضحيات الكبيرة التي ضحى بها هذا الجيش من أجل الحفاظ على الوطن والتصدي للقوى الإرهابيّة التي تحاول أن تعبت بالبلد، وكذلك نثمّن دور المقاتلين الأبطال في هذه المعركة المصيريّة المهمّة في محاربة الإرهاب الداعشيّ، سائلين الله تبارك وتعالى لهم ولنا جميعاً النصر المؤزّر القريب بعون الله تبارك وتعالى))^(٤٧).

في الخطبتين السابقتين نلاحظ أنّ الخطيب عبّر عن مشاعره ومشاعر كلّ العراقيين في يوم عرفة المبارك بالدّعاء للقوات الأمنيّة أن ينصرهم الله تعالى بنصره المبين الناجز بإذن الله جلّت قدرته وقوّته على الأعداء، وهذا ليس على الله جلّ علاه ببعيدٍ وتهنئتهم بالنصر المؤزّر، وبمناسبة عيد الجيش العراقيّ، عبر توظيفه للأفعال الكلاميّة المتضمّنة للتعبيرات من مثل: (أدعية، حموا، نهتّكم، نثمّن نصراً) وغرضها الانجازي الدّعاء والتهنئة والإشادة بالانتصارات التي حقّقتها القوات الأمنية بالعيد بيوم عرفة المبارك



الأفعال الكلامية في الخطاب السياسي ...

الدراسة - عن تيقن الخطيب فيما يقوله، ويظهر ذلك عبر الفعل (أوكّد)، وهو ضرورة أن يحفظ تاريخ معارك العراقيين مع أقدّر نهج وفكر إرهابي متكّس وفاقد لكل مفردات الإنسانية والدين، خوفاً من التزوير الذي طال التاريخ الإسلامي في العصور السابقة لكي تقرأ الأجيال القابلة التاريخ صادقاً - الذي يجب أن يكتب بحروف من ذهب - عبر توثيق نبل العراقيين وشجاعتهم وتكاتفهم وتضحياتهم وكيف حافظوا على البلاد من شرّ هجمة بربرية تترية وضعت شعارها الإسلام والدفاع عنه وهذا محض افتراء وتضليل وكذب وإن هم إلا فكر قبيح سلاحه القتل والاعتداء وسرقة ثروات البلدان خدمة للمشروع الصهيوني العالمي الكبير، وهؤلاء الأرقام من الدواعش هم أدوات هذا المشروع الخبيث لتدمير الإسلام المحمدي الذي كان منتشرًا في العراق وباقي البلدان التي استهدفها هذا التنظيم الإجرامي. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصل اللهم على شفيعنا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

على المخاطب لكسبه وإثارة اهتمامه وذلك لتبني أطروحاته العديدة.

- يتمثل تصرف الإفصاح الانجازي في الخطاب بتحقيق هدف يُنسب إليه إقناع، حمل على القبول، أو بإحداث تنمية تُنسب إليه، وذلك عبر توظيفه للأفعال الكلامية المتضمنة للتعبيرات من مثل: (أدعية، حموا، نهنتكم، نتمن نصرًا) وغرضها الانجازي الدعاء والتهنئة والإشادة بالانتصارات التي حققتها القوات الأمنية بالعيد بيوم عرفة المبارك وبمناسبة عيد الجيش العراقيّ البطل.

- جاءت الأفعال الكلامية المتضمنة للافصاحيات من مثل: (نعزي، نواسي، تغمدهم، نتضامن، الشفاء العاجل) في هذه الخطبة لتؤدي غرضها الانجازي وهو مواساة عوائل الشهداء الذين سقطوا جراء هذا العمل الإجرامي البشع الذي يظهر خسة ودناءة وهمجية وبؤس وإجرام هذا التنظيم الإرهابي داعش، والدعاء للجرحى بالشفاء العاجل.

- عبرت أفعال الإخبار في الخطاب السياسيّة - عينة



الهوامش:

- ١٦- ينظر: التداوليّة، جورج يول، تر: قصي العتايي، الدار العربية للعلوم ناشرون - لبنان، دار الأمان - المغرب، ط١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م: ٨٣.
- ١٧- ينظر: التحليل اللغويّ للنصّ، مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، كلاوس برينكر، تر: د، سعد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م: ١٤٣.
- ١٨- ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د، محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعيّة، بد. ط٢، ٢٠٠٢م: ٦٩، وينظر: التداوليّة اليوم علم جديد في التواصل، آن روبول، جاك موشلار، تر: سيف الدين دغفوس، مراجعة، د لطيف زيتوني، المنظمة العربيّة لترجمة، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت - لبنان، ط١، ٢٠٠٣م: ٣٣.
- ١٩- ينظر: البرغماتيّة (القولفعلية) في تحليل الخطاب السياسي، خطابا ترامب والمملك سلمان نموذجًا، د، سامي كليب، دار الفارابي، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠١٧م: ١٣٧.
- ٢٠- نظرية الحدث اللغويّ تحليل ونقد، محمد العبد، (بحث)، مجلة الدراسات اللغويّة، مج ٢، ٤٤، (شوال - ذو الحجة ١٤٢١هـ / يناير - مارس ٢٠٠١م: ١٥).
- ٢١- التداوليّة أصولها واتجاهاتها: ٩٠.
- ٢٢- نظريّة الأعمال اللغويّة، شكري المبخوت، مسكيلياني للنشر والتوزيع، زغوان - تونس ط١، ٢٠٠٨م: ٩٢- ٩٤، وينظر: نظرية الأفعال الكلاميّة بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، طالب السيّد هاشم الطبطبائيّ، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، ١٩٩٤م: ٣١، ٣٢، ٣٣.
- ٢٣- ينظر: الاتجاه التداوليّ والوسيط في الدرس اللغويّ، د، نادية رمضان النجار، مؤسسة حورس الدوليّة للنشر والتوزيع، اسكندرية - مصر، ط١، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م: ٤٩.
- ٢٤- نحو نظريّة عربيّة للأفعال الكلاميّة، د، محمود أحمد نحلة، مجلة الدراسات اللغويّة، مج ١، ١٤، (محرم - ربيع الأوّل ١٤٣٠هـ / أبريل - يونيو ١٩٩٩م: ١٧٧).
- ٢٥- آفاق جديدة في البحث اللغويّ المعاصر: ٤٩.
- ٢٦- من خطبة الجمعة ٩ ذو الحجة ١٤٣٨هـ الموافق ١ أيلول ٢٠١٧م، المجلد الثالث عشر، ج٢: ١٣٠ - ١٣١.
- ٢٧- ينظر: في البرجماتيّة:- الأفعال الإنجازيّة في العربيّة المعاصرة دراسة دلاليّة ومعجم سياقيّ، د، علي محمود حجّي الصّراف، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م: ٣٢ - ٣٣.
- ١- الخصائص، صنعه، أبي الفتح عثمان بن جنّي، بتحقيق، محمد عليّ النجار، دار الكتب المصريّة، بد. ط، بد. ت، ج١: ٣٣.
- ٢- ينظر: تداولية الخطاب السردى - دراسة تحليليّة في وحي القلم للرافعيّ -، محمد طلحة، عالم الكتب الحديث، أربد - الأردن، ط١، ٢٠١٢م: ٢.
- ٣- ينظر: لسانيات التلطف وتداولية الخطاب، ذهبيّة حمو الحاج، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، المدينة الجديدة، تيزي وزو، بد. ط بد ت: ٦٦.
- ٤- ينظر: في التحليل النقدي للخطاب، محيي الدين محسّب، دار كنوز المعرفة، عمان، ط١، ٢٠١٩م- ٤٣هـ: ٤٣.
- ٥- ينظر: التداوليات وتحليل الخطاب، تنسيق وتقديم، د، حافظ إسماعيلي علوي، مُنصر أمين عبد الرحيم، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان - الأردن ط١، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م: ١١.
- ٦- ينظر: المقاربة التداوليّة، فرانسواز أرمينكو: ٥٢.
- ٧- ينظر: توجهات تحليل الخطاب في الثقافة الغربيّة (بحث)، عمر بلخير، مجلة فصول، المجلد (٢٥ / ١)، العدد (٩٧)، خريف ٢٠١٦م: ٢١.
- ٨- اللغة والفعل الكلاميّ والاتصال، زبيله كرمي، تر: د سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط١، ٢٠١١م: ٨٩.
- ٩- المقاربة التداوليّة، فرانسواز أرمينكو، تر: سعد علوش، مركز الإماء القومي، الرباط - المغرب، ط١، ١٩٨٧م: ٦١.
- ١٠- النصّ والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، فان دايك، تر: عبد القادر قيني، أفريقيا الشرق، المغرب، بد. ط، ٢٠٠٠م: ٢٢٨.
- ١١- مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، د، محمد محمد يونس علي، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠٠٤م: ٣٤.
- ١٢- ينظر: النصّ والخطاب والاتصال، د، محمد العبد، الأكاديميّة الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة - مصر، بد. ط، ٢٠١٤م: ٢١٥.
- ١٣- التداوليّة أصولها واتجاهاتها، جواد ختام، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط١، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م: ٩٠.
- ١٤- ينظر: التداولية من أوستن إلى غوفمان، فيليب بلانشيه، تر: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية - اللاذقية، ط١، ٢٠٠٧م: ٥٩.
- ١٥- التداوليّة أصولها واتجاهاتها: ٩٠.



- ٢٨- الجمعة ٢١ جمادى الأول ١٤٣٦ هـ الموافق ١٣ آذار ٢٠١٥ م، المجلد الحادي عشر، ج١: ١٥٢.
- ٢٩- ينظر: التحليل اللغوي عند مدرسة أوكسفورد، صلاح إسماعيل عبد الحق، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٩٣م: ٢٣٣ - ٢٣٤.
- ٣٠- من خطبة الجمعة ٣٠ رمضان ١٤٣٦ هـ الموافق ١٧ تموز ٢٠١٥ م، المجلد الحادي عشر، ج٢: ٤١
- ٣١- من خطبة الجمعة ١٥ رمضان ١٤٣٦ هـ الموافق ٣ تموز ٢٠١٥ م، المجلد الحادي عشر، ج٢: ١٧
- ٣٢- من خطبة الجمعة ٢٢ رمضان ١٤٣٦ هـ الموافق ١٠ تموز ٢٠١٥ م، المجلد الحادي عشر، ج٢: ٣٠ - ٣١.
- ٣٣- من خطبة الجمعة ١٥ ربيع الأول ١٤٣٥ هـ الموافق ١٧ كانون الثاني ٢٠١٤ م، المجلد العاشر، ج١: ٤٥
- ٣٤- التحليل اللغوي عند مدرسة أوكسفورد: ٢٣٣.
- ٣٥- من خطبة الجمعة ١١ جمادى الآخرة ١٤٣٥ هـ الموافق ١١ نيسان ٢٠١٤ م، المجلد العاشر، ج١: ١٩٧.
- ٣٦- دراسة الأفعال الكلامية في القرآن الكريم - مقارنة تداولية -، أ. بوفرومة حكيم، (بحث) ضمن بحوث منشورة في مجلة (الخطاب)، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، العدد الثالث، ماي، ٢٠٠٨: ١١ - ١٢.
- ٣٧- من خطبة الجمعة ٢٣ ذي القعدة ١٤٣٥ هـ الموافق ١٩ أيلول ٢٠١٤ م، المجلد العاشر، ج٢: ١٣٦.
- ٣٨- ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ١٠٤.
- ٣٩- من خطبة الجمعة ٢٢ رمضان ١٤٣٦ هـ الموافق ١٠ تموز ٢٠١٥ م، المجلد الحادي عشر، ج٢: ٢٩.
- ٤٠- من خطبة الجمعة ٢٨ شوال ١٤٣٦ هـ الموافق ١٤ آب ٢٠١٥ م، المجلد الحادي عشر، ج٢: ٩١.
- ٤١- ينظر: مسرد التداولية: ٩٧، وينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٥٠.
- ٤٢- من خطبة الجمعة ٢ محرم ١٤٣٧ هـ الموافق ١٦ تشرين الأول ٢٠١٥ م، المجلد الحادي عشر، ج٢: ٢٠٦.
- ٤٣- من خطبة الجمعة ٢٨ صفر ١٤٣٧ هـ الموافق ١١ كانون الأول ٢٠١٥ م، المجلد الحادي عشر، ج٢: ٣١٨.
- ٤٤- من خطبة الجمعة ١٣ محرم ١٤٣٦ هـ الموافق ٧ تشرين الثاني ٢٠١٤ م، المجلد العاشر، ج٢: ٢٢٥.
- ٤٥- الجمعة ٧ شوال ١٤٣٦ هـ الموافق ٢٤ تموز ٢٠١٥ م، المجلد الحادي عشر، ج٢: ٥١.
- ٤٦- من خطبة الجمعة ٩ ذو الحجة ١٤٣٨ هـ الموافق ١ أيلول ٢٠١٧ م، المجلد الثالث عشر، ج١: ١٣٢.
- ٤٧- الجمعة ٧ ربيع الثاني ١٤٣٨ هـ الموافق ٦ كانون الثاني ٢٠١٧ م، المجلد الثالث عشر، ج١: ٢١.
- ٤٨- الجمعة ١٧ ربيع الأول ١٤٣٦ هـ الموافق ٩ كانون الثاني ٢٠١٥ م، المجلد الحادي عشر، ج١: ٣١.
- ٤٩- ينظر: الفعل بالكلمات، جون لانغشو أوستن، تح: جيمس أوبي أورمسن، وماريننا سبيسا، تر: طلال وهبة، هيئة البحرين للثقافة والآثار، المنامة، ط١، ٢٠١٩ م: ١٥٩.



منشورة في مجلة (الخطاب)، دار الأمل للطباعة والنشر

والتوزيع، تيزي وزو، العدد الثالث، ماي، ٢٠٠٨.

١٢- الفعل بالكلمات، جون لانغشو أوستن، تح:

جاميس أوي أورمسن، ومارينا سبيسا، تر: طلال وهبة،

هيئة البحرين للثقافة والآثار، المنامة، ط١، ٢٠١٩م.

١٣- في البراجماتية:- الأفعال الإنجازية في العربية

المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي، د، علي

محمود حجّي الصّرف، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١،

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

١٤- اللغة والفعل الكلامي والاتصال، زيبيله كرمير، تر:

د سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة،

ط١، ٢٠١١م.

١٥- مسرد التداولية، د، مجيد المشاطة، أ، أمجد

الركابي، الرضوان للنشر والتوزيع عمان، ط١، ٢٠١٨م

- ١٤٣٩م.

١٦- مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، د، محمد

محمد يونس علي، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١،

٢٠٠٤م.

١٧- نحو نظرية عربية للأفعال الكلامية، د، محمود

أحمد نحلة، (بحث)، مجلة الدراسات اللغوية، مج

١، ع١، (محرم - ربيع الأول ١٤٣٠هـ / أبريل - يونيو

١٩٩٩م.

١٨- النص والخطاب والاتصال، د، محمد العبد،

الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة - مصر،

بد. ط، ٢٠١٤م.

١٩- نظرية الأعمال اللغوية، شكري المبخوت،

مسكيلياني للنشر والتوزيع، زغوان - تونس، ط١،

٢٠٠٨م.

٢٠- نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة

المعاصرين والبلاغيين العرب، طالب السيد هاشم

الطببائي، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت.

٢١- نظرية الحدث اللغوي تحليل ونقد، محمد

العبد، (بحث)، مجلة الدراسات اللغوية، مج ٢، ع٤،

(شوال - ذو الحجة ١٤٢١هـ / يناير - مارس ٢٠٠١م.

المصادر والمراجع:

١- الاتجاه التداولي والوسيط في الدرس اللغوي، د،

نادية رمضان النجار، مؤسسة حورس الدولية للنشر

والتوزيع، اسكندرية - مصر، ط١، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

٢- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د، محمود

أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، بد. ط، ٢٠٠٢م.

٣- البرغماتية (القولفعلية) في تحليل الخطاب السياسي،

خطابا ترامب والملك سلمان نموذجًا، د، سامي كليب،

دار الفارابي، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠١٧م.

٤- التحليل اللغوي عند مدرسة أوكسفورد، صلاح

إسماعيل عبد الحق، دار التنوير للطباعة والنشر،

بيروت - لبنان، ط١، ١٩٩٣م.

٥- التحليل اللغوي للنص، مدخل إلى المفاهيم

الأساسية والمنهج، كلاوس برينكر، تر: د، سعد حسن

بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة،

ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.

٦- التداولية، جورج يول، تر: قصي العتاي، الدار

العربية للعلوم ناشرون - لبنان، دار الأمان - المغرب،

ط١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

٧- التداولية أصولها واتجاهاتها، جواد ختام، دار كنوز

المعرفة، الأردن، ط١، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م.

٨- التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن روبول،

جاك موشلار، تر: سيف الدين دغفوس، مراجعة، د

لطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة

للطباعة والنشر بيروت - لبنان، ط١، ٢٠٠٣م.

٩- التداولية من أوستن إلى غوفمان، فيليب بلانشيه،

تر: صابر الجباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية

- اللاذقية، ط١، ٢٠٠٧م.

١٠- خطب الجمعة، توثيق وتحقيق، العتبة العباسية

المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، مركز

العميد الدولي للبحوث والدراسات، ط١، ١٤٤٠هـ -

٢٠١٩م العراق - كربلاء.

١١- دراسة الأفعال الكلامية في القرآن الكريم - مقارنة

تداولية -، أ، بوفرومة حكيمة، (بحث) ضمن بحوث



النسق السياسيُّ في شعر السيد الحميري (ت173هـ)

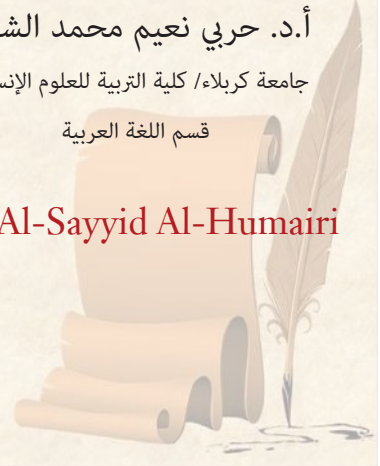
زهراء عبد الحميد المسعودي
جامعة كربلاء/ كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية

أ.د. حربي نعيم محمد الشبلي
جامعة كربلاء/ كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية

The Political Pattern in the Poetry of Al-Sayyid Al-Humairi (d. 173 A.H.)

Prof. Harby Naim Mohammed Al-Shibli

Zahraa Abdel Hamid Al Masoudi,



الملخص

تعدُّ القضيةُ الدينية من أهمِّ المحاور الفكرية التي عالجها معظم الشعراء سياسياً وثقافياً واجتماعياً، والسيد الحميري أحد هؤلاء الشعراء، فقد تناول القضية الدينية في الظاهر، لكن المضمرة فيها الإشارة إلى القضية السياسية التي وظَّف شعره من أجلها، ولعل قضية سلب الخلافة من الإمام علي (عليه السلام) أبرز تلك القضايا، ولهذا شكَّل النسق السياسي حضوراً في الخطاب الشعري لديه، ولاسيما في جانبين الإقصاء السياسي، و الولاء. الكلمات المفتاحية: النسق، النسق الثقافي، نسق الإقصاء السياسي، نسق الولاء، السيد الحميري.

Abstract

The religious issue is one of the most important intellectual topics that most of the poets dealt with politically, culturally and socially. Mr. Al-Humairi is one of those poets apparently dealt with the religious issue, but implicitly he referred to the political issue for which he employed his poetry. Perhaps among the most prominent of these issues is that of taking away the caliphate from Imam Ali (peace be upon him). This is why the political pattern is present in his poetic discourse, especially in the two aspects of political exclusion and loyalty.

Keywords: the pattern, the cultural pattern, the pattern of political exclusion, the pattern of loyalty, Mr. Al-Hamiri.



إلّا إذا تعارض نسقان: أحدهما ظاهر، والآخر مضمّر، وهذا المضمّر يكون ناسخاً وناقضاً للظاهر، إذا توافر نسقان في نصّ واحد، ويشترط في هذا النصّ الجمالية والجماهيرية، لأنّ الكشف عن هذه الشروط يتّجه بنا إلى كشف حيل الثقافة في تمرير أنساقها تحت أقتعة ووسائل خافية^(٤)، وبالعموم فالنسق "هو انتظام بنيوي يتناغم وينسجم فيما بينه، ليولّد نسقاً أعمّ وأشمل وعلى سبيل المثال يوصف المجتمع بأنه نسق اجتماعي عام ينتج عنه مجموعة أنساق فرعية انتظمت معه، وشكلته، فتولّد عنه نسق سياسي، وآخر اقتصادي، وعلمي، وثقافي، تنسج علاقاتها فيما بينها في مسافات متفاعلة"^(٥)، وهذا النسق قد تكوّن على وفق قيم ثقافية، متمركزة ومهيمنة، ومتعدّدة الرّوى والغايات والاتجاهات، في بنية المجتمع^(٦).

فالارتباط بين النسق والثقافة تمّ إنتاجه في ظل المنظومة الاجتماعية والدينية والثقافية والسياسية، وتمّ اكتسابها من قبل الإنسان، وظهر هذا الإنتاج في الخطابات الإبداعية والفكرية وغيرها^(٧)، وفي ظل هذه الخطابات تمّ إنتاج النسق السياسي - أحد الخطابات المنتجة - عبر البنية التي احتوت هذه الخطابات، التي شكّلت نسقاً له قوانينه الخاصة، في العلاقات القائمة بين العناصر الخارجية والداخلية، من ضمن التحولات والتغيرات في علاقات النسق وتعارضاته، وهذه البنية مترابطة، تنظم ذاتها، وتسير على نهج مرسوم على وفق عمليات منتظمة^(٨)، تتمّ وفق موضوعات متعلّقة بالممارسة الثقافية وعلاقاتها بالسلطة، ومدى تأثير العلاقات على شكل الممارسات الثقافية، ومن ثمّ تحليل هذه الممارسات وفق النسق الاجتماعي والديني والسياسي^(٩)، السائد في المجتمع، وبعد دراستنا لشعر السيد الحميري وجدنا الأنساق السياسية قد توزعت على محورين، الأول: نسق الإقصاء السياسي، والثاني: نسق الولاء.

أولاً: نسق الإقصاء السياسي

يمثّل النسق السياسي مجموعة من العلاقات السياسية المنتجة في مجتمع ما، خلال مدة زمنية معيّنة، يتوقّف فهم هذه المدة على ثقافة المجتمع، ومسار العمل السياسي، فضلاً عن نوع العمل^(١٠)، لاسيما إذا كانت هذه العلاقات قد أنتجت في مجتمع، تكون بتأثير من العنصر الديني والاجتماعي والسياسي، وبالنتيجة ترسّبت هذه العناصر في الثقافة المنتجة لذلك المجتمع، وظهرت في نتاج الشعراء، والسيد الحميري أحد المنتجين لثقافة المجتمع الذي عاش فيه،

تنبع أهمية النسق الثقافي من الدور الذي يقوم به، في الكشف عن ذلك المضمّر الذي تخفى وراء الأقتعة الجمالية في الخطابات الأدبية، فما مادة هذا النسق إلّا تلك التراكمات والترسبات التي تكونت بمرور الزمن بالفعل الثقافي، وظهرت في النتاجات الأدبية، ولكن هذا الظهور لا يعني كشافاً واضحاً، إمّا نحتاج إلى تفكيك وحفر تلك البنى التي كوّن الخطاب الأدبي، وبالنتيجة العثور على جملة من الأنساق الثقافية، ومن هذه الأنساق النسق السياسي القائم على مجموعة من العلاقات المنتجة في مجتمع ما، ومن الطبيعي ظهور هذه العلاقات في نتاج الشعراء، حالها حال النتاجات الأخرى، ولكن ما الداعي لظهور هذه في نتاج الشعراء؟ هذا ما يحاول النقد الثقافي الإجابة عنه، عن طريق كشف النسق المضمّر عند هذا الشاعر أو ذاك، والسيد الحميري أحد الشعراء الذين وجدنا في شعرهم جانباً سياسياً، وإن كان الشائع عنه التركيز على الجانب الديني، لذا جاء عنوان بحثنا موسوماً بـ (النسق السياسي في شعر السيد الحميري (ت ١٧٣هـ))، لمتابعة هذا النسق وكشف المضمّر منه، والوصول فيه إلى الغاية من تخفي خطاب الشاعر بهذا النسق، من دون الأنساق الأخرى، وكأيّ بحث تمّ وضع خطة له، اشتملت على مدخل، ومحورين، في المدخل: تحدّثنا عن التعريف بمفهوم النسق الثقافي ووظيفته، أمّا المحور الأول فقد جاء بعنوان نسق الإقصاء السياسي: الذي قام على العلاقات السياسية والدينية والاجتماعية، وفي المحور الثاني نسق الولاء: الذي يتمّ برغبة الفرد وذاته، ثم ختمنا البحث بخاتمة توصلنا فيها لأبرز النتائج، تلتها قائمة بالمصادر والمراجع المعتمدة في البحث.

مفهوم النسق الثقافي ووظيفته

قبل الولوج إلى مفهوم النسق السياسي لا بدّ لنا من التعرّيج على تعريف النسق لغة واصطلاحاً، فالنسق في اللغة: ما كان على نظام واحد، في جميع الأشياء^(١١)، فالتتابع والترابط والتماسك بين أجزاء الشيء يؤدّي إلى إنتاج نسيج ذات كتلة واحدة^(١٢)، أمّا في الاصطلاح: فإنه نظام ينطوي على أفراد فاعلين تتحد علاقاتهم بمواقفهم وأدوارهم، التي تنبع من الرموز المشتركة، والمقررة ثقافياً في إطار هذا النسق^(١٣)، ويتمّ تحديد هذا النسق عبر وظيفته النسقية، التي لا توجد إلّا في إطار محدّد ومقيّد، وهذا الأمر لا يتمّ



فيمن لا يستحق منزلة المدح، وهذا الممدوح/ الآخر سواء أكان بمنزلة مرموقة سياسية أو اجتماعية أم كان بمنزلة دون ذلك، فإن ذلك لا يعطي الشاعر الحق في مدحه بصفات غير موجودة فيه، وهذا النهي إنما يسير في اتجاه إضمار النسقية الثقافية التي يمتلكها الشاعر اتجاه الممدوح الذي قد حدد صفاته من قبل، وحصر المدح عليه دون الآخرين، لأسباب متعلقة في التفكير العقائدي، التي تكوّنت وترسّبت في تكوينه عبر مراحل حياته، يشعر الشاعر معها بثقافة عدم تقبل المدح لمن لا يستحقه، وكي يفرض هذه الفرضية على المجتمع وتقبل السامعين وجعلهم مدعنين له، جعل هذه الثقافة نسقاً سائداً في التفكير المجتمعي، وبالنتيجة تقبل الممدوح الذي يقدمه لهم، هذا في الجانب الأول، وفي الجانب الثاني هناك الآخر الذي لا يستحق المدح في نظره، وهذا الآخر تمثّل بالسلطة السياسية / سلطة البطش / التنكيل/ الفتك، فهذه السلطة إنما وجه إليها المدح بسبب سلطتها القمعية، وبالنتيجة الشاعر لا يمدحها بما فيها، إنما خوفاً منها، لأن السلطة كانت تقوم على نشر ثقافة معاكسة، وبالنتيجة يسعى الشاعر إلى إقصاء تلك الأنساق المضرة وتحطيمها، التي بنيت على أسس وثوابت استمرت مدد زمنية طويلة تعود إلى عمق الزمن، وفي نموذج آخر نجده يجعل عيش هذا الممدوح - الذي حدده- في الأرض جنة، وبعده ناراً، في قوله^(١٧): (البحر الكامل)

شَرُفْتُ بِكَ الْأَرْضَ الْبَسِيطَةَ بَعْدَمَا
أُسْكَنْتَهَا وَتَجَلَّتْ الْأَقْطَارُ
فَالأَرْضُ حَيْثُ أَقْمَتَ فِيهَا جَنَّةً
وَالأَرْضُ حَيْثُ رَحَلَتْ عَنْهَا نَارُ
وكي يتقبل المجتمع النسق الثقافي الموجود في فكر الشاعر، فإنه يبث كل الفضائل المتعلقة بالشخصية الممدوحة، فيجعل الشرف للأرض بمجيء هذا الشخص، متعدياً بذلك التشريف للمجتمع، وسلوك الشاعر في هذا النسق إنما نابع من فحولته وتقدمه في قول الشعر على بقية الشعراء، خاصة في هذا الممدوح، سواء كان في عصره أم في العصور السابقة له، فالإقصاء يعمل عنده على طرفين الأول: إقصاء الشاعر (الآخر) لأنه قد تفوّق عليه في قول الشعر في ممدوحه، والطرف الثاني: إقصاء الآخر/ السلطة، لأن السياسة كانت قائمة على البطش والخوف في حال التحدث عنها بسوء، هذا من باب، ومن باب آخر العطاء وإغداق الأموال لمن التزم المدح اتجاه السلطة، وبهذا فإن الخطاب الذي نشره الشاعر خطاب جماعي

وانعكست ثقافة العصر في نتاجه، ومن ذلك ما جاء من أشعاره يحمل في طياته نسق الإقصاء السياسي قوله^(١٨): (البحر الطويل)

وَنِعْمَتِي الْكُبْرَى عَلَى الْخَلْقِ مَنْ عَدَا
لَهَا شَاكِرًا دَامَتْ وَأَعْطَى تَمَامَهَا
وَسَلَّ قَبِيَّةَ الْكَهْفِ الَّذِينَ آتَاهُمْ
فَأَيَّقُظُ فِي رَدِّ السَّلَامِ مَنَامَهَا

ينطلق خطاب الشاعر في التحدث عن نعمة ما، لكن يا ترى أي نعمة هذه؟ هل يتحدث عن نعمة الشكر لله عز وجل على كل شيء، التي وردت في قوله تعالى ﴿لَيْسَ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾^(١٩)، أم أنه يتحدث عن نعمة غيرها، لقد بث الشاعر خطابه السياسي عن طريق (ذكر هذه النعمة) ليشير لنا عن نسقه الثقافي الممتد عبر الزمن ليجعل هذه النعمة الكبرى مختصة بولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، التي نزل فيها قوله تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٢٠)، فهذه النعمة من النعم التي يكمل الإنسان دينه بها، ولأن هذه النعمة قد جحد بها قسم من الناس، وجه الشاعر خطابه لكل السامعين، كي يقر استقرار هذه النعمة منذ القدم في النسق المجتمعي بكل توجهاته "فالتشكيكة الخطابية، لا تلعب إذن، دور شكل يوقف الزمان ويجمده لعشرات أو مئات السنين، بل تحدّد انتظاماً خاصاً بتطورات زمانية، إنها تطرح مبدأ تفصل الأحداث الخطابية بمجموعة أخرى"^(٢١)، مع التسليم بأن المعنيين بهذه النعمة كانت عندهم بمثابة الطريق والمنهج الذي ساروا عليه، حتى غدت عندهم نسقاً سائداً، يمثل لهم الطريق الأكمل والأمثل في هذه الحياة، ولأن الآخر السياسي هو المهيم في النسق السائد، شرع الشاعر في إقصاء هذا الآخر عن طريق ذكر النعمة التي جلبها ووضعها في شخصيته التي حددها، ليشير إلى قضية تأطير الثقافة في مبدأ الخضوع للسلطة، وترك الحقائق، المترسبة في شخصية ممدوحه، ويتابع السيد في رفع مكانة هذا الممدوح، وحصر المدح عليه دون الآخرين، في قوله^(٢٢):

(البحر الخفيف)
أَيُّهَا الْمَادِحُ الْعِبَادَ لِيُعْطِيَا
أَنَّ لِلَّهِ مَا بَأَيْدِي الْعِبَادِ
فَأَسْأَلُ اللَّهَ مَا طَلَبْتُ إِلَيْهِمْ
وَارْجُ نَفْعَ الْمَنْزَلِ الْعَوَادِ
لَا تَقُلْ فِي الْجَوَادِ مَا لَيْسَ فِيهِ
وَتُسَمِّي الْبَخِيلَ بِاسْمِ الْجَوَادِ
الشاعر ينهى المخاطب عن قول المدح



الخطاب الإعلامي، الذي يعدّ أحد عناصر القوة المحركة للمجتمعات، لقدرته على التأثير في القناعات وخصوصاً في الجانب الثقافي بين فئات المجتمع وشرائحه^(٣٠)، ولا سيما إذا كانت هذه القناعات ممّا رسخ في الذهن العربي، ونجد الشاعر يتابع في هذا النسق، وكأنه يعيد ترسيخه، ليؤكد على أهميته، ومن ذلك ما جاء في قوله^(٣١): (البحر المتقارب)

وَقَمَّ لَهُ الدَّوْحَةُ ثُمَّ ارْتَقَى
عَلَى مِئْبَرٍ كَانَ رَحَلًا وَكُورًا

وَنَادَى ضَحَى بِاجْتِمَاعِ الْحَجِيجِ
فَجَاءُوا إِلَيْهِ صَغِيرًا وَكَبِيرًا
فَقَالَ وَفِي كَفِّهِ حَيْدَرٌ

يَلِيحُ إِلَيْهِ مُبِينًا مُشِيرًا
أَلَا إِنَّ مَنْ أَنَا مَوْلىً لَهُ

فَمَوْلَاهُ هَذَا قَضًا لَنْ يَحُورَا
فَهَلْ أَنَا بَلَغْتُ؟ قَالُوا: نَعَمْ

يَبْلُغُ حَاضِرَكُمْ غَائِبًا
فَقَالَ اشْهَدُوا غُيْبًا أَوْ حُضُورًا

وأشهد ربي السميع البصير
يتشكّل الخطاب السردى في نقل الرؤية

الثقافية التي يحملها السيد الحميري في أشعاره، ولاسيما الأشعار التي تبنت قضية حادثة الغدير،

فالسيد لم يعش في زمن الإمام علي (عليه السلام)، ولم يكن حاضراً مع السامعين، وإنما عرفت هذه الحادثة

كونها من المهيمينات الاجتماعية والسياسية التي شغلت الفكر العربي، حتى أصبحت لهذه الحادثة

السيادية والرسوخ في الذهنية العربية، وغدت نسقاً فكرياً عقائدياً، نابعاً ومتجذراً في الجانب السياسي،

فالحادثة معروفة ولا حاجة لإيرادها، وذكر تفاصيلها، ولكن لغاية أراد الشاعر إثباتها عند المتلقي، وقد تمثّلت

بنقض هذا التبليغ فيما بعد، واتفاق هؤلاء القوم على عدم المبايعة، في الاجتماع الذي عقده أصحاب

السقيفة واتفاقهم على عدم إعطاء أمر الخلافة للإمام علي (عليه السلام)، إنما جعلها في أصحاب الرسول

(صلى الله عليه واله وسلم)، وبالنتيجة الخروج عن التبليغ^(٣٢)، فالحراك الزمني داخل هذه الأبيات إنما كان

يسير ويدور سياسياً وفكرياً، لأنّ مسقط رأس الحادثة يعود إلى ذلك الماضي بجذوره الممتدة في عمق الأزلية

التاريخية^(٣٣)، التي انتقلت عبر الأنساق الثقافية لذلك الزمن، وصولاً إلى زمن الشاعر، الذي لا يكفل عن ذكر

هذه الحادثة، يقدمها من جوانب مختلفة، ومن ذلك ما وجد في قوله^(٣٤): (البحر المتقارب)

شامل لكل الأفراد، وبكل المستويات ولاسيما الطبقة السياسية الحاكمة، التي انصبّ مدح الشعراء فيها، ولذلك فإنه سعى إلى تحويل نظر الشعراء نحو هذا الممدوح ومدحه، بدلاً من مدح الخلفاء وأتباعهم.

ثانياً: نسق الولاء

تعدّ قضية الولاء من القضايا التي تتصف بذات الفرد ورغباته في تبني هذه القضية أو تلك،

بغض النظر إذا كانت هذه القضية حسنة أم سيئة، لأنّ اختياره قام على أساس القيمة المتكونة في تلك

القضية^(٣٧)، وكي يؤمن الفرد بأهمية قضيته يفترض وجود نسق كامل تبني عليه هذه القضية أو تلك،

ولعل قضية الغدير من أبرز القضايا التي تبناها السيد الحميري في شعره^(٣٨): (البحر الوافر)

أَلَا أَنَّ الوَصِيَّةَ دُونَ شَكِّ
وَقَالَ مُحَمَّدٌ بِغَدِيرِ حَمِّ

لِخَيْرِ الخَلْقِ مِنْ سَامٍ وَحَامٍ
عَنْ الرَّحْمَنِ يَنْطِقُ بِاعْتِزَامٍ

يَصِيحُ وَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ فِيهِمْ
إِشَارَةً غَيْرَ مِصْغٍ لِلْكَلامِ

إِلَّا مِنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا
أَخِي مَوْلَاهُ فَاسْتَمَعُوا كَلَامِي

فَقَامَ الشَّيْخُ يُقَدِّمُهُمْ إِلَيْهِ
وَقَدْ حَصَدْتُ يَدَاهُ مِنَ الرَّحَامِ

يُنَادِي أَنْتَ مَوْلَايَ وَمَوْلَى أَلَا
نَامَ فِلْمٌ عَصِي مَوْلَى نَامٍ

يقدم الشاعر ما وقع من أحداث في وقعة غدير خم، وما تمّ الاتفاق عليه بغض النظر عن

المعارضين لهذا الاتفاق، ولكن ما يضمن تحت هذا الخطاب ينقلنا إلى عالم آخر، عالم يتحكّم فيه العنصر

السياسي الذي كان له الدور الرئيس في تكوين النسق السياسي في قضية الخلافة وحسمها وحصرها في أفراد

تم الاتفاق على توليهم المنصب، وإبعاد من تمّ تنصيبه لهذا الأمر، وكي يوصل الشاعر الأحقية في هذه القضية

إلى السامعين، أخذ يمارس الخطاب السياسي في هذه القضية من جوانب عديدة، ولأنّ هذه القضية من

القضايا التي تمّ الاتفاق عليها سياسياً وفكرياً وعقائدياً في المجتمع، باتت من القضايا السائدة في العرف

الفكري والسياسي والديني، ولا يمكن اغفالها والتغاضي عنها، لأنّ قضية الغدير من القضايا التي أنرت في

المجتمع، ولا سيما في الحياة السياسية وانعكاسها في الحياة الأدبية، فتفاعل معها كثير من المسلمين^(٣٩)، فالخطاب الذي مارسه الشاعر إنما هو من باب



النسق السياسي في شعر السيد الحميري ...

الهي وتنصيب نبوي، عمل الشاعر جاهداً على إثبات هذه الحقيقة التاريخية التي كانت من البديهيات والنظم الاجتماعية التي تم تركيبها وتكوينها على هيئة أحداث رسخت في الذاكرة العربية، فتم الاحتفاظ بها وأخذها في وقت الحاجة إليها^(٢٦)، فمع تعدد السلطة، بتعدد العصور، وجدناها سائرة في نسقية الهيمنة والطغيان.

الخاتمة

توصلت الدراسة — بحمد الله — إلى مجموعة من النتائج يمكن إجمالها بما يأتي:

١- إن النسق ما كان على ترتيب ونظام وتتابع، وهذا يعني أن النسق نشاط تمارسه فئة تسير على وتيرة واحدة.

٢- النسق السياسي منبثق من التحولات والتغيرات التي يمر بها المجتمع، وهو جزء من مجموع الأنساق الثقافية التي كونها ذلك المجتمع.

٣- جاء مديح الإمام علي (عليه السلام) في شعر السيد الحميري نسقاً سياسياً مضمراً، لا يشير الشاعر بأي علامة إلى هذا الممدوح، ولكن كثرة غرض مدح الإمام تؤكد لنا وتثبت لا ممدوح عند الحميري سوى الإمام (عليه السلام)، وبالنتيجة إثبات هذا المدح لمن يستحقه، وإقصاء الآخر (السلطة السياسية) لأن المدح فيها زائف.

٤- برزت حادثة الغدير بشكل ملفت للنظر، فشكّلت الأشعار التي تدور فيها نسقاً سياسياً ولائياً، استطاع الشاعر عن طريقه التأكيد على قضية سلب حق الإمام علي (عليه السلام) في الخلافة والولاية، وتسلب السلطة الحاكمة، بإقصاء الإمام عن مركزه الذي تم بأمر الهي، وتنصيب نبوي، واستمرار الحال على ما هو عليه في عهد الأئمة المعصومين (عليهم السلام)، في إقصائهم ومحاربتهم من قبل السلطة السياسية.

تُوِّي النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ
فَلَمَّا تَغَيَّبَ فِي الْمُلْحِدِ
أَزَالُوا الْوَصِيَّةَ عَنْ أَقْرَبِيهِ
إِلَى الْأَبْعَدِ الْأَبْعَدِ
وَكَادُوا مَوَالِيهِ مِنْ بَعْدِهِ
وَأَوْلَادُ بِنْتِ رَسُولِ الْإِلَهِ
يُضَامُونَ فِيهَا وَلَمْ تَكْمِدِ
فِيهِمْ بَيْنَ قَتْلِي وَمُسْتَضْعَفٍ

ومُنْعَفِرٍ فِي الثَّرَى مَقْصِدِ
يشير الشاعر إلى حال أهل البيت (عليهم السلام) بعد وفاة النبي (صلى الله عليه واله وسلم)، ولكن هذه الإشارة تحمل دلالات ثقافية متعددة للتاريخ السياسي الذي مرَّ به أهل البيت (عليهم السلام)، الذي فرض ضمن نسق وإطار حدَّد لهم، منذ وقع الاختيار في الولاية لعلي بن أبي طالب (عليه السلام)، وترك الوصية، مروراً بالاتفاقية التي حدثت في السقيفة، ثم تولَّى الخلفاء الثلاثة بالتتابع، وإقصاء من حدّدت له الولاية وتهميشه، واستمر الحال على ما هو عليه في حياة الأئمة، وإقصائهم عن دورهم من قبل السلطة السياسية، فتعدّد هذا الإقصاء ما بين قتل لإمام ومحاربةٍ لآخر، وهذا كان نابغاً من طغيان السلطة وجبروتها وتسلطها في تهميش دور الأئمة، لأنَّ من يمسك السلطة السياسية كان يهيمن على السلطة الدينية والثقافية، فالسياسة العباسية كانت تصبَّ على إشغال المسلمين بالقضايا العقائدية وإبعادهم عن الأمور السياسية، منها مساندة أئمة المذاهب الأربعة، ونشر فقههم، لإبعاد الناس عن مذهب أهل البيت (عليهم السلام) من جهة، ومن جهة أخرى وضع الرقابة المشددة على الأئمة، ومنع الاتصال بينهم وبين الناس^(٢٥)، وبالنتيجة التغيير في المشروع الذي رسم في قضية الخلافة، وكي يثبت الشاعر حقيقة هذا الإقصاء، الذي لا يعني في نظره زوال الإمامة التي رسخت بأمر



الهوامش:

- ١- ينظر: لسان العرب، ابن منظور: مادة (نسق).
- ٢- ينظر: الأنساق الثقافية في الشعر الجاهلي - نسق القبيلة أمودجاً - (أطروحة دكتوراه)، بووشمة معاشو: ٤٣.
- ٣- ينظر: النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هامبرس، إيان كريب، ترجمة: محمد حسين غلوم: ٧١.
- ٤- ينظر: النقد الثقافي - قراءة في الأنساق العربية الثقافية، د. عبد الله الغذامي: ١٠٦، لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة المعنى بين نظام الخطاب وشروط الثقافة، د. عبد الفتاح أحمد يوسف: ١٥٠.
- ٥- التشابه والاختلاف، محمد مفتاح: ١٥٦-١٥٧.
- ٦- ينظر: الأنساق الثقافية في شعر الفقهاء (٢٤٧-٦٥٦هـ)، زينب علي حسين الموسوي، (أطروحة دكتوراه): ١٩.
- ٧- ينظر: تداخل الأنساق الثقافية في كتاب الأغاني (رسالة ماجستير)، رائد حاكم شرار الكعبي: ٧.
- ٨- ينظر: النقد الثقافي من النص الأدبي إلى الخطاب، د. سمير الخليل: ١٤، مشكلة البنية أو أضواء على البنيوية، د. زكريا إبراهيم: ٣١-٣٢.
- ٩- ينظر: النقد الثقافي من النص الأدبي إلى الخطاب: ١٣.
- ١٠- ينظر: معجم علم السياسة والمؤسسات السياسية، غي هرميه وآخرون، ترجمة: هيثم اللمع، ٣٩٣.
- ١١- ديوان السيد الحميري: ٣٧٣.
- ١٢- سورة إبراهيم: الآية (٧).
- ١٣- سورة المائدة: الآية (٣).
- ١٤- حفريات المعرفة، ميشيل فوكو، ترجمة: سالم يفوت: ٦٩.
- ١٥- الديوان: ١٨٠.
- ١٦- الديوان: ٤٥٩.
- ١٧- ينظر: فلسفة الولاء، جوزايا رويس، ترجمة: أحمد الأنصاري: ٤٠-٤١.
- ١٨- الديوان: ٣٨١.
- ١٩- ينظر: الغديريات في الشعر العربي، د. حربي نعيم محمد الشبلي: ٦.
- ٢٠- ينظر: الخطاب الثقافي بين التأسيس والممارسة (بحث في مجلة)، السيد مصطفى السادة: ١٦.
- ٢١- الديوان: ٢١١.
- ٢٢- ينظر: تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والرسائل والملوك)، الطبري: ٢/٣٣٧.
- ٢٣- ينظر: الأنساق الثقافية (المفهوم والمقاربة) قراءة في النسق والخطاب الروائي (بحث في مجلة)، عروبة جبار أصواب الله: ١٠٨.
- ٢٤- الديوان: ١٩٥.
- ٢٥- ينظر: سياسة الحكم العباسي (موسوعة أهل البيت) د. حسين إبراهيم الحاج، (مقال) www.ansarh.com
- ٢٦- ينظر: التحليل الثقافي، روبرت وثنو وآخرون، ترجمة: فاروق أحمد مصطفى وآخرون: ١٢٧.



النسق السياسي في شعر السيد الحميري ...

هرميه وآخرون ، ترجمة: هيثم اللع ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ٢٠٠٥م.

١٢- النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هامبرس، إيان كريب، ترجمة، محمد حسين غلوم، مراجعة: د. محمد عصفور، عالم المعرفة، ٢٤٤-١٩٩٠م.

١٣- النقد الثقافي - قراءة في الأنساق الثقافية العربية، د. عبد الله محمد الغدامي، المركز الثقافي العربي، المملكة المغربية - الدار البيضاء، ط ٣، ٢٠٠٥م.

١٤- النقد الثقافي من النص الأدبي إلى الخطاب، د. سمير خليل، دار الجواهري، بغداد، ط ١، ٢٠١٢م.

ثانياً: الرسائل والاطارح الجامعية

١- الأنساق الثقافية في الشعر الجاهلي - نسق القبيلة أمودجاً - (أطروحة دكتوراه)، بووشمة معاشو، كلية الآداب واللغات والفنون - جامعة جيلالي ليابس - سيدي بلعباس، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م.

٢- الأنساق الثقافية في شعر الفقهاء (٢٤٧-٦٥٦هـ) (أطروحة دكتوراه)، زينب علي حسين الموسوي، كلية الآداب - جامعة القادسية، ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م.

٣- تداخل الأنساق الثقافية في كتاب الأغاني (رسالة ماجستير)، رائد حاكم شرار الكعبي، كلية التربية للعلوم الإنسانية - جامعة بابل، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

ثالثاً: الدوريات

١- الأنساق الثقافية (المفهوم والمقاربة) قراءة في النسق والخطاب الروائي، عروبة جبار أصواب الله، مجلة دراسات تربوية، العدد (٣١)، تموز، ٢٠١٥م.

٢- الخطاب الثقافي بين التأسيس والممارسة، السيد مصطفى السادة، مجلة النبأ، العدد (٦٠)، جمادي الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

رابعاً: مواقع الانترنت

١- سياسة الحكم العباسي (موسوعة أهل البيت)، د. حسين إبراهيم الحاج، شبكة أنصار الحسين، www.ansarh.com

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

أولاً: الكتب

١- تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك)، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٧هـ.

٢- التحليل الثقافي، روبرت وثنو وآخرون، ترجمة: فاروق أحمد مصطفى وآخرون، مراجعة وتقديم: أحمد أبو زيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٩م.

٣- التشابه والاختلاف (نحو منهجية شمولية)، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، ط ١، ١٩٩٦م.

٤- حفريات المعرفة، ميشيل فوكو، ترجمة: سام يفوت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - بيروت، ط ٣، ١٩٨٧م.

٥- ديوان السيد الحميري، جمعه وحققه وشرحه وعلق عليه وعمل فهرسه: شاكر هادي شكر، قدم له العلامة الكبير: السيد محمد تقي الحكيم، منشورات المكتبة الحيدرية - قم، ١٤٣٢هـ.

٦- الغديريات في الشعر العربي، د. حربي نعيم محمد الشبلي، العتبة العلوية المقدسة، مكتبة الروضة الحيدرية، ٢٠١٢م.

٧- فلسفة الولاء، جوازي رويس، ترجمة: أحمد الأنصاري، مراجعة: حسن حنفي، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، إشراف: جابر عصفور، ط ١، ٢٠٠٢م.

٨- لسان العرب، ابن منظور محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين الأنصاري (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت.

٩- لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة فلسفة المعنى بين نظام الخطاب وشروط الثقافة، د. عبد الفتاح احمد يوسف، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط ١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

١٠- مشكلة البنية أو أضواء على البنيوية، د. زكريا إبراهيم، مكتبة مصر، (د. ط) (د. ت).

١١- معجم علم السياسة والمؤسسات السياسية، غي



تعدد الأوجه الإعرابية لعدد من ألفاظ القرآن الكريم في تفسير ملا صدرا الشيرازي

م . د. نجاح حسين كطان

جامعة وارث الانبياء (عليه السلام) / كلية العلوم الاسلامية

The multiplicity of grammatical aspects of a number of the words of the Noble Qur'an in the interpretation of Mulla Sadra al-Shirazi

Lecturer Dr Najah Hussein Kattan

University of Warith Al-Anbiya (peace be upon him) / College of Islamic Sciences

الملخص

عرفت العربية منذ النشأة الأولى للتقعيد النحوي ظاهرة بارزة جداً هي ظاهرة تعدد الأوجه الإعرابية، والمقصود بهذه الظاهرة هو أن تكون هناك قراءة قرآنية أو شاهد نحوي يروى بأكثر من وجه إعرابي كأن يرد بالرفع والنصب أو أكثر من صورة.

فيحاول النحوي أن يعمل فكره لإيجاد حلٍّ يؤمن من خلاله تفسيراً يجعل الحالة الذهنية المدروسة تتطابق والقواعد النحوية التي يحتكم إليها مذهبه النحوي، أي إن النحوي يعطي الحالة النحوية التي يرد عليها الشاهد رأياً يطابق قاعدة نحوية معروفة تجعل للنص وجهاً مقبولاً في العربية، جائزاً عند دارسيها، وهو بهذا نوع من إعمال للفكر النحوي، ووسيلة لحلٍّ ما قد يكون في ظاهره تعارضاً بين النص والقاعدة النحوية، وهذا ما نتلمسه واضحاً من خلال استقراء الآراء التي مال إليها ملا صدرا الشيرازي في تفسيره للقرآن الكريم، والبحث يحاول أن يسלט الضوء على بعض من هذه النماذج.

الكلمات المفتاحية: التوجيه النحوي، الأوجه الإعرابية



Abstract

Arabic has known since the first inception of grammatical replication a very prominent phenomenon, which is the phenomenon of the multiplicity of syntactic facets. What is meant by this phenomenon is that there is a Qur'anic reading, or a grammatical witness narrated by more than one syntactic face, as if it is answered by nominative and accusative or more than one picture.

The grammarian tries to work his mind to find a solution that secures an explanation that makes the studied mental state match the grammatical rules that his grammatical doctrine invokes. That is, the grammarian gives the grammatical situation to which the witness responds with an opinion that matches a well-known grammatical rule that makes the text an acceptable face in Arabic, permissible for its students. This is a kind of work of grammatical thought, and a means of resolving what may appear to be a conflict between the text and the grammatical rule. It is also what we touch by extrapolating the opinions that Mulla Sadra al-Shirazi tended to in his interpretation of the Noble Qur'an. The research attempts to shed light on some of these models.

Keywords: grammatical guidance, syntactic aspects



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين قد حظي القرآن الكريم بجهود جبارة لمعرفة معانيه والوقوف على أسرار ما لم يحظ أي نص سماوي. فهذا الكتاب أنزله الله على أمة كانت تعيش في وضع معرفي محدود. مشتتاً على الأحكام والقوانين والقيم الإنسانية والأخلاقية مخاطباً الناس منذ نزوله وحتى يوم المعاد. جاء القرآن بسبكٍ جديدٍ وأسلوبٍ فريدٍ كان غريباً على العرب، لا هو نثر مثل نثرهم، ولا هو شعر مثل شعرهم فقد جمع بين مزايا أنواع الكلام فاحتوى على أناقة الشعر وطلاقة النثر، فنهض المسلمون عاكفين على معرفة معانيه ودراسة شؤون الآيات القرآنية و ملبساتها وما يتعلّق بها من العلوم والمعارف.

والشيرازي واحد من الذين نهلوا من هذا الرافد فغاص في دقائق أسرار المعرفة والكونية متخذاً من الفلسفة سبيلاً للوصول إلى مبتغاه فهو واحد من النماذج التي أغنت الفكر الإسلامي بعامه والفكر الشيعي بخاصة على الرغم من نشأته في جو كان مشحوناً بالعداء لأهل الفكر الذي كان يسير بالمجتمع نحو الجمود.

و على الرغم من هذا كله لم يجد الشيرازي حرجاً من التصريح بما يراه هو من قضايا الفلسفة، والتعبير عن آرائه، فانصبَّ على التأليف في مجالات الفلسفة، والمعرفة، ويقف كتاب (الأسفار) في مقدمة مؤلفاته، وقد وُضِعَ فيه كلُّ ما أوتي من أفكار وآراء حتى جاءت كتبه أو رسائله التي ألفها بعد حينٍ مقتضبةً منه، حتى كتب التفسير يظهر فيها تطبيقٌ لفلسفته.

والتفسير الذي تناوله البحث يعدّ واحداً من تلك المؤلفات التي ظهرت فيها الفلسفة الشيرازية بصورة جلية، وهو الذي سمّاه مؤلفه تفسير القرآن الكريم، وقد جاءت جلّ مباحثه فلسفية، ومباحث أخرى منها ما يخصّ علم الكلام، ومنها ما يتعلّق بلغة القرآن، إذ إنّه كان يكتب أغلب مؤلفاته بالعربية.

وقد تناول فيه مسائل نحوية متفرقة ومنها النداء فتحدّث عن أسباب بناء المنادى وهل النداء يحتمل معنى الإخبار أو الانشاء وكذلك تحدّث عن العلة في بناء (أي) وهو في هذا المحور وافق النحاة البصريين في موضوع النداء معنئاً وعرابياً وتعليلاً. أما القراءات القرآنية فقد وقف عندها

كثيراً موضحاً أوجهها وناسباً أغلبها الى أصحابها سواء أكانت قياسية أم شاذة كقراءة ابن عامر ﴿وَكَلَّا وَعَدَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ (الحديد/١٠) إذ قرأها بالرفع وقد علّل الشيرازي هذه القراءة تعليلاً نحوياً موافقاً لما ذهب إليه كل من تعرّض لهذه القراءة وهكذا سائر القراءات الواردة في التفسير. وكذلك ماشدّ من القراءات كقراءة (يَحْزَنُكَ، يُحْزَنُكَ) بفتح الياء وضمّها إن ذكره للقراءات القرآنية بنوعها وأحملها على أوجهها ساير به من سبقه من علماء الإسلام.

وقد وقع الاختيار على هذا الموضوع كونه كان واحداً من الموضوعات التي عالجه الشيرازي في تفسيره مولياً عنايته بها، فقد كان له جهدٌ طيب في تناول الوجوه الإعرابية المحتملة في آيات الذكر الحكيم من إعراب للألفاظ.

وقد جعلت البحث من مقدمة ومبحثين كان الأول منهما بعنوان التوجيه النحوي للقراءات القرآنية عند الشيرازي حيث كان ملا صدرا يقلّب الآية القرآنية على الوجوه التي قرئت بها، ذكرت فيه بعض النماذج منها، والمبحث الثاني أشرت فيه إلى نماذج ممّا ذهب إليه المفسر من وجوه إعرابية لبعض المفردات القرآنية.. وأرجو أن أكون قد وفّقت في طرح هذا الموضوع... وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول

التوجيه النحوي للقراءات القرآنية عند الشيرازي التوجيه من حيث الوظيفة النحوية يراود به بيان أن رواية البيت أو القراءة القرآنية لها وجه في العربية، وموافقة لضوابط النحو فيذكرون مثلاً: وتوجيه الرواية أو البيت أو القراءة كذا.

وقد يختلف التوجيه عن التأويل فمن الباحثين من يجد هذا الاختلاف بين الإثنين فيرى الدكتور محمد هنادي إن هنالك فرقاً بين التوجيه الإعرابي والتأويل ((فالتأويل أعمّ من التوجيه، وكما يقول المناطقة: كل تأويل توجيه ولا عكس وتوضيح ذلك أنّ الجمهور قرأ آية النساء بنصب (والأرحام)، والتوجيه فيها أنها معطوفة على المفعول به وهو لفظ الجلالة، والمعنى ((اتقوا الله، واتقوا الأرحام)).

فهذا إعرابٌ وأمثاله يعدّ توجيهاً نحوياً، ولا تأويل فيه على الإطلاق أمّا إعراب كلمة (والأرحام) بالجر على أنها مجرورة بواو القسم فانه يعدّ تأويلاً نحوياً، وفي الوقت نفسه هو توجيه نحوي لاشك فيه. ثم زاد قائلاً ومن هذا المثال: يتضح لنا أن



إِلَّا الْأَوَارِيَّ لَأَيًّا مَا أُبَيِّنُهَا
وَالنَّوِيَّ كَالْحَوْضِ بِالْمَطْمُومَةِ الْجَدِّ (١٠)
(والاوارى) معلوم أنها ليست من عداد
(أحد) في شيء، فكذلك عنده استثنى ((غير المغضوب
عليهم (من) الذين أنعمت عليهم)) وإن لم يكونوا
من معانيهم في الدين من شيء. والنحاة الكوفيون
أنكروا هذا التأويل. وحجتهم في ذلك خطأ أن يقال ولا
الضالين لان (لا) نفي، ووجد، ولا يُعطف بجددٍ على
جددٍ (١١).

ومن الذين جَوَّزوا وجه النصب الفراء
وشرطه أن تقطعه من (عليهم) (١٢). وعده الأزهري
شاذاً (١٣).

أما الجرُّ فذكر الشيرازي له ثلاثة أوجه:
أولاً: كونه بدلاً من الضمير في (عليهم) وكونه بدلاً
من (الذين) ووجه البديلية من (الذين) أو من الضمير
في عليهم جائز، إذ يمكن أن تبدل النكرة من المعرفة
كما في قوله تعالى ﴿لَتَسْفَعَا بِالنَّاصِيَةِ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ
خَاطِئَةٍ﴾ (العلق / ١٥ و ١٦) (١٤). وقد ذكر هذين
الوجهين مكي (١٥) و أبو بركات الانباري (١٦) وأبو البقاء
العكبري (١٧).

ثانياً: أو كونه صفة موضحة أو مخصصة على معنى
كونهم جامعين بين أسباب النعمة و أسباب السلامة
من مظاهر الغضب والذلال، وان كان الأصل في (غير)
أن يكون صفة للنكرة، فذلك إنما يتضح بأحد الوجهين:
جعل الموصوف مجرى النكرة بأن لم يقصد بهذا
الموصوف المؤقت معهودا كالمحلّى بـ(الألف واللام) في
قول الشاعر:

وَلَقَدْ أَمُرُّ عَلَى اللَّيْمِ يَسْبُنِي

فمضيت ثم قلت لا يعنيني
ثالثاً: جعل الصفة تجري مجرى المعرفة لكون (غير)
مضافاً إلى ماله ضد واحد، فإن للمغضوب عليه ضداً
واحداً هو المنعم عليه.

وقد ذكر هذا المعنى سيبويه إذ قرَّب (غير)
إلى المعرفة إذا أضيفت إلى معرفة وأنشد:
فإذا جُوِّزِيَتْ قَرَضاً فَأَجْزِهْ

إِنَّمَا يَجْزِي الْفَتَى غَيْرَ الْجَمَلِ (١٨)
(فغير) صفة للفتى المعرف بـ (أل)، وبهذا
يكون الاسم مقارباً للنكرة مثل (غير) الموعلة في التنكير،
فأضافتها إلى معرفة بعدها يقربها من المعرفة (١٩).

وقد أشار إلى هذا المعنى الطبري إذ ذكر
(إنما) جاز أن يكون (غير) نعتاً و(الذين) معرفة و(غير)
نكرة؛ لان (الذين) و(غير) بصلتهما ليست بالمعرفة

التأويل أعم من التوجيه، فكل تأويل توجيه، وليس كل
توجيه تأويلاً (١).

أما التأويل قرآنياً فهو تفسيرٌ لما فيه غموض
وهناك من يرى أن التأويل هو التفسير لا غير، ومنهم
من يرى أن التأويل هو معنى من معاني الآية لا يعلمه
إلا الله (٢).

والتوجيه النحوي للقراءات القرآنية على
وفق سنن العربية واحد من أهمِّ المباحث التي أولاها
عناية الشيرازي في تفسيره.

فالتوجيه للقراءة القرآنية على وفق القواعد
(قد أرفد الدرس النحوي وأمدّه بما وسع من أفق (٣)).
فالقراءات القرآنية تعدُّ المرأة الصادقة التي
تعكس الواقع اللغوي الذي كان سائداً في شبه الجزيرة
قبل الإسلام وهي أصل المصادر جميعاً في معرفة
اللهجات (٤).

و أنها أغنت الدرس النحوي إلى حدِّ تجاوز
التصوُّر بحيث أدَّى إلى فتح آفاق جديدة من التأويل
والتمخّل، وكانت الدافع الكبير في تحفيز اللغويين
والنحويين إلى التنقيب في تراثهم (٥). لذا كان الشيرازي
يقلب الآية القرآنية على الوجوه التي قرئت بها، وفيما
يأتي بعض النماذج منها

• (غير، غير)

قال الشيرازي ((إنَّ (غير) من قوله تعالى:

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا
الضَّالِّينَ﴾ (الفاتحة / ٨)

قرئت بالنصب على الشواذ ورُويت عن ابن كثير وهي
قراءة رسول الله (ص...)) (٦)

وأضاف الشيرازي إنَّ وجه النصب أن يكون
على الحالية من الضمير، والمجرور والعامل (وأنعمت)،
أو بإضمار (أعني) أو بالاستثناء (٧).

والنصب على الحال من الضمير المجرور هو
ما ذهب إليه جميع النحاة (٨). غير أنَّ أبا البقاء العكبري
قد ضعف أن يكون حالاً من الذين؛ لأنه مضاف إليه
والصراط لا يصلح انه يعمل بنفسه في الحال (٩).

أما وجه الاستثناء فقد زعم نحويو البصرة
انه من معاني صفة الذين أنعمت عليهم، كأنه كان
يرى أن معنى الذين قرؤوا ذلك نصباً: اهدنا الصراط
المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم، إلا المغضوب
عليهم الذين لم تنعم عليهم في أديانهم، ولم تهدم
للق، فلا تجعلنا منهم، كما قال النابغة:

وقفت فيها أصيلاً أسألها

عيتَّ جواباً، وما بالربع من أحدٍ



على الظرفية^(٢٨)، ومن سار على وجه الابتداء مكي^(٢٩) والعكبري^(٣٠)، لكن أبا البقاء العكبري ذهب إلى تقدير ضمير في الجار.

ويرى أحد الباحثين المحدثين أن في قراءة الرفع يكون (ختم) فعلاً قاصراً قد أثر في محورين: أحدهما: الأخذ بمعناه في القصور، والآخر: كثرة الفواصل لو حمل على المعنى^(٣١).

أما قراءة النصب فقد وجهها اغلب النحاة على تقدير ناصب فالزجاج عنده هذا الوجه جائز على معنى (وجعل على أبصارهم غشاوة) كما قال الله في موضع آخر ﴿وَوَحَّتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾ (الجنائفة/ ٢٣) وانشد:

يَالَيْتَ بَعْلِكَ قَدْ عَدَا

مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرِمْحًا.^(٣٢)

معناه: متقلداً سيفاً وحاملاً رمحاً^(٣٣) فإن التقلد يكون للسيف وحده، ولا يشاركه فيه الرمح. وسار على هذا المنهج الأزهري^(٣٤) وابن خالوية^(٣٥) والعكبري^(٣٦).

غير أن أبا علي الفارسي قد حمل وجه النصب على نزع الخافض، إذ ذكر ((فإن قال: أحملها على الظاهر كأني قلت: وختم على قلبه غشاوة أي (بغشاوة) فلما حذف الحرف وصل الفعل ومعنى)) ختم عليه بغشاوة((مثل: جعل على بصره غشاوة هذا الظاهر))^(٣٧).

ويبدو أن جميع من تعرض إلى وجه النصب نراه قد قدر فعلاً مضمراً، وهذا ديدن معروف لدى النحاة خاصة عندما يتناولون النص القرآني، فيحملون الثاني على الأول عند التعاطف وعندما يكون المعنى مختلفاً^(٣٨).

ومهما أمكن المشاركة في المعنى حسنَ العطف وإلا امتنع^(٣٩).

• (آدم، آدَم)

ذكر الشيرازي أن (آدم) قرئت بالنصب و(كلمات) بالرفع من قوله تعالى: ﴿فَتَلَمَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ النَّوَابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة/ ٣٧)

وهي قراءة ابن كثير ومعناها غير ذلك وهو أن الكلمات تداركته بالنجاة والرحمة وجوز النصب على تقدير: جاءت من الله وتلقته كلمات^(٤٠).

وقراءة الرفع هي قراءة الجمهور^(٤١). إلا ابن كثير فإنه قرأها بنصب (آدم)، وقد وافقه في ذلك ابن محيص^(٤٢).

المؤقتة كالأسماء التي هي أمارات بين الناس مثل: زيد وعمرو، وإنما هي كالنكرات المجهولات، مثل: الرجل والبعير. فلما كان (الذين) كذلك صفتها وكانت (غير) مضافة إلى مجهول من الأسماء نظير (الذين) في انه معرفة مؤقتة، كما (الذين) معرفة غير مؤقتة جاز من أجل ذلك أن يكون ((غير المغضوب عليهم)) نعتاً لـ ((الذين أنعمت عليهم)) كما يقال ((لا أجلس إلا إلى العالم غير الجاهل)) يراد: ((لا أجلس إلا إلى من يعلم، لا إلى من يجهل))^(٤٣).

والزجاج عنده هذا يستقيم الوجه ((وإن كان (غير) أصله أن يستعمل في الكلام صفة للنكرات، وجاءت هنا (غير) صفة لـ (الذين)، لأن (الذين) ههنا ليس بمقصود قصدهم فهو بمنزلة قولك: ((إني لأمر بالرجل مثلك فأكرمه))^(٤٤).

والمعنى الثاني الذي ذكره الشيرازي قد أشار إليه الفراء حين جوز أن تجعل (الذين) في موضع توقيت وتخفص (غير) على التكرير.

إن كثرة الأوجه الإعرابية في (غير) كانت محل عناية النحويين إذ راحوا يتلمسون لها أكثر من تحليل؛ لوقوعها في موضع عظيم من القرآن الكريم، فهي تقع في سورة الفاتحة تلك السورة التي اشتملت على ذكر الصفات والأفعال والأعمال وذكر المعاد^(٤٥) أيضاً.

• (غشاوة، غشاوَةٌ)

تعددت القراءات في لفظ غشاوة من قوله تعالى ﴿وَوَحَّتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَهُمْ عَدَابٌ عَظِيمٌ﴾ (البقرة/ ٧)

بين فتح ونصب ورفع، ونجد الشيرازي يكتفي بذكر القراءة من دون ذكر وجه تحليلي لها^(٤٦). والرفع في غشاوة هي قراءة الجمهور^(٤٧). ((والفراء وجه الرفع بـ (على) إذ ذكر ((ورفعت الغشاوة بـ (على))^(٤٨) وتابعه في هذا التوجيه الأخفش الذي جعل قوله تعالى (وعلى أبصارهم) جملة مستأنفة و(غشاوة) رفعت بالجار^(٤٩).

وابن خالويه حمل الرفع على أنه استأنف الكلام مبتدأ، وتوحي به التقديم وبالخبير التأخير، فكانه قال (وغشاوة على أبصارهم)^(٥٠). فاستثاف الكلام إذ توي به...؟

فقد ذهب إلى المعنى نفسه وهو الرفع بالابتداء حين ذهب إلى عدم جواز حمل (غشاوة) على معنى الختم، لكنه أضاف وجهاً ثانياً للرفع هو



أولاً: فالرفع على إنّه خبر مبتدأ محذوف^(٥٥). وهي حجة ابن خالويه، وأبي علي الفارسي اللذين جعلاه خبراً لمبتدأ محذوف وتقدير هذا تنزيل^(٥٦).

ثانياً: وأمّا النصب (تنزيل) وهي قراءة الكسائي عن أبي بكر عن عاصم^(٥٧).

فقد حملها الشيرازي على تقدير (أعني)^(٥٨). وذهب إلى قبل هذا التوجيه الرازي إذ ذكر

أنّ قراءة النصب فيها وجهان:

أحدهما: إنّه مصدر فعله منوي كأنه قال نزل تنزيل العزيز الرحيم وهو وجه وحجة ابن خالويه^(٥٩) وأبي علي^(٦٠) الفارسي ومكي^(٦١).

والثاني: انه مفعول فعل منوي كأنه قال: والقرآن الحكيم اعني تنزيل العزيز الرحيم^(٦٢). وهو ما اختاره الزمخشري^(٦٣).

ثالثاً: الجزّ إمّا على البدلية عن (القرآن) أو من (الصراط)، لأن القرآن المبين حبل الله المتين، وبه يسلك سبيل رب العالمين^(٦٤).

والجزّ على البدلية من (القرآن) قال به مكي^(٦٥) والزمخشري^(٦٦) والرازي الذي ذهب إلى تقدير كأنه قال (والقرآن الحكيم تنزيل العزيز الرحيم، انك لمن المرسلين لتنذر)^(٦٧).

وإليه ذهب كل من أبي البقاء^(٦٨) وأبي حيان^(٦٩) والقرطبي^(٧٠).

على حين نجد أن أبا البركات بن الأنباري عدّ من الشواذ بالجزّ على البدلية من الصراط، لان الصراط هو القرآن^(٧١).

إن القراءات الواردة في (تنزيل) من رفع ونصب وجر كلها جاءت قراءات صحيحة من الناحية الإعرابية غير أن قراءة الخفض أظهر للمعنى، إذ الخفض يجعل التنزيل يرجع إلى القرآن.

المبحث الثاني

نماذج من الأوجه الإعرابية في تفسير ملا صدرا الشيرازي

• (الذين)

تعدّدت الأوجه الإعرابية المحتملة في توجيه هذا اللفظ الوارد في قوله تعالى ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (البقرة ٢/).

وهذه الأوجه ذكرها الشيرازي موجّهاً كل واحد منها وهي:

ويذهب الفراء إلى إنّ المعنى واحد، إذ نجد أنّ اللفظين قد تناوبا صفة الفاعلية والمفعولية فذكر ((وقد قرأ بعض القراء (فتلقَى آدمَ من ربه كلماتٌ) فجعل الفعل للكلمات والمعنى -والله اعلم- واحد، لأنّ ما لقيك فقد لقيته، وما نالك فقد نلته، وفي قراءة تنا ﴿لَا يَبَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة/ ١٢٤) وفي حرف عبد الله: ((ولا ينال عهدي الظالمون))^(٤٣).

وعدّ الطبري هذا المعنى جائزاً من جهة العربية ((فكل ما تلقاه الرجل فهو متلقٍ فصار المتكلم أن يوجّه الفعل إلى أيهما شاء))^(٤٤) وبه قال أبو البركات الانباري^(٤٥) وهو ما سمّاه الشيرازي من المعاني الإضافية، وكان من تلقى رجلاً فتلقاها كل واحد لاقى صاحبه وأضيف الاجتماع إليهما معاً صلح أن يشتركا في الوصف^(٤٦). وهو ما أطلق عليه النحويون تسمية المشاركة في الفعل^(٤٧).

وعدّه الطبرسي واحداً من ثلاثة أضرب من الأفعال المتعدية فقال ((ومنها ما يكون إسناده إلى الفاعل في المعنى كإسناده إلى المفعول به، نحو: قلت وأصبت تقول: نالني خير ونلت خيراً وأصابني شيء وأصبت شيئاً))^(٤٨).

والأصل في هذه القراءة أن يقال (فتلقَى آدمَ من ربه كلماتٌ) ولكن لما بعد ما بين المؤنث وفعله حسن حذف علامة التأنيث، وهو أصل يجري في كل القرآن إذا جاء فعل المؤنث بغير علامة وقيل: إمّا ذكر؛ لأنه محمول على المعنى؛ لأنّ الكلام والكلمات واحد، فحمل على الكلام فذكر وقيل: تأنيث الكلمات غير حقيقي، إذ لا مذكر لها من لفظها^(٤٩)، فحمل على معنى الكلم فذكر^(٥٠).

أمّا قراءة الرفع فقد فضلها الطبري على قراءة النصب بعدما عدّ الأخيرة جائزة فقال ((فغير جائز عندي في القراءة إلا رفع (آدم) على أنّه المتلقّي للكلمات؛ لإجماع القراء، وأهل التأويل من علماء السلف))^(٥١).

وهو اختيار الزجاج، لأنه في العربية أقوى و لأنّ آدم تعلم هذه الكلمات فقبل تلقى هذه الكلمات، والعرب تقول تلقيت هذا من فلان، والمعنى فهمي قبله من لفظه^(٥٢). وتابعه في ذلك الازهري^(٥٣).

• (تنزيل، تنزيل، تنزيل)

ذكر الشيرازي ثلاث قراءات في (تنزيل) الواردة في قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ (يس/ ٥) رفعاً ونصباً وجرّاً^(٥٤).



أولاً: (الذين) إمّا موصول بالمتقين على انه صفة مجرورة^(٧٣).

وهذا أحد الأوجه التي ذكرها الزجاج فقال ((وموضع (الذين) جُرَّ تبعاً للمتقين))^(٧٣). وهو في موضع نعت عند مكي في موضع نعت (للمتقين)^(٧٤)، وتابعه في ذلك الأنباري^(٧٥) والقرطبي^(٧٦).
ثانياً: (الذين) مدح منصوب أو مرفوع بتقدير: أعني الذين يؤمنون، أو هم الذين يؤمنون. ووجهُ النصب على المدح بتقدير: أعني وهو ما ذهب إليه أغلب النحاة^(٧٧).

وأما المدح على الرفع: فقد ذكره الطبرسي بأنه على معنى ((لما قيل: هدى للمتقين قيل: من هم؟ فقيل: هم الذين يؤمنون بالغيب فيكون خبر مبتدأ محذوف))^(٧٨). وعلى القطع عند القرطبي والتقدير: هم الذين للمدح^(٧٩).

ثالثاً: منقطع عن المتقين مرفوع بالابتداء مخبر عنه بأولئك على هدى^(٨٠). وهذا وجه سبق الشيرازي إلى ذكره الزمخشري^(٨١). والرفع على الابتداء قال به مكي^(٨٢) و ابو البركات الأنباري^(٨٣) والعكبري^(٨٤) وعليه تكون جملة "أولئك على هدى" خبراً للمبتدأ.

ثم يذهب الشيرازي إلى ترجيح واحدٍ من الأوجه السابقة في (الذين)، وهو أن يكون معتمداً على تفسير معنى التقوى الواردة في قوله (هدى للمتقين) التي سبقت الاسم الموصول (الذين) فيقول إن فُسِّرَ فعلُ التقوى بما يعمُّ فعل الطاعات، والابتعاد عن المعاصي فيكون (الذين) صفة موضحة للمتقين؛ وذلك لأنَّ فعل التقوى قد اشتمل الأعمال الصالحة^(٨٥).

• (ما)

تعددت أقوال العلماء في إعراب (ما) في قوله تعالى ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ (يس ٢٦ و ٢٧) ونقل الشيرازي هذه الأقوال فذكر:

أن الوجه الأول هو أن (ما) في ((قوله تعالى: (بما غفر لي) مصدرية تدخل على الفعل والمعنى بمغفرة الله لي وستره ذنوب من قبل النفسانية وعبوي الجسمانية))^(٨٦).

وهذا الوجه ذكره الفراء فقال ((وتكون (ما) و (غفر) في موضع مصدر))^(٨٧) وذهب النحاس ومكي إلى المعنى نفسه^(٨٨).

ثم أضاف المفسر بأنها قد تكون موصولة أسمية أي ((ما الذي غفر لي به)) كالإيمان بالله ورسوله

واليوم الآخر^(٨٩). وهو قول الفراء^(٩٠) ومكي أيضاً و أبي البركات الانباري الذي قال: ((بما تكون في قدر معناه: غفر لي صلته، والعائد محذوف تقديره: الذي غفره لي ربي فحذفه تخفيفاً))^(٩١).

وقد ضَعَفَ هذا الوجه أبو حيان قائلاً: ((وهذا ليس بجيد إذ يؤول إلى تمثي عملهم بالذنوب المغفرة))^(٩٢).

ثم يتحدث المفسر عن وجه ثالث لقوله (ما) وهو كونها استفهامية حرفية، ((أي شيء غفر لي؟)) (كما يقال ((علمت بما صنعت؟)) و((بم صنعت؟)) بإثبات الألف وحذفها مضيفاً، وان كان الحذف في مثل هذا المعنى أكثر، وأشهر يراد به ما وقع منه مع قومه من المكابرة وتجرع كاسات المحن الأليمة^(٩٣).

ووجه الاستفهام هذا لم تتفق عليه أقوال العلماء. إذ صوّبه الفراء قائلاً ((لو جعلت (ما) في معنى (أي) كان صواباً يكون المعنى: ليتهم يعلمون بأي شيء غفر لي ربي. ولو كان كذلك مجازاً فيه: (بم غفر لي ربي) يقعان الألف كما تقول: سل عما شئت كما قال تعالى: ﴿فَتَاطَرَتْ بِهِم مَّرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ (النمل/٣٥). وقد أمتها الشاعر وهي استفهام فقال:

إنا قتلنا بقتلانا سَرَاتِكُمْ
أهل اللواء ففيما يُكْثِرُ القَيْلُ^(٩٤).

ووافق الزجاج الفراء في تصويب هذا الوجه فقال: ((يجوز (بم غفر لي ربي) على معنى بأي شيء غفر لي ربي. وأضاف إن حذف الألف في هذا المعنى أجود))^(٩٥).

على حين نجد أن النحاس قد ضَعَفَ هذا الوجه فقال ((وهو ضعيف لان الأكثر في الاستفهام: بِمَ غفر لي ربي؟ بغير ألف))^(٩٦).

ومن الذين وافقوا النحاس في تضعيف هذا الوجه ابو البركات بن الانباري ((فعنده لو كانت (ما) هنا استفهاماً لكان ينبغي أن تحذف الألف منها، لدخول حرف الجر عليها لأن: (ما) الاستفهامية إذا دخل عليها حرف الجر حذفت ألفها للتخفيف نحو: بِمَ - عَمَ. ولا تثبت إلا في الشعر))^(٩٧) كقول حسان بن ثابت.

علاما قام يشتمني لثيم

كخنزيرٍ مَرَّعٍ في رَمَادٍ^(٩٨)
وكذا فعل الرازي^(٩٩) وأبو البقاء^(١٠٠) وأبو حيان^(١٠١) في تضعيف وجه الاستفهام.

ويمكن القول: إن (ما) إذا كانت مصدرية مؤولة بالمصدر يستقيم المعنى في غير القرآن لو قيل:



تعدد الأوجه الإعرابية ...

بواسطة الملك أو بغير واسطة. (١١٣)

ولم يكتفِ الشيرازي بهذه الأوجه بل ذكر إعراباً آخر هو على تقدير البدلية فيكون إشعاراً بأن ذلك غاية ما يتمنونه (١١٤)، وهو وجه إعرابي سبقه الاخفش الأوسط عندما وجه نصب (قولاً) على البدلية من اللفظ بالفعل كأنه قال (أقول قولاً) (١١٥). ثم أورد الشيرازي ما يفهم منه على أنه وجه ثالث في إعراب قولاً وهو قوله: (وعلى تقدير البدلية...) وقد أورد هذا الوجه أيضاً الاخفش فقال: نصب (قولاً) على البدلية من الفعل وليس المفهوم من لفظ (البدلية) التابع المعروف في اصطلاح النحويين إنما المقصود به إن لفظ (قولاً) مصدر منصوب مأخوذ من معنى العامل (سلام) لا من لفظه.

وفي الآية السابقة لفظة أخرى تعددت الأوجه الإعرابية فيها وهي لفظة (قولاً) فنصبها عند المفسر يحتمل وجهين الأول: مفعول به، والتقدير: يسمعون قولاً من رب رحيم والمعنى: إنهم نودوا بداوم الأمن والسلامة. الآخر: مفعول مطلق والتقدير: يقال لهم قولاً من جهة، وهذان الوجهان ذكرهما الزمخشري من قبل، وقد لخص الشيرازي هنا كلامه فيهما.

• (تنزيل)

قد أورد المفسر أربعة أوجه في لفظه (تنزيل) في قوله تعالى ﴿لَمْ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (السجدة/ ١ و ٢) الأول: إنها خبرٌ لمبتدأ محذوفٍ والتقدير: هذا تنزيل الكتاب، وتكون جملة ((من رب العالمين)) خبراً ثانياً (١١٦).

وهذا الوجه ذكره الزجاج (١١٧). ورأى أن (تنزيل) رُفِعَ؛ لكونه خبراً لمبتدأ محذوفٍ والتقدير: هذا تنزيل الكتاب.

وكذا فعل النحاس (١١٨) و أبو البركات الانباري (١١٩).

الثاني: إنها مبتدأ خبره (لا ريب)، وتكون جملة من (رب العالمين) حالاً من الضمير في (فيه)، وهذا الوجه أشار إليه الطبرسي (١٢٠) وأبو البقاء (١٢١) والنسفي (١٢٢) وأبو حيان (١٢٣).

الثالث: أن تكون (تنزيل) خبراً ثانياً، والتقدير (هذا لم تنزيل)، وقد أشار الزجاج إلى هذا الوجه، وذكر التقدير: هذه الحروف تنزيل وعنده (الم) تدل على الحروف كلها كما تدل عليها (أ ب ث) (١٢٤). وهو وجه

يعلمون بمغفرة ربِّي لي، وجعلي من المكرمين، ولا يستقيم لو كانت موصولة، أو استفهامية ففي تقدير أنها موصولة يلزم تكرار الاسم الموصول فيقال: يعلمون بالذي غفر لي ربي والذي جعلني من المكرمين. أما الاستفهام فقد ضعفه العلماء ويبدو أنه وجه ضعيف.

• (سلام)

ذكر المفسر وجهين في إعراب لفظ (سلام) الواردة في قوله تعالى ﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مِمَّا يَدْعُونَ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ (يس/ ٥٨) أحدهما: أن يكون مبتدأ محذوف الخبر؛ لدلالة (لهم ما يدعون) عليه، والتقدير: ((لهم ما يدعون ولهم سلام)) (١٢٥). "فمن رفع قال: ذلك لهم سلام قولاً، أي: لهم ما يدعون مسلم القول، يجعله خبراً لقوله: (لهم ما يدعون).

يفهم من هذا أن لفظة (سلام) مرفوعة على الابتداء، والجار والمجرور قبلها خبر لها وجملة (لهم سلام) في محل رفع خبر للمبتدأ الأول (ذلك)، وهذا الوجه ذكره الفراء أما النحاس فالرفع عنده على جعل (سلام) خبراً و (ما) ورفعها بالابتداء (١٢٦). على حين نجد أن أبا حيان قدر الخبر بأنه ذلك الفعل الناصب لقوله: (قولاً) أي: سلام يقال قولاً من رب رحيم، أو يكون (عليكم) محذوفاً أي: سلام عليكم قولاً من رب رحيم (١٢٧).

والوجه الآخر الذي ذكره المفسر هو أن يكون (سلام) بدلاً من (ما يدعون) (١٢٥) واليه ذهب النحاس (١٢٦)، فجعله مرفوعاً على البدلية من (ما)، ومثله الزمخشري (١٢٧) و أبو البركات الانباري (١٢٨) وأبو البقاء العكبري (١٢٩).

وقوله تعالى (قولاً) أعربه المفسر على انه مفعول به أي: يقول الله قولاً يسمعه من رب رحيم، ويجوز في (سلام) وجه ثالث، وهو أن تعرب (سلام) خبراً لمبتدأ محذوفٍ والتقدير: ذلك سلام بداوم الأمن، والسلامة مع سبوغ النعمة والكرامة، وقد يكون مفعولاً مطلقاً أي: يقال لهم قولاً من جهة رب رحيم. بمعنى انه سبحانه يسلم عليهم بلا واسطة الملائكة تعظيماً وتكريماً لهم (١٣٠).

وهذان الوجهان ذكرهما مكي القيسي فنصب (قولاً) إما على المصدرية: أي يقولون قولاً (١٣١). أو يقول الله ذلك لهم قولاً (١٣٢) وابن جزى عنده مصدر مؤكد والمعنى: إن السلام عليهم قول من الله



لتقدم ما يدل عليه.

• (سلاماً)

ذكر الشيرازي إن لفظة (سلاماً) الأولى في الآية الكريمة في قوله تعالى ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيًا إِلَّا قِيلاً سَلَامًا﴾ (الواقعة/ ٢٥ و ٢٦) تحتل ثلاثة أوجه إعرابية هي:

الوجه الأول:

النصب على المصدرية بتقدير: ((سلمك الله (سلاماً)) (١٣٥).

والاخفش وجّه على النحو الآتي ((إن شئت نصبت السلام بـ (القيـل)، وإن شئت جعلت السلام عطفاً على السلام كأنه تفسير له، وإن شئت جعلت الفعل يعمل في السلام تريد: (لا تسمع إلا قِيلاً الخير) تريد: إلا إنهم يقولون الخير، والسلام هو الخير)) (١٣٦)، والزجاج نظر إليه من وجهين: أحدهما: أن يكون نعتاً لـ (قيل) فيكون المعنى لا يسمعون إلا قِيلاً يسلم فيه من اللغو والإنم، والآخر: أن يكون منصوباً على المصدر، فيكون المعنى لا يسمعون فيها إلا أن يقول بعضهم لبعض سلاماً سلاماً)) (١٣٧) فلم يذكر وجه العطف الذي ذكره الاخفش، والنحاس تابع الزجاج في هذين الوجهين ذاكراً أضاف غيره وجه النصب على الاستثناء. (١٣٨) ومن الذين ذكروا أوجهها ثلاثة في نصب (سلاماً) أبو البركات الانباري فالوجه الأول: أن يكون منصوباً بالقول.

الثاني: أن يكون مصدرراً أي: يتداعون فيها، وسلمك الله سلاماً كقوله تعالى ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ (نوح/ ١٧) (١٣٩).

الثالث: أن يكون وصفاً لـ (قِيلاً) وجوز ابن جزي انه قد يكون منصوباً بفعل مضمّر، تقديره: أسلموا سلاماً (١٤٠).

ويبدو ممّا سبق أن وجه (البديلة) هو المناسب لإعراب (سلاماً) فاللفظة تفيد تفسير معنى ما قبلها، وتزيل الغموض عنه، والسلام أكثر تخصيصاً من القول، وهذا هو مضمون البديل في العربية كما في قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلَّذِينَ هُمْ يُرْسِلُونَ﴾ (الأنبياء/ ١٠٧) فالصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم (١٤١) (الفاحة/ ٧-٨) فالصراط الثانية اخض من الأولى.

• (وآخرين)

جوز المفسر في إعراب لفظة (وآخرين) من قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ

ذكره الزمخشري أيضاً.

الرابع: أن تعرب (تنزيل) بالابتداء، والخبر بعدها جملة (لا ريب فيه) (١٣٥).

وهذا الوجه ذكره كل من الزجاج (١٣٦) والنحاس (١٣٧) والطوسي (١٣٨) والطبرسي (١٣٩).

ويبدو أن أقرب هذه الوجوه إلى الأسلوب القرآني هو أن تعرب (تنزيل) خبراً لمبتدأ محذوف، تقديره: هذا أو ذلك فقد كثر بعد الحروف المقطعة مجيء اسم الإشارة مستأنفاً به الكلام كما في سورة البقرة والقص وغيرهما من السور وقلمًا يُحذف.

• (خافضة رافعة)

ذكر المفسر وجهين في إعراب (خافضة رافعة) من قوله تعالى ﴿لَيْسَ لَوْفَعَتِهَا كَاذِبَةٌ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ (الواقعة/ ٢،٣)

فهما إما صفتان بعد صفة أو خبران لمبتدأ محذوف، أي: (هي خافضة تخفض أقواما، ورافعة ترفع آخرين) (١٤٠)، وقد تطرّق إلى هذا المعنى الفراء فوجه رفع (خافضة رافعة) على الاستئناف على تقدير الواقعة يومئذ خافضة لقوم إلى النار، ورافعة لقوم إلى الجنة ولو قرأ قارئ خافضة رافعة يُريد إذا وقعت وقعت خافضة لقوم رافعة لآخرين. ولكنه يقيح لأن العرب لا تقول: إذا أتيتني زائراً حتى يقولوا إذا أتيتني فاتني زائراً أو أتيتني زائراً ولكنه حسن في الواقعة لأن النصب قبله يحسن عليه السكون فحسن الضمير في المستأنف. (١٤١)

أما الطبرسي فالرفع عنده على إضمار مبتدأ مع الفاء، وجعلها جواب (إذا) أي خففت قوماً ورفعت قوماً (١٤٢). وهذا الوجه ذكره أبو البركات الانباري (١٤٣).

وأضاف النحاس ما يدعم وجه الرفع وهو قول أهل التفسير والمحققين من أهل العربية بأن المعنى على الرفع وذهب ابن عباس الى القول: خففت اناساً ورفعت آخرين فعلى هذا لا يجوز إلا الرفع، لأن المعنى: خففت قوماً كانوا أعماء في الدنيا إلى النار، ورفعت قوماً كانوا أذلاء في الدنيا إلى الجنة (١٤٤)، ثم يذكر المفسر أن استخدام صيغة اسم الفاعل دلت على الثبوت ودوام المصدر.

وخير ما يلتزم به في توجيه إعراب خافضة رافعة هو رأي الفراء الذي تبناه المفسر وهو أن تعرب (خافضة رافعة) خبرين متوالين لمبتدأ محذوف تقديره هي يعود على الواقعة، وإنما حذف المبتدأ:



الخاتمة

توصل البحث إلى مجموعة من النتائج أهمها:

- على الرغم من الطابع الفلسفي للتفسير، إلا أن الشيرازي استعان باللغة ومباحثها في تفسيره بشكل يمكن ملاحظته.

- لم يتبع المفسر منهجاً بعينه في تناوله للمادة اللغوية فهو يعرض الآراء، ويردّ عليها تارة، ويكتفي بعرضها تارة أخرى.

- إن الشيرازي وإن كان واحداً من فلاسفة الاسلام، إلا أنه كان له جهد في تناول قضايا العربية فقد جاء البحث في هذا التفسير بـ مضامين عديدة تقع في حقل اللغة العربية.

- الشيرازي شأنه شأن أي مفسر لم يعلموا مختلفة كما اتصف بما يجب ان يتصف به المفسرون من معارف لاسيما اللغة وهو إن كان يسكن بلاد فارس إلا أن مؤلفاته كان يكتبها باللغة العربية وفي تفسيره هذا (تفسير القرآن الكريم) خاض في مضمار العربية نحواً وصرفاً.

- ففي مجال النحو كان يعرض الآية القرآنية ويقبلها على الأوجه الاعرابية التي تحتملها تلك الآية إذ العربية لغة اشتقاقية قابلة للانعطاف مع مختلف الوجوه وهو لم يخرج كما سبقه اليه معربو ومفسرو القرآن الكريم وكان تناوله لمفردات الآيات يقع في الأغلب في بداية حديثه عنها ثم ينتقل إلى مجال فلسفة وما حملته هذه الآية من معنى فلسفي مثال ذلك عندما تعرض لإعراب لفظ (الذين) في قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ (البقرة/ ٣) فقد قلبه على أوجه إعرابية عديدة محتملة ثم مزج بين واحد من تلك الوجوه الإعرابية وتفسير معنى التقوى الذي سبق هذا اللفظة وهو بهذا قد أعطى النحو مسحة فلسفية تفسيرية.

وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ (الجمعة/ ٢ و ٣) النص والجر ولذا ذكر المفسر في إعراب قوله تعالى (وأخرين) وجهين إعرابين موجهاً كل واحد منهما. فأحدهما: أن يكون صفة لمجرور معطوف على الأُميين^(١٤١)

ووجه الخفض هذا نجده عند الفراء إذ أعرب قوله تعالى (وأخرين) في موضع خفض على تقدير: بعث في الأُميين وفي آخرين منهم^(١٤٢) و قال به النحاس^(١٤٣) وسمّاه البغوي بـ(الخفض على الردّ إلى الأُميين ومجازه، وفي آخرين)^(١٤٤).

وهو وجه إعرابي سار عليه الزمخشري، والمعنى عنده: ((يعني انه بعثه للذين على عهده))^(١٤٥) أو على تقدير: وفي آخرين من الأُميين لم يلحقوا بهم بعد، وسيلحقون "عند أبي حيان^(١٤٦).

أما الآخر فهو وجه النص فجوزه الشيرازي أن يكون منتصباً عطفاً على الضمير المنصوب في (ويعلمهم) أي: ((يعلمهم ويعلم آخرين))، وعند الفراء بالرد على الهاء في يزكهم ويعلمهم^(١٤٧).

لكن النحاس أضاف وجهاً آخر للنصب حينما جُوز العطف على معنى ((يتلو عليهم آياته)) أي: يعرفهم بها^(١٤٨)، وهذا الوجه واحد من الوجهين اللذين ذكرهما أبو البركات الانباري في كتابه. ومن المفسرين الذين جوزوا وجه النص عطفاً على المنصوب في (يعلمهم) النسفي^(١٤٩) وأبو حيان^(١٥٠).

ويبدو أن المفسر قد مال إلى وجه النص لقوله (وأخرين) إذ قدّم شرحاً لهذا الوجه وعلّل النصب قائلاً: ووجه ذلك بأن التعليم إذا تناسق إلى آخر الزمان كان كله مستندا إلى أوله^(١٥١).



- ٣٥- ينظر: الحجة في القراءات السبع ٦٧.
 ٣٦- ينظر: التبيان في إعراب القرآن ١/ ٢٩.
 ٣٧- الحجة للقراء السبعة ١/ ١٩٨-١٩٩.
 ٣٨- ينظر الخصائص: ٢/ ٤١١ والإنصاف ٢/ ٦١١.
 ٣٩- ينظر: أثر القراءات القرآنية في تطور الدرس النحوي ١٨٤.
 ٤٠- تفسير القرآن للشيرازي ٣/ ١٢٨.
 ٤١- ينظر: السبعة في القراءات ١٥٤ ومعاني القراءات ٤٨ والبحر المحيط ١/ ١٦٥ والنشر ٢/ ٢١١.
 ٤٢- ينظر: السبعة في القراءات ١٥٤ والنشر ٢/ ٢١١.
 ٤٣- معاني القرآن للقراء ١/ ٢٨.
 ٤٤- جامع البيان ١/ ٥٤٢.
 ٤٥- ينظر: البيان في غريب إعراب القرآن ١/ ٧٤.
 ٤٦- ينظر: تفسير القرآن للشيرازي ٣/ ١٢٨.
 ٤٧- ينظر: الحجة في القراءات السبع ٧٥.
 ٤٨- مجمع البيان ١/ ١٧٣.
 ٤٩- الكشف عن وجوه القراءات ١/ ٢٧٣.
 ٥٠- الجامع لأحكام القرآن ١/ ٢٢٣.
 ٥١- جامع البيان ١/ ٥٤٢.
 ٥٢- ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١/ ١٠٨.
 ٥٣- ينظر: معاني القراءات ٤٨-٤٩.
 ٥٤- ينظر: النشر في القراءات العشر ٢/ ٣٥٣.
 ٥٥- ينظر: تفسير القرآن للشيرازي ٥/ ٢٥٥.
 ٥٦- ينظر: الحجة في القراءات السبع ٢٩٧- ٢٩٨ والحجة للقراء السبعة ٣/ ٣٠٥.
 ٥٧- ينظر: السبعة في القراءات ٥٣٩ وينظر: معالم التنزيل في التفسير والتأويل ٤/ ٣١٤.
 ٥٨- ينظر: تفسير القرآن للشيرازي ٥/ ٢٥٥.
 ٥٩- ينظر: الحجة في القراءات السبع ٢٩٨.
 ٦٠- ينظر: الحجة في القراء السبعة ٣/ ٣٠٥.
 ٦١- ينظر: الكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٢١٤.
 ٦٢- ينظر: مفاتيح الغيب ٢٥/ ٤٢.
 ٦٣- ينظر: الكشاف ٣/
 ٦٤- ينظر: تفسير القرآن للشيرازي ٥/ ٢٥٥.
 ٦٥- ينظر: مشكل إعراب القرآن ٥٩٨.
 ٦٦- ينظر: الكشاف ٣/ ٣١٤.
 ٦٧- مفاتيح الغيب ٢٥/ ٤٢.
 ٦٨- التبيان في إعراب القرآن ٢/ ٢٩٣.
 ٦٩- ينظر: البحر المحيط ٧/ ٣٢٣.
 ٧٠- ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ١٦.
 ٧١- ينظر: البيان في غريب إعراب القرآن ٢/ ٢٩٠.
 ٧٢- تفسير القرآن للشيرازي ١/ ٢٤٣.

الهوامش:

- ١- ظاهرة التأويل في إعراب القرآن الكريم، دراسة تحليلية لموقف النحاة من القراءات القرآنية المتوافرة التي تتعارض مع القواعد النحوية. ١٧.
 ٢- ينظر: تأويل القرآن النظرية والمعطيات ٥.
 ٣- ينظر: القياس في النحو العربي نشأته وتطوره ٩٠.
 ٤- اللهجات العربية في القراءات القرآنية ٨٣.
 ٥- أثر القراءات القرآنية في تطور الدرس النحوي ١٩٤.
 ٦- ينظر تفسير القرآن للشيرازي ١/ ١٤٤.
 ٧- ينظر السبعة في القراءات ١١٢.
 ٨- ينظر تفسير القرآن للشيرازي ١/ ١٤٢.
 ٩- ينظر: مشكل إعراب القرآن ١/ ٧٢ والبيان في غريب إعراب القرآن ١/ ٤٠ والتبيان في إعراب القرآن ١/ ١٩.
 ١٠- الديوان ٣٠ والخزانة: ٢/ ١٢٥ وينظر: شواهد الشعر في كتاب سيبويه ٣٩٨.
 ١١- ينظر: جامع البيان ١/ ١٨٣-١٨٤.
 ١٢- ينظر: معاني القرآن للفراء ٧/١.
 ١٣- ينظر: معاني القراءات ٣١.
 ١٤- ينظر: تفسير القرآن للشيرازي ١/ ١٤٢.
 ١٥- ينظر: مشكل إعراب القرآن ١/ ٧٢.
 ١٦- ينظر: البيان في إعراب غريب القرآن ١/ ٤٠.
 ١٧- ينظر: التبيان في إعراب القرآن ١/ ١٩٩.
 ١٨- ينظر: ديوان لبيد ١٤١ وقد وردت (ليس الجملة).
 ١٩- ينظر: الكتاب ٢/ ٣٣٣.
 ٢٠- جامع البيان ١/ ١٨٠-١٨١.
 ٢١- ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١/ ٥٧.
 ٢٢- ينظر: البرهان الكاشف في إعجاز القرآن الكريم.
 ٢٣- ينظر: تفسير القرآن للشيرازي ١/ ٣٦٠.
 ٢٤- ينظر: السبعة في القراءات ١٤٠ ومعاني القراءات ٤٠.
 ٢٥- معاني القرآن للفراء ١/ ١٣١.
 ٢٦- ينظر: معاني القرآن للأخفش ٣٦.
 ٢٧- الحجة في القراءات السبع ٦٧.
 ٢٨- ينظر: الحجة للقراء السبعة ١/ ١٩٨-١٩٩.
 ٢٩- ينظر: مشكل إعراب القرآن.
 ٣٠- ينظر: التبيان في إعراب القرآن ١/ ٢٩٩.
 ٣١- الخلاف النحوي في القراءات القرآنية (أطروحة دكتوراه) ٨٣.
 ٣٢- البيت لعبد الله بن الزبيري. وقد ورد في الخصائص ٢/ ٤٣١.
 ٣٣- معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١/ ٨١-٨٢.
 ٣٤- ينظر: معاني القراءات ٤٠.



- ٧٣- معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٧٠ / ١.
 ٧٤- ينظر: مشكل إعراب القرآن ٧٤.
 ٧٥- ينظر: البيان في غريب إعراب القرآن ٤٦ / ١.
 ٧٦- ينظر: الجامع لأحكام القرآن الكريم: ١١٤ / ١.
 ٧٧- ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٧٠ / ١ ومشكل إعراب القرآن ٧٤ والبيان في أعراب القرآن ٢٤ / ١.
 ٧٨- مجمع البيان ٦٩ / ١.
 ٧٩- ينظر: الجامع لأحكام القرآن الكريم: ١١٤ / ١.
 ٨٠- تفسير القرآن للشيرازي: ٢٤٣ / ١.
 ٨١- ينظر: الكشاف: ١٢٣ / ١.
 ٨٢- ينظر: مشكل إعراب القرآن ٧٤.
 ٨٣- ينظر: البيان في غريب إعراب القرآن: ٤٦ / ١.
 ٨٤- ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ٢٤ / ١.
 ٨٥- ينظر: تفسير القرآن للشيرازي: ٢٤٣ / ١.
 ٨٦- تفسير القرآن للشيرازي ٧٨ / ٥.
 ٨٧- ينظر: معاني القرآن للفراء ٣٧٤ / ٢.
 ٨٨- ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٣٩٠ / ٣ ومشكل إعراب القرآن ٦٠١.
 ٨٩- ينظر: تفسير القرآن للشيرازي: ٧٨ / ٥.
 ٩٠- ينظر: مشكل إعراب القرآن ١٠١.
 ٩١- البيان في غريب إعراب القرآن ٢٩٣ / ٢.
 ٩٢- ينظر: البحر المحيط ٧ / ٣٣٠.
 ٩٣- تفسير القرآن للشيرازي ٧٨ / ٥.
 ٩٤- معاني القرآن ٢ / ٣٧٤ - ٣٧٥.
 ٩٥- ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤ / ٢٨٣.
 ٩٦- ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٣ / ٣٩٠.
 ٩٧- البيان في غريب إعراب القرآن ٢ / ٢٩٣.
 ٩٨- ينظر: الديوان ١٩٦.
 ٩٩- ينظر: مفاتيح الغيب ٢٦ / ٦٠.
 ١٠٠- ينظر: التبيان في إعراب القرآن ٢ / ٢٩٥.
 ١٠١- ينظر: البحر المحيط: ٧ / ٣٣٠.
 ١٠٢- تفسير القرآن للشيرازي ١ / ٢٣١.
 ١٠٣- ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٣ / ٤٠١ - ٤٠٢.
 ١٠٤- ينظر: البحر المحيط ٧ / ٣٤٣.
 ١٠٥- ينظر: تفسير القرآن للشيرازي ١ / ٢٣١.
 ١٠٦- ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٣ / ٤٠٢.
 ١٠٧- ينظر: الكشاف ٣ / ٣٢٧.
 ١٠٨- ينظر: البيان في غريب إعراب القرآن ٢ / ٣٠١.
 ١٠٩- ينظر: التبيان في إعراب القرآن ٢ / ٢٩٨.
 ١١٠- ينظر: تفسير القرآن للشيرازي ١ / ٢٣١.
 ١١١- ينظر: مشكل إعراب القرآن ٦٠٨.
- ١١٢- ينظر: التبيان في إعراب القرآن ٢ / ٢٩٨.
 ١١٣- ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل ٢ / ٢٢٧.
 ١١٤- ينظر: تفسير القرآن للشيرازي ٥ / ٢٣١.
 ١١٥- ينظر: معاني القرآن للاخفش: ٢٧٢.
 ١١٦- تفسير القرآن للشيرازي ٦ / ٢١٦.
 ١١٦- إعراب القرآن للزجاج ٤ / ١٥٥.
 ١١٨- ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٣ / ٢٩١.
 ١١٩- ينظر: البيان في غريب إعراب القرآن ٢ / ١٢٠.
 ١٢٠- ينظر: مجمع البيان ٨ / ١٠٨.
 ١٢١- ينظر: التبيان في إعراب القرآن ٢ / ٢٦٧.
 ١٢٢- ينظر: مدارك التنزيل ٣ / ٤٧٥.
 ١٢٣- ينظر: البحر المحيط ٧ / ١٩٦.
 ١٢٤- معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤ / ١٥٥.
 ١٢٥- تفسير القرآن للشيرازي ٦ / ٢١٦.
 ١٢٦- ينظر: إعراب القرآن للزجاج ٤ / ١٥٥.
 ١٢٧- ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٣ / ٢٩١.
 ١٢٨- ينظر: التبيان ٨ / ٢٩٢.
 ١٢٩- ينظر: مجمع البيان ٨ / ١٠٨.
 ١٣٠- تفسير القرآن للشيرازي ٧ / ١٧٧.
 ١٣١- ينظر: معاني القرآن للفراء ٣ / ١٢١.
 ١٣٢- ينظر: مجمع البيان ٩ / ٣٩٨.
 ١٣٣- ينظر: البيان في غريب إعراب القرآن ٢ / ٤١٤.
 ١٣٤- ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٤ / ٣٢٢.
 ١٣٥- تفسير القرآن للشيرازي ٧ / ٤٥٥.
 ١٣٦- معاني القرآن للأخفش ٢٩٠.
 ١٣٧- معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٥ / ١١٢.
 ١٣٨- ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٤ / ٣٣٠.
 ١٣٩- البيان في غريب إعراب القرآن ٢ / ٤١٥ - ٤١٦،
 والبيان في إعراب القرآن ٢ / ٣٩٦.
 ١٤٠- ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل ٢ / ٣٩٨.
 ١٤١- تفسير القرآن للشيرازي ٧ / ١٧١.
 ١٤٢- ينظر: معاني القرآن ٣ / ١٥٥.
 ١٤٣- ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٤ / ٤٢٦.
 ١٤٤- ينظر: معالم التنزيل في التفسير والتأويل ٥ / ٢٣١.
 ١٤٥- ينظر: الكشاف ٤ / ١٠٢.
 ١٤٦- ينظر: البحر المحيط ٨ / ٢٦٦.
 ١٤٧- معاني القرآن ٣ / ١٥٥.
 ١٤٨- ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٤ / ٤٢٦.
 ١٤٩- ينظر: مدارك التنزيل ٤ / ٢٨٤.
 ١٥٠- ينظر: البحر المحيط ٨ / ٢٦٦.
 ١٥١- تفسير القرآن للشيرازي ٧ / ١٧١.



المصادر والمراجع

- مصطفى صالح، الدوحة، الدار الثقافية ١٩٨٦.
- ٨- ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة، عبد اللطيف بن أبي بكر الزبيدي الشجري (ت ٨٠٢ هـ)، تحقيق: الدكتور طارق عبد عون الجنابي، الطبعة الاولى، عالم الكتب، بيروت ١٩٨٧م.
- ٩- تفسير القرآن الكريم، محمد بن إبراهيم صدر الدين الشيرازي، الناشر: انتشارات بيدار - قم، ٠ (ب ت)
- ١٠- شرح أبيات سيبويه أبي سعيد السيرافي، الناشر مكتبة الكليات الازهرية، القاهرة، ١٩٧٤.
- ١١- شرح الأشموني، على الفية ابن مالك ومعه شرح الشواهد للعيني، دار احياء الكتب العربية، مصر (د.ت.).
- ١٢- شرح الحدود النحوية، لعبد الله بن أحمد بن علي الفاكهي (ت ٩٧٢ هـ)، دراسة وتحقيق زكي فهمي الألوسي، جامعة بغداد - بيت الحكمة.
- ١٣- شرح الرضي (شرح شافيه ابن الحاجب لرضي الدين محمد، بن الحسن الاستربادي (ت ٦٨٦ هـ)، تحقيق محمد نور الحسن ومحمد الزفران ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٧٥.

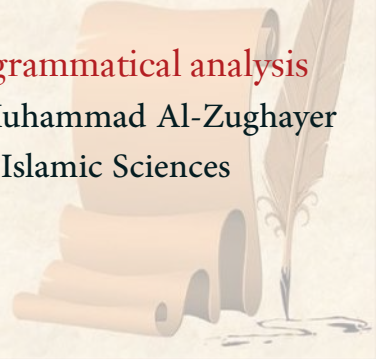
- القرآن الكريم.
- ١- الأصول: دراسة أيستموأوجية للفكر اللغوي عند العرب، تمام حسن، نشر مشترك الهيئة العربية العامة للكتاب مصر ودار الشؤون الثقافية العامة العراق ١٩٨٨.
- ٢- الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن السري ابن السراج (ت ٣١٦ هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الحسين الفتلي، الطبعة الثانية مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٨٧
- ٣- الاعلام، للزركلي دار العلم للملايين بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٧٠
- ٤- إعراب القرآن، أبو جعفر احمد بن محمد بن اسماعيل النحاس (ت ٣٣٨ هـ)، تحقيق زهير غازي فهد، عالم الكتب - مكتبة النهضة العربية.
- ٥- أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين (ت ١٩٥٢ م)، حققه وأخرجه واستدرك عليه حسين الامين دار التعارف للمطبوعات، بيروت ١٩٨٦
- ٦- الامالي الشجرية، ضياء الدين أبو السعادات هبه الله بن علي (ت ٥٤٢ هـ)، دار المعرفة - بيروت.
- ٧- الأمالي النحوية، جمال الدين ابو عمرو عثمان بن عمر بن الحاجب، (ت ٦٤٦ هـ)، تحقيق عدنان



أثر السؤال والجواب في التحليل النحوي

م.د. خيرالله مهدي جاسم محمد الزغير
جامعة وارث الأنبياء / كلية العلوم الإسلامية

The effect of question and answer on grammatical analysis
Lecturer Dr. Khairallah Mahdi Jassim Muhammad Al-Zughayer
Warith Alanbiyaa University / College of Islamic Sciences



الملخص

يهدف البحث إلى تسليط الضوء على وسيلة تحليل نحوي اعتمدها النحويون في الكشف عن مسوغات الاستعمال في التراكيب التي تحتاج إلى الأعمال الفكري كي يصل النحوي إلى طريق يدفع به اللبس، ويقف على حقيقة الاستعمال في فُبال اللغة تسوُّغ للمتكلم استعمال التراكيب التي لا تخرج عن الصحة النحوية والدلالية في ضوء ما تتضمنه من قواعد عامة أحكمت الكلام كي لا يشذ عن الاستعمال في إنشاء الكلام غير المقبول نحويًا. هذه الوسيلة هي طريقة السؤال والجواب على نحو الواقعي والافتراضي، مما يكشف عن أصل التحليل في اللغة وهو التبادل الكلامي أو الحوار الخطابي الذي يمثّل أصل التفاهم في اللغة، وكذا يكشف هذا التحليل عن مفهوم اللغة الاجتماعية والتداولية، وبحسب معطيات البحث فإنّ هذه الطريقة لا تقل أهمية في التحليل عن طرائق التحليل الأخرى. الكلمات المفتاحية: دراسة، تحليلية، نحوية

Abstract

The research aims to shed light on a method of grammatical analysis adopted by grammarians in revealing the justifications for use in the structures that need intellectual realization so that the grammarian can arrive at a way that reduces confusion and stand on the reality of use in language. These uses justifies the speaker to use structures that do not depart from grammatical and semantic correctness in light of the general rules it contains. It has made the speech more precise so that it does not deviate from the use in the construction of grammatically unacceptable speech.

This method is the method of question and answer in its real and virtual grammar, which reveals the origin of the analysis in the language, which is the verbal exchange or rhetorical dialogue that represents the origin of communication in language. Further, this analysis the reveals the concept of social and pragmatic language. According to the research data, this method is no less important in analysis than other methods.

Keywords: An analytical grammatical study



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين محمد صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً.

واجه النحويون تراثاً لغوياً ضخماً امتاز بتعدد اللهجات وتنوع الاستعمال فجاءت التراكيب متباعدة في تنوعها، فالموضع الذي يأتي به العنصر التركيبي مرفوعاً يأتي بالصياغة نفسها منصوباً، ووجد في اللغة عناصر تُعدُّ أركاناً في التركيب يكون لها في كل استعمال الأثر في تكوين عناصر أخرى يُبنى عليها التركيب، ومن ثم نشأت فكرة العامل التي سايرت النحو منذ الدراسة الأولى للغة بعد أن سبقها المنهج الوصفي للغة الذي جمعت في ضوئه اللغة بما هي استعمال لا بما هي لغة تفعيد، ومن هنا نشأ التحليل في التراكيب ودراستها بأبعاد متعددة من الاختلاف الحركي أو ائتلاف عناصره فيما بينها أو اللغة الخاصة مثل لغة الشعر، واللغة العامة وهي لغة الاستعمال المتداول.

احتاج تنظير اللغة بتعدد أمطاط التركيب وتنوعها إلى بذل الجهد للوقوف على أسرارها واستخراج مكنوناتها التي جرت عند مستعملها، بوصفها سليقة متوافقة في أغلبها، كأنها لغة اتفق على صياغاتها المتكلمون، مما كوّن ذلك طريقاً يُسلك فيه منهجاً علمياً عند النحويين في دراسة اللغة، حتى أصبح للنحويين في ظل هذا المكوّن من الاتفاق القدرة على تبويب الاستعمال اللغوي على وفق قواعد منضبطة، فجاءت فكرة القياس التي أحكمت سيطرتها فيما بعد على اللغة حتى رسخت عند النحويين عبارة: أن النحو كله قياس، إذ القياس يمثّل نتاج فكر تحليلي تآزرت فيه جملة من القواعد قيس الكلام في ضوئها مثل كثرة الكلام، والعلّة، والمقيس والمقيس عليه، وقد ظهرت عبر هذه القواعد طرائق من التحليل للوصول إلى القياس في تصحيح الكلام، فقد لا ينماز الاستعمال بالكثرة وقد استعمله واحد من العرب، لكنّه استعمال يوصف بالفصح فلا يردُّ لفصاحته، وقد يلجأ النحوي إلى الإعمال الفكري في التحليل محاولة منه لالتماس التحليل المناسب لا أن يكون بعيداً عن مسارات التحليل النحوي في ضبط الاستعمال كالذي نجده عند الكسائي عندما سُئل عن "أي" (لم لا يجوز: أعجبني أيهم قام" فقال: أي كذا خلقت))^(١)، وهو خلاف ما اعتاد عليه النحويون من مرافقة التحليل للاستعمال واستخلاص النتائج التي تقبل الاستعمال في ضوء

السليقة اللغوية التي سارت على وفق ضوابط معيّنة وإن لم يكن المستعملون قد توافقوا عليها عن قصد، وقد التمس المدني تحليلاً لـ "أي" في المثال المذكور آنفاً الذي أعجز الكسائي أن يجد ما يسوّغ استعماله ((وليس في وجودها كذلك ما يوجب أن يكون مع المستقبل، إذ لا أمر هنا يتخيّل به الفرق بين المستقبل و الماضي، فإذا لم يكن هناك متخيّل، فلا فرق بينهما^(٢)، فما لم يجد الكسائي مستنداً يفسّر استعمال "أي" مع الماضي وهو فرق المعنى بين الماضي والمستقبل في الاستعمال.

ومن بين وسائل التحليل لتسويغ الظواهر النحوية وتنوع الاستعمال ظهر الافتراض في السؤال والجواب لتحليل الاستعمال اللغوي وقبوله، والمتقصر هذا النوع من التحليل يجده شائعاً عند النحويين، يمثّل جزءاً من تحليلهم النحوي يُحلُّ به اللبس في الاستعمال، ليصبح فيما بعد مسابراً لاستعمالات اللغة التي انعقدت عليها أسنة المتكلمين على وفق ضوابط القياس، والبحث يضع اليد على هذه الوسيلة التحليلية ليكشف قيمتها ومنزلتها التحليلية من بين وسائل التحليل النحوي الأخرى.

إنّ البحث الذي بين أيدينا يمثّل دراسة من جانبين: الأول، إثبات هذه الطريقة من التحليل — أعني السؤال والجواب — وأنها توازي وسائل التحليل الأخرى للكلام، ومن ثمّ أثره في تسويغ الكلام وقبوله، والثاني، نماذج من التطبيق بطريقة السؤال والجواب لا على نحو الإحصاء بل على نحو إثباتها بوصفها وسيلة تحليلية توازي وسائل التحليل النحوي الأخرى أو أنها وسيلة تقدّم للنحوي الأدوات للتحليل بما يوصل إلى القياس والعلّة، وأقرب طريق توصف بها هذه الوسيلة هو الاعتماد على الحوار التخاطبي الذي يمثّل روح اللغة في الوصول إلى التفاهم بين المتكلمين، ولاسيما إنّه يمثّل أوسع أساليب اللغة وهو الاستفهام.

واحتوى البحث تمهيداً في التعريف بالتحليل النحوي، ومبحثين:

المبحث الأول: بعنوان (السؤال والجواب في الحذف) تضمّن تطبيقات التحليل النحوي في مسائل الحذف.

المبحث الثاني: (السؤال والجواب في مسائل متفرقة في النحو) تضمّن تطبيقات التحليل النحوي في مسائل نحوية متعددة.

التمهيد

التعريف بالتحليل النحوي ووسائله تتعدّد وسائل التحليل النحوي عند تفسير



أثر السؤال والجواب في التحليل النحوي

اشتباكاتهما، لرصد خصائص الجزئيات وصفاتها وسلوكها في إطار الوحدة الكلية، وموقعها من البيان والقواعد والأحكام^(٦)، فالتفكيك يرتبط بصورة مباشرة بمفهوم العامل، وظاهرة الارتباط بين عناصر اللغة سمة لا يمكن إنكارها في الاستعمال لبيان الوحدة الكلية^(٧) التي تكون في ضوئها الصحة النحوية والدلالية، ويكون ذلك بتوظيف الأحكام والأصول والضوابط التي يدخل من ضمنها السؤال والجواب اللذان يلجأ إليها النحوي في تحليل الكلام، مثلما يلجأ إلى الشاهد من النثر أو الشعر أو قول العرب أو العلة أو القياس، ليُسوّغ به الاستعمال بصورته التي احتاجت إلى التفسير والبيان والإيضاح.

وأغلب الظن أن توظيف السؤال والجواب في التحليل النحوي يرجع إلى المفهوم التداولي في الكلام، الذي ينساق في علم الاستعمال اللغوي، فالتداولية علمٌ ((يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال، ويدمج، من ثمّ مشاريع معرفية متعدّدة في دراسة ظاهرة التواصل اللغوي وتفسيره))^(٨) كالذي نلاحظه في الحذف من استعمال عبارات "كثرت الاستعمال" وعبارة "علم المخاطب" فهي عبارات وُظفت لبيان الحذف في الاستعمال، ومن جانب آخر فإن السؤال والجواب اللذين يفترضهما النحوي يكشفان عن ارجاع العلاقات النحوية إلى صورتها البنائية، فالفعل المتعدي لا يفهم معنى الجملة فيه إلا بذكر ما يتعدى إليه لتكون الجملة ممّا يُحسن السكوت عليها، ولكن تلاحظ من الكلام ما يقتصر به على الفعل المتعدي والفاعل، قال سيبويه ((وأما ظننتُ ذلك، فإنما جاز السكوت عليه؛ لأنك قد تقول: ظننتُ فتقتصر^(٩)، لأن التداول المسوّغ للتقدير يملّي على النحوي التقدير الذي تعارفت عليه سليقة المتكلمين وإن كان من قرينة منفصلة عن التركيب، فلا بدّ للاستعمال من مسوّغ وهو تقدير، إذ قد يفترض النحوي القول من المتكلم فيكون ذلك أحد مصاديق السؤال والجواب، وتفصيل الكلام في المبحثين الآتيين.

المبحث الأول

السؤال والجواب في مسائل الحذف يدلّ الحذف على القطع والإسقاط، ويقال: حذفتُ الشيء: إسقاطه^(٩)، وعرّف في الاصطلاح على أنه ((إسقاط جزء الكلام أو كلّه لدي))^(١٠)، ولابد من دليل على المحذوف ليُحسن تقديره في الكلام وملاءمته لعناصر التركيب من الجانب النحوي والدلالي.

الظاهرة اللغوية أو الاستعمال اللغوي عندما تُلاحظ حياة تركيبه على صورةٍ يُستَوْقَف فيها رفع العنصر التركيبي أو نصبه أو معرفة محلّ إعرابه من الجملة، فيأتي التحليل في ضوء ذلك لتتضح الرؤية في صحة التركيب المستعمل، بحسب وسائل متعدّدة مثل القاعدة النحوية أو مفهوم البناء أو العامل الذي يمثل روح التحليل النحوي، لذا عرّفت هذه الوسائل بأنّها ((الآليات العقلية التي يعتمد المحلّل عليها للتوصّل إلى تطبيق القاعدة النحوية على النصوص اللغوية المختلفة؛ وذلك أن كثيراً من هذه النصوص لا تكون مبنية نحويّاً، على أصل الوضع أو أصل القاعدة))^(٧)، ولعلّ القيد بالعقلية راجع إلى مفهوم القياس الذي يُعدّ الأداة الأوفر حظاً في التحليل النحوي بما يرتبط بمفهوم القاعدة النحوية، وإنّ مفهوم الأصل المشار إليه يرتبط بالمخالفة التي تظهر عليها التراكيب، وليس القياس أو القاعدة النحوية جاهزة إلى الحدّ الذي يُغني عن الوسيلة التي يمكن عدّها مقدّمة أو طريقاً يتوصّل بها إلى هذه القاعدة، وهذه المقدّمة هي التحليل الذي يُعمل به النحوي فكره التأويلي بما يناسب سؤق التراكيب على سليقة المتكلمين وضوابط أهل اللغة التي ابتعدت عن اللحن أو لبس المعنى في التعبيرات اللغوية، فلا بدّ من وجود الصحة النحوية الدلالية في التركيب، فيكون كلّ ذلك بالأدلة الصناعية وغير الصناعية.

وفي افتراض السؤال والجواب الأثر في التحليل النحوي في قبال الأدلة المتعدّدة التي يفسّر بها الاستعمال، إذ إنّ بعضها يعتمد على الذائقة النحوية التي تعكس المنهج وثقافة النحوي، بما يتوافر لديه من أدلة تركيبية ومقامية، لتمييز عناصر التركيب المؤلّفة للجملة؛ لذا نلاحظ إظهار حقيقة التحليل النحوي عند الدكتور فخر الدين قباوة على أنّه منظومة تفسيرية تتقضى كل ما يمكن أن يسوّغ الصحة النحوية والدلالية في التركيب، فهو ((تمييز العناصر اللفظية، الدلالية والشكلية، المكوّنة للعبارة بعضها من بعض، بالاعتماد على أدلة المقام والمقال، وظواهر الصوت والشكل والتركيب، لدراسة تلك العناصر في إطار السياق المحيط بها، وتحديد أنساقها وأمطها وخصائصها ووظائفها، وما بينها من علاقات وتبادل المعاني الإعرابية والصرفية خاصّة، والنحوية عامّة))^(٤)، وبتعبير آخر عنده فهو ((صورة عملية، لتوظيف الأحكام والأصول والضوابط، في دراسة النص، وتبيين ارتباطها بأمط القول والتعبير، إنّه تفكيك الوحدة التعبيرية وحلّ



العالم، ففي ضوء دليل التقدير من التركيب فإن قرينة الإكرام دال على المحذوف، فالذي يُكرّم هو العالم لا الجاهل، فإذا رُوّعت القرينة وإن كانت خارجية، فلا يكون التقدير مع عدم وجود الدليل من التركيب ((ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته))^(١٨)، فوجود طريقة التحليل المناسبة التي تتلاءم واللغة المستعملة ووسائل التحليل النحوي، يمكن أن يُقدّر المحذوف، والسؤال والجواب أحد هذه الوسائل التي يُسلك فيها هذا الطريق على ما سيتضح في تطبيقات هذا الموضوع، فللسؤال والجواب حظوة من التحليل في إيجاد المحذوف وتعيينه في قبال الطريق بالتحليل الأوسع في إيجاد المحذوف وهو كثرة الاستعمال وعلم المخاطب، لكنّ النحوي لم يستغن عن السؤال والجواب في تحليلية النحوي لإيجاد المحذوف وتعيينه.

ومما يمكن أن نشير إلى بعض المواضع التي لحقها الحذف، وكان للتحليل بالسؤال والجواب أثرهما في تسويخ الحذف، سواءً أكان الحذف في الجملة الاسمية كحذف الفعل أم الحذف في الاسمية، كحذف المبتدأ.

أولاً: الحذف في الجملة الفعلية

حذف الفعل

يحذف الفعل جوازاً أو وجوباً^(١٩) بحسب القاعد التي يرد فيها الكلام، فتكون القاعدة قيدياً في الحذف الواجب فلا يجوز ذكره.

ومن مواطن التعليل بالحذف ما ذكره النحويون في البيت الشعري من (الطويل)^(٢٠):

لِيُبْنِكَ زَيْدٌ ضَارِعٌ لِحُصُومِهِ

ومختببٌ ممّا تطيح الطوائحُ
افترض سبويه جواباً في تقدير المحذوف، بقوله ((لما قال لِيُبْنِكَ يزيد فيه معنى لِيُبْنِكَ يزيد في القَدَمَ أَنَّهُ مسالمة، كأنه قال لِيُبْنِكِهِ ضارع))^(٢١)، فالتقدير راجع إلى المتكلم وما يقصده حذف الفعل.

وقد أرجع المبرّد الجواب إلى علم المخاطب بقصد المتكلم؛ لأنه ((لما قال: "لِيُبْنِكَ يزيد" علم أن له باكتفاءً. فكأنه قال: لِيُبْنِكِهِ ضارعٌ لخصومه))^(٢٢)، وأوضح التقدير بالجواب الافتراضي "كأنه قال... وعلى نحو الافتراض في معرفة المحذوف وسوّقه لإعراب" ضارع" فاعلاً، أتمّ ابن جني تحليل الحذف في ضوء السؤال والجواب، فالكلام عنده ((كأنه لما قال: لِيُبْنِكَ قال: لِيُبْنِكَ يزيد، قيل: مَن يُبْنِكِهِ؟ فقال يُبْنِكِهِ ضارعٌ لخصومه، والحمل على المعنى كثير جدّاً))^(٢٣)، فوظف حوارية الخطاب في سؤال وجواب أراد منها تحديد الإعراب

يُمثّل الحذف واقعاً لغوياً متسعاً في التقدير الذي يقوم عليه مفهوم العامل الذي يُصحح مسار التراكيب اللغوية ويسوّغها، ويمثّل الحذف فلسفة الأثر النحوي، فوجد النحويين قد آثروا التعريف بالنحو بالدليل الذي يُبحث في ضوئه العنصر التركيبي المكمل لبناء الجملة، أي معرفة أحوال الجملة والتغيير الحركي في ضوء نظرية العامل، وهذه الفلسفة تقوم على تقصي سياق العلة التي تدل على المحذوف، فمستعملو اللغة ((لا يحذفون شيئاً إلا وفيما أبقوا دليلاً ما على ما ألقوا))^(١١)، ويقوم دليل الحذف على قرائن مقابلة ومقامية^(١٢)، وقد ذهب ابن هشام إلى القول بمفهوم الاختصار والاقتران وليس الحذف^(١٣)، لما يُثار من تساؤل عن كيفية حصول الحذف الذي قد لا يسعف المقال أو المقام تعيينه.

ويؤيد الاستعمال اللغوي رؤية ابن هشام، إذ نلاحظ أن الحذف في بعضه لا يُسعه التركيب في معرفة المحذوف؛ لأنّ المحذوف لا يعتمد على المقال بل الحال مثل مقاصد المتكلمين وتداول كلامهم على الاختصار لمعرفة السامع بالمحذوف، وليس من دليل عليه في التركيب مثل أسلوب التحذير فلا يدل على حذف الفعل أي دليل من التركيب ((غير أن دلالة الحال نابت مناب اللفظ به، وكذلك قولهم لرجل مهُو بسيف في يده: زيداً، أي اضرب زيداً، فصارت شهادة الحال بالفعل بدلاً من اللفظ به))^(١٤)، ومن ذلك ما سمّاه النحويون بالسماع في بعض التراكيب، ومن قولهم "لا بأس" أو "لا شك" فيقَدَّر فيها حذف الخبر وما من دليل عليه في التركيب إلا معرفة المتكلم بالمحذوف من الخطاب المتداول، ومنه ما يقدر في عُرف النحويين بما يروونه مناسباً بتقدير "مثل، تقول: "مررتُ برجلٍ أسدٍ شدةً" ((إنما تريد مثل الأسد))^(١٥)، وتفسيره ((أي يشابه الأسد شدةً، فانتصاب "شدة" على التمييز عن نسبة "مثل" إلى ضمير مذكور))^(١٦)، فتقدير "مثل" ضرب من الافتراض يتوافق والاتساق في الجملة والربط بين عناصرها، لكن لا يوجد في التركيب ما يدل عليه، فلا ضمير مذكور، لذا أوجد المحذوف نسبة إلى افتراض المذكور، فهذا التقدير ليس لدليل عليه من التركيب.

والنحويون إذا التمسوا الدليل يقدرّون وإن وقع بعيداً، وذلك ((أنه إذا تقدّم ممّا يصلح للتفسير شيان فصاعداً، فالمفسّر هو الأقرب...، ويجوز مع القرينة، أن يكون للأبعد، نحو: جاءني عالمٌ وجاهلٌ، فأكرمته))^(١٧)، والتقدير بحسب القرينة: أكرمتُ



أثر السؤال والجواب في التحليل النحوي

الصحيح للاسم "ضارع"، ووصف هذه الحوارية بالحمل على المعنى، أي أنه حمل الكلام على معنى الافتراض المذكور، ولولا ذلك لكان محل الاسم النصب، أي: يُبَكِّ يَزِدُّ ضارعًا. وبهذا الحمل يكون الفاعل، فاعلاً في المعنى لفعل محذوف على ما تبين من السؤال والجواب الذي أعاد صياغة الجملة بأسلوب الخطاب.

واستقرَّ عند الرضي طريق التحليل بالسؤال والجواب في هذا البيت، وأفصح عن ذلك بقوله ((هذا أيضًا من جنس الأوَّل أي ممَّا القرينة فيه السؤال، إلا أنَّ السؤال ههنا مقدَّرٌ مدلولٌ عليه بلفظ الفعل المبني للمفعول؛ لأنَّه يلتبس الفاعل، إذن، على السامع فيسأل عنه فكأنَّه لمَّا قال: يزيد، سأل السائل: من يُبَكِّيه، فقيل: ضارعٌ، أي يُبَكِّيه ضارعٌ، والسؤال الأوَّل مصرَّحٌ به))^(٢٤)، ما أراد به من جنس الأوَّل هو دلالة السؤال على المحذوف من الجواب وهو ما ذكره عن نص ابن الحاجب قوله ((وقد يحذف الفعل لقيام قرينة، جوازًا في مثل: زيد، لمن قال: من قام))^(٢٥)، وهذا ما يقصده بأنَّ السؤال الأوَّل مصرَّحٌ به، إذا قال: من قام، فيكون الجواب: زيد، فقط، ولم يقل قام زيد، أمَّا السؤال الثاني عن "ضارع" لم يكن مصرَّحًا به فافترضه الرضي على نحو التداول بين المتكلمين ليحلَّ به صحة التقدير ورفع الاسم الذي صلح إعرابه فاعلاً لفعل محذوف في الجملة، فُدِّرَ الفعل المحذوف بدليل الفعل المبني للمجهول "يُبَكِّكُ" ممَّا جعل هذا الدليل صياغة السؤال والجواب سائغة في تحليل بنية النَّص وإرجاع المحذوف.

واللافت للنظر أنَّ الرضي اعتمد على مفهوم القرينة في التقدير وليس على دلالة التركيب على المحذوف، إذ مفهوم القرينة أوسع من المنظور التحليلي للدلالة على المحذوف من اعتماد سياق التركيب؛ لأنَّ من القرينة ما يكون مقالًا ومقاميًا، وبتوظيف القرينة جعل الرضي تقدير المحذوف قرينة خارجية أنشأها في ضوء التخاطب بين المتكلمين أمَّا غيره جعلها في ضوء الافتراض اعتمادًا على دلالة التركيب، لكنَّ يتَّحد التقديران في ضوء التحليل بالسؤال والجواب.

ولم ألاحظ من النحويين من قدرَّ المحذوف بعيدًا عن طريق التحليل بالسؤال والجواب في هذه المسألة^(٢٦)، غير أنَّ من لم يقدر، رجح الفعل على رواية المبني للمعلوم فلا حذف ولا تقدير للسؤال والجواب، وبذلك يكون "ضارع" فاعلاً للفعل المذكور في البيت الشعر المذكور آنفًا، وأوضح ابن هشام أنَّ ((الذي سوَّغ الحذف في هذا الموضع أنَّ الكلام يقع في جواب

استفهام مقدَّر))^(٢٧)، وبذلك فإنَّ الدلالة على المحذوف من دون صياغة السؤال والجواب متوقفة على رواية المبني للمفعول، أمَّا على رواية بناء الفعل "لبيك يزيد" على المعلوم ونصب "يزيد" فلا تقدير ولا تحليل في البيت المذكور آنفًا سوي نصب يزيد بضارع، أي إنَّ وجود المبني لمفعول يدلُّ على السؤال والجواب. وقد لا يصحَّح بالسؤال والجواب، بل يوضِّح التحليل في ضوء الحوار التخاطبي الذي يقوم على السؤال والجواب بين المتكلمين، ومن ذلك حذف الفعل ولاكتفاء بالفاعل، وذلك ((إذا قيل لك، من قرأ فتقول: زيد، التقدير: قرأ زيد))^(٢٨)، على أنَّ السؤال الذي ذُكر فيه الفعل أغنى عن ذكره في الجواب، وهذا الحذف لا يكون من الواجب؛ لعدم خضوعه لقاعدة ما، بل هو من الحذف الجائز للاستغناء الذي يكون من علم المخاطب، لكنَّ لم يقل النحوي لعلم المخاطب لطبيعة التحليل المناسبة القائمة على السؤال والجواب. ومن أمثلة حذف الفعل في ضوء الحوار التخاطبي القائم على السؤال والجواب، حذفه في سؤال نفي قيام الفاعل بالفعل في السؤال وإثبات القيام به في الجواب، إذ ((يصحَّ حذف فعله إن أُجيب به نفيًا، كقولك: بلى زيد، لمن قال: ما قام أحدٌ، أي بلى قام زيد أو استفهام محقق، نحو "نعم زيد" جوابًا لمن قال: هل جاءك أحدٌ))^(٢٩)، فالحذف حاصل في جواب الاستفهام خاصَّة، والاستفهام قائم على السؤال والجواب، فجاز الحذف؛ لأنَّه قائم على الحوار المباشر وليس لقاعدة ما، فهو حذف جائز؛ لذا لا يخلُّ ذكر الفاعل بالجملة لقيامه على الحوار التخاطبي، الذي يُعدُّ قرينة دالَّة على الحذف.

التناسب والتعيين والتطابق في الحذف

وفي حذف الفعل عندما يكون الجواب بالفاعل فقط، موضع جواز آخر جعل الفاعل مبتدأ، فيجوز فيه أن يكون مبتدأ خبره محذوف، وذلك في قولك: "زيد" في جواب من سأل "من قرأ"، قال ابن طولون ((ويجوز في «زيد» في المثال المذكور أن يكون مبتدأ محذوف الخبر، وهو أوجد، لمطابقة الجواب للسؤال، فإنَّ السؤال جملة اسمية))^(٣٠)، وجواز ذلك بحسب ما ذهب إليه ابن طولون بمفهوم المطابقة الذي أشار إليه في كلامه بجعل "زيد" مبتدأ خبره محذوف، وذلك أنَّ يكون التقدير على "زيد قرأ" فيكون تأخير الفعل في التقدير جملة تقع خبرًا للمبتدأ "زيد"، وقد أفاد ابن طولون هذا الجواز - أي الجواز في إعراب "زيد" مبتدأ في ضوء مفهوم المطابقة بين



على شقين: نحوي، لمراعاة التركيب في العطف لتأويل النص بعد "أما"، وآخر مناسبة للواقع اللغوي من السؤال والجواب لبيان الرفع بعد "أما"، وما أشار إليه الرضي من ترجيح النصب وفعلية جملة "أما" في نصه المذكور آنفاً "على النصب مع القرينتين المذكورتين" إنَّ القرينتين هما ((عطف الجملة التي بعدها على فعلية، وكونها جواباً لجملة استفهامية فعلية))^(٣٦)، فالذي ألفتناه أن التحليل الذي أجري في "أما" وتمييز جملتها بين الاسمية والفعلية أشرك فيه السؤال والجواب على أنه أداة تحليل تقابل التحليل القائم على القاعدة النحوية، فكان مفهوم المطابقة بين السؤال والجواب ملزماً للرفع.

وساق الجرجاني رأيه في مفهوم المطابقة مع "أم" وبيّن جانب اسمية الجملة وفعاليتها معها في ضوء التحليل بالسؤال والجواب و ((بيان ذلك أن قولك: "مَنْ قام" أصله: أقام زيدٌ أم عمرو أم خالدٌ، إلى غير ذلك، لا: "أزيدٌ قام أم عمرو أم خالد"؛ وذلك لأنَّ الاستفهام بالفعل أولى؛ لكونه متغيّراً، فيقع فيه الإبهام... وفي الحقيقة هي فعلية؛ فنّه بإيراد الجواب جملة فعلية، على أصل السؤال؛ فالمطابقة حاصلة حقيقة))^(٣٧)، أي مطابقة سوق السؤال في ضوء الجواب، أمّا أن تكون جملته اسمية، وأمّا أن تكون فعلية أي في ضوء ما يتصدره الاستفهام في صوغ جملة التركيب، ومن ذلك تعيين النصب دون دوران المسألة بين الرفع والنصب، عند قيام المسألة في ضوء السؤال والجواب، يتعيّن النصب ويترك الرفع ((ويختار النصب أيضاً، إذا كان الكلام جواباً عن استفهام بجملة فعلية، كما إذا قيل: رأيت أحداً، أو أيّهم، أو غلام أيّهم رأيت، فتقول: زيداً رأيت، وإمّا كان النصب أولى ليطلق الجواب السؤال في كونهما فعليتين، وكذا إذا قيل: أضرب الزيدان أحداً، قلت: زيداً يضربان؛ لأنّ معناها: أضرب الزيدان أحداً، فهو مقدر بالفعلية))^(٣٨).

وللسؤال الواقعي أثره الواضح في بيان الرفع والنصب، إذا كان من واقع التركيب وليس في افتراضه — أي السؤال — تقول ((زيدٌ كم مرة رأيت وأنت تريد "رأيت" ولم يكن هذا بمنزلة قولك: "زيدٌ رأيت"؛ لأنك لم تأت بعد المبتدأ بشيء يحول بينه وبين الفعل، وهو الاستفهام))^(٣٩)، فوجود "كم" في موضع الخبر عند الابتداء بالاسم يحتاج إلى ضمير رابط في الجملة يعود على الاسم، لكن صياغة التركيب على نحو السؤال أنزل جملة "زيدٌ كم مرة رأيت" منزلة التركيب في "زيدٌ رأيت" الذي ذكر فيه؛ وعلة هذا التركيب إنّه لم يفصل

السؤال والجواب، فإذا ابتدئ بـ "زيد" صارت الجملة اسمية يقدّر لها الخبر، وهو ما دلّ عليه السؤال "مَنْ قرأ"، فيتحوّل التقدير من الجملة الفعلية إلى الجملة الاسمية.

والذي يبدو أن الحذف للفعل أنتم في الجملة بوصفه مسنداً وركناً فعلياً اسند إليه الفاعل؛ لأنَّ السؤال أُريد به الإخبار عمّن قام بالفعل لا الإخبار بالفعل الذي قام به المخبر عنه، فالسؤال يراد به الاستفهام عمّن قام بالفعل، فدلالة جملة "قرأ زيد" تختلف عن دلالة "زيدٌ قرأ"، وقد جرت الصياغات التركيبية على إرادة الفاعل عندما يكون السؤال بالفعل وأنَّ إرادة الجواب تبحث عن الفاعل لا الإخبار بالجملة الفعلية، ومن ذلك قوله تعالى {وَلَيْسَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} ^(٤١)، لذا ترد الإجابة بالفعل في مواضع أخرى، ومن ذلك قوله تعالى {وَلَيْسَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ} ^(٤٢)، فإذا كان ثمة مناسبة لتعيين الجواب على أنه جواب بالفاعل أو جواب بالمبتدأ، أمكن فيه الرجوع إلى سياق الكلام في تعيين أحدهما لا القطع بأحد الإعرابين دون لآخر.

شاع على نحو القاعدة بين النحويين أنَّ الأصل في الجواب أن يكون مطابقاً للسؤال الموجه إلى المخاطب^(٤٣)؛ فإذا قيل: مررتُ بزيد، يستفهم عنه فيقال: مَنْ زيدٌ، وذلك ((إنَّ السؤال جملة اسمية صورة، وفعلية حقيقة))^(٤٤)، فيأتي الحذف في ضوء التركيب باعتماد الدليل على المحذوف، ويقع ذلك بما لا يحدث لبساً أو مخالفة القاعدة النحوية.

وفي ضوء التطابق يتلقّف النحويون التأويل في الحذف على وفق التحليل النحوي في ضوء السؤال والجواب الذي يفترضونه من واقع اللغة جرياً منهم إلى الإشارة إلى أصل الحوار التخاطبي بين المتكلمين، ومن ذلك ما ذكره الرضي في جواب "أما" ((فإنّما يرجح الرفع معها على النصب مع القرينتين المذكورتين؛ لأنَّ ترجيح النصب في مثلها يعيّر "أما" إنمّا كان لمراعاة التناسب بين المعطوف والمعطوف عليه في كونهما فعليتين، نحو قام زيدٌ وعمراً أكرمته، أو لقصد التناسب بين السؤال والجواب في كونها فعليتين، نحو زيداً أكرمته في جواب من قال: أيّهم أكرمت فإذا صدّرت الجملتان بـ "أما" نحو: قام زيدٌ، وأمّا عمرو فقد أكرمته... فإنَّ "أما" من الحروف التي يبتدأ بعدها الكلام ويستأنف، ولا ينظر معها إلى ما قبلها فلم يمكن قصد التناسب معها))^(٤٥)، فالتحليل النحوي في ضوء هذا النص قائم



أثر السؤال والجواب في التحليل النحوي

مع "نَعَمْ وَبِئْسَ" بل لجأ إلى طبيعة التداول في الكلام الجارية على السؤال والجواب في تحليل الكلام وإيجاد المحذوف، وجعل الرأي الذي يقول بحذف الخبر في ضوء السؤال والجواب رأياً يوازي الرأي الذي يُجَوِّز جعل الفعل والفاعل خبراً مقدماً وما بعده المبتدأ.

وقد يقدَّر حذف المبتدأ في ضوء السؤال والجواب، فيما نجدته يشترك في احتمال إعراب اللفظ بدلاً، وذلك في قول سيبويه ((إذا قلت: عليها مثلها زيد، فإن شئت رفعت على البدل، وإن شئت رفعت على قول "ما هو"؟ فتقول: زيد أي: هو زيد))^(٤٤)، فالتخيير الذي أجراه سيبويه قائم على تحليل الكلام لإزالة الإبهام في الجملة، كأنَّ المسألة "عليها مثلها" لا تؤدي غرضها من المعنى، فمجيء "زيد" يتمم معنى الكلام ويوضحه وذلك يكون فيه "زيد" مرفوعاً وهو أقرب في الظاهر إلى الخبر من البدل، لكن لا يوجد مسوغ للإخبار به، فجاء التحليل بالسؤال والجواب ليبيِّن محلَّ التقدير المناسب، فقدَّر الضمير هو "ليحلَّ محلَّ المبتدأ ويكون "زيد" خبراً له.

حذف المبتدأ وإقامة المصدر المؤول مقامه

يأتي المصدر المؤول من "أن والفعل" خبراً وهو مسالة سائغة على أنه اسم ومن ذلك قوله تعالى {يَسِّرْ لِي سَبِيلَ الْبِرِّ أَنْ تَوَلَّوْا وَجْهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ}^(٤٥)، على أنَّ المصدر المؤول في محلَّ رفع اسم ليس، وقد أفاد سيبويه تحليل المبتدأ المؤول من "أن والفعل" في ضوء السؤال والجواب، في قوله تعالى {بِسْمَا اسْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا}^(٤٦)، قال سيبويه ((وقال جلَّ ذكره: "بِسْمَا اسْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ" ثم قال: أن يكفروا على التفسير كأنه قيل له ما هو فقال: هو أن يكفروا))^(٤٧)، ففسر الكلام على السؤال والجواب فصاغ المبتدأ في ضوئه على أنَّ ضمير محذوف أقيم المصدر مقامه، ولو ذُكر الضمير لكانت جملة واقعة خبراً، إذ تكون الجملة المفترضة "هو أن تفعلوا" جملة مفترضة في ضوء السؤال والجواب تعرب من الضمير المبتدأ وخبره المصدر المؤول.

ولا نستطيع أن نهتدي إلى هذا التحليل بحسب قاعدة ما أو مجيء الاستعمال على هذه الشاكلة أي وقوع المبتدأ ضميراً خبره المصدر المؤول، لكننا ألفينا هذا التحليل يحاكي الخطاب التحاوري المكوّن من السؤال والجواب، وكأنَّ المسألة مرتبطة بتداول المتكلمين، فجعل المصدر المؤول "أن تولوا" في محل المبتدأ.

بين المبتدأ "زيد" والخبر "رأيتَه" بفصل، أمَّا جملة زيد "زيد كم مرة رأيت" سوَّغ فيه عدم ذكر الضمير العائد على السؤال نفسه، فشكّل واقع السؤال أداة تحليلية يسوَّغ بها الكلام في ضوء ما يسوَّغ من ضمن القاعدة، فجاز إعراب "زيد" خبراً في جملة الاستفهام بـ "كم" وجملة "كم" وما بعدها خبراً؛ لأنَّ ظاهر الكلام يوجب نصب "زيد".

حذف مفعولي ظنّ

تنصب ظنّ مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر وقد يلحقها الإلغاء أو التعليق في مواضع أشار إليها النحويون على خلاف في إلغاء عملها^(٤٨)، وقد يحذف مفعولي ظنّ وأخواتها لا لقاعدة موضوعة وإمّا المسألة تتعلّق بسياق الكلام عند الحوار والتخاطب القائم على السؤال والجواب أي في مواضع استفهام المتكلم وطلب الإجابة من المخاطب، وشرط الحذف هو دلالة الدليل عليه وليس من دليل إلا الحوار القائم على السؤال والجواب ((فمثال حذف المفعولين للدلالة أن يقال: "هل ظننتَ زيداً قائماً؟" فتقول "ظننتُ"، التقدير ظننتَ زيداً قائماً، فحذف المفعولين لدلالة ما قبلهما عليهما))^(٤٩)، والدليل عليه هو السؤال الموجه إلى المخاطب وليس القاعدة، قال ابن طولون ((وفهم من ذلك أنه يجوز حذفهما أو حذف أحدهما إذا دلَّ على الحذف دليل، وهو الحذف على جهة الاختصار)^(٤٢)، فالسؤال علامة دالة على جواز الحذف فحذف المفعول به في ضوئه؛ لأنَّه دليل على الحذف، فيأتي التقدير مطابقة لما سئل به فالسؤال من محددات التقدير.

ثانياً: الحذف في الجملة الاسمية

حذف المبتدأ في جملة نَعَمْ وَبِئْسَ

ذهب النحويون إلى أكثر من إعراب في أسلوب المدح والذم بالفعل "نَعَمْ وَبِئْسَ" فقولنا: "نَعَمْ الرجلُ محمدٌ" احتمال الإعراب أن جملة " نعم الرجل" خبراً مقدماً للمبتدأ المؤخر "محمد" وقد يكون "محمد" خبراً لمبتدأ محذوف والتقدير: هو محمد.

ولكن طريقة التحليل في تقدير المبتدأ المحذوف اتجهت إلى التحليل بالسؤال والجواب عند ابن جني في هذا الموضع، فقد عَصِدَ الإعراب على المبتدأ المحذوف، قال ((وذلك قولك: "نَعَمْ الرجلُ زيدٌ، وبئس الغلامُ جعفرٌ، فالرجل بفعله، وزيدٌ مرفوع؛ لأنَّه خبر مبتدأ محذوف، كأنَّ قائلاً قال: مَنْ هذا الممدوح، فقلت: زيد، أي: هو زيد، وإن شئتَ كان زيدٌ مرفوعاً بالابتداء وما قبله خبرٌ مرفوع عنه))^(٤٣)، فلم ينظر بتقعيد على نحو الوجوب أو الجواز في حذف المبتدأ



حذف خبر لا النافية للجنس

قد يحذف الخبر من الجملة، وجوباً أو جوازاً في مواضع^(٤٨)، ومن ذلك حذف خبر "لا" النافية للجنس، قال ابن عقيل ((إذا دلّ دليل على خبر "لا" النافية للجنس وجب حذفه عند التميميين والطائيين، وكثر حذفه عند الحجازيين، ومثاله يقال: هل من رجل قائم فتقول: لا رجل. وتحذف الخبر وهو "قائم" وجوباً عند التميميين والطائيين، وجوازاً عند الحجازيين، ولا فرق في ذلك بين أن يكون الخبر غير ظرف ولا جار ومجرور كما مُثِّلَ أو ظرفاً أو جاراً ومجروراً، نحو أن يقال: هل عندك رجلٌ أو هل في الدار رجلٌ، فتقول: لا رجل))^(٤٩)، في هذا الموضع اتجه الحذف في ضوء السؤال والجواب إلى إعطاء الحكم على التركيب، فدار بين الوجوب والجواز، وفي ذلك تأصيل للسؤال والجواب في قبال ما يقاس عليه من الكلام فيحكم عليه، فيكون واجباً أو جائزاً، فقولنا: "لا رجل" جواب لمن قال: "هل عندك رجلٌ" فحذف الخبر على أن التقدير: "لا رجلٌ عندي" إذ سَوَّغ حذف الدليل عليه وهو سؤال السائل وليس القاعدة، وكذا المسألة فيما لم يكن الخبر ظرفاً أو جار ومجرور، نحو: "هل من رجلٍ قائمٍ فتقول: لا رجلٌ".

حذف الجار والمجرور الواقع خبراً

يكثر الحذف في اللغة للجار، ويُصَبَّ مجروره على نزع الخافض، وقد يُحذف الجار لقاعدة نحوية يقاس عليها الكلام أو السماع الوارد فيه، ومن ذلك حذفه بعد "هلاً" وبعد "كم" المسبوقة بحرف الجر، ومع "أن" المصدرية، ومع المعطوف على خبر "ليس" بما يسمّى عطف التوهم وغير هذه المواضع^(٥٠)، ويندرج السؤال والجواب من ضمن هذه المسائل في حذف الجار، فقد يحذف ((في جواب سؤال اشتمل على حرف مثل الحرف المحذوف، نحو "زيد" في جواب مَنْ قال: بَمَنْ اهتديت))^(٥١)، فالحذف حاصل في ضوء التخاطب بين المتكلمين أي في ضوء التداول على نحو السؤال والجواب، فكان الجواب على: "زيد" وليس "زيد".

ونجد مَنْ يُحَلِّل الحذف للجار والمجرور بعيداً عن التنظير النحوي أو القاعدة النحوية، فيُحال التحليل إلى مفهوم الحوار والتداول بالسؤال والجواب، كأنَّ الحال يُغني عن الذكر، ومن ذلك معرفة المفضل من في استعمال أفعال التفضيل، فلا بُدَّ من معرفة المفضول إذا حُذِف، فإذا ((خلا عن ذِكْرِ المفضل عليه فلا يتم فهم المقصود الأهم من وضعه، وإذا عَلِمَ

المفضول جاز حذفه غالباً، إن كان أفعال "خبراً"، كما يقال لك: أنتَ أسنُّ أم أنا، فتُجيب بقولك: أنا أسنُّ، ومنه قولنا: الله أكبر...يقال أن "من" مع مجروره محذوف، أي: أكبر من كل شيء، ويقال الحذف في غير الخبر، نحو: جاءني رجلٌ أفضل. في جواب من قال: ما جاءك رجلٌ أفضل من زيد، كأنه لما كان حذف الخبر أكثر من حذف الوصف))^(٥٢)، فعَلِمَ الحذف من السؤال والجواب، فيلس في التركيب دليل عليه، فالكلام يُشعر بوجود الحذف ولا بُدَّ من دليل عليه، وهما أن التركيب لا يُسَعَف بقاعدة نحوية، فجعل السؤال والجواب مقدّمة لمعرفة المحذوف، فأمكن بعد معرفة الطريق الذي حذف فيه الخبر أو الصفة أن نصوغ القاعدة للحذف، فجاز حذف الخبر مع أفعال التفضيل وكذا الصفة، وعلة ذلك علمُ المخاطب من الحال الذي مثله السؤال والجواب، وليس على نحو دليل التركيب نحو: لا رجلٌ فيها ولا امرأة، أي لا امرأة فيها".

المبحث الثاني

السؤال والجواب في مسائل نحوية متفرقة
واو القسم

وُجِّه التحليل النحوي عند القسم أن يكون للسؤال والجواب ما يرتبط بطريقة القسم بواو القسم مع لفظ الجلالة، والقسم بالواو هو الأصل وأم الباب في القسم، ويقسم بغيره من الحروف فتقول: بالله، تالله، إلا أن القسم بالواو عندما يكون المتكلم متحدثاً من دون أن يسأله سائل، فهو إمعان النفس وتأكدها من الفعل أو الخبر الذي يقوم به المتكلم، فتؤكد كلامك في ضوء الحديث لا السؤال ((ولو حدثت عن شمائل رجل فصار آية لك على معرفته، لقلت: عبدالله، كأن رجلاً قال: مررت برجل راحم للمساكين بارٌّ بوالديه، فقلت: فلان والله))^(٥٣)، فلم يكن الكلام على طريقة السؤال بـ "هل عبدالله بارٌّ بوالديه راحمٌ للمساكين" بل هو سماعك الحديث عن رجل له الصفات المذكورة آنفاً، فجاء القسم بالواو؛ لأنه ليس جواباً للسؤال، بل وقع من ضمن الحديث، وقد ذكر الرضي حُكم القسم بالواو في السؤال والجواب، بقوله ((ألا تستعمل في قسم السؤال، فلا يقال: والله أخبرني، كما يقال بالله أخبرني))^(٥٤)، كأنَّ السؤال: هل أخبرك زيدٌ، فلا يقال والله أخبرني، بل يقال: بالله أو تالله؛ لأنَّ السائل لا يريد تأكيد الكلام لنفسه؛ لأنه واجه سؤالاً من متكلم، فيكون الجواب مؤكداً مبتدأً بالقسم بغير "الواو"، وكأنَّ هذا الأسلوب سليقة في كلام العرب عندما



أثر السؤال والجواب في التحليل النحوي

السؤال والجواب بحرف يميّزه وهو الباء أو التاء أو الواو، فصورة التحليل النحوي التي تسوّغ نوع القسم في مقام، ولا تسوّغه في مقام آخر قائمة في ضوء السؤال والجواب.

قال سيبويه ((ومما يبيّن لك أنّ الصفة لا يقوى فيها إلّا هذا أنّ سائلًا لو سألك هل سير عليه؟ قلت: نعم سير عليه شديدًا وسير عليه حسنًا، فالنصب في هذا على أنّه حال، وهو وجه الكلام؛ لأنّه وصف السير، ولا يكون فيه الرفع؛ لأنّه لا يقع موقع ما كان اسمًا))^(٦٣)، ظاهر ما يريد أن يبيّنه سيبويه عدم وقوع شديدًا صفة للسير؛ لأنّه الرفع يكون لموصوف محذوف، وأوضح السيرافي المسألة بقوله ((و لا يحسن أن تقول: "شديد" على معنى "شدد شديد"؛ لأنك لن تأتي بالموصوف وضعف، و "شديدًا وحسنًا" حال من السير، قد أقيم مقام الفاعل فكأنك قلت: سير عليه السير الشديد))^(٦٣).

نصب الاسم على أنّه حال أو مصدر

قد يكون يحتمل في الاسم المنصوب أكثر من إعراب، فلا تعيّن قرينة الحركة الإعرابية أحدهما، فيكون لقرينة السؤال والجواب أثرها في تعيين إعراب المناسب للعنصر الكلامي، ومن ذلك ما ذكره، سيبويه بقوله ((إذا قلت: فإذا هو يصوت صوت حمار، فإن شئت نصبت على أنّه مثال وقع عليه الصوت، وإن شئت على ما فسّرنا وكان على غير حال، وكأنّ هذا جواب لقوله على أي حال وكيف ومثله، وكأنّه قيل له كيف وقع الأمر أو جعل))^(٦٤)، في ضوء هذا النّص احتمل في الاسم "صوت" ثلاث حالات إعرابية، فاحتمل أن يكون حالاً أو مصدرًا أو أنّه منصوب بفعل محذوف، واندرج هذا الاحتمال في ضوء ما فسّره سيبويه بافتراض السؤال والجواب، عند قوله "وكانّه قيل له كيف وقع الأمر أو جعل"، وما أشار إليه بقوله "وإن شئت على ما فسّرنا" أراد به تقدير "مثل" في الكلام، أي "مثل صوت حمار" أو حذف "مثل" فيقوم المصدر "صوت" مقامه، وعنده إن ذكر "صوت" في الكلام أحسن^(٦٥)، ويبدو لي أنّ حذف "مثل" من الكلام قاد سيبويه إلى افتراض السؤال والجواب ليحلّ به النصب الوارد وبيان دوران إعراب "صوت" بين المفعول به أو الحال أو المصدر، فقد يكون الكلام جوابًا عن سؤال بـ"على أيّ حال يصوت" أو كيف هو يصوت" أو "مثل أي صوت يصوت" فيأتي الجواب في ضوء السؤال بما يحمله المتكلم في نفسه من القصد وما يبيّنه حال المتكلمين من استغناء عن ذكر المحذوف؛ وذلك ((أنّ

يريد المتحدث الكلام عن نفسه أو إخبار غيره بالكلام من دون أن يكون أسلوب الكلام على نحو السؤال والجواب، فيقسم بـ"الواو" من دون سؤال، وبغيرها إن كان سؤالًا؛ لذا سمّي هذا القسم بقسم الأخبار في قبال قسم السؤال أو الطلب^(٦٥)؛ لأنّ كلامه يكون جزمًا.

لذا يكون القسم بغير "الواو" عندما يكون الحوار جاريًا بين المتخاطبين وأراد المتكلم تأكيد الكلام للسمع الذي يكون سائلًا، ومن ذلك قوله تعالى {وَتَاللّٰهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ} ^(٥٦)، فالحوار في الآية جاري بين نبيّ الله إبراهيم وقومه، فجاء القسم مؤكّدًا لما جرى من الحوار والتخاطب، ومن ذلك قوله تعالى {قَالُوا تَاللّٰهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يَوَسَّفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ} ^(٥٧)، فجاء القسم بالتاء؛ لأنّ القسم أتى به في ضوء الحوار والتخاطب على نحو السؤال والجواب وبداية الحوار والتخاطب من قوله تعالى {ارْجِعُوا إِلَىٰ أَيْبِكُمْ فَفَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ} ^(٥٨) فجاء الردّ عليهم {بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا} ^(٥٩)، فكشفت النصوص القرآنية عن حوارية الخطاب من السؤال والجواب عن حال يوسف من أبيه.

وفي ضوء ما تقدّم نلاحظ أنّ القسم مع الواو يكون جوابًا في الأخبار سواءً أكان ردًا على حديث المتكلم من دون سؤال موجه إليه مباشر بجملته معيّنة، مثلما لحظناه بما لا يقال به في "والله أخبرني"، عندما يكون القسم حديثًا مبتدأ به من المتكلم نفسه، والتعبير القرآني شاهد على هذا النحو من القسم، فجاء القسم منه عزّ وجلّ مبتدأً به بالواو، ومن ذلك قوله تعالى {وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ} ^(٦٠)، وقوله تعالى {وَالتَّيْنِ وَالزَّيْتُونِ} ^(٦١)، وغيرها من الآيات التي ابتدأت بالقسم، أمّا مع وجود السؤال والجواب يكون القسم بغير الواو، ويمكن أن يُمثّل عددًا من الجمل المستعملة بحسب ما مرّ من جمل وقع فيها القسم بالواو أو التاء أو الباء في ضوء التحليل بالسؤال والجواب، على النحو الآتي:

- هل أخبرك زيد بالخبر، جاز الجواب على: نعم أخبرني أو بالله أخبرني أو أقسم بالله أخبرني.
- هل أخبرك زيد بالخبر، لا يجوز الجواب على: والله أخبرني.
- والله لأخبرنّ زيدًا، عندما تكون متحدثًا عن نفسك وتريد أن تخبر غيرك من دون أن يسألك سائل.
- زيدٌ والله، عندما تسمع من متكلم يتكلم عن شمائل زيد.
- فيتحدّد نوع القسم بحرف القسم في ضوء



فاعل إذا كان حالاً، ألا ترى أنه لا يحسن أننا سرعة ولا أننا رجلاً، كما أنه ليس كل مصدر يستعمل في باب سقياً وحمدًا، واطرد في هذا الباب الذي قبله؛ لأن المصادر هناك ليس في موضع فاعل))^(٧٠) بعد أن عرض سبويه المصادر التي تقع حالاً والمصادر التي لا تقع حالاً وإن جاءت على الصياغة نفسها، لكنها تفتقر فيما بينها من جانب أن "صبرًا، وفجأة" تدلّان على فاعل أوقع الحدث، أمّا "سرعة، ورجلة" لا تدلّان على فاعل الحدث، وليس تمييزه بين المصادر بالفاعل إرادة نصبها بالفعل، فهي منصوبة بالأفعال، لكن سبويه يشير إلى حمل المصدر معنى الفاعل، وأضح الأعلام الشمنتري قصده بقوله ((كأنه قال أتيت ماشيًا، وقتلته مصبورًا، إذا كان حالاً من الهاء. وإن كان من التاء فتقديره صابرًا))^(٧١)، ثم بين سبويه الفارق الذي يمكن عن طريقه تمييز المصادر التي تقع حالاً في الباب الذي ذكره، وذلك ((أن هذا الباب أتاه النصب كما أتى الباب الأول، ولكن هذه جواب لقوله: كيف لقيته؟ كما كان الأول جواباً لقوله لِمَه؟))^(٧٢)، فجعل سبويه السؤال والجواب فاصلاً للتشابه الحاصل بين المصادر ولا بد من مائز بينها ليقع بعضها حالاً وبعضها الآخر مصادر غير دالة على الحال، فهذا النصب واقع في ضوء النصب على السؤال، فلا يتضح نصب "صبرًا" في قوله: قتلته صبرًا، على فرض السؤال "لِمَه قتلته" بل على "كيف قتلته" فيقع بـ "كيف" فيكون حالاً، أمّا جواب السؤال بـ "لِمَه" فيكون مفعولاً لأجله.

وأحسب أن فرض السؤال والجواب في بيان النصب بـ "كيف" يغني عن القول إن الحال على تأويل مشتق، أي على "مصبورًا" على ما ذكره الشمنتري، وذلك فقد فسّرنا كلام سبويه أنه جعله حالاً على تأويله بالمشتق، أي على "صبورًا". لكن الذي نراه أن الجواب في ضوء السؤال لا يوجب تأويله بالمشتق.

ضمير الشأن أو القصة

يُقَدَّرُ ضمير الشأن لتفسر به الجملة، وقد يُذكر في الكلام ((وهذا الضمير لا يكون تفسيره إلا من بعده، ولو تقدّم تفسيره قبله لما احتاج إلى تفسير، ولما سمّاه الكوفيون بالجهول))^(٧٣)، وساق ابن الحاجب كلامه بما يُمكن النحوي تحليل الكلام خارج سياق الجملة ليكشف عن توظيف مسوغات الكلام بما يستطيع أن يفترضه النحوي من كلام يُفسر به الكلام، قال في إضمار ضمير الشأن عند المتكلم ((فكأنه أضمره لتقدّم أمر يدلّ عليه وهو ذلك العهد السابق))^(٧٤)، وهذا العهد السابق وظفه النحويون بتقدير الكلام على السؤال

الكلام صفة قائمة في نفس المتكلم يُعَبَّرُ للمخاطب عنه بلفظ أو لحظ، ولولا المخاطب ما احتيج إلى التعبير عمّا في نفس المتكلم، فإذا تقدّم في الكلام اسم ظاهر ثم أُعيد أو مآً المتكلم إليه بأدنى، لفظ، ولم يحتج إلى إعادة اسمه لتقدّم ذكره، فإذا أضمر في نفسه – أي أخفاه – ودلّ عليه بلفظة مصطلح عليها، سمّيت تلك اللفظة اسمًا مضمراً، لأنها عبارة عن الاسم الذي أضمر استغناءً عن لفظه))^(٧٥)، لذا يركن النحوي إلى طريق الاستعمال اللغوي المُسَوَّق في ضوء التعامل الذي يقوم على تداول المتكلمين من سؤال وجواب، ليصحّ مسار التركيب بما يطرأ عليه من تغيير أو ما يستوقفه من كلام يتعد عن مفهوم البناء والعمل.

لذا نجد السيرافي قد وظّف تحليل الكلام في ضوء نظرية العامل، بعد أن جعل جملة "إذا هو يصوت صوت حمار" كلامًا مفترضًا يفسر به جملة "له صوت" إذ ((يجوز أن يكون انتصابه بفعل يدلّ عليه "له صوت"؛ لأن "له صوتا يدلّ على أنه يصوت وينوب عنه؛ فكأنه قال: مررت برجل إذا هو يصوت صوت حمار، ويكون "صوت حمار" على هذا التقدير منصوبًا بالمصدر إن شئت، وإن شئت على أنه حال^(٧٦)، وأحسب أن التحليل الذي لجأ إليه السيرافي يختلف كثيرًا عمّا لجأ إليه سبويه، فسبويه جعل جملة "إذا هو يصوت صوت حمار" مفسرة بفرض السؤال والجواب؛ لأن هذه الجملة "جواب لقوله على أي حال" ففسر النصب في ضوء السؤال المفترض أو ما دلّ عليه قصد المتكلمين، أمّا السيرافي فقد جعل جملة "إذا هو يصوت صوت حمار" مفسرة لجملة أخرى.

ويكاد سبويه يتفرد في تحليل هذه المسألة في ضوء السؤال والجواب، فقد أشار المبرد إلى أن الرفع في "صوت" يدلّ على أن الكلام ليس فيه استغناء ولم يُبين كيف يمكن الاستغناء الذي يجوز فيه النصب^(٧٧)، وقد اكتفى الرضي في بيان النصب على تقدير مثل أنه نصب على المصدر التشبيهي^(٧٨)، ولحلّ هذه المسألة بما لم يبينه بعض النحويين فإن افتراض السؤال وصوغ الإجابة في ضوءه أوضح طريق تقدير وظيفة العنصر الكلامي.

ومن مسائل دوران الاسم بأكثر من حالة اعرابية، ما ذكره سبويه بقوله ((هذا باب ما ينتصب من المصادر على أنه حال فانصب لأنه موقوع فيه الأمر، وذلك قولك: قتلته صبرًا ولقيته فجأة... وليس كل مصدر وإن كان في القياس مثل ما مضى من هذا الباب يوضع هذا الموضع؛ لأن المصدر ههنا في موضع



أثر السؤال والجواب في التحليل النحوي

عظيمة الشأن اعتمادًا على الآية الأولى من سورة الإخلاص قول مردود جملة وتفضيلاً؛ لأنّ فيه إقحاماً للاعتبارات الدينية في المسائل اللغوية. إنّ الفخامة أو القوة في المعنى في هذه التراكيب لا علاقة لها بمضمون الجملة من قريب أو بعيد، وإنّما يرجع ذلك إلى ناحية أسلوبية تركيبية صرفة، ألا وهي الإبهام والإجمال ثمّ البيان والتفصيل^(٧٩)، وأحسب أنّ إطلاق الرأي بنفي دلالة ضمير الشأن فيه جزاف القول، ولاسيّما عندما نلاحظ رجوع طريق التحليل في الاستعمال اللغوي إلى حيّز الحوار والتخاطب فإنّ ذلك يرجع إلى أسلوب الاستعمال بما عهدّه المستعملون، فقد يكون طلب التفسير عن المبهم عنه يحتاج إلى التعظيم وقد لا يحتاج، والتعظيم قد لا يتأتّى من الألفاظ المستعملة بل من الحال الحاكمة، ولو وازناً تبيّن جمل متعدّدة، فنقول في رجل: هو الأمير قادم، ونقول في جيش: هو الإعصار قادم، ونقول في شيء: هو الذباب قادم، فساع لنا القول إنّ الجملة الأولى للتعظيم، والثانية للتهويل، والثالثة للتحقير، وكل ذلك قد يعتمد على أسلوب السؤال والجواب فضلاً عن الكلمات الني قد تصلح أن يمتدح بها أو يذمّ، فقد يفرض السؤال بأسلوب وطريقة إلقاء فيها تعظيم وكذا الجواب، قال سيبويه ((والتعجب كقولك: هذا الرجل، وأنت تريد أن ترفع شأنه))^(٨٠)، فليس في: هذا الرجل، أي تعجب، بل إنّ بطريقة الإلقاء، وتعارف المتكلمين يجيء اسم الإشارة مع الاسم العلم ليدلّ على التعجب وليس فيه أسلوب يدلّ على التعجب، إذ التعجب يبدأ بصيغته "ما أفعله" و "أفعل به"، ولو عدنا إلى التحليل النحوي لجملة ضمير الشأن لوجدنا هذه المسألة النحوية راجعة إلى الظروف المحيطة بالكلام وليس إلى سياق التركيب نفسه، ولاسيّما أنّ ضمير الشأن يأتي لوجود الإبهام وطلب التفصيل، فهذا يحمل من التفصيل التعظيم أو التهويل، ف "الجلبة والضوءاء وحقيقة المسؤول عنه" كلّ هذه الظروف خارجة عن حيّز اللغة حملت معنى التعظيم الذي فسّر به ضمير الشأن، وقد تكشف ألفاظ التركيب عن هذا التعظيم، فسورة الإخلاص فيها ألفاظ "أحد، الصمد، لم يلد، لم يولد، كفوًا أحد" فهي ألفاظ كوّنت جملة مفسّرة للمفسّر وهو ضمير الشأن، فهذه موازنة بين التعظيم في سياق التركيب وسياق الحال، فالتعبير بـ "الأمير قادم" جائز، والتعبير بـ "هو الأمير قادم" جائز، والتعبير بـ "الأمير" جائز؛ لأنّ السؤال: من القادم، لكنّ صيغة التعبير تابعة إلى قصد الدلالة، والاعتماد على الائتلاف اللغوي

والجواب، وكان للرضي التصريح بهذا التوظيف، بقوله ((وهذا الضمير كأنه راجع في الحقيقة إلى المسؤول عنه بسؤال مقدّر، تقول مثلاً: هو الأمير مقبل، كأنه سمع ضوواء وجلبة، فاستفهم الأمر فسأل: ما الشأن والقصة؟ فقيل هو الأمير مقبل، أي الشأن هذا، فلما كان المعهود عليه الذي تضمّنه السؤال، غير ظاهر قبل، اكتفى في التفسير الذي يتعقبه بلا فصل؛ لأنّه معيّن للمسؤول عنه، ومبيّن له))^(٧٥)، فأمكن للمتكلم الاكتفاء بذكر الإخبار على: الأمير قادم، لكن ذكر الضمير لم يكن عن غير قصد، فهو من الجانب النحوي يشغل موقعاً إعرابياً ممثلاً ركناً في الجملة يُبنى عليه غيره وإن كان كما أشرنا إلى إمكان الاستغناء عنه إذا كان الكلام جواباً، فهو من الجانب النحوي يشغل موقعاً يُبنى عليه، وهو بهذه الحال ممثّل الجانب الآخر من وجوده في الجملة وهو الجانب الدلالي، فالكلام على "أي الشأن هذا" فيه إشارة، وهذه الإشارة موضع اهتمام وعناية، فالضمير فيه إبهام ولا بدّ من تفسير، ليتضح بعد ذلك أنّ ((الضمير لم يؤتّ بها لمجرّد التفسير، بل هي كسائر أخبار المبتدآت... والقصد بهذا الإبهام ثنّ التفسير: تعظيم الأمر، وتفخيم الشأن، فعلى هذا لأبّد أن يكون مضمون الجملة المفسرة شيئاً عظيماً يُعنى به، فلا يقال مثلاً، هو الذباب))^(٧٦)، أي ليس كل كلمة يمتدح بها، فمجيء الألفاظ مع ضمير الشأن تحمل في مضمونها المدح، فالاسم وحده بما يتعارف عليه عند المتكلمين يُبمّ عن صفة تعظيم، فالتعريف بالأمير غير التعريف بالخادم، وكذا "الذباب" فإذا أردت التعريف والمدح فلا تجد في الذباب صفة تعظم بها.

وخصّ ضمير الشأن بالغائب؛ ((لأنّ الشأن معهود في الذهن وهو غائب، وإنّما وصّفوه مبهمًا لغرض التعظيم والتهويل في الشأن والقصة، لأنّ الشيء إذا أبهم أولاً ثمّ فسّر ثانياً، كان أوقع في النفس من ذكره مفسّراً من أوّل الأمر))^(٧٧)، وأحسب أنّ العهد الذهني أقرب طريق إلى تسويغ التحليل بالسؤال والجواب فيكون السؤال مألوفاً لأنّه يحتاج إلى تفسير، ولا سيّما إذا كان السائل خالي الذهن من معرفة ما يسأل عنه أو يحتاج إلى تفسيره، واللغة بطبيعتها لغة حوار وتخاطب بين متكلمين فالسؤال والجواب يكوّنان شرطاً كبيراً في التعبير عن أغراض المتكلمين.

واستوقف بعض الباحثين نفي دلالة التعظيم في ضمير الشأن، ونصّ أحدهم على ذلك في ضوء قوله تعالى {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}^(٧٨)، بقوله ((فالقول بأنّ ضمير الشأن لا يدخل إلّا على جملة



تعريفًا فقط، مثلما نستطيع في ضوئه التحليل بالسؤال والجواب في ((مررتُ بعبدالله أخوك، كأنه قيل: مَنْ هو؟ أو مَنْ عبدالله، فقال: أخوك))^(٨٤)، فالسؤال عن عبدالله بما تُعرّف به لا أن تُرفع من شأنه، فجيء بما تُرّف به على أنه أخو عبدالله.

فاتضح ممّا ألفيناه عند سيبويه أنّ افتراض السؤال والجواب كَوْن علامة دالّة على تصحيح الرفع الذي لا يوجد له مسوِّغ في ضوء القاعدة النحوية إلّا أن يكون الرجوع إلى الحوار التخاطبي وإنشاء التداولية الأثر الواضح الذي يرجع اللغة إلى مصدرها في التفاهم القائم على السؤال والجواب بين المتكلمين.

دلالة التركيب لا النافية للجنس مع الاسم.

ذهب النحويون إلى آراء في إعراب "لا" النافية للجنس وتركيبها مع الاسم كخمسة عشر، فهي واسمها في موضع رفع بالابتداء، وهو رأي سيبويه^(٨٥)؛ لأنّهما بمنزلة الاسم الواحد، وتعرب عند النحويين ناسخة عاملة عمل "إن"^(٨٦)، وإعرابها مبتدأ مع الاسم جعلها مركبة مع الاسم فتعامل معاملة الاسم الواحد؛ لذا لا تنفك عن الجواب في سؤال من قال: "هل من رجل"، ذكر ذلك الرضي في إفادة "من" الاستغراق، في قوله ((هل من رجل في الدار؛ لأنّ "لا رجل في الدار" جواب: هل من رجل، فركّبوا "لا" مع النكرة، كما أنّ "من" مركبة معها تطبيقًا للجواب بالسؤال، ثمّ حذف التنوين لتناقل الكلمة بالتركيب))^(٨٧)، فجعل التركيب قياس مشابهة وملازمة بين "من رجل" و "لا رجل" لإفادة مطابقة الجواب للسؤال، والمطابقة المذكورة ((إفادة لا التبرئة للاستغراق كما أفاده من الاستغراقية في من رجل في الدار))^(٨٨)، فيتضح أنّ هذا التركيب دلالي بين "لا" والاسم، لإفادة الاستغراق، فيتضح أنّ السؤال إذا كان على: هل رجل في الدار، لا يُجاب عليه بـ "لا رجل" لأنّ السؤال لا يُراد به الاستغراق وهذا مفهوم مطابقة التركيب بين الأداة والاسم، فتركّبها تركّب خمسة عشر على ما أشار سيبويه، لا يريد منه الاسم الواحد بل الدلالة الواحدة وملازمة "لا" الاسم لإفادة هذه الدلالة، فكان القياس في مطابقة السؤال للجواب.

ونبّه أبو البركات الأنباري إلى المطابقة بالحذف في ضوء السؤال والجواب ف ((إنّ قال قائل لم بنيت النكرة مع لا على الفتح نحو لا رجل في الدار قيل إنّما بُنيت مع "لا" لأنّ التقدير في قوله: لا رجل في الدار، لا من رجل في الدار؛ لأنّه جواب قائل قال: هل من رجل في الدار، فلما حذف من، من اللفظ ورُكّب

بين السؤال والجواب، فقولنا: "الأمير قادم" فيه إخبار عن قدوم الأمير ليس غير، أمّا قولنا: هو الأمير قادم، فعلى ما ذكر آنفًا.

فتعيين دلالة التركيب قد تعتمد على لفظة معيّنة، قال سيبويه ((واعلم أنّه ليس كلّ موضع يجوز فيه التعظيم، ولا كلّ صفة يحسن أن يعظم بها))^(٨٩)، فليست مسألة ضمير الشأن أسلوبًا من الأساليب يراد به التعظيم مطلقًا، بل لسياق الحال أثر الكبير في جعل التركيب يناسب التعظيم، فهو تعاور جملة من الظروف بمعية السؤال والجواب الذي من شأنه أن يجعل ألفاظ المدح ألفاظ ذمّ أو غير ذلك.

تفسير الاستئناف في الجملة

قد يلجأ النحوي في تحليله الكلام إلى جملة من القواعد التي ألقها النحويون بحسب ما يرونه موافقًا للقياس وفصيح كلام العرب أو تأويل الكلام بحسب العامل ومفهوم البناء، لتعيين الموقع الإعرابي للكلمة، فيحلّل الكلام هذه المقاييس، لكن يعرض من التحليل ما لا يرجع إلى أصول تحليلهم، فيكون تأويل الكلام بما تفرضه حوارية التخاطب بين المتكلمين من السؤال والجواب، ومن ذلك ما ذكره سيبويه، بقوله ((وتقول: مررت برجل الأسد شدّة، كأنك قلت: مررت برجل كامل؛ لأنك أردت أن ترفع شأنه، وإن شئت استأنفت، كأنه قيل له: ما هو))^(٩٠)، فقيل في جرّ "الأسد" أنّه صفة للرجل وفيه حذف بتأويل "مثل الأسد" أو صفة بتأويل الجوهر فهو — أي المشبه — كامل أو جريء فلا حذف، ويعرب بدلًا من الرجل^(٩١)، أمّا في حالة الرفع، فلا تأويل للحذف أو العمل بالتبعية كالبدل والصفة، فأول بالابتداء، وليس من قرينة دالّة مثل وجود الواو التي قد تأوّل بالاستئناف، بل افتُرض الحوار التخاطبي في المسألة، كأنّ الرفع في ضوء سؤال عن الرجل بعد أن قيل: "مررت برجل" فأراد السامع أن تُعرّف الرجل أو تصفه أي الرجال هو، فقال، المخاطب يسأل: من هو، فقيل له: الأسد أو هو الأسد وهو أتمّ لوقوع الأسد صفة للمبتدأ المحذوف، والنكتة العلمية التي أشار إليها سيبويه في التحليل إنّ السؤال عن الرجل بـ "ما هو" وهذا لغير العاقل؛ وذلك ليتوافق والجواب؛ لأنّه أجب في وصف الرجل بما هو ليس بعاقل.

ويظهر من سياق النصّ أنّ التقدير: هو الأسد؛ لأنّ السياق سياق مدح وبيان الشأن والرفعة للمسؤول عنه فالرفع راجع إلى هذا السياق "لأنك أردت أن ترفع شأنه" فترفع أو تجر، فهو لا يريد



أثر السؤال والجواب في التحليل النحوي

محمد أبو نواس الذي يقول بالمقاربة التداولية في الحكاية، إذ ((إنَّ النظر في الحكاية يجعلنا نتوقّف عند عامل آخر يكشف الطبيعة التداولية التي عليها فكرة الحكاية، ألا وهو البحث في مبادئ القصد والإفادة أي إنتاج أَمْطٍ لغوية متعدّدة ومتنوعة يقصد منها المتكلم جذب انتباه المخاطب وإفادته ما ليس عنده^(٩٢)، ولعلّ تأكيد المخاطب على السائل الاستفهام عن السؤال ما يوثّق انتباهه، لأنّ المخاطب عندما يستفهم قد يحتمل من المعنى ما لا يريد المتكلم، وسنلاحظ ذلك في تطبيق الأمثلة، وإنّ السؤال والجواب — الذي هو أصل الحكاية — مقارنة لسانية تداولية قائمة بنفسها. وذكر الأزهري أنّ حكاية المعنى تأتي لرفع التوهّم عند المتكلم عندما يُلحّن، فالجملة المحكيّة ((يجوز حكايتها على المعنى فتقول في حكاية: زيد قائم: قال عمرو قائم زيد، بعكس الترتيب، فإنّ كانت الجملة ملحونة تعيّن المعنى" في حكايتها "على الأصح" صوتاً من ارتكاب اللحن، ولئلا يتوهّم أنّ اللحن نشأ، من الحاكي. فعلى هذا إذا قيل لشخص: جاء زيد؛ بالجرّ؛ وأردت حكاية كلامه قلت: قال فلان جاء زيد؛ بالرفع؛ ولكنّه خفض زيداً، لتنبّه بالاستدراك على لحنه، وإلا لتوهّم أنّه نطق به على الصواب. وعلى القول الثاني تقول: قال فلان جاء زيد بالجرّ، مراعاة للفظ^(٩٣)، وهذه المسألة خلاف حكاية الكلام على ما هو عليه، فإذا كان الكلام على غير السؤال والجواب جاز فيه الوجهان، ليتضح بعد ذلك أنّ القول بالحكاية في السؤال والجواب يخرج في مسار تحليله عن إفادة الصحة النحوية، فَيَبَيّنهُ الأزهري على أنّ ورود الكلام على السؤال والجواب دليل على صحته، لذا أورد الباقلوي رأيه في تمييز الحكاية بقوله ((اعلم أنّ هذا إمّا يختصّ بأسماء الأعلام والكنى وهو للمطابقة بين الجواب، والسؤال، وإجراء الجواب، على وفق السؤال. وهو إذا قال: رأيت زيداً، قلت: من زيداً؟ فهذه خصيصة الأعلام، والكنى وإمّا اختصّت بهذا الأعلام، والكنى؛ لأنّ للأعلام والكنى حرمة فيما بين العرب؛ لأنّها أكثر ما يستعمل في كلامهم. ولكثرة ما يستعمل في كلامهم، ولحرمتهم إيّاها، اختصت بهذه الخصيصة، وهو أن يجري الجواب فيها على وفق السؤال، حتى إنّه لو كان اسماً ليس بعلم، ولا كنية؛ فإنّه لا يجوز فيها إجراء الجواب، على وفق السؤال))^(٩٤)، أي إنّ ما يرد على خلاف الصحة النحوية هو المحكي بالسؤال والجواب في السؤال عن أسماء الأعلام والكنى، أمّا الحكاية على غير ذلك فأمكن أن يرد الكلام فيها على

مع لا تضمّن معنى الحرف فوجِبَ أن تُبَيّنَ))^(٩٥)، وهذا التحليل للمطابقة بيّن السؤال والجواب أوضح من غيره، كأنّ الجواب على سؤال: هل من رجل في الدار، يكون على: لا من رجل في الدار، فأفادت "لا" معنى الاستغراق من "من" التي في السؤال، وهذا يكشف عن معنى التعيين الذي يُجاب به في السؤال بـ "هل" فتعيّن إعادة اللفظ لإفادة المعنى المقصود من التعيين في "هل"، فالأصل في التركيب حكاية السؤال المستفاد من الاستغراق، فحُذفت "من" ونابت "لا" مكانها في دلالة الاستغراق، كأنّ "لا" لولا "من" في السؤال لما أفادت الاستغراق، فقويت قوتها، وأمكن أن يُستدلّ في ضوء ذلك، إذا أُجيب على سؤال الاستغراق بـ "من" بغير "لا" من أدوات النفي فلا يمنع أن تدلّ الأداة على الاستغراق معيّة "من" فإذا قال السائل: هل من رجل في الدار، يكون الجواب بغير "لا" على: ما من رجل في الدار، فلا يستغنى عن "من" لعدم إفادة الاستغراق من "ما" وحدها، وكذا الحال في "ليس"، فالمطابقة المشار إليها أنفأ مطابقة دلالية.

لكن الذي يُلاحظ على بعض النحويين أنّ التمييز في الاستغراق تدلّ عليه الحركة الإعرابية^(٩٦)، فإذا قيل: هل من رجل في الدار، يمكن أن يُجاب بإجابتين، الأولى: لا رجل في الدار بالبناء على الفتح، والثانية: لا رجل في الدار رفعاً للاسم بعد "لا"، فالبناء يدل على الاستغراق، والرفع يدلّ على نفي الواحد. الحكاية

ترتبط الحكاية ارتباطاً وثيقاً بمفهوم التداول؛ لأنّها — أي الحكاية — على تبادل الكلام بين المتكلمين على السؤال والجواب في أغلبها، فالحكاية ((فهى إعادة الكلام المحكي لفظاً أو معنى. فحكاية المعنى تكون بلفظ منصوب... وحكاية اللفظ إعادة الكلام المحكي على ما هو عليه، نحو أن تقول: جاءني زيد. فتقول: من زيد؟ وتقول: رأيت زيداً. فتقول: من زيداً؟ وتقول: مررت بزيد. فتقول: من زيد))^(٩٧)، فأعيد اللفظ بما هو عليه مخالفاً مراعاة الإعراب وقواعد النحو، فالتكلم السامع يعرض استفهامه على ما سمعه ولم يراع القاعد في صياغة كلامه، بل أعاد الكلام المحكي على ما هو عليه بأسلوب الاستفهام.

والذي يُلحظ أنّ النحويين فسّروا الحكاية على المخالفة النحوية في ضوء مفهوم التخاطب بين المتكلمين، فوصف الحكاية بإعادة اللفظ دليل على إرجاع الكلام إلى أصله المستعمل، فهي مبنية على إضمار القول، وأميل إلى رؤية الباحث الدكتور عمر



منزلة "الذي" لأنها لا تقدّر بمعنى "الذي" في الاستفهام والجزاء، لكنّها قدّرت على الحكاية، فالحكاية أجازت بناء "أيّهم".

وخلاصة القول إنّ مجيء "أيّ" مبنية على الضمّ كلام مستعمل جيء بها مبنية على الضم في حالة النصب مع أنّها معربة، فواجه النحويون هذا البناء في لغة مستعملة لم يصفوه بالشاذ أو الضعيف، بل أولوا الكلام شأنه شأن كثير من الظواهر النحوية التي تحتاج إلى الإعمال الفكري في تسويغ الاستعمال وإن خالف القياس، وقد كان التأويل في ضوء السؤال والجواب؛ لذا كان القياس عند سيبويه النصب على ما أشار إليه أنفًا، لكن ذلك لا يمنع هذا الاستعمال لوجود التحليل الذي يسوّغه، فكان لوسيلة السؤال والجواب التخريج الذي اعتمده النحويون في اللغة المستعملة مع أنّه جاء مخالفًا للقياس، وألحظ أنّ القول ببناء "أيّ" في حال الإضافة ومجيئها مضمومة مفسّرة بالحكاية يوازي القياس في الاستعمال؛ لأنّ الحكاية في هذا المواطن وإن نشأت من الافتراض التحليلي للسؤال والجواب أو نقل واقع الاستعمال بما هو، فهي تكشف عن واقع لغوي متكرّر بين المستعملين وإن لم يكن له استعمال آخر يشابهه في بناء "أيّ" على النصب في تركيب آخر يختلف عن نمط الجملة التي سقناها آنفًا؛ لأنّ الحكاية تكشف عن واقع تحليلي للكلام استقى مادته التحليلية من واقع اللغة وهو السؤال والجواب الذي يعقده المتكلمين في لغتهم لغرض التفاهم.

في ضوء ذلك حتى لو وقعت الحكاية على جملة واحدة يمكن أنّ يسري تحليها إلى جمل آخر، وإن لم يتكرر الاستعمال، مثل ((من قال: امرؤ على أيّهم أفضل، قال: امرؤ بأيّهم أفضل وهما سواء))^(٩٩)، فالكلام راجع إلى تكرر استعمال "أيّ" مبنية على الضم، وهي في موضع الجرّ، ولم يرجع إلى التفسير بالحكاية فجاءت أيّهم مبنية مع "على" ومبنية مع "الباء"، أمّا ما سقناه آنفًا لم يأت تكرر الاستعمال لـ "أيّ" مبنية على الضم وهي في موضع النصب، فالرجوع إلى معرفة موقعها راجع إلى الأصل والقياس، أمّا معرفة قياسها التحليلي فراجع إلى الحكاية.

وألحظ أنّ الدكتور الفاضل هادي نهر^(١٠٠) قد جعل عبارة سيبويه ((ولا ينبغي لك أنّ تقيس على الشاذ المنكر في القياس))^(١٠١) جامعة بين "أيّ" المفردة و "أيّ" المضافة، أي لا يقاس ما جاء من بنائها في الإضافة والإفراد؛ فعبارة سيبويه موصولة بقوله ((ولو قالت العرب: اضرب أيّ أفضل لقلته، ولم يكن بدّ من

ما هو عليه أو خلافه، أي إذا كان السؤال عن النكرة وليس عن الأعلام، أمكن في الحكاية المطابقة والمخالفة عند إعادة الكلام على نحو الجواب.

وفي ضوء مفهوم الحكاية لحظ النحويون تحليل التركيب بما يلحظ فيه من تغيير للحركة الإعرابية أو ترتيب عناصر التركيب، وبأنّ أكثر وضوحًا في نصّ الأزهري المذكور آنفًا، والذي يلحقه التحليل بالسؤال والجواب حكاية الحال في المفرد بـ "أيّ" و "منّ" الاستفهاميتين، إذ الحكاية منها حكاية الجملة وحكاية المفرد التي تختصّ بالمعارف وحكاية حال المفرد^(٩٥)، ومن ذلك قول سيبويه ((وزعم الخليل أنّ أيّهم إنّما وقع في: اضرب أيّهم أفضل، على أنّه حكاية، كأنه قال: اضرب الذي يقال له أيّهم أفضل... وأمّا يونس فزعم أنّه بمنزلة قولك: أشهد أنّك لرسول الله. واضرب معلقة. وأرى قولهم: اضرب أيّهم أفضل. على أنّهم جعلوا هذه الضمة بمنزلة الفتحة في خمسة عشر، و[بمنزلة] الفتحة في الآن... ففعلوا ذلك بأيّهم حين جاء مجيئًا لم تجئ أخواته عليه (إلا قليلًا))^(٩٧)، وقع الخلاف في تفسير بناء "أيّهم" على الضمّ، فهو في ضوء كلام سيبويه على ثلاثة آراء، فالأوّل ما جعلها الخليل مبنية موصولة بمعنى الذي وهي استفهامية عنده، والرفع والبناء وأنّها بمعنى "الذي" محمول عنده على الحكاية، وظاهر كلام الخليل من غير الحكاية النصب قياسًا، فتقول: "اضرب الذي أفضل" وهو رأي سيبويه إشارة إلى قوله ((والذين نصبوا ففاسوا وقالوا: هو بمنزلة قولنا اضرب الذين أفضل إذا أثرتنا أن نتكلم به. وهذا لا يرفعه أحد))^(٩٧)، وجعلها يونس بمنزلة "أنّ" وإنّ (مراجعة الخوارزمي)، فأنكر ابن السراج الرفع في "أيّهم" على البناء، وأوضح أنّ البناء في الحكاية يقع في ضوء سؤال وجواب، فقال ((وأنا استبعد بناء "أيّ" مضافة وكانت مفردة أحقّ بالبناء ولا أحسب الذين رفعوا أرادوا إلاّ الحكاية، كأنه إذا قال: "اضرب أيّهم أفضل" فكأنه قال: اضرب رجلًا، إذا قيل: "أيّهم أفضل" قيل: هو))^(٩٨)، فأنكر بناء "أيّ" وهي مضافة في المثال الذي ساقه، فإنّ وقعت مبنية فلا بدّ أنّ تقع مفردة، وهي عنده بحسب الحكاية على الابتداء بحذف "هو"، وفسّر الحكاية بالسؤال والجواب الافتراضي لتسويغ بناء أيّ على الضم، فهي لا تُبنى على الضم وتقع معربة، وتكون على تقدير السؤال مبنية موصولة، ففسّح الكلام على حوارية التخاطب التداولي في ضوء الأمر ثمّ السؤال من المخاطب ثمّ الجواب من الأمر، فلولا السؤال والجواب في ضوء الحكاية لَمَا أُنزلت "أيّ"



أثر السؤال والجواب في التحليل النحوي

ليس بقرشيًا حكاية لقوله))^(١٠٧)، فشبهوا استعمال "ما عندنا من تمرتان" باستعمال "ليس بقرشيًا، وليس هذا المختار عند النحويين لكنهم أجازوا الاستعمال في "دعنا من تمرتان" من غير سؤال أي غير محكية، على استعمال "ما عندنا تمرتان" واستعمال "ليس بقرشيًا" القائلان على السؤال والجواب، فجاز الرفع والنصب في موضع الجر، لكن المختار في السؤال عن الأعلام الرفع، وهي إشارة ابن يعيش^(١٠٨).

عَصَدُ الدماميني التحليل النحوي القائم على السؤال والجواب عبر تمييزه بين نوعين من الحكاية في معرض حديثه عمّا مضى من أمثلة، قال ((وما سمع من حكاية في ذلك محمولاً على الشذوذ، كقول القائل: "دعنا من تمرتان"، وقولك: "ليس بقرشيًا... قلت: إمّا ذلك حيث تكون الحكاية بغير القول، نحو كما ذكرته من المثاليين، وأمّا حيث تكون الحكاية بالقول، فلا شذوذ))^(١٠٩)، فأصل الدماميني الحكاية في التحليل النحوي ولم يعد استعمالها المخالف شاذاً إذا كان قائماً على السؤال والجواب، الذي سمّاه "الحكاية بالقول، وفي قبال ذلك جعل القياس على الحكاية شاذاً بغير قول سؤال وجواب؛ لأنّها على ذلك لا تقوم على تحليل نحوي تسالم عليه النحويون وهو حوارية السؤال والجواب في الكلام، فيكون الرفع والنصب والجرّ على الحكاية.

بيان الصفة

الصفة ((تابع لمتبوعه لدلالته على معنى فيه أو في متعلّق به))^(١١٠)، وتذكر الصفة بعد موصوفها، والحركة الاعرابية علامة دالة على مطابقة الصفة للموصوف؛ لأنّها تابعة له، وقد تدور المسألة بين جواز جعل الاسم صفة للموصوف أو تعرب إعراباً آخر، لكن في فرض السؤال والجواب ما يُعين على تحديد الإعراب، ونلاحظ ذلك في مستوى تحليل التركيب عند النحويين، قال سيبويه ((هذا باب ما تستوي فيه الحروف الخمسة، وذلك قولك: إنَّ زيداً منطلقاً العاقل اللبيب، فالعاقل واللبيب يرتفع على وجهين على الاسم المضمّر في منطلق، كأنّه بدل منه، فيصير كقولك: مررتُ به زيدٌ أردت جواب من مررت، فكأنّه قيل له من ينطلق، فقال: زيدٌ العاقل اللبيب، وإن شاء رفعه على "مررت به زيدٌ، إذا كان جواب من هو، فتقول: زيدٌ، كأنّه قيل له: من هو، فقال: العاقل اللبيب، وإن شاء نصبه على الاسم الأوّل المنصوب))^(١١١)، أحسب أن هذا النص لا يكاد يجد قياساً أوضح من القياس على الحوار التخاطبي وجعل السؤال والجواب الوسيلة التحليلية

متابعتهم. ولا ينبغي أن تقيس على الشاذ))^(١٠٢)، أي إنّه قصد أن بناءها في الأفراد لا يُقاس عليه؛ لأنّه خالف كلام العرب ولم تقله، لأنّ موضعها في هذا لاستعمال عند سيبويه بحسب القياس أن تُعرب في قولك: مررتُ بأيّهم أفضل، لكنّها بُنيت؛ لأنّ حذف المبتدأ أطرد فيها، إذ قال ((اضرب أيّهم أفضل، واضرب أيّهم كان أفضل، واضرب أيّهم أبوه يد جرى ذا على القياس؛ لأنّ "الذي" يحسن ههنا))^(١٠٣)، أمّا قولك: اضرب أيّهم أفضل، بنيت على الصّم في محلّ النصب، وعلّل ذلك الخوارزمي بقوله ((لأنّه أطرد فيها حذف المبتدأ، كقولك اضرب أيّهم أفضل، وأصله: اضرب أيّهم هو أفضل، فصارت بذلك بمنزلة من قبل ومن بعد))^(١٠٤)، أي من جهة الإضافة وقطعها، ولا نذهب بعيداً عن القياس بقدر ما أشرنا إليه في بداية الكلام عن "أي" على أن البناء والرفع والنصب المشار إليه في "أي" قائم على الحكاية التي هي في الصل قائمة على السؤال والجواب.

ومما يرجع تحليله النحوي إلى باب الحكاية بناء أسماء العلم، فقد أشار النحويون إلى جواز تسمية الأعلام بغير اسم الجنس الدالّ على العلم مثل التسمية بالصفة واسم الفاعل والمصدر والجملة، كل ذلك فسره النحويون بالحكاية^(١٠٥)، التي ترجع إلى مفهوم التخاطب.

ولأهمية السؤال والجواب في التحليل النحوي للاستعمال بما يخالف القياس نجد التفات النحويين إليه، وذلك في المثلّ العربي، وقد نبّه الرضي إلى هذا النوع من التحليل، بقوله ((وربما حكى بعض العرب الاسم علمًا كان أو غيره، دون سؤال أيضًا، كما قال بعضهم: "دعنا من تمرتان"، على حكاية مقول من قال: ما عندنا تمرتان))^(١٠٦)، ما صرح به النص أنّ الكلام لم يأت على سؤال وجواب، كأنّ يكون الكلام على: "أعندك تمرتان" فيكون الكلام على الحكاية: "ما عندنا من تمرتان" بل هو أمر مألوف بين المتكلمين يسوقونه في مناسبة الكلام الذي يعود استعماله إلى الحادثة في أصل الاستعمال، ولو أردنا تفسير الرفع في "دعنا من تمرتان" — وهذا ما يلحظ من عبارة الرضي "دون سؤال أيضًا" — وهي في موضع الجرّ حتى يسوّغ استعماله، كما وجدنا سوى افتراض السؤال والجواب في هذا الأصل، فتكون حكاية السؤال والجواب من مصادر قياس صحة الاستعمال، فالكلام تشبيه بالحكاية، فالعرب ترفع "تمرتان" في "دعنا من تمرتان" وهو قياس الشبه الذي الذي ذكره الرضي عن سيبويه، أنّه قال ((وسمعت إعرابياً يقول لرجلٍ سأله أليس قرشيًا، فقال



الإخبار بإضمار هو العاقل اللبيب، وقد ألمح السيرافي إلى هذا التحليل بعد أن ذكر كلام سيبويه من دون أن يعول على السؤال والجواب؛ وذلك أن ((رفع العاقل اللبيب على البدل من الضمير في منطلق، وعلى إضمار هو))^(١١٣) ووضح ذلك في ضوء فرض السؤال والجواب.

قد يرد السؤال فتجيب بحسب ما يرد في الاستفهام، فتجد تارة أن ما يراد من الإجابة المسمى، ويراد به الصفة تارة أخرى، فيقال: مَنْ هذا، تقول: محمدٌ، وكان الموجود محمدًا، فأنت تُعرّف بالشخص نفسه، فيتعدد الجواب بحسب المسؤول عنه، فلا يتحدد السؤال بنوع الإجابة، لكن الذي يُجاب عنه لا بدُّ أن يكون عاقلًا؛ لأنَّ السؤال بـ "مَنْ" التي يراد بها العاقل، مثلما اختصَّت "كم" بالدلالة على العدد، فدلالة الجواب من الأداة، لكنَّ يتعيَّن الجواب بمعونة التركيب لا الأداة وحدها، وقد يرد السؤال بـ "مَنْ" دالًّا على غير العاقل وهذا ما يحدده الاستعمال وفهم سياقه، ومنه قوله تعالى {وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَاقِبِينَ} ^(١١٤)، فقد ورد في تفسير "مَنْ" أنه يدلُّ على غير العاقل ^(١١٥)، فما ذُكر آنفًا في السؤال بـ "مَنْ" قد يتقيَّد فيه الجواب عن معيَّن دون غيره، وكذا الحال في "ما" الدالة على غير العاقل، إذ يُقيَّد التركيب بالسؤال نوع الجواب ولا يعود فيه التعيين على الأداة فقط، بل بمعونتها والتركيب، فـ "ما" تستعمل في غير العاقل والعاقل ((وتستعمل أيضًا في الغالب، في صفات العالم، نحو: زيدٌ ما هو؟ وما هذا الرجل؟ فهو سؤال عن صفته، والجواب: عالم أو غيره، وتستعمل استفهامًا كانت أو غيره، في المجهول ماهيته وحقيقته))^(١١٦)، فتعدد الإجابة عن الاستفهام راجع إلى طبيعة السؤال والجواب، فتجتمع القرائن بمعونة بعضها بعضًا لتعيين الإجابة، فقد يكون السؤال عن زيد متعدد الإجابة، في ضوء أسئلة متشابهة، تقول: مَنْ زيدٌ، وتقول: زيدٌ ما هو، وتقول أهدا زيدٌ، فقد يكون في السؤال الأوَّل التعريف بشخصه، وفي الثاني بيان صفته، وفي الثالث تأكيده، فتقول: بلى هذا زيدٌ، فالسؤال من محددات الإجابة.

والذي يُلاحظ أنَّ التحليل في النص المذكور آنفًا يرتبط بالسؤال والجواب الصريحين، لا بافتراسهما، فهما يعبران عن لغة واقعية حيَّة متداولة، ويكون تحليل الكلام بما يُعبَّر من تركيب بمعونتهما، فهما يُعيِّنان نوع الإجابة.

التردد في الإعراب

تقع بعض الجمل محتملة لأكثر من إعراب، ويرافق الاحتمال في التعليل أو التحليل سياق الجملة

الأقرب لتوضيح رفع الاسم الذي جاء بعد خبر "إنَّ" صفة لاسمها، فيكون مجيء الصفة أشبه بالفضلة نحوياً ودلالياً، لكن في فرض حوارية الخطاب سُوغ الكلام، وذلك إنَّ تمام الجملة نحوياً ودلالياً في "إنَّ زيدًا منطلقٌ" فأخبر عن زيد بأنه منطلقٌ، لكنَّه جهلٌ شخص زيد، فجيء بـ "العاقل اللبيب" كأنَّ المتكلم عندما قال "إنَّ زيدًا منطلقٌ" قيل: له مَنْ زيد، فقال: العاقل اللبيب أو قيل: مَنْ ينطلق، فجاء بالصفة التي يُعرف بها "زيد" فقال "العاقل اللبيب" فالرفع على السؤال والجواب، أمَّا النصب فعلى القياس، فالقصة متعيَّنة رفعًا ونصبًا، وكلاهما استعمال جائز صحيح بحسب التفسير الذي يتلاءم وصحة التركيب ودلالته.

وأبقى بعض المحدثين التحليل النحوي على هذه المسألة في وجهي الرفع والنصب، من دون أن يجعل للتحليل التخاطبي وجهًا في ضوء السؤال والجواب لحالة الرفع خاصة، وسُمي ورود الصفة بعد تمام الكلام صراعًا بين التراكيب، وأنَّ ((هذا الصراع تراوح بين رفع الصفة بعد تمام جملة إنَّ وأخواتها أو نصبها، فإذا رفع فإمَّا يرفع، من وجهة نظر نحوية على أنه بدل من الاسم المضمَر في الخبر، وإذا نصب فإمَّا ينصبه؛ لأنَّه وُصِف به اسم أن، ولم يُصدَّر سيبويه حكمًا على أفضلية استعمال على آخر، ممَّا يدلُّ على تساويهما في الاستعمال اللغوي))^(١١٧)، في النصِّ نكتة لطيفة في الإشارة إلى التوسع في أماط الجمل وأنَّ سيبويه واجه الاستعمال اللغوي بالقبول على اختلاف الحركة الإعرابية في العنصر الكلامي، لكنَّ التحليل في النصِّ افتقر إلى التحليل التخاطبي والقصد الذي يحمله التركيب الواحد في ضوء الرفع الذي يحتمل فيه رفع الاسم إمَّا أن يعود على زيد وإمَّا على "منطلق" وكل ذلك لم يجعله سيبويه من وجهة نظر نحوية في تخريج الرفع، بل أعمل فكره التحليلي خارج إرادة القاعدة النحوية، فالقاعدة النحوية تحمل الكلام على أحدهما بحسب ترتيب الكلام وتمام تركيب الجملة ومعناها، فـ "العاقل اللبيب" بحسب ترتيب الكلام بدلٌ من زيد في حالة الرفع في ضوء السؤال والجواب، فيكون بدلًا من الضمير المقدر في السؤال والجواب أو صفة له في حالة النصب، لكنَّ إجراء الموازنة بين نوعين من الحوار التخاطبي القائم على السؤال والجواب جعل العنصرين يعودان على أكثر من عنصر في الجملة التامة، فإذا كان السؤال والجواب عن "مَنْ ينطلق" كان العاقل اللبيب بدلًا أو صفة، وإنَّ كان السؤال والجواب عن زيد نفسه، فيكون العاقل اللبيب على



أثر السؤال والجواب في التحليل النحوي

الاسم الذي يقع فاعلاً، نحو: قاما الزيدان، فالضمير إمّا أن يكون علامة للثنائية أو الجمع وإمّا أن يقع فاعلاً^(١٢١)، ويظلّ الاسم محلّ خلاف في الإعراب بين المبتدأ المؤخر، والبدل أو إعرابه فاعلاً إذا كان الضمير علامة، وأوضح سيبويه المسألة ((أنّ من العرب من يقول ضربوني قومك وضرباني أخوك فشبّهوا هذا بالتاء التي يُظهرونها في قالت فلانة، وكأنّهم أرادوا أن يجعلوا للجمع علامة كما جعلوا للمؤنث وهي قليلة... أمّا قوله جلّ ثناؤه {وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا}^(١٢٢)، فإنّما يجيء على البدل، وكأنّه قال انطلقوا، فقليل له من؟ فقال: بنو فلان، فقوله جلّ وعزّ {وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا} على هذا فيما زعم يونس))^(١٢٣)، جعل سيبويه اسناد الضمير على تحليتين: الأولى، علامة للثنائية والجمع وما بعدهما فاعلاً، وحكم عليه بالقليل فهي لغة قوم، أمّا الآية القرآنية وهو التحليل الثاني، فلم يجعلها على سبب التحليل الأوّل، فأرجع تحليلها إلى لغة الاستعمال التي تقوم على الحوار والتداول على نحو الاستفهام بالسؤال والجواب، وكأنّه أصل التحليل بنظر افتراضية تحاكي واقع اللغة من جانب، ومن جانب آخر القاعدة النحوية بحسب نظرية العامل والبناء، وذلك أنّ بناء الجملة تام من وقوع الفعل على الفاعل "أسروا" وليس فيه خلل، فإذا كمل البناء الذي لابد للفعل من وهو الفاعل، فلا يبقى للاسم "الذين" علة البناء على العامل الأصل، فجعل الكلام على محلّ الاستفهام الذي يقع في أكثر من جملة اسمية في السؤال أو فعلية في الجواب على ما ذكرناه آنفاً أو يتسع الجواب فيقع بدلاً وهو الذي حصل في هذه الآية، كأنّ الكلام قيل على: "وأسروا النجوى" فقيل: "من هم" فقيل: "الذين ظلموا" فيكون "الذين" بدلاً من الضمير "الواو" على فرض السؤال والجواب.

وسيبويه في هذا التحليل يحاكي اللغة على أنّها منظومة تعامل بين المتكلمين، فيتوصّل بها إلى طريقة النحو التحويلي، التي من أبرز خصائصه أنّه يستند إلى تحليل البنية العميقة للتركيب، ومن ثمّ تحليل البنية السطحية فيعكس حدس صاحب اللغة في معرفة أصل الاسناد في التركيب^(١٢٤)، فاعتمد سيبويه في تحليله على "أسروا" وهي بنية عميقة من فعل وفاعل، وعلى حديث المتكلم وجعله أساساً للبنية السطحية، وأشار بعضهم إنّ سيبويه في تحليله نص الآية القرآنية المذكورة آنفاً جعل العلاقة بين عناصر الجملة علاقة اسنادية سمّيت بـ "علاقة إسناد لزومية" للكشف عن البنية التحويلية^(١٢٥)، أي علاقة لزوم اسناد الفعل إلى

بما تحمله من عامل يُسوّغ في ضوئه تعيين محلّ الجملة، ومن ذلك "ما رأيته مذ يومان" فهذه الجملة فيها الظرف "يومان" مرفوع بعد "مذ" جعل النحويين يقدرّون لها محلّاً من الإعراب، قال ابن هشام ((فقال السيرافي في موضع نصب على الحال، وليس بشيء، لعدم الرابط، وقال الجمهور: مستأنفة جواباً لسؤال تقديره عند من قدر "مذ" مبتدأ: ما أمد ذلك، وعند من قدرها خبراً: ما بينك وبين لقائه))^(١٢٦)، وقال الرضي ((ومعنى ما رأيته مذ يومان، أول مدة انتفاء الرؤية: يومان، فكأنّه كان في الأصل في الموضوعين: مذ ما رأيته، حتى تكون الجملة مضافاً إليها، فحذفت لتقدم ما يدل عليها))^(١٢٧)، فالتحليل عند ابن هشام مسوّق في ضوء السؤال والجواب أحد جوانبه على أنّ "يومان" مبتدأ، وعند الرضي في ضوء الدلالة والتقدير النحوي فـ "يومان" عنده خبرٌ، فجعل التقدير معتمداً على ما يدل عليه ولم يذكر الذي يدلّ عليه من التركيب، لكنّ ابن هشام أوضح التقدير وجعله في فرض السؤال والجواب، وهو أقرب لإيجاد ما يدلّ على التقدير في رفع "يومان" بعد "مذ".

ومن ذلك ما ذكره الخضري في إعراب البسمة ودوران "الرحمن الرحيم" بين النعت والبدل، وذلك عند قوله ((والرحمن الرحيم، اشتهر فيها بحسب الأعراب تسعة أوجه يمتنع منها جرّ الرحيم ونصب الرحمن أو رفعه، لأنّ النعت التابع أشدّ ارتباطاً بالمنعوت... أمّا الأعلم وابن مالك: إنّهُ علمٌ لكثرة وقوعه في القرآن الكريم متبوعاً لا تابعاً فيعرب بدلاً من الجلالة، والرحيم نعت له لا للجلالة... إذ لا يتقدّم البدل على النعت. فعلى الأوّل يكون مجروراً بما جرّ منعوته... وعلى القطع فالجملة مستأنفة استثنافاً بيانياً جواباً لسؤال مقصود به التلذذ، وتعظيم شأن المسؤول عنه))^(١٢٨)، أشار الخضري إلى الأوجه المحتملة في إعراب الرحمن الرحيم، وقد رجح أنّ إعراب "الرحمن" بدلاً و"الرحيم" صفة، وترجيح ذلك مبنيٌّ عنده على جرّهما، واستوقف بعضهم القول بأنّ "الرحمن" بدلٌ على ما ذهب إليه الأعلم الشمنطري وابن مالك^(١٢٩)، أمّا الرفع فقد وجهه الخضري على القطع، وهو مبني على تحليل السؤال والجواب واقع تحليلي مستمد من مفهوم التداول والتخاطب يريد منه التوصل إلى الجانب الدلالي الذي يحمله القطع وهو التعظيم.

اسناد ضمير المثني والجمع واعرابهما بدلاً

جرى الخلاف بين النحويين في الفعل المسند إليه ضمير المثني أو الجمع عند تقدّم الضمير على



تبادل الكلام فالسؤال والجواب سليقة المتكلمين مما يجعل من اللغة ظاهرة اجتماعية واضحة، فكيف من يستعمل هذه السليقة في تحليل اللغة وظفها في معرفة مواقعها الإعرابية وجانبها الوظيفي في التركيب، فذلك دليل على التأصيل بأن اللغة ظاهرة اجتماعية، أما التطور في اللغة فإن الزمن الوصفي الذي جمع فيه اللغة يعبر عن النضوج اللغوي في استقطاب أمط الجمل بدلالات متعدّدة في فترات متعاقبة حتى وصلت إلى رُفَي البلاغة الذي جاء به القرآن الكريم، وإن قصد بالتطور تغيير اللغة فهذا ترك لها، ولعل ترك بعض الكلام الذي يوصف بكثرة الاستعمال، وعلم المخاطب من أوسع مجالات تطوّر اللغة وعدّها ظاهرة اجتماعية.

وتظل وسيلة التحليل بالسؤال والجواب من الوسائل المهمة في التحليل النحوي في تسويخ أمط الجمل التي يستوقف تركيبها، ولا سيّما عند معالجتها بمفهوم العامل فتقع في ظاهرها في خارج نطاق التركيب وكأنها أجنبية عنه في اتلاف عناصرها، لكن الافتراض في السؤال والجواب الذي يُعدّ صلب عملية التداول يُسوِّغ العنصر في داخل التركيب، وزمن ذلك ((يجوز أن تقول مَرَرْتُ بِقَوْمِكَ الْكِرَامِ، إِذَا جَعَلْتَ الْمُخَاطَبَ كَأَنَّهُ قَدْ عَرَفَهُمْ كَمَا قَالَ: مَرَرْتُ بِرَجُلٍ زَيْدٍ، فَتَنَزَلَهُ مَنزَلَةً مِنْ قَالَ لَكَ: كَمَنْ هُوَ وَإِنْ لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهِ))^(١٢٩)، التحليل في النصّ واضح البيان في الاتكاء على السؤال والجواب في تحليل التركيب، فـ "زيد" في ظاهره عنصر أجنبي في التركيب؛ لأن التركيب يتم لو كان على: مَرَرْتُ بِرَجُلٍ اسْمُهُ زَيْدٍ، أَوْ مَرَرْتُ بِزَيْدِ الرَّجُلِ الْكَرِيمِ، أَوْ غَيْرِ هَذِهِ التَّعْبِيرَاتِ الَّتِي تَعْرِفُ أَوْ تَصِفُ بِالاسْمِ، لَكِنَّ الإِعْمَالَ الْفِكْرِي فِي الْحَوَارِ التَّخَاطَبِي الَّذِي افْتَرَضَ مِنْ طَرَفٍ وَاحِدٍ بِجَعْلِ الْمُتَكَلِّمِ، الْمُخَاطَبَ نَفْسَهُ هُوَ يَسْأَلُ وَهُوَ يُجِيبُ، فَيُنزِلُ الْمُتَكَلِّمُ الْكَلَامَ مَنزَلَةً الْخُطَابِ بَيْنَ طَرَفَيْنِ، وَفِي ضَوْءِ ذَلِكَ يَسُوِّغُ مَجِيءَ زَيْدٍ الَّذِي أَمَكَّنَ إِعْرَابَهُ فِي هَذَا التَّرْكِيبِ بِمَا حَمَلَهُ السُّؤَالُ وَالْجَوَابُ مِنْ تَحْلِيلِ تَدَاوُلِي حَلِّ مَحَلِّ التَّحْلِيلِ النُّحْوِيِّ مِنَ التَّقْدِيرِ أَوْ الْحَذْفِ أَوْ تَعْيِينِ الْعَامِلِ فِي اللَّفْظِ.

إعراب الفعل حالاً

من مسائل الخلاف بين النحويين جعل الفعل الماضي حالاً من دون تقدير "قد" قبله ومن ذلك قوله تعالى {إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاوَوْكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يَقَاتِلُوكُمْ} ^(١٣٠) فأعرب الفعل "حصرت" حالاً علة تقدير "قد"، على تقدير: جَاوَوْكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ ^(١٣١).

الفاعل، ولابد من إيجاد الطريق الذي يتوصّل به إليها فجعل الكلام قائماً على السؤال بـ "من" فتمتّ البيئة السطحية بالجواب، فكان على "الذين"، واختزل هذا التحويل بوساطة التحليل بجملة السؤال والجواب "وكأنه قال انطلقوا، فليل له من؟ فقال: بنو فلان" وقد وسّع سببويه التحليل بالسؤال والجواب على هذه الطريقة المتبعة، ولم يجعله يخصّ المثل المذكور آنفاً، بل جعلها عامّة على معرفة كلّ بدل بهذه الطريقة بوصفها قاعدة عامّة وجعلها تسري إلى معرفة الصفة، وذلك بما نقله عن الخليل عندما أتّم كلامه المذكور آنفاً عن هذه المسألة، بقوله ((وقال الخليل رحمه الله تعالى فعلى هذا المثل تجري هذه الصفات))^(١٣٢)، أي إنّ طريق معرفة الصفة يكون على طريق معرفة البدل باتباع طريقة السؤال والجواب، كأن يقال: رأيت محمداً وعندما تمّ البناء والكلام، قيل من هو؟ فليل: الكريم أو الأمين أو العاقل اللبيب، وقد مرّ آنفاً كيف حلّل سببويه الكلام لمعرفة الصفة والبدل في جملة "إنّ زيداً منطلقاً العاقل اللبيب" فـ "العاقل اللبيب" صفة إمّا من زيد أو من الضمير في منطلق، وهي الطريقة نفسها التي اتبعها في هذا الموطن في تمييز الصفة من البدل فتتأزّر والعلاقات بين العناصر ودلالاتها لعدّها صفة أو بدلاً، وقد تشركت في المحلّ الواحد إن لم يؤثّر ذلك في دلالة التركيب.

وأحسب أنّ سببويه في تحليله هذا لم يجعل اللغة جامدة لا تنماز بالظاهرة الاجتماعية، وهي نظرة الدكتور منصور عبدالكريم الكفاوين عندما وُصف تحليل سببويه وأهل اللغة لهذه الظاهرة اللغوية كأنهم يتعاملون مع اللغة كأنها رُكاماً لغوياً^(١٣٣)، وخلاصة رؤيته متأثية من منظوره الذي عبّر عنه ((ومن الأخطاء المنهجية عند علماء اللغة العرب. أنّهم أهملوا عامل الزمن فلم يعترفوا على ما يبدو بأنّ اللغة ظاهرة اجتماعية قابلة للتطور على مرّ الأيام، فلم ينظروا فيما قبل هذه الفترة، أو بعدها نظرة علمية، أو لم يحاولوا الاستفادة من ماضي اللغة أو النظر فيها على فترات التاريخ المتعاقبة))^(١٣٤)، النص فيه كثير من المناقشة، وما يعيننا أمره في هذا البحث شقّص من في عبارة " فلم يعترفوا على ما يبدو بأنّ اللغة ظاهرة اجتماعية" فألحظ أنّ إرجاع تحليل النصّ إلى السؤال والجواب، دليل على التعامل مع اللغة على أنّها ظاهرة اجتماعية، إذ السؤال والجواب يمثّل شقّصاً كبيراً من التعامل اللغوي، فلو رجعنا إلى تداول المتكلمين لوجدنا استعمالهم تعتمد على السؤال والجواب في



أثر السؤال والجواب في التحليل النحوي

الأرض ليس بها هشام.

إنَّ جعلَ السؤال والجواب ذا طابع تحليليٍّ وازى ما ينساق من أدلة نحوية لتسويخ التركيب ودلالة عناصرها، فيكشف عن البعد المعرفي لدى النحويين في الكشف عن حقيقة اللغة التداولية، إذ السؤال والجواب أصلٌ من أصول تكوين أمطات التركيب في اللغة التي في ضوئها يُفهم المعنى معنى التركيب والأصل الذي قيلت فيه، وهو مفهوم التداول.

الخاتمة

١- يثبت أثر السؤال والجواب بوصفه مصدرًا من مصادر التحليل عندما لا يتوافق التركيب والقواعد النحوية القائمة على القياس، فيأتي التحليل بالسؤال والجواب ليحلّ اللبس القائم فيوازي وسائل التحليل النحوي التي تمنع اللبس في الكلام.

٢- إنَّ التحليل بالسؤال والجواب يقع من ضمن الحكم على الكلام بالجائز، وما لحظناه في كثير من مسائل التحليل بالسؤال والجواب التي تُجيز الاستعمال وإنَّ مال فيه النحويون إلى القاعدة لكن نراه يسوغونه على هذا النحو من التحليل.

٣- لا يقتصر التحليل بالسؤال والجواب على ظاهرة نحوية معيّنة، بل يشمل ظواهر نحوية متعدّدة، ومنه ما يخصّ الحذف، ومنه ما يدخل في ائتلاف عناصر التركيب، ومنه ما يدخل في مسائل الإعراب، ويسري التحليل إلى المثل والحكاية.

٤- للسؤال والجواب أثره في التحليل الدلالي وبيان المعنى النحوي، وقد لحظنا ذلك في بيان دلالة "كأنَّ" التي أعطت معنى التعليل في ضوء التحليل بالسؤال والجواب الافتراضيين، وكذا ما لحظناه في ضمير الشأن.

٥- للتحليل بالسؤال والجواب جانبان: الأوّل، افتراضي يعتمده النحوي في تحليله فيُنشئ تحليلًا افتراضيًا من السؤال والجواب، يستمدّ أصوله من واقع اللغة التداولية، والجاني الثاني من التحليل يتعامل به النحوي في ضوء السؤال والجواب الواقعيين الذي يندرج في ضوئه مفهوم الموافقة والمطابقة بن تركيب السؤال وتركيب الجواب.

٦- تحليل أداة الاستفهام "مَنْ" أكبر قدر من افتراض السؤال والجواب في التحليل، لما يلحظ من بيان الخبر أو الصفة أو البدل التي تدلّ على العاقل في ضوئها، أمّا مسائل التحليل في السؤال والجواب الواقعيين فيتسع فيها التحليل إلى "مَنْ" وهمزة الاستفهام و "كم" وغيرها من أدوات الاستفهام.

وقد أوّل ابن هشام عنايته بالسؤال والجواب ليتجاوز به الشرط في جعل الفعل الماضي حالًا من دون تقدير "قد"، وذلك في قوله تعالى { وَلَا عَلَيَّ الَّذِينَ إِذَا مَا اتَّوَكَّ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَحَدٌ مَّا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا يُنْفِقُونَ }^(١٣٣)، قال ابن هشام (("تولّوا" جواب سؤال مقدر، كأنه قيل: فما حالهم إذ ذاك؟ وقيل: "تولّوا" حال على إضمار "قد"))^(١٣٣)، فاندرج السؤال والجواب في التحليل النحوي في جعل الفعل الماضي حالًا من دون تقدير "قد" أو تقدير الفعل الماضي "تولّوا" باسم يقع حالًا، فكان وسيلة مقدّمة على شرط تقدير "قد" مع الفعل الماضي وإعرابه حالًا، فجعل ابن هشام مفهوم التداول أوّل من التقدير؛ لأنَّ تحليل الكلام في ضوء السؤال والجواب يعطي مجالًا لفهم الكلام على تدرج طلب الفهم لإحكام القاعدة على الكلام وجعله مقيّدًا بها.

إفادة "كأنَّ" التعليل

يستقي النحويون المعنى النحوي من القاعدة النحوية والسياق، فهما حاكمان على المعنى النحوي واستخراجه بما يتوافق والعلاقات التركيبية في سياق الكلام، وقد نلحظ للسؤال والجواب أثرهما في تحليل التركيب، ومن ثمَّ إفادة العنصر التركيبي عنى معيّن في ضوئهما، ومن ذلك إفادة "كأنَّ" معنى التعليل، وقد سبق قول الحارث ابن خالد المخزومي في إفادة هذا المعنى في البيت الشعري للحارث ابن خالد المخزومي (من الوافر)^(١٣٤):

فَأَصْبَحَ بَطْنُ مَكَّةَ مُقَشَّعِرًا

كأنَّ الأرضَ ايسَ بها هشامُ
قال ابن هشام ((أي لأنَّ الأرض إذ لا يكون تشبيهًا؛ لأنَّه ليس في الأرض حقيقة، فإن قيل: فإذا كانت للتحقيق فمن أين جاء معنى التعليل، قلت: من جهة إنَّ الكلام معها في المعنى جواب عن سؤال عن العلة مقدر ومثله { اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ }))^(١٣٥)، فهي في هذا البيت تفيد التحقيق، لكنَّ العدول فيها إلى معنى التعليل سوغ طريق التحليل في افتراض السؤال والجواب، فنسج ابن هشام ما يسوغ معنى التعليل في قبال معنى التشبيه الذي تفيد "كأنَّ" وهو المعنى الموضوع لها بوصفها ناسخة لجملة المبتدأ والخبر، والسياق الذي يجعلها تفيد التحقيق، فيأتي السؤال والجواب ليحمله في معنى التعليل، كأنَّ المسألة: "لماذا اصبح بطن مكة مقشعرا" فجاءت "كأنَّ" في محل اللام التي تفيد التعليل وكأنَّ المعنى لأنَّ



النحويون من بعده اعتمدوه بحسب إعمالهم الفكري وثقافتهم العلمية في ضوء استعمال اللغة.

١٠- لم يذهب ابن هشام إلى تقدير "قد" مع الفعل الماضي الذي يقع حالاً على ما ذهب إليه بعض النحويين أو تقديره بمصدر يقع حالاً، بل لجأ إلى السؤال والجواب وجعله حاكماً في تحليل المسألة بما يتلاءم وطبيعة الفهم التداولي في الكلام.

١١- في ضوء مجريات البحث، يتضح أنّ السؤال والجواب قرينة سياق مقامي؛ لأنّها تقوم على الحوار التخاطبي، فيكون السؤال والجواب قرينة دالة على المحذوف بصورة جلية؛ لأنّ المحذوف في الجواب يذكر في السؤال.

٧- يوازي السؤال والجواب العلّة في التحليل النحوي، فهو علّة لتسويغ الكلام؛ لأنّه يكشف عن الاستعمال اللغوي، والاستعمال اللغوي من مسوِّغات إنشاء الجمل والتراكيب على اختلاف أنماطها بالاعتماد على مصدر قياسي، مثل الفصاحة والاستعمال، أي وروده في الكلام العربي، وورود الكلام يقع في دائرة العلّة التي تسوِّغ اختلاف التراكيب، فتكون جائزة على وفق التحليل الذي يسوِّغها.

٨- يكشف السؤال والجواب عن البعد التداولي في التحليل، هو أقرّ على سياق الحال والمقام في الكلام.

٩- يمكن القول إنّ تأصيل التحليل في السؤال والجواب يعود إلى سيبويه، فقد أرسى طريقاً تحليلياً اتّبعه



أثر السؤال والجواب في التحليل النحوي

الهوامش:

مفعوله ولا حذف ولا شاهد وهذه الرواية هي الثابتة عند العسكري وعدّ الرواية الأولى غلطاً فإنه قال في كتاب التصحيف فيما غلط فيه النحويون ومما قلبوه وخالفهم الرواة قول الشاعر * لبيك يزيد ضارع البيت * وقد رواه خالد والأصمعي وغيرهما بالبناء للفاعل من البكاء ونصب يزيد ومثله في كتاب فعلت وأفعلت لأبي حاتم السجستاني قال أنشد الأصمعي لبيك يزيد ضارع أي بالبناء للفاعل ولم يعرف لبيك يزيد أي بالبناء للمفعول وقال هذا من عمل النحويين وزعم بعضهم أنه لا حذف في البيت على الرواية الأولى أيضاً لجواز أن يكون يزيد منادى وضارع نائب الفاعل قال ابن هشام في شرح الشواهد والتوجيه)) خزانة الأدب: ٢٩٧ / ١. لكنّ العسكري لم يغلط النحويين بل هي زيادة من البغدادي، وهذا نص كلامه ((ومما قلبوه وخالفهم الرواة قول الشاعر:

لَيْبِكَ يَزِيدٌ ضَارِعٌ لِحُصُومِهِ

ومختبِطٍ ممّا تَطِيحُ الطوائِحُ.
وقد رواه خالد والأصمعي وغيره: لَيْبِكَ يَزِيدٌ ضَارِعٌ خصوصاً.....البيت)) شرح ما يقع فيه التحريف والتصحيف: ٢٠٨

- ٢١- الكتاب: ١ / ٢٨٨.
- ٢٢- المقتضب: ٣ / ٢٨٢.
- ٢٣- المحتسب: ٢ / ٢٣٠.
- ٢٤- شرح الرضي على الكافية: ١ / ١٩٨.
- ٢٥- المصدر نفسه: ١ / ١٩٧.
- ٢٦- ينظر: شرح المفصل: ١ / ٢١٤.
- ٢٧- أوضح المسالك على ألفية ابن مالك: ٣ / ٤٥٣.
- ٢٨- شرح ابن عقيل: ٢ / ٤٢٤.
- ٢٩- أوضح المسالك على ألفية ابن مالك: ٢ / ٩٢.
- ٣٠- شرح ابن طولون: ١ / ٣١٧.
- ٣١- سور الزمر، الآية: ٣٩.
- ٣٢- سورة الزخرف، الآية: ٩.
- ٣٣- ينظر: معترك الأقران: ٣ / ٤٨٩ و المنهل الصافي: ١٠٢، والبرهان في علوم القرآن: ٣ / ٢٨، والإتقان في علوم القرآن: ١ / ٥٧٣، حاشية الشواني: ١٨٧.
- ٣٤- الحاشية على المطوّل: ١٧٤.
- ٣٥- شرح الرضي على الكافية: ١ / ٤٥٤.
- ٣٦- المصدر نفسه: ١ / ٤٥٤.
- ٣٧- الحاشية على المطوّل: ١٧٤.
- ٣٨- شرح الرضي على الكافية: ١ / ٤٦٣.
- ٣٩- شرح السيرافي: ١ / ٤٧٣.
- ٤٠- ينظر: الكتاب: ١١٨١-١١٩، المقتضب: ٢ / ١١.

- ١- حاشية الصبان: ٢١٢/١.
- ٢- الحدائق الندية في الفوائد الصمدية: ٤٩٧/١.
- ٣- التحليل النحوي عند ابن هشام الأنصاري: ٢٧٢.
- ٤- المورد النحوي الكبير: ٨.
- ٥- التحليل النحوي أصوله وأدلتها: ١٥.
- ٦- الذي نقصده بالوحدة الكلية: ائتلاف العناصر التركيبية من الجانب النحوي بإيجاد العامل والإعراب وتعيين وظيفة كل عنصر، ومن جانب آخر ائتلاف هذه العناصر في ضوء الصحة الدلالية التي تتوافق والجانب النحوي.
- ٧- التداولية عند العلماء العرب: ١٦.
- ٨- الكتاب: ١ / ٤٠.
- ٩- ينظر: الصحاح في اللغة: ١ / ١٢٠، ولسان العرب: ٤٠/٩.
- ١٠- النحو العربي والدرس الحديث: ١١٤.
- ١١- الأصول في النحو: ٢ / ٢٥٤.
- ١٢- ينظر: المقتضب: ٣ / ٢٦٧، والكشاف: ٢ / ٦٥٤، وشرح المفصل لابن يعيش: ١ / ١٢٥.
- ١٣- ينظر: مغني اللبيب: ٢ / ٧٩٧-٧٩٨. ذكر ابن هشام هذا المصطلح، بقوله ((جرت عادة النحويين أن يقولوا يحذف المفعول اختصاراً واقتصاراً ويريدون بالاختصار الحذف للدليل وبالاقتصار الحذف لغير دليل)). مغني اللبيب: ٢ / ٧٩٧-٧٩٨، وينظر: ١ / ٢٠٤ و٢٤٠ و٢ / ٨٧٤ منه.
- ١٤- الخصائص: ١ / ٢٨٥.
- ١٥- الكتاب: ١ / ٤٣٤.
- ١٦- شرح الرضي على الكافية: ٣ / ٢٣٨.
- ١٧- المصدر نفسه: ٣ / ٣٢٢.
- ١٨- الخصائص: ٢ / ٣٦٠.
- ١٩- ينظر: شرح الرضي على الكافية: ١ / ٢٤٩-٢٥١، وشرح التسهيل، لمحمد بن يوسف ناظر الجيش: ٤ / ١٨٣-١٨٦.
- ٢٠- البيت في ديوان الشاعر(نهشل بن حري): ٨٨، اختلف في نسبة فقد نُسب إلى ضرار بن نهشل يرثي أخاه يزيد، ونسبه السيرافي إلى الحارث بن ضرار النهشلي، ونسبه بعضهم إلى مزرد بن ضرار، ونسبه بعضهم إلى نهشل بن حري. ينظر: المقتضب ٣ / ٢٨٢، والخصائص: ٢ / ٣٥٣، قال البغدادي ((على أنّ الفعل المسند إلى ضارع حذف جوازاً أي: يبيكه ضارع، وهذا على رواية لَيْبِكَ بالبناء للمفعول ويزيد نائب فاعل، وأما على روايته بالبناء للفاعل ففاعله ضارع ويزيد



- الأصول في النحو: ١/ ١٨٠.
- ٤١- شرح ابن عقيل: ٢/ ٤٠٠.
- ٤٢- شرح ابن طولون: ١/ ٢٩٨.
- ٤٣- اللمع: ٩٩.
- ٤٤- الكتاب: ٢/ ١٨١-١٨٢.
- ٤٥- سورة البقرة، الآية: ١٧٧.
- ٤٦- سورة نفسها، الآية: ٩٠.
- ٤٧- الكتاب: ٣/ ١٥٥.
- ٤٨- ينظر شرح ابن عقيل: ١/ ٢٣٤-٢٣٩، وأوضح المسالك على ألفية ابن مالك: ١/ ٢٢٠-٢٢٧.
- ٤٩- شرح ابن عقيل: ٢/ ٢٥.
- ٥٠- ينظر: المصدر نفسه: ٣/ ٤٩٨، وارتشاف الضرب: ٤/ ١٧٥٧، وشرح المفصل: ٨/ ٥٠، وأوضح المسالك: ٣: ٧٩-٨٠.
- ٥١- أوضح المسالك على ألفية ابن مالك: ٣/ ٧٩.
- ٥٢- شرح الرضي على الكافية: ٤٥٣-٤٥٤.
- ٥٣- الكتاب: ٢/ ١٣٠.
- ٥٤- شرح الرضي: ٤/ ٣٠٠.
- ٥٥- ينظر: الأساليب الإنشائية في النحو العربي: ١٦٥-١٦٦.
- ٥٦- سورة الأنبياء، الآية ٥٧.
- ٥٧- سورة يوسف، الآية ٨٥.
- ٥٨- سورة يوسف، الآية ٨١.
- ٥٩- سورة نفسها، الآية/ ٨٣.
- ٦٠- سورة العصر: ١.
- ٦١- سورة التين: ١.
- ٦٢- الكتاب: ١/ ٢٨٨.
- ٦٣- شرح السيرافي: ٢/ ١٢٥.
- ٦٤- الكتاب: ١/ ٣٦٠.
- ٦٥- ينظر: المصدر نفسه: ١/ ٣٦٠.
- ٦٦- نتائج الفكر: ١٧٠.
- ٦٧- شرح السيرافي: ٢/ ٢٤٣.
- ٦٨- الكامل في اللغة والأدب: ٢/ ١٥.
- ٦٩- شرح الرضي على الكافية: ١/ ٣١٩.
- ٧٠- الكتاب: ١/ ٣٧٠-٣٧١.
- ٧١- النكت في تفسير كتاب سيبويه: ١٩٠.
- ٧٢- الكتاب: ١/ ٣٧٢.
- ٧٣- الخصائص: ٢/ ٣٩٧.
- ٧٤- الإيضاح في شرح المفصل: ٤/ ١٢٠.
- ٧٥- شرح الرضي على الكافية: ٢/ ٤٦٤-٤٦٥.
- ٧٦- المصدر نفسه: ٢/ ٤٦٤.
- ٧٧- النجم الثاقب: ٢/ ٥٣.
- ٧٨- سورة الإخلاص، الآية: ١.
- ٧٩- ضمير الشأن والفصل دراسة ومقاربة لسانية/ بحث: ١٧.
- ٨٠- الكتاب: ٢/ ٩٦.
- ٨١- المصدر نفسه ٢/ ٦٩.
- ٨٢- المصدر نفسه: ٢/ ١٧.
- ٨٣- ينظر الكافية لابن الحاجب: ١/ ٣١٠، وشرح الرضي على الكافية: ٢/ ٣٢١.
- ٨٤- الكتاب: ٢/ ١٦.
- ٨٥- ينظر الكتاب: ٢/ ٢٧٤-٢٧٥. وأوضح المسالك: ٢/ ١٣، و شرح الكافية في علم النحو: ١/ ٢٥٥.
- ٨٦- ينظر شرح التسهيل، لمحمد بن مالك: ١/ ٤٣٥.
- ٨٧- شرح الرضي على الكافية: ٢/ ١٥٥.
- ٨٨- شرح الدماميني: ٢/ ١٢٦.
- ٨٩- أسرار العربية: ١٤٣.
- ٩٠- ينظر: شرح ابن عقيل: ٢/ ٣٥٩، وشرح الأشموني: ٢/ ٤٠٣-٤٠٤.
- ٩١- كشف المشكل في النحو: ٥٢٢.
- ٩٢- الحكاية في الفكر النحوي، دراسة لسانية في ضوء التداولية/ بحث: ١١٦.
- ٩٣- شرح التصريح على التوضيح: ٢/ ٤٧٩.
- ٩٤- شرح اللمع في النحو: ٣٧٧-٣٧٨.
- ٩٥- ينظر: كشف المشكل في النحو: ٥٢٢.
- ٩٦- الكتاب: ٢/ ٣٩٩-٤٠٠.
- ٩٧- المصدر نفسه: ٢/ ٤٠١.
- ٩٨- الأصول في النحو: ٢/ ٣٢٥.
- ٩٩- الكتاب: ٢/ ٤٠١.
- ١٠٠- ينظر أساليب التعبير عند الخليل بن أحمد: ٢/ ٢٠٧-٢٠٨.
- ١٠١- الكتاب: ٢/ ٤٠٢.
- ١٠٢- المصدر نفسه: ٢/ ٤٠٢.
- ١٠٣- المصدر نفسه: ١/ ٤٠٣.
- ١٠٤- التخمير (شرح المقصل في صنعة الإعراب): ١/ ٤٤٧.
- ١٠٥- ينظر شرح الرضي على الكافية: ٣/ ١٣٢.
- ١٠٦- المصدر نفسه: ٢/ ٧٩.
- ١٠٧- الكتاب: ٢/ ٣١٤.
- ١٠٨- شرح المفصل لابن يعيش: ٤/ ٢٠.
- ١٠٩- المنهل الصافي في شرح الوافي: ١٩٧-١٩٨.
- ١١٠- همع الهوامع: ٣/ ١١٧.
- ١١١- الكتاب: ٢/ ١٤٧.
- ١١٢- الصراع بين التركيب النحوية: ٤٦.



أثر السؤال والجواب في التحليل النحوي

- ١٢٥- ينظر: العلاقات الفعلية في كتاب سيويه: ٦٥.
 ١٢٦- الكتاب: ٤٢ / ٢.
 ١٢٧- ينظر الركام اللغوي بين القدامى والمحدثين: ١١ و ٤٣ و ٥٤.
 ١٢٨- الركام اللغوي بين القدامى والمحدثين: ١١.
 ١٢٩- الكتاب: ٧٢ / ٢.
 ١٣٠- سورة النساء، الآية: ٩٠.
 ١٣١- ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، المسألة (٣٢): ١ / ٣٢.
 ١٣٢- سورة التوبة، الآية: ٩٢.
 ١٣٣- مغني اللبيب: ٥٨٨ / ٢.
 ١٣٤- ديوانه (شعر الحارث ابن خالد المخزومي): ٩٣، وخزانة الأدب: ١ / ٢١٧.
 ١٣٥- مغني اللبيب: ٢٥٣ / ١.

- ١١٣- شرح السيرافي: ٢ / ٤٧٥.
 ١١٤- سورة الحجر، الآية: ٢٠.
 ١١٥- ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ٢ / ٧٧٩.
 ١١٦- شرح الرضي على الكافية: ٣ / ٥٦.
 ١١٧- مغني اللبيب: ٢ / ٤٣٢.
 ١١٨- شرح الرضي على الكافية: ٣ / ٢١٧.
 ١١٩- حاشية الخضري: ١ / ١١.
 ١٢٠- ينظر: الدر المصون: ١ / ٣٠.
 ١٢١- ينظر شرح ابن عقيل: ٤١٩ - ٤٢٠. وشرح الأشموني: ٢ / ١٤٧.
 ١٢٢- سورة الأنبياء، الآية: ٣.
 ١٢٣- الكتاب: ٢ / ٤٠ - ٤١.
 ١٢٤- ينظر: نظرية تشومسكي التوليدية التحويلية الأسس والمفاهيم: ٨ - ٩.



المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- الاتقان في علوم القرآن، عبدالرحمن بن محمد السيوطي / ٩١١ هـ، ط / الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ١٤٢٩ هـ- ٢٠٠٨ م.
- ٣- ارتشاف الضرب من كلام العرب، إي حيان الأندلسي، تحقيق: رجب عثمان محمد، ط / الأولى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨.
- ٤- الأساليب الانشائية في النحو العربي، د. عبد السلام محمد هارون، ط / الخامسة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٢١ هـ- ٢٠٠١ م.
- ٥- أساليب العبير عند الخليل بن أحمد، د. هادي حسن حمودي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ٦- أسرار العربية، عبدالرحمن بن محمد بن سعيد الأنباري، ت ٥٧٧ هـ، تحقيق: محمد بهجت البيطار، مطبوعات المجمع العلمي، دمشق، (د. ط. ت).
- ٧- الأصول في النحو، لأبي بكر محمد بن سيهبل السراج، ت ٣١٦ هـ، تحقيق: د. عبدالحسن الفتلي، ط / ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٧ هـ- ١٩٩٦ م.
- ٨- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين، عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري النحوي (ابن الأنباري)، تحقيق محي الدين عبدالحميد، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، مصر، (د. ط.).
- ٩- أوضح المسالك على ألفية ابن مالك، ابن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، ط / السادسة، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٤ هـ- ١٩٧٤ م.
- ١٠- الإيضاح في شرح المفصل، أبي عثمان المعروف بابن الحاجب، ت ٦٤٦ هـ، تحقيق: د. موسى بنأي العلي، مطبعة العاني، بغداد، (د. ط. ت).
- ١١- البرهان في علوم القرآن، محمد بن عبدالله الزركشي، تحقيق: محمد ابو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر. (د. ط. ت).
- ١٢- تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، ت ٣٩٣ هـ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط / الرابعة. دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- ١٣- التبيان في إعراب القرآن، عبدالله بن الحسين العكبري، تحقيق: علي محمد الجاوي، مكتبة ابن تيمية، (د. ط. د. ت).
- ١٤- التحليل النحوي أصوله وأدلته، د. فخر الدين قباوة، ط / الأولى، الشركة العالمية المصرية للنشر، القاهرة، ٢٠٠٠ م.
- ١٥- التحليل النحوي عند ابن هشام الأنصاري، د. وائل الحربي، ط / الأولى، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ١٤٣٧ هـ- ٢٠١٦ م.
- ١٦- التخمير (شرح المفصل في صنعة الإعراب)، القاسم بن الحسين الخوارزمي صدر الفاضل، ت ٦١٧ هـ، تحقيق: د. عبدالرحمن بن سلمان العثيمين، ط / الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ١٩٩٠ م.
- ١٧- التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، د. مسعود صحراوي، ط / الأولى، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥ م.
- ١٨- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري، تحقيق: د. بشار عواد معروف، عصام فارس الحرستاني، ط / الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤١٥ هـ- ١٩٩٤ م.
- ١٩- حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك، محمد الخضري، ت ١٣٥٤ هـ، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، ط / الأولى، دار الفكر، ١٤٢٤ هـ- ٢٠٠٣ م.
- ٢٠- حاشية الشواني على مختصر ابن حمزة، محمد الشواني، ط / الثانية، الطبعة الحجرية، ١٢٨٦ هـ.
- ٢١- الحاشية على المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم في علوم البلاغة، أبي الحسن علي بن محمد بن علي، ت ٨١٦ هـ، تحقيق: د. رشيد أعرضي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٨ هـ- ٢٠٠٧ م. (د. ط.).
- ٢٢- الحدائق الندية في شرح الفوائد الصمدية، علي خان بن أحمد المدني، ت ١١٢٠ هـ، تحقيق: د. أبو الفضل سجادي، ط / الثانية، منشورات ذوي القربى، مطبعة روح الأمين، قم، ١٤٣٢ هـ.
- ٢٣- خزنة الأدب ولب لباب العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، ت ١٠٩٣ هـ، تحقيق: د. عبدالسلام محمد هارون، ط / ٤، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤١٨ هـ- ١٩٩٧ م.
- ٢٤- الخصائص، أبي الفتح عثمان بن جني، ت ٣٩٢ هـ، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، دار الكتب المصرية، (د. ت) (د. ط.).
- ٢٥- ديوان نهشل بن حري، صنعة الدكتور حاتم صالح الضامن، ط / الأولى، عالم الكتب، ١٤٠٧ هـ- ١٩٧٨ م.
- ٢٦- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالله بن عقيل، ط / الثانية، دار زين العابدين، قم، ٢٠١٩ م.
- ٢٧- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك المسمى منهج



أثر السؤال والجواب في التحليل النحوي

- (د،ت).
- ٣٧- شعر الحارث بن خالد المخزومي، د. يحيى الجبوري، ط/ الأولى، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢.
- ٣٨- ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، طاهر سليمان حمودة، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ١٩٩٩، (د.ط).
- ٣٩- ظاهرة الركam اللغوي بين القدماء والمحدثين، د. منصور عبد الكريم الكفاوين، ط/ الأولى، دار الخليج للصحافة والنشر، الأردن، ٢٠١٧.
- ٤٠- العلاقات الفعلية في كتاب سيبويه دراسة في التراث النحوي وعلم اللغة الحديث، خليل عبدالله عجينة، ط/ الأولى، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ٢٠١٥.
- ٤١- الكافية في علم النحو، عثمان بن عمر أبي بكر المعروف بابن الحاجب، ت٦٤٦هـ، تحقيق: د. صالح عبد العظيم الشاعر، مكتبة الآداب، القاهرة، (د. ط. ت).
- ٤٢- الكتاب، أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، ت١٨٠هـ، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، ط/٣، مكتبة الخانجي، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.
- ٤٣- كشف المشكل في النحو، علي بن سليمان الحيدرة اليمني، ت٥٩٩هـ، دراسة وتحقيق: د. هادي عطية مطر الهلالي، ط/١، دار عمار للنشر، عمان الأردن، ١٤٢٣-٢٠٠٢م.
- ٤٤- لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، لبنان، بيروت، (د.ط، د.ت).
- ٤٥- المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، عثمان بن جني، ت٣٩٢، تحقيق: د. علي النجدي ناصف، د. عبدالحليم النجار، ط/ الثانية، القاهرة، (د. ت).
- ٤٦- معترك الأقران في إعجاز القرآن، عبد الرحمن أبي بكر السيوطي، ت٩١١هـ، تحقيق: أحمد شمس الدين، ط/ الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨.
- ٤٧- مغني اللبيب عن كتب الأعراب، عبدالله بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن يوسف بن هشام الأنصاري، ت٧٦١هـ، تحقيق: مازن المبارك، ومحمد عبدالله، ط/ السادسة، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٥م.
- ٤٨- المقتضب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرّد، ت٢٨٥هـ، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، ط/٢، دار الرشد، الرياض، السعودية، ١٩٨٦.

- السالك إلى ألفية ابن مالك، علي بن محمد بن عيسى أبو الحسن الأشموني، قدم له وأتمّ تحقيقه: عادل عبد المنعم أبو العباس، دار الطلائع، القاهرة، ٢٠١٤م.
- ٢٨- شرح التسهيل، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، محمد بن مالك، ط/ الأولى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، وطارق فتحي السيد، دار الفكر العلمية، بيروت، ٢٠٠١.
- ٢٨- شرح التسهيل، المسمّى تهديد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، محمد بن يوسف بن أحمد ناظر الجيش، ت٧٧٨هـ، تحقيق علي محمد فاخر، وآخرون، ط/ الأولى، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، بيروت، لبنان.
- ٢٩- شرح التصريح على التوضيح، خالد بن عبدالله عليمي يس بن زين الدين الأزهرى، دار الكتب العلمية، ط/ الأولى، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م.
- ٣٠- شرح الدماميني على مغني اللبيب، محمد بن أبي بكر الدماميني، تحقيق: أحمد عزو عناية، ط/ الأولى، مؤسسة التاريخ العربي، لبنان بيروت، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- ٣١- شرح الرضي المعروف بشرح كافية ابن الحاجب، رضى الدين الاسترابادي ت٦٤٦هـ، وضع هوامشه: د. إميل بديع يعقوب، ط/ ١، مؤسسة التاريخ العربي، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
- ٣٢- شرح اللمع في النحو، علي بن الحسين الباقولي الأصفهاني، ت٥٤٣هـ، تحقيق: د. إبراهيم بن محمد بن عبا، طباعة إدرأة جامعة محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، ١٤١١هـ- ١٩٩٠.
- ٣٣- شرح المفصل، يعيش بن علي بن يعيش النحوي، ت٦٤٣هـ، صحح وعلق عليه مشيخة الأزهر، عنيت بطبعه ونشره إدارة الطباعة المنيرية، مصر (د، ت).
- ٣٤- شرح كتاب سيبويه، لأبي سعيد السيرافي، ت٣٦٨هـ، تحقيق: أحمد حسن مهدي، وعلي سيد علي، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.
- ٣٥- شرح ما يقع فيه التحريف والتصحيح، الحسن بن عبدالله العسكري، ت٣٨٢هـ، تحقيق: عبدالعزيز أحمد، ط/ الأولى، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٨٣هـ- ١٩٦٣.
- ٣٦- شرح ابن طولون على ألفية ابن مالك، محمد بن علي بن طولون الدمشقي الصالحي ابن طولون، ت٩٥٣هـ، تحقيق: الدكتور عبد الحميد جاسم محمد الفياض الكبيسي، ط/ الأولى، دار الكتب العلمية،



- ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
الرسائل والأطاريح
- ٥٥- الصراع بين التراكيب دراسة في كتاب سيوييه، رسالة دكتوراه، الباحث: عبدالله محمد طالب الكناعنة، إشراف: أ. د. يحيى العبابنة، جامعة اليرموك، قسم اللغة العربية، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م
المجلات والدوريات
- ٥٦- الحكاية في الفكر النحوي دراسة لسانية في ضوء التداولية، عمر محمد أبو نؤاس، مجلة أماراباك الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا، المجلد الخامس عشر، ٢٠١٤م.
- ٥٧- ضمير الشأن والفصل دراسة ومقاربة لسانية، د. فوزي حسن الشايب، حوليات الآداب العلوم الاجتماعية، مجلس النشر العلمي، الكويت، الحولية السابعة والعشرون، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- ٥٨- ظاهرة الحذف في النحو العربي، بو شعيب برامو، مجلة عالم الفكر، المجلد/٣٤، العدد/٣، الكويت.
- ٥٩- نظرية تشومسكي التوليدية التحويلية الأسس والمفاهيم، د. مختار درقاوي، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، قسم الآداب والفلسفة، العدد/ ١٣ جوان، ٢٠١٤م.

- ٤٩- المنهل الصافي شرح الوافي، محمد بن عثمان البلخي، ت ٨٠٠هـ، تأليف محمد بن أبي بكر الدماميني، ٨٢٨هـ، تحقيق: د. آخر جبر مطر، ط/ الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د. ت).
- ٥٠- نتائج الفكر في النحو، لأبي عبدالرحمن بن عبدالله السهيلي، ت ٥١٨هـ، حققه وعلّق عليه: الشيخ عادل أحمد عبدالموجود، والشيخ علي محمد عوض، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- ٥١- النجم الثاقب شرح كافية ابن الحاجب، صلاح بن علي بن محمد بن أبي القاسم، ت ٨٤٩هـ، ط/ الأولى، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، صنعاء، اليمن، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- ٥٢- النحو العربي والدرس الحديث، عبده الراجحي، ط/ الأولى، دار النهضة للطباعة، بيروت، ١٩٧٩م.
- ٥٣- النكت في تفسير كتاب سيوييه وتبيين الخفي من لفظه وشرح أبياته وغريبه، يوسف بن سليمان بن بن عيسى الأعلم الشمنتري، ت ٤٧٦هـ، تحقيق: أ. رشيد بلحبيب، المملكة المغربية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- ٥٤- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين عبدالرحمن أبي بكر السيوطي ت ٩١١هـ، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار عالم الكتب، بيروت - لبنان،



العلاقات الزمنية والجهية في الخطاب القرآني مقارنة تداولية

مهّد ناصر حسين القرشي

أ. د. لطيفة عبد الرسول

الجامعة المستنصرية / كلية الآداب

قسم اللغة العربية

Temporal and Regional Relationships in the Qur'anic Discourse: A Pragmatic Approach

Prof. Dr. Latifa Abdul Rasool

Muhannad Nasir Hussain Al-Quraishi



الملخص

يسعى هذا البحث إلى حلّ عددٍ من الإشكالات المرتبطة بالعلاقة بين الأزمنة والأحداث في الخطاب القرآني، ومعالجة القضايا المتعلقة بما يُسمّى حشوية الأزمنة، أو التباس الزمن في السياق؛ ومن بين تلك الإشكالات: لماذا يتقدّم الزمن في بعض النصوص إلى الأمام، ويتأخّر في أخرى؟ وهل تحمل الجهات الزمنية مؤشرات ما، على تقدّم الأحداث إلى الأمام، أو تراجعها إلى الخلف؟ وكيف يمكن ضبط مسار الأحداث في الجهات الزمنية الخالية من أيّ مؤشرات؟ ومن ثمّ يستعين البحث بمفاهيم من اللسانيات التداولية لحلّ تلك الإشكالات؛ وذلك أنّ التداولية تشغل على تلك القضايا المشار إليها، وعن طريق المنهج التداولي سيقدّم البحث تحليلات زمنية وجاهية على آيات قرآنية، تهدف إلى تنظيم العلاقات بين الزمن والجهة، وترتيب مسار الأحداث فيهما، ورفع اللبس الذي قد يفهمه المتلقّي للنص، أو الخطاب، وسيبيّن البحث أنّ هناك جهات زمنية تحمل مؤشرات تكشف عن المسار الاتجاّهي للأحداث، وأنّ هناك جهات أخرى خالية من تلك المؤشرات، وهنا لا بُدّ من استحضار السياق، أو المكونات، أو الروابط التداولية؛ لتعيين المسار الزمني والجهي للأحداث.



Abstract

This research seeks to solve a number of problems related to the relationship between times and events in the Qur'anic discourse and to address issues related to the so-called visceral times, or the ambiguity of time in the context. Among those problems: Why does time in some texts move forward, and delay in others? Do the temporal directions bear any indications of the progress of events forward, or their regression back? How can we adjust the course of events in the time horizons that are free of any indicators? Then the research uses concepts from pragmatic linguistics to solve these problems. This is because pragmatics works on those issues referred to and through its approach, the research will present temporal and facial analyzes on Qur'anic verses, aiming at regulating the relations between time and destination, arranging the course of events in them, and removing the confusion that the recipient of the text or discourse may understand. It will show that there are temporal destinations that bear indicators that reveal the directional course of events. There are also other destinations that are devoid of these indicators. Hence, it is necessary to invoke the context, components, or trading links to determine the temporal and chronological course of events.

Keywords: time, direction, interchangeability.



إن مشكلات الزمن والجهة قديمة جداً، وقد قدم النحويون أوصافاً دقيقة مبنية على متون أدبية تتضمن استعمالات متنوعة لأزمنة الأفعال، واقترحوا - في الغالب - فرضيات عامة تُفسر تنوع استعمال أزمنة الأفعال، وتتمثل إحدى خصائص المقاربات النحوية في ربط أزمنة الأفعال بمحتوى تصوري، فالرؤية إذاً دلالية، والفكرة تقوم على أن لأزمنة الأفعال دلالة، وأنها تسمح بالإنفاذ إلى تمثيل الحدث، وتتناقض هذه الرؤية الواقعية للغة مع لا واقعية (فيزيش)، وتسمح بفهم لماذا ننفذ في أثناء قراءة السرد إلى تمثيل الأحداث؟ ويكمن خطأ النحويين بالمقابل في عدّ محتوى المورفييمات الزمنية تصورياً.

ويعود التراجع الذي أدت إليه اللسانيات النصية إذاً، ومنها نظرية فيزيش إلى أن فرضيتها الضمنية - أزمنة الأفعال إشارات مطردة، ولها وظيفة في مستوى الخطاب - لا تُفسر الدور الدلالي للمورفييمات النحوية في تأويل الملفوظات، فبدلاً من أن تتوضّح الظواهر الدلالية تزداد غموضاً؛ إذ لا شيء يسمح على سبيل المثال بتفسير لماذا تكون جهة الماضي البسيط، أو المطلق جهة الواجبة، والماضي المستمر جهة الخلفية؟ وفي هذا الصدد فإن المقاربات التداولية مفيدة جداً، في دراسة مثل هذه الإشكالات، وإن مفاهيم مثل: جهة التمام والالتزام تُقدم جواباً عن هذه الأسئلة^(١).

تعرّبت - في اللسانيات - القضايا المتصلة بالزمن في اللغة والخطاب تغييراً جذرياً منذ عقد من الزمن؛ وذلك لأن علم الدلالة والتداولية بحثاً في مشكلات تخص الخطاب، مثل العائدية الخطابية، وأزمنة الأفعال^(٢)، وقد لاحظ (هانس كامب) و(كريستيان روهري) أن تأويل الخطابين الموالين يفرض عقد علاقة بين الوحدات المرجعية، أو الطبقات الجهية من جهة، والعلاقات المنطقية بين هذه الوحدات من جهة أخرى^(٣).

وقبل بيان العلاقات الزمنية والجهية في ترتيب الأحداث داخل النص، أو الخطاب تشير الدراسة إلى أهم المحاور التي اشتغلت عليها المقاربات التداولية، وهي^(٤):

١- إشكالية العلاقة بين الأزمنة والأحداث في النصوص والخطابات، فالأزمنة ترتبط على وفق علاقات إما إحصائية، أو اتجاهية، أي إن الزمن الإحصائي للحدث إما يتقدم إلى الأمام، فنكون بصدد متواليات أحداث داخل الخطاب يتقدم فيها الزمن الإحصائي، فتسلسل الأحداث

زمنياً، أو إن الزمن يتراجع إلى الخلف ليحتوي زمناً آخر، أو أن يحدث احتواء جزئي للأزمنة، بمعنى أن زمن حدثٍ يحتوي جزءاً من زمن حدثٍ سابقٍ عليه في الترتيب.

٢- إشكالية حشوية الأزمنة، أو مسألة التباس الزمن في السياق، ومن المعلوم أن المعالجة السقوية للأزمنة حاولت تقديم خطاطات للأزمنة، قائمة على أساس التمييز بين المحتوى الزمني للأزمنة الصرفية، لتمنح كل زمن صريفاً دلالة زمنية تميزه عن سائر الأزمنة التي يتعارض معها في الجداول الزمنية المقترحة لأزمنة لغة محددة، وتعرض المقاربة السقوية التي تميز بين جهات الأزمنة بحسب الإشكالية المذكورة مشكلات عدة؛ لأن الجهات تقبل أن تتناوب في بعض السياقات بدلالة متماثلة.

٣- إشكالية المنظور الزمني، وترتبط بالمنظور الموجه لإحالة الزمن، فالنص الذي ينطلق من الافتراض الإشاري للزمن يعدّ زمن الحدث مربوطاً إشارياً بنقطة التلطف (الآن) المقترن بالتجرد بالمتكلم، ولعل أبرز مشكل يعترض هذا التخصيص أن الأزمنة في سياقات معينة قد تكون حاملة لآثار دلالية وتأويلية مرتبطة بمنظور ذاتي لفاعل الجملة وليس المتكلم.

وفي ضوء ما تقدم، يفهم أن مفاهيم اللسانيات التداولية بحثت في قضايا الزمن والجهة، في مسعى منها لحل ما اعترضها من إشكالات تتعلق في ترتيب الأحداث داخل النص، أو الخطاب زمنياً وجهياً، وفك الالتباس الذي قد يحصل في ذلك، والاهتمام بسياق الجملة، ومقاصد المتكلمين، لما لها من أثر بارز في تحديد الوظائف الدلالية للجهات الزمنية، وبعد مفهوم الاستنتاج الاتجاهي، أبرز المفاهيم التداولية في معالجة القضايا المتصلة بترتيب الأحداث، وحشوية الأزمنة، أو التباسها، وتحديد موقف المتكلم منها، وطريقة تلقيها من لدن المخاطب.

الاستنتاج الاتجاهي:

يقصد بالعلاقة الاتجاهية، أو ما اصطلح عليه (موشلر) بالاستنتاج الاتجاهي المسار الاتجاهي المتوالي من الأفعال داخل النص، أو الخطاب، وتباين اتجاهات هذا المسار؛ إذ يمكن لأحداث متتالية أن تجعل الزمن الإحصائي يتقدم إلى الأمام، أو يتراجع إلى الوراء، أو أن يكون زمن الحدث السابق متضمناً في الزمن الإحصائي للزمن اللاحق، وهذا المسار الأخير يفرز القراءة العائدية للأزمنة داخل النص، أو الخطاب^(٥)، والسؤال هنا: لماذا يتقدم الزمن في بعض النصوص،



ولماذا يتأخر في أخرى؟، وما هو موقف المتكلم منها، وطريقة فهمها عن المتلقي؟

للإجابة عن ذلك حدّد (جاك موشلار) و(آن ريبول) ثلاث أطروحات، تفسّر الكيفية التي يتقدّم فيها، أو يتأخر، ومن ثمّ تسهم في تحديد مقاصد المتكلمين، وهي على النحو الآتي:

أولاً: الأطروحة العائدية: وتتمثّل في عدّ زمن الفعل مسؤولاً عن الترتيب الزمنيّ والجهي للأحداث، فيتقدّم الزمن مع الماضي البسيط، أو المطلق، ولا يتقدّم مع الماضي المستمر، وتعود الأطروحة إلى (كامب) و(روهرر)^(٦)، وسُمّيت بالعائدية؛ لأنها تحدّد العلاقات الزمنيّة على أساس الطابع المستقل، أو غير المستقل لأزمنة الأفعال، من أجل تثبيت إحالتها الزمنيّة الخاصّة^(٧)، ويمكن أن تُمثل لهذه الأطروحة من القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْتَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٨٧]، وقوله: ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ﴾ [يوسف: ٢٥]، وقوله: ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكَيْلًا﴾ [الإسراء: ٢]، وقوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [العنكبوت: ٢٧]، ففي الآية الأولى رتبت جهة الماضي المطلق حدّي الإتيان والتأييد ترتيباً أمامياً؛ وذلك أنّ الله سبحانه وتعالى أعطى نبيه عيسى (عليه السّلام) البيّنات المتمثّلة بالمعجزات وكتاب الإنجيل، ثمّ أيّده وقوّاه وأعانته على حمل رسالته وتبليغها^(٨)، وهذا يقتضي أن يكون الحدّثان في النصّ مرّتبين على التوالي، وفي الآية الثانية أنتجت جهة الماضي المطلق قراءة تقدّميّة للأحداث، فحدث الاستباق أولاً، يليه حدث القدّ، ثم حدث الإلقاء، فلا يُمكن أن تُقرأ هذه الأحداث قراءة عكسيّة، وأمّا الآية الثالثة فقراءتها الزمنيّة والجهيّة دالّة أيضاً على مسار استنتاجي تقدّمي، ف((جعل موسى هدى لبني إسرائيل نتيجة مرّتبة على إتيانه الكتاب))^(٩)، وبحسب هذا التصور لا مجال أيضاً لأن يُقرأ الحدّثان قراءةً جهيّة معكوسة، وفي الآية الرابعة وهبّ الله عزّ وجلّ نبيه إبراهيم (عليه السّلام) إسحاق ويعقوب (عليهما السّلام)؛ ليجعل في ذريّتهم النبوّة والكتاب، وذلك يشير إلى ترتيب زمنيّ وجهي يتقدّم إلى الأمام في الحدّثين المذكورين.

ويلاحظ ممّا تقدّم أنّ جهة الماضي المطلق قد أنتجت ترتيباً تقدّميّاً للأحداث، قائماً على أساس العلاقات السببيّة، أو المعلومات السّياقيّة الواردة في

النصّ أو الخطاب، بمعنى أنّ هذه الجهة لا تحمل أيّ مؤشرات تدلّ على أنّ الأحداث متوالية الحصول، إلّا بالاعتماد على المعارف الخلفيّة والافتراضات السّابقة لدى المتكلم والمخاطب عن النصّ أو الخطاب، ففي التّشكّلات الزمنيّة قد تكون نسبة الأماميّة للخلفيّة كنسبة المصدّر في الصّورة إلى المشهد الخلفي، وهذا ما يُفسّر أنّ المعلومات الخلفيّة يُمكن أن تكون ذات طبيعة زمنيّة وغير زمنيّة، ثمّ إنّ اختيار أزمنة الفعل محدّد بموقف تكلم، أو خطّة قول، وهو يشير في المقابل إلى هذا الاختيار من قبل المتكلم، أو السارد^(١٠).

وقد تنعدم القراءة الاتّجاهيّة لجهة الماضي البسيط، أو المطلق، فتتأرجح بين التّقدّم للأمام، والعودة إلى الخلف، بحسب ما تفرضه العلاقات السببيّة بين الأحداث، والمعلومات السّياقيّة الواردة في النصّ، أو الخطاب، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ * وَجَعَلْنَاهُمَا قَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ * وَنَصَرْنَا هُمَا فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ * وَأَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ * وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الصّافات: ١١٤-١١٨]، ففي متوالية الأحداث في هذه الآيات تتعدّم السّمات الاتّجاهيّة الدالّة على المسار التّقدّمي؛ إذ يحتوي الفعل الأول الذي تبدأ به الآيات زمنيّاً كلّ المتوالات الزمنيّة والجهيّة التي تتلوها في النصّ، فالنّجاة والنّصر وإتيان الكتاب والهداية تُفسّر فعل المنّ على موسى وهارون (عليهما السّلام) وبنو إسرائيل عموماً، وأمّا فعل النّجاة والنّصر وإتيان الكتاب فأحداث يمكن أن تتنظم في مسار اتّجاهي تقدّمي، وهنا لا بُدّ من التّأويل، واستحضار السّباق العام، لخروج بني إسرائيل من مصر، وخلاصهم من فرعون؛ لتأويل المسار التّقدّمي للأحداث في جهة الماضي المطلق، فعبور بني إسرائيل البحر بتدخّل المعجزة الإلهيّة فعل نّجاة، تبعه النّصر، وأمّا تلقّي موسى (عليه السّلام) الكتاب فلم يتمّ إلاّ بعد فعل الخروج^(١١)، وفيما يخصّ فعل الهداية فمساره الاتّجاهي ملتبس؛ إذ يُمكن أن يُفهم أنّه حاصل بعد إتيان الكتاب، أو قبله، حينما كان موسى يندّر أتباعه في مصر قبل الخروج^(١٢).

أمّا جهة الماضي المستمرّ فإنّه يمكن قبول فرضية انعدام تقدّم الحدث إلى الأمام؛ وذلك لأنّ هذه الجهة تُعبّر عن علاقة الإدماج، أي: إنّ الجهة الزمنيّة للحدث السابق مُدمّجة في جهة زمن الماضي المستمرّ، كما يتّضح في المثال الآتي:

- دخل محمّد وعلي، وكانت فاطمة تُهاثف.
التّأويل هو حينما دخل محمّد وعلي، كانت فاطمة



العلاقات الزمنية والجهية في الخطاب القرآني...

إلى الأمام بدل جهة الماضي المطلق، أو البسيط؟ بمعنى لماذا لم يقل: (وأبيناهم، وأعرضوا عنها)؟.

والجواب: يرى (موشلير) أن الآثار التأويلية لجهة الماضي المستمر في الخطاب يمكن فهمها في نظرية تداولية للزمن في اللغات الطبيعية، إذا أدرج مفهوم المنظور الذاتي، فاستعمال جهة الماضي البسيط - فيما لو كان في الآية السابقة - ينتج منظوراً زمنياً محلياً، خلافاً لجهة الماضي المستمر، الذي يجعل المنظور الزمني للفعل منقولاً من وجهة النظر الذاتية لفاعل الجملة، كحالة ناتجة عن فعل إتيان الآيات، يُحسُّ أثرها بشكل خاص، وهذا الأثر التأويلي لا يمكن لجهة الماضي البسيط أن تدلَّ عليه^(١٧).

ويوسِّع الباحث هذا التصور؛ ليشمل جهات الزمن الماضي الأخرى، فجهته الماضي المؤكَّد لا تحمل أي سمة اتجاهية؛ لترتيب الحدث في مسار تقدُّمي، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤]. ففي هذا النص تنعدم القراءة الاتجاهية الأمامية لجهة الزمن الماضي المؤكَّد؛ لغياب المؤشرات اللغوية التي تساعد على ترتيب الحدث ترتيباً زمنياً متسلسلاً، وإذا افترضنا تقدُّم الحدث إلى الإمام فذلك يأتي من المعلومات السياقية المحتملة؛ إذ ذكر المفسرون أن المراد بالبرهان هو النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأن المراد بالنور المبين هو القرآن الكريم^(١٨)، فعلى هذا يكون الحدث الأول خطأً أسبق من الحدث الثاني، ومسار الحدثين يكون باتجاه الإمام.

ويُفترض أن القراءة الاتجاهية في جهة الماضي المتَّصل بالحاضر (ما زال يفعل أو فاعلاً) والمتَّصل بالحاضر والمستقبل (لا يزال يفعل أو فاعلاً) منعدمة أيضاً، ويوضح في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكِّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ﴾ [غافر: ٣٤]، فالبنية الجهية (فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكِّ) ليست لاحقة للحدث الأول؛ وذلك لأنها تشير إلى حصول الحدث في الماضي، واستمراره في الزمن الحاضر، بمعنى أن حدث الشك محتوَى في الحدث السابق ومتزامن معه.

أما جهة الماضي المكتمل، أو البعيد (كان فعل) فتحمل سمة اتجاهية ذات مسار تراجعِي، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا * وَلَوْ دَخَلْتَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّوْا بِهَا إِلَّا قَيْسِرًا وَلَقَدْ كَانُوا عَاكِفًا عَلَىٰ لَحْدِ الْكَرِيمِ﴾ [البقرة: ١٧٤].

وتتصل بالهاتف، وواصلت الاتصال، بعد دخولهما^(١٩). ويُمثِّل الباحث لهذا التصور الجهي من القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]، وقوله: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ مِمَّا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة: ٥٩]، وقوله: ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ٧٨]، وقوله: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ [مريم: ٥]، ففي الآية الأولى تغييب القراءة الاتجاهية؛ إذ العلاقة الزمنية والجهية بين استكبار إبليس وكفره ليست تقدُّمية؛ لأنَّ الفعل المساعد (كان) يدلُّ على حالة، والحالة تُعبِّر عن سيروية متجانسة، لها سمة الامتداد واحتواء أزمنة الأحداث السابقة، فالكفر إذاً ليس لاحقاً على الاستكبار، وإمَّا متزامن معه^(٢٠)، ولأجل ذلك لا تسمح جهة الماضي المستمر بترتيب أحداث السجود، والرفض أو الامتناع (أبى)، والاستكبار والكفر، ترتيباً باتجاه الإمام، وفي الآية الثانية أوقفت جهة الماضي المستمر القراءة التقديرية لحدث إنزال الرجز المُعبِّر عنه بجهة الماضي البسيط أو المطلق؛ لأنَّ الحدث الثاني احتوى الحدث السابق، فأسهم في تكوين علاقة إدماج بينهما، وكذلك في الآية الثالثة، عبَّر عن الحدث الأول بجهة الماضي البسيط، أو المطلق، فيما عبَّر عن الحدث الموالي له بجهة الماضي المستمر، فعَدِمَت على إثرها القراءة الاتجاهية التقديرية، وقد ذكر ابن عطية في تفسير معنى قوله: ﴿وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ أَنَّهُ ((كانت عادتهم إتيان الفاحشة في الرجال، فجاؤوا إلى الأضياف لذلك، فقام إليهم لوط (عليه السلام) مُدافعاً))^(٢١)، وهذا يفسِّر علاقة الإدماج الحاصلة بين الحدثين الأول والثاني، وتقرأ الآية الرابعة بالستراتيجية المذكورة نفسها.

بيد أن هذه الدلالة الجهية قد يفقدها الزمن الماضي المستمر في بعض السياقات، فيصبح حاملاً لسمة اتجاهية تقدُّمية، مُمَثِّلاً في ذلك جهة الماضي البسيط، أو المطلق^(٢٢)، ويتجلَّى هذا في قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [الحجر: ٨١]، فهذه الآية تضم حدثين، الأول عبَّر عنه بجهة الماضي المطلق، والآخر بجهة الماضي المستمر؛ ويقتضي السياق أن يتقدَّم الحدث إلى الإمام؛ إذ الإعراض لا يكون قبل إتيان الآيات، فلا توجد إذاً علاقة إدماج، أو احتواء من الحدث الثاني باتجاه الحدث السابق، ولكن لماذا يُلجأ إلى جهة الماضي المستمر للتعبير عن تقدُّم الحدث



مِنْ قَبْلِ لَا يُؤَلِّقُونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿ [الأحزاب: ١٣-١٥]، وقوله: ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفْرًا ﴾ [القم: ١٤]، ففي هذه الآيات أوقفت جهة الماضي المكتمل (ولقد كانوا عاهدوا)، و(كان كُفْرًا) القراءة التَّقْدِيمِيَّة الأمامية لسير الأحداث، وأنتجت قراءة تراجعية إلى الخلف، ولكن ((لا يدلُّ الماضي المكتمل على مسار تراجعٍ إلا إذا تَأَخَّرَ خَطِيئًا، في الجملة عن الحدث الأول، فألجمه الأول تُؤَفِّرُ الزَّمَن الإحاليِّ للماضي المكتمل، كي يتمكَّن من التَّموضع، قبل الفاصل الزَّمني الذي يُؤَفِّرُه الحدث الأول، وإذا تَقَدَّمَ تَعَدَّر إقامة هذا الرابط)) (١٩).

إذًا، من دون أيِّ مؤشرات لغوية، أو سمات اتِّجاهية، لا تنتظم الأحداث في الماضي بترتيب أمامي إلا باعتبار السِّياق، والمعارف الخلفية والافتراضات السَّابِقة، التي تُبَيِّنُ إن كانت الأحداث ذات مسار تَقْدِمي أو لا، باستثناء جهة الماضي المكتمل التي تحمل سمة اتِّجاهية ذات مسار تراجعٍ، ويَشترطُ فيها أن تكون متأخِّرةً خَطِيئًا عن الحدث الأول، وتنسحب هذه الملاحظات على جهات الحاضر والمستقبل، بمعنى أنَّها أيضاً لا تحمل بأنفسها أيِّ سمات اتِّجاهية لتنظيم سير الأحداث، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ الْيَوْمَ يَبَسُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْسَبُوهُمْ وَآخِسُونَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣]، وقوله: ﴿ وَكَذَلِكَ يَحْتَسِبُكَ رَبُّكَ وَيَعْلَمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُنمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ ﴾ [يوسف: ٦]، فالبنية في جهتي الحال الآتيِّ والمستقبل المطلق، في هاتين الآيتين لا تدلُّ بنفسها على ترتيب الأحداث بشكل متسلسل إلى الأمام؛ لأنَّ يأس الذين كفروا، وإكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضا الإسلام ديناً أحداثٌ يُحتملُ أنَّها متزامنة معاً، أو ملتبسة، بحيث لا يمكن ملاحظة تقدُّم حدث على آخر، وكذلك الأحداث في الآية الأخرى، إمَّا أن تكون متزامنة، أو ملتبسة، وإمَّا أنَّها تتوالى في سلسلة خطية تسير إلى الأمام؛ اعتماداً على المعلومات السِّياقية، والمعارف الخلفية، والافتراضات السَّابِقة (٢٠).

ثانياً: الأطروحة الاستدلالية: يتقدَّم الزَّمَن بالتجرُّد في الكلام، لكن هذا الاستدلال القابل للتفنيد؛ لأنَّه غير رتيب - أي لا ينتج نتائج صحتها مضمونة - يمكن أن يُلغى إذا قَدِّتْ معلوماتٌ عن العالم التأويل المَعطى للخطاب، وهكذا فإنَّ متواليه من الملفوظات في خطاب ما تُتَّبِعُ أن نفترض بالتجرُّد أنَّ العلاقة بين الملفوظات تُمثِّلُ سرِّداً يُحدِّدُ بالتَّرتيب الزَّمني، إذا

أثبتت المعلومات عن العالم هذه القاعدة، فنستنتج أنَّ بين الأحداث التي تصفها الملفوظات علاقة ذات طابع زمني؛ لكن قد تلغي معلومات جديدة هذا الاستنتاج، وتُورِدُ تأويلاً آخر هو التَّأويل السَّببي المعكوس (٢١).

ويرى الباحث أنَّ هذه الأطروحة مُكَمِّلة للأطروحة السَّابِقة، فحينما تنعدم القراءة الاتِّجاهية في جهات الماضي - باستثناء جهة الماضي المكتمل - وفي جهات الحاضر والمستقبل؛ فإنَّ هناك عدداً من البنى الجِهية تحتاج إلى تفسير، أو تأويل يكشف عن طبيعة المسار الاتِّجاهيِّ للأحداث، منها مثلاً: (٢٢)

- شَرِبَ زَيْدٌ سُمًّا قَاتِلًا، مات / *مات زيدٌ، شَرِبَ سُمًّا قَاتِلًا.

- سَقَطَتِ الْمِزْهَرِيَّةُ، انْكَسَرَتْ / *انْكَسَرَتْ الْمِزْهَرِيَّةُ، سَقَطَتْ.

ولتفسير الجمل والخطابات من النَّوع في أعلاه يوضِّح (موشلير) و(ريبول) أنَّ التَّأويل يكون ((إمَّا التَّعاقب الزَّمني، وإمَّا العلاقة السَّببية، وإمَّا أيضاً انتفاء العلاقة بين الحدثين، فالنقطة الحاسمة هي أنَّ التَّأويل يكون هذا أو ذاك بناءً على الفَرَضِيَّات السِّياقية التي يُنْشئها المُخاطَب)) (٢٣)، ويوضِّح أيضاً أنَّه لكي يكون النَّصُّ منسجماً ليس من الضَّروري أن تشير خصائصه الشكلية صراحةً إلى العلاقات بين الأقوال، فهذه العلاقات يُمكن الحصول عليها عن طريق الاستدلال، إمَّا بمقدِّمة ضمنية، وإمَّا بفرضية سياقية، وإمَّا بخطاطة عمل مُنمَّطة أيضاً، وإذا كان الانسجام هو البُعد التأويلي للخطاب فإنَّ الاتِّساق بعده اللَّساني والدلالي، فالخطاب يكون مُتسقاً حقاً، إذا وُجِدَتْ علاقات قضوية بين الأقوال التي تكونه، فضلاً عن أنَّ حضور علامات الرِّبط، مثل الرِّوابط التداولية، أو غيابها يُحدِّدان شروط التَّأويل، والنتيجة واحدة لكلِّ مثال؛ إذ حضور الرِّابط يجعل الرِّبط غير ملتبسٍ وأحاديِّ الدلالة (٢٤).

وعلى وفق ما قرَّره يُفترض أنَّ ((الأزمنة والرِّوابط والسِّياق والمحتوى التصوري للأفعال، عناصر حاملة لسمات اتِّجاهية، إمَّا قوِّية، أو ضعيفة، وأنَّ هذه العناصر تدخل في تراتبية ينتج عنها أنَّ السِّمة القوية تلغي، أو تُؤكِّد السِّمة الاتِّجاهية الضَّعيفة، وينسحب ذلك على تفاعل السمات الضَّعيفة فيما بينها)) (٢٥)، وهذا يعني وجود مكونات وسمات فاعلة في المسار الاتِّجاهي للزَّمَن في الخطاب، ومُمكنٌ أن نجعلها طريقةً من طرائق الأطروحة الاستدلالية في معالجة مشكلة التَّرتيب الزَّمني والجهيِّ للأحداث في



البنى داخل النص، أو الخطاب.
وأما أبرز هذه المكونات أو السمات التي يسمها الباحث بالجهية فهي:

- ١- تحمل المعلومات السياقية سمة اتجاهية قوية، دالة على مسار تقدمي، أو تراجع.
- ٢- تُعدُّ سمات الزمن الصري في الاتجاهية ضعيفة.
- ٣- تُعدُّ السمات الاتجاهية للروابط قوية.
- ٤- تُعدُّ السمات التصورية للأفعال ضعيفة.
- ٥- تُنشط السمات القوية، أو الضعيفة المسار الاتجاهي.
- ٦- تلغى سمة اتجاهية ضعيفة، عن طريق سمة ضعيفة ذات مسار اتجاهي معاكس، وتؤكد بوساطة سمة ضعيفة ذات مسار اتجاهي مماثل.
- ٧- تلغى سمة اتجاهية ضعيفة عن طريق سمة اتجاهية قوية، وتلغى السمة القوية بوساطة أخرى قوية أيضاً.
- ٨- تغلب السمة القوية ذات المسار المعاكس السمة الاتجاهية الضعيفة إذا ما تعارضتا في النص، أو الخطاب^(٣٦).

فمن ذلك (إذ) في قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَدَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْفِيًّا * فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٦-١٧]، يُشير الرباط (إذ) - ذو الإحالة العهدية الذهنية - في الآية إلى مسار استنتاجي دال على التراجع؛ لأنه يُبَيِّنُ فاصلاً زمنياً معروفاً في ذهن المستمع، أو القارئ، مذكوراً في سياقات سابقة، وغير وارد في السياق النصي المباشر، وتشبه الإحالة الزمنية هنا إحالة أداة التعريف في الأسماء التي قد تراوح بين الإحالة العائدية، والإحالة العهدية الذهنية، وتكون العلاقة بين الأحداث بعد الرباط (إذ) علاقة احتواء، أي: إن اتخاذه المكان حجاباً، وإرسال الروح، حدثان مُتضمَّنان في حدث انتباز مريم (عليها السلام) للمكان، فالأحداث تقع على امتداد الفاصل الزمني لوجود مريم بالمكان الشرقي، فالرباط (إذ) إذا استلزم علاقته زمنيتين خطابيتين: التَّأطُّرُ، أو الاحتواء، والسرد التَّقْدِمي، فتنظم العلاقة بين حدث اتخاذه المكان وإرسال الروح على وفق مسار تقدمي، ويشرف على هذا المسار حدثٌ مؤطَّرٌ يحتوي الحدثين المذكورين^(٣٧)، وهكذا تكون العلاقة التداولية لجهة الماضي المطلق، أو البسيط التي عبَّرَ بوساطتها عن الأحداث السابقة علاقة احتواء، وعلاقة تقدم استلزمها الرباط (إذ)، وبحسب المكونات أو السمات الجهية

التَّرتيبية، فإن الآية السابقة تُجسِّد مقولة: إن السمات الاتجاهية للروابط قوية، فقد لوحظ أن (إذ) رابطة قوي، يحمل سمة اتجاهية تراجعية، وله أثر بارز في احتواء العلاقة بين الأحداث التي تلبه وترتيبها على وفق نظام تقدمي مؤطَّر، ويمكن أن تُجسِّد الآية أيضاً مقولة: إن السمة القوية ذات المسار المعاكس تغلب السمة الاتجاهية الضعيفة إذا ما تعارضتا في النص أو الخطاب؛ ومقولة: إن سمة اتجاهية ضعيفة قد تلغى عن طريق سمة اتجاهية قوية؛ فالرباط (إذ) في الآية لقوته غلب سمة الزمن الصري الاتجاهية بوصفها سمة ضعيفة، وألغى مسارها الاتجاهي التَّقْدِمي.

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ * أَنْ أَدْفِنِي فِي النَّبُوتِ فَأَذْفِنِي فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي * إِذْ مَشَىٰ خُتَيْبٌ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۗ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَرَجَّيْنَاكَ مِّنَ الْعَمَىٰ وَقَتَلْتَ نَفْسًا تَرْتَابًا﴾ [طه: ٣٨-٤٠]، ففي هذا النص تبدأ لحظة سرد الأحداث بترتيب داخلي، حتى تصل إلى النتيجة، وهي تعداد نعم الله سبحانه وتعالى على نبيه موسى (عليه السلام)، وقد تجسَّد ذلك عبر تقنية الاسترجاع، بقطع ترتيب الحدث الزمني؛ للارتداد إلى حادثة حصلت في الماضي في لحظة لاحقة لحدوثها، عن طريق صيغ الماضي التي تمثلت أفعالها في (أوحينا، وألقيت، ورجعناك، وقتلت، ونجيناك، وقتلتك، ولبئت، وحيثت)، وصيغ المضارع في (يُوحَى، وأذفنيه، فليلقه، ويأخذه، وتُصنع، وتمشي، وأدلكم، ويكفله، وتقر، وتحزن)، وهذا الامتزاج بين هاتين الصيغتين يُشير إلى متواليات زمنية^(٣٨)، وهكذا تمت العودة بمسار الأحداث - زمنياً وجهياً - إلى الوراء، وقد تحقَّق ذلك بوساطة الرباط (إذ)، الذي أدَّى دوراً مركزياً مهماً في عملية الاسترجاع، أو القراءة الجهية للأحداث.

وتشبه (لمَّا) الأداة (إذ) في وظيفتها الاتجاهية العكسية، إلا أنها تختلف عنها في الأحداث التي تلبها، يوضِّح ذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَرَكُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدَعَاءِ رَبِّي شَاقِيًّا * فَلَمَّا اعْتَرَكُم مَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَيَّا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكَلَّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٤٨-٤٩]، وقوله: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَدُودٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ * فَلَمَّا أَنهَاهُ نُودِيَ مِنَ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي



التَّارِيبِيَّةَ يُمْكِنُ لِسْمَةِ اتِّجَاهِيَّةٍ قَوِيَّةٍ أَنْ تُؤَكِّدَ سَمَةَ قَوِيَّةٍ أُخْرَى، وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى تَقَدُّمِ الْأَحْدَاثِ فِي الْآيَاتِ السَّابِقَةِ زَمْنِيًّا وَجِهِيًّا أَنْ (تُمْ) إِذَا عَطَفَ بِهَا أَفَادَتِ التَّرَاخِي وَالْمَهْلَةَ^(٣٢)، بَيْنَ الْحَدِيثَيْنِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي اللَّذَيْنِ عَطَفْتَهُمَا، قَالَ ابْنُ عَاشُورٍ فِي تَفْسِيرِ آيَةِ سُورَةِ الْمَائِدَةِ: ((وَقَدْ دَلَّتْ (تُمْ) عَلَى تَرَاخِي الْفَعْلَيْنِ الْمَعْطُوفَيْنِ بِهَا عَنِ الْفَعْلَيْنِ الْمَعْطُوفِ عَلَيْهِمَا، وَأَنَّ هُنَاكَ عَمِيَيْنِ وَصَمَمَيْنِ فِي زَمْنَيْنِ سَابِقٍ (وَلاحقٍ))^(٣٣)، وَقَالَ فِي تَفْسِيرِ آيَةِ سُورَةِ يُونُسَ أَيْضًا: ((وَحَرْفٌ (تُمْ) مُؤَدِّنٌ بَعْدَ مَا بَيْنَ الزَّمَمَيْنِ، أَيْ تَمَّ جَعْلُنَاكُمْ تَخْلُفُونَهُمْ فِي الْأَرْضِ، وَكَوْنُ حَرْفٍ (تُمْ) هُنَا عَاطِفًا جَمَلَةً عَلَى جَمَلَةٍ تَقْتَضِي التَّرَاخِي الرَّئِيبِيَّ؛ لِأَنَّ جَعْلَهُمْ خَلَاثَفَ أُهُمَّ مِنْ إِهْلَاكِ الْقُرُونِ قَبْلَهُمْ لِمَا فِيهِ مِنَ الْمَنِيَّةِ عَلَيْهِمْ؛ وَلِأَنَّهُ عَوَّضَهُمْ بِهِمْ))^(٣٤)، فَهَذَا النَّصَانُ يُؤَكِّدَانِ أَنْ (تُمْ) رَابِطٌ تَدَاوُلِيٌّ قَوِيٌّ ذُو مَسَارٍ تَقَدُّمِيٍّ، لَهُ أَثَرٌ كَبِيرٌ فِي انْتِظَامِ الْأَحْدَاثِ وَتَرْتِيبِهَا زَمْنِيًّا وَجِهِيًّا، وَهَكَذَا تَكُونُ الْعِلَاقَةُ التَّدَاوُلِيَّةُ لَجِهَتِي الْمَاضِي الْمَطْلُوقِ الْمُؤَكَّدِ، وَالْمَاضِي الْمَطْلُوقِ عِلَاقَةً تَقَدُّمِيَّةً.

وَتَحْمِلُ (الواو) سَمَةَ اتِّجَاهِيَّةٍ قَدْ تَكُونُ ذَاتَ مَسَارٍ أَمَامِيٍّ، وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ الرُّوَاطِبَ - كَمَا ذُكِرَ - تَحْمِلُ سَمَةَ اتِّجَاهِيَّةٍ قَوِيَّةً؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ مَعْلُومًا لَدَى الْبَاحِثِ - فِي الْوَاوِ - أَقْوِيَّةٌ هِيَ أَمْ ضَعِيفَةٌ؟ وَذَلِكَ؛ لِأَنَّ (الواو) حَرْفٌ عَطَفٌ، لَا دَلِيلَ فِيهِ عَلَى تَقَدُّمِ الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ عَلَى الثَّانِي إِنْ كَانَتْ عَاطِفَةً لَجَمَلَتَيْنِ فَعِلِيَّتَيْنِ^(٣٥)، وَيَبْدُو أَنَّ لِلْمَعْلُومَاتِ السِّيَاقِيَّةِ الْكَلِمَةَ الْعُلْيَا فِي تَرْتِيبِ الْأَحْدَاثِ وَتَنْظِيمِهَا زَمْنِيًّا وَجِهِيًّا، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ مَاءً مِّنْهُمُورًا وَفَجَرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِّرَ﴾ [القمر: ١١-١٢]، ففِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ تَنْتَظِمُ مَتَوَالِيَةَ الْأَحْدَاثِ فِي مَسَارٍ اتِّجَاهِيٍّ، يَتَرَاوَحُ بَيْنَ التَّقَدُّمِ إِلَى الْأَمَامِ، وَالتَّوَاقُفِ، أَوْ الْاِحْتِوَاءِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ حَدِيثَ تَفْجِيرِ الْأَرْضِ عِيُونًا لِاحِقٍ لِحَدِيثِ فَتْحِ أَبْوَابِ السَّمَاءِ؛ نَظَرًا لَوْجُودِ فَاصِلٍ زَمْنِيٍّ يَفْصَلُ بَيْنَ الْحَدِيثَيْنِ، وَأَمَّا حَدِيثُ التَّقَاءِ الْمَاءِ فَحَالَةٌ نَاتِجَةٌ عَنِ تَفْجِيرِ الْأَرْضِ عِيُونًا، وَهِيَ حَالَةٌ مُّحْتَوَاهُ فِي الْفَاصِلِ الزَّمْنِيِّ، وَهَذَا التَّدَاخُلُ أَوْ بَعْبَارَةٌ أَدَقُّ التَّوَاقُفِ بَيْنَ الْحَدِيثَيْنِ يَجْعَلُ سَمَةَ الرِّابِطِ الْاِتِّجَاهِيَّةَ (الواو) الدَّالَّةَ عَلَى التَّقَدُّمِ إِلَى الْأَمَامِ غَيْرَ نَشِيطَةٍ، وَهَذَا يَشِيرُ إِلَى أَنَّ التَّأْوِيلَ الْاِسْتِنَاجِيَّ لِلْمَسَارِ الزَّمْنِيِّ وَالْجِهِيَّ لِلأَحْدَاثِ يُرَاعَى فِيهِ مَعْرِفَتُنَا بِطَرِيقَةِ انْتِظَامِ الْأَحْدَاثِ فِي الْعَالَمِ الْخَارِجِيِّ^(٣٤)، وَتَجَسُّدِ الْآيَةِ السَّابِقَةِ مَقُولَةً: إِنَّ سَمَةَ اتِّجَاهِيَّةَ سِيَاقِيَّةً قَوِيَّةً تَهَيِّمُنْ وَتَلْغِي سَمَةَ الرِّابِطِ الْقَوِيَّةَ إِذَا قَلْنَا: إِنَّ الْوَاوِ سَمَةَ اتِّجَاهِيَّةَ قَوِيَّةً، فَإِذَا مَا جُعِلَتْ سَمَةَ اتِّجَاهِيَّةً ضَعِيفَةً جَسَّدَتْ الْآيَةَ مَقُولَةً: إِنَّ

الْبُثْعَةَ الْمُبَارَكَةَ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [القصاص: ٢٩-٣٠]؛ إِذْ يَرِدُ الْمَاضِي بَعْدَ الرِّابِطِ (لَمَّا) دَالًّا عَلَى الْعُودَةِ إِلَى الْوَرَاءِ، أَيِ جِهَةِ الْمَاضِي الْمَكْتَمَلِ بِتَقْدِيرِ (لَمَّا كَانَ قَدْ اعْتَزَلَهُمْ)، فَحَدِثُ الْاِعْتِزَالِ وَرَدَ ذِكْرُهُ فِي بَدَايَةِ الْآيَةِ الثَّامِنَةِ وَالْأَرْبَعِينَ مِنْ سُورَةِ مَرِيَمَ، ثُمَّ تَمَّتِ الْعُودَةُ إِلَيْهِ فِي الْآيَةِ الَّتِي تَلِيهَا، وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ الرِّابِطَ يَحْمِلُ سَمَةَ اتِّجَاهِيَّةً دَالَّةً عَلَى مَسَارٍ تَرَاجِعِيٍّ، وَهَذَا يَشِيرُ إِلَى أَنَّهُ يَلْغِي سَمَةَ الْمَاضِي الصَّرْفِيَّةَ الدَّالَّةَ عَلَى مَسَارٍ اتِّجَاهِيٍّ تَقَدُّمِيٍّ، وَهَذِهِ الْعُودَةُ تَسْمَحُ بِذِكْرِ أَحْدَاثٍ لِاحِقَةٍ لِحَدِثِ الْاِعْتِزَالِ، مَرْتَبَةً تَرْتِيبًا تَسْلُسُليًّا بِاتِّجَاهِ الْأَمَامِ، وَتَنْسَحِبُ الْقِرَاءَةَ الزَّمْنِيَّةَ الْجِهِيَّةَ نَفْسَهَا عَلَى آيَتِي سُورَةِ الْقَصَصِ، فَقِضَاءُ مُوسَى الْأَجَلَ أَشِيرَ إِلَيْهِ مِنْ دُونِ ذِكْرِ تَفَاصِيلِ الْأَحْدَاثِ الَّتِي تَضَمَّنَهَا، وَرُجِعَ إِلَيْهِ مَعَ اسْتِعْمَالِ الرِّابِطِ (لَمَّا) الَّذِي أَفَادَ الْعُودَةَ إِلَى الْخَلْفِ، وَذُكِرَ بَعْدَهُ حَدِيثٌ مَتَسَلْسَلٌ اِنْتَضَمَ فِي مَسَارٍ اتِّجَاهِيٍّ تَقَدُّمِيٍّ (أَنْسَ نَارًا)، وَالَّذِي رُجِعَ إِلَيْهِ أَيْضًا بِاسْتِعْمَالِ (لَمَّا) فِي نَهَايَةِ الْآيَةِ؛ لِإِدْرَاجِ حَدِيثٍ لَاحِقٍ، وَيَتَعَلَّقُ الْأَمْرَ بِبَدَاءِ اللَّهِ (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى) لِمُوسَى (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وَحَدِيثُهُ مَعَهُ^(٣٦).

إِذَا فَالْعِلَاقَةُ التَّدَاوُلِيَّةُ لِلْجِهَةِ بَعْدَ (لَمَّا) وَهِيَ جِهَةُ الْمَاضِي الْمَطْلُوقِ - أَوْ الْمَكْتَمَلِ تَقْدِيرًا - فِي الْآيَاتِ السَّابِقَةِ عِلَاقَةً تَقَدُّمِيَّةً، وَالْآيَاتُ الْمُتَقَدِّمَةُ تُجَسِّدُ الْمَقُولَاتِ الْجِهِيَّةَ التَّرَاتِيبِيَّةَ الْمَذْكُورَةَ فِي أَعْلَاهُ فِي الرِّابِطِ (إِذ)، أَيِ: إِغْيَاءِ السَّمَةِ الْقَوِيَّةِ ذَاتِ الْمَسَارِ الْمَعَاكِسِ لِلْسَّمَةِ الْاِتِّجَاهِيَّةِ الضَّعِيفَةِ إِذَا تَعَارَضَتْ مَعَهَا فِي النَّصِّ، أَوْ الْخِطَابِ، أَوْ إِغْيَاءِ سَمَةِ اتِّجَاهِيَّةٍ ضَعِيفَةٍ عَنِ طَرِيقِ سَمَةِ اتِّجَاهِيَّةٍ قَوِيَّةٍ؛ إِذِ الرِّابِطِ (لَمَّا) قَوِيٌّ وَمُؤَكَّرٌ فِي مَسَارِهِ الْاِتِّجَاهِيَّ الْخَلْفِيَّ، وَانْتِظَامِ الْأَحْدَاثِ الَّتِي تَرِدُ بَعْدَهُ.

وَيُرَى الْبَاحِثُ أَنَّ الرِّابِطَ (تُمْ) يُسَهِّمُ فِي الْحِفَاطِ عَلَى سِيرِ الْأَحْدَاثِ بِاتِّجَاهِ الْأَمَامِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ يَحْمِلُ سَمَةَ اتِّجَاهِيَّةً قَوِيَّةً ذَاتَ مَسَارٍ تَقَدُّمِيٍّ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ [المائدة: ٧١]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونََ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ * تُمْ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ١٣-١٤]، ففِي هَذِهِ الْآيَاتِ تُشِيرُ الْمَعْلُومَاتُ السِّيَاقِيَّةُ - بِوَصْفِهَا حَامِلَةً سَمَةَ اتِّجَاهِيَّةً قَوِيَّةً أَمَامِيَّةً، أَوْ خَلْفِيَّةً - إِلَى تَقَدُّمِ الْأَحْدَاثِ إِلَى الْأَمَامِ، ثُمَّ جِيءَ بِالرِّابِطِ (تُمْ)؛ لِيُعَزِّزَ هَذَا التَّقَدُّمَ وَيُؤَكِّدَهُ، وَبِحَسَبِ الْمَقُولَاتِ الْجِهِيَّةِ



العلاقات الزمنية والجهية في الخطاب القرآني...

لأنه غير محدود، فأما إذا قلنا مثلاً: (سرت حتى بلغت قمة الجبل)، كانت متوالية الأحداث دالة على مسار تقدمي؛ لأن حدث البلوغ هنا (يُخلق الحدث ويجعله محدوداً؛ لأنَّ الرابطة يحمل سمة جهية دالة على المسار الهدف الذي يُشكّل نقطة تأوُّج الحدث السابق، فمع نهاية المسير يبدأ وينتهي في نقطة زمنية واحدة حدث البلوغ، بكونه دالاً على جهة الإتمام، وبالتالي البلوغ فاصل زمني متماد مع حدث السير))^(٣٨).

ويرى الباحث أن ما اشترطه الملاحظ لا يختلف كثيراً عما اشترطناه، بل إن شرط الباحث قد يكون أكثر دقةً وتعميماً مما اشترطه الملاحظ؛ وذلك لأنَّ الأخير أشار إلى أن العريية تستعمل الزمن الحاضر للتمييز بين سمتي المحدودية واللامحدودية، بوصفه - أي الزمن الحاضر - دالاً على جهة الإتمام^(٣٩).

ويشير الملاحظ إلى أن السمة الاتجاهية للرابطة (حتى) قوية، ومن ثم لا تقبل ظهور سمة زمنية دالة على مسار مختلف، وهو ما تجسده جهة الماضي المكتمل الدالة على مسار تراجع، وذكر الجملة الآتية ووصفها بأنها لاحقة^(٤٠):

* سرت حتى كنت بلغت قمة الجبل.
وإذ يتفق الباحث مع ما أشار إليه الملاحظ من وجود لحن في الجملة السابقة، يضيف هنا قيداً جديداً لـ (حتى)؛ إذ نرى أن السمة الاتجاهية في (حتى) قوية إذا كانت الأحداث السابقة لها منتظمة في مسار تقدمي، فإذا كانت هذه الأحداث دالة على مسار تراجع، فإن العلاقة بين الحدث اللاحق لـ (حتى) ومتوالية الأحداث السابقة لها تكون إما علاقة احتواء، أو علاقة دالة على مسار تراجع، متأثرة بذلك بمسار الحدث في جهة الماضي المكتمل، ومثل ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَدِّينَ حَتَّىٰ تَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، فجهة الماضي المكتمل في قوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَدِّينَ﴾ أشارت إلى مسار تراجع، أثر في انتظام الأحداث بعد (حتى)؛ فبدلاً من أن تكون أمامية أصبحت عكسية؛ لأنه لا يكون عذاب من دون إبعث الرُّسل، فحدث البعث سابق لحدث العذاب، ولا يمكن على وفق هذا التصور أن تُقرأ الأحداث من الناحية الزمنية والجهية قراءةً أمامية، وربما كانت العلاقة التداولية للجهة علاقة احتواء، وذلك على (أن معنى (حتى) يؤذن بأن بعثة الرسول متصلة بالعذاب شأن الغاية، وهذا اتصال عرفي بحسب ما تقتضيه البعثة من مدة للتبليغ، والاستمرار على تكذيبهم الرسول، والإمهال للمكذبين))^(٤١)، فبحسب هذا المعنى يُفترض

السمة الاتجاهية الضعيفة يمكن أن تُلغى عن طريق سمة اتجاهية قوية، وعليه تكون العلاقة التداولية للجهة الزمنية - مع الواو - وهي جهة الماضي المطلق التي عبرت بها الأحداث السابقة علاقة غير نشيطة، إن كان السياق هو المنظم للأحداث، وقد تكون تقدمية نشيطة إذا ما أكدت المعلومات السياقية علاقة التقدّم وألغت علاقة الاحتواء.

ويحمل الرابطة (حتى) سمة اتجاهية أمامية في ترتيب الأحداث، ولكن ذلك في نظر الباحث مشروط بمجيء الحدث بعدها دالاً على جهة التمام، ويوضح ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولًا مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوَدُوا حَتَّىٰ آتَاهُم نَصْرًا﴾ [الأنعام: ٣٤]، وقوله: ﴿لَقَدْ انْتَعَوْا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ [التوبة: ٤٨]، ففي هاتين الآيتين رُتبت أحداث التكديب والصبر والابتغاء والتقلب في نظام متسلسل باتجاه الأمام، وقد عزز الرابطة (حتى) هذا المسار، بوصفه حاملاً سمة اتجاهية أمامية، ومما يدل على ذلك أن (حتى) ابتدائية قد أفادت دلالة الغاية، بمعنى أن حديثي إتيان النصر، ومجيء الحق قد أفادا غاية ما قبلهما^(٣٥)، أي الأحداث المشار إليها، فهما لاحقان لتلك الأحداث ومتحققان؛ لأنه عبر عنهما بفعلين دالين على جهة التمام في الزمن الماضي.

فإذا جاء الفعل بعد (حتى) دالاً على جهة الإتمام كانت السمة الاتجاهية للرابطة محايدة^(٣٦)، بمعنى أن التقدّم في الأحداث مرتبط بتحقيق الحدث بعد (حتى) واكتماله، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَنْ أَرْسِلَ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُوا مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾ [يوسف: ٦٦]، وقوله: ﴿قَالُوا لَنْ نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ [طه: ٩١]، ففي هاتين الآيتين صارت السمة الاتجاهية التقدّمية محايدة؛ لأن الحدث الثاني في متوالية الأحداث لم يتحقق بعد؛ أي: إتيان الميثاق، ورجوع موسى، فقد عبر عنهما بوساطة الشكل الصّري (يفعل) الدال على جهة الإتمام.

وقد اشترط د. محمد الملاحظ في تقدّم الأحداث مع (حتى) أن يكون الحدث بعدها دالاً على سمة المحدودية، فإن لم يدل كانت السمة الاتجاهية التقدّمية محايدة^(٣٧)، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ [الكهف: ٦٠]، فالسمة التقدّمية لـ (حتى) في هذه الآية محايدة؛ لأن المسار الهدف لم يتم بلوغه؛



الذي يُمثِّلُه الفعل (جاء) إلى الأمام سياقياً لا مُعْجَمياً؛ لأنه فعلٌ نشاط لا يشير إلى مسارٍ محدَّد، وقد احتوى معه حدَّثين آخَرَيْنِ هما: الدُخُولُ والمعرفة؛ إذ الرَّمَنُ فيهما لا يتقدَّم إلى الأمام؛ لأنَّهما فعلا نشاط وحالة، وقد ذكر (د. أحمد بريسول) أنَّ أفعالَ كَيْفِيَّةِ الحركة - يقصد أفعالَ الأنشطة - تكتفي بالإشارة إلى وجود حركة من دون أن تُشخِّصَ على المستوى المعجمي أيَّ مَطِّ للمسار، يكونُ مُضْمَناً في هذه الحركة، وأمَّا المسار في طبقة الحالات فمُنعَمٌ^(٤٣).

وفي الآية الثَّانِيَةِ تُعَدُّ العلاقة بين الفعلين (وَسَّسَ) و(قَالَ) علاقة اشتمال؛ لأنَّ الأول فعل حالة والآخر فعل نشاط، ويصنَّفُ الفعل (أَكَلًا) في ضمن طبقة الإنجازات؛ لأنَّ له نقطة بداية ونقطة نهاية، وهو يشير إلى علاقة تعاقب مع حدث القول السَّابِقِ له، أمَّا الفعل (بدا) بعده فيشير إلى حالة، ومن ثَمَّ فإنَّ مسار الحدث فيه مُنعَمٌ، لتكون العلاقة بينه وبين فعل الإنجاز (أَكَلًا) علاقة اشتمال لا تعاقب، وتتحقَّقُ هذه العلاقة أيضاً في الفعلين (عصى) و(غوى)؛ لأنَّهما يدلَّان على حالة.

وأما الآية الثَّالِثَةُ، فإنَّ العلاقة الجِهِيَّةَ بين حدثي الدخول والوجدان علاقة تعاقب؛ وذلك لأنَّ الفعل (وَجَدَ) يُصنَّفُ في ضمن أفعال الإتمام، التي تُصنَّفُ بنيتها بقصر المدة الزمَّنيَّة التي تحيل عليها، فتمثِّلُ حينئذٍ فصلاً زمنياً يغلِقُ الحدث السَّابِقَ، ويُبْنِئُ معها بحدثٍ جديدٍ، وقد أشار (د. بريسول) إلى أنَّ أفعال الحركة المُوجَّهَةَ - يقصد أفعال الإتمامات - تُعبَّرُ عن حركة ذات وجهةٍ مُحدَّدة أو اتِّجَاهٍ^(٤٤)، وأمَّا الأحداث التي تُعبَّرُ عنها الأفعال (اسْتَعَاثَهُ، ووَكَّرَهُ، وَقَضَى) فَعلاقاتها الجِهِيَّةَ بفعل الإتمام (وَجَدَ) علاقة اشتمال؛ لأنَّها أفعال دالَّةٌ على نشاط، ولا تُعبَّرُ - معجمياً - عن مسار ذي وجهةٍ مُحدَّدة، فهي إذاً مُحتَوَاةٌ داخل فعل الإتمام.

وتسير الأحداث في الآية الرَّابِعَةَ بشكل عكسي؛ لوجود الرِّابِطِ (إِذْ) الذي يحمل سمةً اتِّجَاهِيَّةً تراجعيةً - كما أسلفنا - وهذا المسار المُتعاكس يضمُّ علاقة اشتمال بين الفعلين (دَخَلُوا) و(فَزِعَ)؛ لأنَّ المَلْفُوظَ الثَّانِيَّ فعل دالٌّ على حالة؛ إذ وصف وضعاً ساكناً، وتتحقَّقُ علاقة الاشتمال أيضاً مع فعل القول الذي يُعَدُّ فعل نشاط، ولا يكشفُ من النَّاحِيَةِ المعجمية عن مسارٍ مُحدَّد.

الخاتمة:

توصَّلُ البحث إلى مجموعة من النَّتائِجِ، وهي على

أنَّ السِّمَةَ الاتِّجَاهِيَّةَ غير نشيطة، أي: إنَّ سمةً اتِّجَاهِيَّةً سياقيةً قويَّةً يمكنُ أن تهيمن وتلغي سمة الرِّابِطِ القويَّة.

ثالثاً: أطروحة الجهة المعجمية: تتأسس هذه الأطروحة بموجب طبيعة الطبقة الجِهِيَّةَ للملفوظ الثاني؛ لأنه عامل رئيس مُحدَّد للتقدُّم الزمَّني أو عدمه، ويتَّضح ذلك في الأمثلة الآتية:

- ١- دخل زيدٌ مكتبَ الرَّئيس فتقدَّم الرَّئيس نحوه.
- ٢- دخل زيدٌ مكتبَ الرَّئيس فوقف الرَّئيس.
- ٣- دخل زيدٌ مكتبَ الرَّئيس وكان الرَّئيس جالساً خلف مكتبه الصَّخَم.
- ٤- دخل زيدٌ مكتبَ الرَّئيس وكانت السَّاعةُ الحائِثِيَّةُ تدقُّ دَقًّا قويًّا.

فهذه الأمثلة تُبيِّنُ أنَّ الرَّمَنَ لا يتقدَّم إلَّا إذا احتوى المَلْفُوظَ الثَّانِيَّ محمولاً يفيِّدُ الإنجاز كما في الجملة الأولى، أو الإتمام كما في الجملة الثَّانِيَّة، فإذا احتوى المَلْفُوظَ الثَّانِيَّ محمولاً دالًّا على حالة كما في الجملة الثَّالِثَةُ، أو نشاط كما في الجملة الرَّابِعَةَ، فتمَّة علاقة اشتمال لا علاقة تعاقب^(٤٥)، ومثَّلُ لهاتين العلاقاتين - علاقة التَّعاقب وعلاقة الاشتمال - بالآيات القرآنية الآتية:

- ١- قال تعالى: ﴿وَجَاءَ إِخْوَهُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ [يوسف: ٥٨].
- ٢- قال تعالى: ﴿فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبُلَى * فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوَاتِهِمَا وَطَفِيقًا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ [طه: ١٢٠-١٢١].
- ٣- قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةً مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَعَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ [القصص: ١٥].
- ٤- قال تعالى: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ﴾ [ص: ٢٢].

فشبكة الأحداث في الآية الأولى تتمثَّلُ بالأفعال (جاء، ودخلوا، وعرفهم)، ولرصد العلاقة الجِهِيَّةَ بين الأحداث - بحسب أطروحة الجهة المعجمية - نحولُ اهتمامنا إلى المَلْفُوظَ الثَّانِيَّ وما بعده، أي: (دَخَلَ وعرف)، وهما أنَّ الأول يُصنَّفُ في ضمن أفعال الأنشطة؛ لأنه يصف وضعاً ممتدداً وغير محدود، والآخر في ضمن أفعال الحالات؛ لأنه يصف وضعاً ساكناً، فإنَّ العلاقة الجِهِيَّةَ بين الأحداث هي علاقة اشتمال لا علاقة تعاقب، وينتظم الحدث الأول



النحو الآتي:

١- تشير الأطروحة التداولية العائدية في وصف مسار الأحداث إلى أن جهات أزمنة الماضي، والحاضر، والمستقبل، لا تحمل أي مؤشرات؛ للدلالة على تقدم الحدث، أو تأخره، إلا جهة الماضي المكتمل، فإنها تحمل سمة ذات مسار تراجعي، شرط أن تكون متأخرة خطياً عن الحدث الأول، وإذا افترضنا تقدم الأحداث إلى الأمام في جميع الجهات فذلك مبني أساس العلاقات السببية، أو المعلومات السياقية الواردة في النص أو الخطاب القرآني، وقد تعدد القراءة التقدمية للأحداث فتكون متأرجحة بين التقدم للأمام والعودة للخلف، بناءً على تلك العلاقات، أو المعلومات أنفسها.

٢- تُعبر جهة الماضي المستمر عن علاقة إدماج بين الحدثين السابق واللاحق، كحالة طبيعية لغياب المؤشرات الدالة على وصف مسار الأحداث في جهات الماضي - باستثناء جهة الماضي المكتمل - إلا أنه وردت آيات قرآنية تدل على تقدم الأحداث في الماضي المستمر إلى الأمام، وهذا الاستعمال يلجأ إليه؛ لأنه يجعل المنظور الزمني للفعل منقولاً من وجهة النظر الذاتية لفاعل الجملة.

٣- تُقدم الأطروحة الاستدلالية التداولية مكونات، أو سمات، فاعلة في المسار الاتجاهي الزمني والجهي، في النص، أو الخطاب، ونتج عن تطبيقها على النص القرآني ما يأتي:

أ- يحمل الرباط (إذ) مساراً استنتاجياً دالاً على التراجع، ويستلزم للأحداث التي تليه علاقتين زمنيتين هما: التأخير أو الاحتواء، والسرُّ والتقدمي، ويُجسد مقولات: إن السمات الاتجاهية للروابط قوية، وإن السمة القوية ذات المسار المعاكس تغلب السمة الاتجاهية الضعيفة إذا ما تعارضتا في النص أو الخطاب؛ وإن سمة اتجاهية ضعيفة قد تلغى عن طريق سمة اتجاهية قوية؛ لأن (إذ) لقوته يغلب سمة الزمن الصري في الاتجاهية بوصفها سمة ضعيفة، ويلغي

مسارها التقدمي.

ب- تشبه (بما) الرباط (إذ) في وظيفته الاتجاهية العكسية، إلا أنها تختلف عنه في الأحداث التي تليها، لأنها - أي الأحداث بعد (بما) - مرتبة ترتيباً تسلسلياً باتجاه الأمام، وتُجسد المقولات الجهية المذكورة في (إذ) في النقطة (أ) السابقة.

ج- يُحافظ الرباط (ثم) على سير الأحداث باتجاه الأمام، لأنه يحمل سمة اتجاهية قوية ذات مسار تقدمي، ويُجسد مقولة: إن سمة اتجاهية قوية يمكن أن تؤكد سمة قوية أخرى.

د- تحمل (الواو) سمة اتجاهية تدل على تقدم الأحداث إلى الأمام، إلا أنه ليس معلوماً أنها سمة قوية أم ضعيفة؛ لأنه لا دليل - في العطف - على تقدم الحدث الأول على الثاني، والذي يظهر أن المعلومات السياقية الواردة في النص، أو الخطاب هي المهيمنة على جعل (الواو) سمة قوية أو ضعيفة، بناءً على الأجواء المحيطة في ظروف التخاطب.

هـ - يحمل الرباط (حتى) سمة اتجاهية أمامية، في ترتيب الأحداث، إلا أن الدراسة تشترط أن يكون الفعل بعدها دالاً على جهة التمام، فإذا كان دالاً على الأمام كانت السمة الاتجاهية للرباط محايدة، ومن ثم فإن هذه السمة قوية إذا كانت الأحداث السابقة ل (حتى) منتظمة في مسار تقدمي، فإذا كانت دالة على مسار تراجعي، فإن العلاقة بين الحدث اللاحق ل (حتى) ومتوالي الأحداث السابقة لها تكون إما علاقة احتواء، وإما علاقة دالة على مسار تراجعي.

٤- ترتب الأحداث بحسب أطروحة الجهة المعجمية بناءً على الطبقة الجهية للملفوظ الثاني؛ فيتقدم الحدث إلى الأمام إذا احتوى محمولاً دالاً على الإنجاز، أو الإتمام، فإذا كان دالاً على حالة، أو نشاط، فثمة علاقة اشتغال بين الحدثين الأول والثاني، لا علاقة تعاقب.



- الهوامش:**
- ١- يُنظر: تداولية الخطاب: ١٥٦، ١٥٧، والقاموس الموسوعي للتداولية: ٤٨١، ٤٨٢.
- ٢- يُنظر: تداولية الخطاب: ١٥٩.
- ٣- يُنظر: Tense in Texts: ٢٥٠.
- ٤- يُنظر: الرّمن في اللّغة العربيّة: ١٨٠، ٤٥٦، ٤٥٧.
- ٥- يُنظر: الرّمن في اللّغة العربيّة: ٤٥٨.
- ٦- يُنظر: Tense in Texts: ٢٦١.
- ٧- يُنظر: تداولية الخطاب: ١٦٣.
- ٨- يُنظر: مفاتيح الغيب: ٣: ٥٩٦، ٥٩٧.
- ٩- يُنظر: الرّمن في اللّغة العربيّة: ٤٦٤.
- ١٠- يُنظر: القاموس الموسوعي للتداولية: ٤٨٣.
- ١١- يُنظر: مجمع البيان: ٨: ٣٢٧، ٣٢٨.
- ١٢- يُنظر: الرّمن في اللّغة العربيّة: ٤٦٤.
- ١٣- يُنظر: Tense in Texts: ٢٥٣، وتداولية الخطاب: ١٦٠، والرّمن في اللّغة العربيّة: ٤٦١.
- ١٤- يُنظر: الرّمن في اللّغة العربيّة: ٤٦٤.
- ١٥- المُحرّر الوجيز: ٣: ١٩٤.
- ١٦- يُنظر: الرّمن في اللّغة العربيّة: ٤٦١.
- ١٧- يُنظر: الرّمن في اللّغة العربيّة: ٤٦٢.
- ١٨- يُنظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٩: ٤٢٧، ٤٢٨، والجامع لأحكام القرآن: ٦: ٢٧، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن: ٢: ٣١٥.
- ١٩- الرّمن في اللّغة العربيّة: ٤٦١.
- ٢٠- يَفْهَمُ توالي الأحداث في آية سورة يوسف من كلام المفسرين، يُنظر: النُّكْتُ والعُيون: ٣: ٨، وزاد المسير: ٢: ٤١٤، والجامع لأحكام القرآن: ٩: ١٢٩، وتفسير القرآن العظيم: ٤: ٣٧١.
- ٢١- يُنظر: تداولية الخطاب: ١٦٣، ١٦٤.
- ٢٢- يُنظر: الرّمن في اللّغة العربيّة: ٤٦٦.
- ٢٣- القاموس الموسوعي للتداولية: ٤٩١.
- ٢٤- يُنظر: المصدر نفسه: ٥٠٠ - ٥٠٢.
- ٢٥- الرّمن في اللّغة العربيّة: ٤٦٦.
- ٢٦- يُنظر: الرّمن في اللّغة العربيّة: ٤٦٦.
- ٢٧- يُنظر: الرّمن في اللّغة العربيّة: ٤٧٠، ٤٧١.
- ٢٨- يُنظر: السّياق ودلالته في القصص القرآنيّ: ٢٥١.
- ٢٩- يُنظر: الرّمن في اللّغة العربيّة: ٤٦٨.
- ٣٠- يُنظر: حروف المعاني: ١٦، ومعاني الحروف: ١٠٥.
- ٣١- التّحرير والتّنوير: ٦: ٢٧٨.
- ٣٢- المصدر نفسه: ١١: ١١٤.
- ٣٣- يُنظر: حروف المعاني: ٣٦، ومعاني الحروف: ٥٩.
- ٣٤- يُنظر: الرّمن في اللّغة العربيّة: ٤٦٩.
- ٣٥- يُنظر: نظم الدرر: ٧: ٩٨، ٨: ٤٩٣، والتّحرير والتّنوير: ٧: ٢٠٢، و١٠: ٢٢٠.
- ٣٦- يُنظر: الرّمن في اللّغة العربيّة: ٤٧٢.
- ٣٧- يُنظر: المصدر نفسه: الصفحة نفسها.
- ٣٨- الرّمن في اللّغة العربيّة: ٤٧٢.
- ٣٩- يُنظر: المصدر نفسه: الصفحة نفسها.
- ٤٠- يُنظر: المصدر نفسه: الصفحة نفسها.
- ٤١- التّحرير والتّنوير: ١٥: ٥٢.
- ٤٢- يُنظر: القاموس الموسوعي للتداولية: ٤٨٩، وتداولية الخطاب: ١٦٣، ودلالة الرّمن في العربيّة: ٤١.
- ٤٣- يُنظر: دلالة أفعال الحركة في إطار المعجم المولّد: ١٠٣، ١٠٥.
- ٤٤- يُنظر: المصدر نفسه: ١٠٣.



العلاقات الزمنية والجهية في الخطاب القرآني...

وأن ريبول، ترجمة مجموعة من الأساتذة والباحثين بإشراف عز الدين المجدوب، الطبعة الثانية، دار سيناترا، تونس، ٢٠١٠م.

١٢- مجمع البيان في تفسير القرآن: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، تحقيق: لجنة من العلماء والمحققين، الطبعة الأولى، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٥.

١٣- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب المعروف بابن عطية الأندلسي (ت ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ.

١٤- معالم التنزيل في تفسير القرآن: أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٠هـ)، تحقيق: محمد عبد الله التمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، الطبعة الرابعة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٩٧م.

١٥- معاني الحروف: أبو الحسن علي بن عيسى الرمائي (ت ٣٨٤هـ)، تحقيق: د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، الطبعة الثالثة، دار الشروق، السعودية، ١٩٨٤م.

١٦- مفاتيح الغيب: أبو عبد الله محمد بن عمر الرّازي (ت ٦٠٦هـ)، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٩م.

١٧- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، (د. ط)، دار الكتاب الإسلامية، القاهرة، (د. ت).

١٨- النكت والعيون: أبو الحسن علي بن محمد الشهير بالماوردي (ت ٤٥٠هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (د. ط)، دار الكتب العلمية، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، (د. ت).

المصادر المطبوعة باللغة الإنجليزية:

1. Tense in Texts, in meaning, use and interpretation of language: Hans Kamp, London and Christian Rohrer, Stuttgart, Berlin: de Gruyter, ١٩٨٢.

المصادر والمراجع المطبوعة باللغة العربية:

١- التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور (ت ١٩٧٣م)، (د. ط)، الدار التونسية، تونس، ١٩٨٤م.

٢- تداولية الخطاب من تأويل الملفوظ إلى تأويل الخطاب: أن ريبول، وجاك موشلار، ترجمة: لحسن بوتكلالي، الطبعة الأولى، دار كنوز المعرفة، عمان، ٢٠٢٠م.

٣- تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الطبعة الثانية، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٩٩م.

٤- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاکر (ت ١٩٥٨م)، ومحمود محمد شاکر (ت ١٩٩٧م)، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٠م.

٥- الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم اطفيش، الطبعة الثانية، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٤م.

٦- حروف المعاني: أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاج (ت ٣٤٠هـ)، تحقيق: د. علي توفيق الحمد، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ودار الأمل، الأردن، ١٩٨٤م.

٧- دلالة أفعال الحركة في إطار المعجم المولّد: د. أحمد بريسول، الطبعة الأولى، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، ٢٠١٣م.

٨- زاد المسير في علم التفسير: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي المعروف بابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ.

٩- الرمن في اللغة العربية: بنياته التركيبية والدلالية: د. امحمد الملائح، الطبعة الأولى، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠٠٩م.

١٠- السياق ودلالته في القصص القرآني: قصة موسى عليه السلام أمودجاً: د. عليّة بيبيّة، (د. ط)، دار العراب، ودار نور حوران، سورية، ٢٠١٧م.

١١- القاموس الموسوعي للتداولية: جاك موشلر



القيمُ الوطنيةُ عند الشعراء العباسيين دراسة تحليلية

م.د. جواد عودة سبهان

National values of the Abbasid poets
An analytical study
Lecturer Dr. Jawad Odeh Sabhan



الملخّص

يهدفُ البحثُ إلى الكشف عن القيم الوطنية عند الشعراء العباسيين، بوصفها تمثل رمزاً سامياً ومثلاً أعلى يحرص عليه الشاعر العباسي، وهي ما تزال إلى يومنا هذا على جدّتها وطرافتها، وما نزال نحن في أشد الحاجة إليها وإلى من يبعثها فينا، ويعمل بها صادقاً مخلصاً، وعليها كان مدار البحث وقطب رحاه.
الكلمات المفتاحية:
مظاهر القيم الوطنية - الحنين إلى الوطن - التغني بحب الوطن - الذود عن ثغور الوطن.

Abstract

The research aims to reveal the national values of the Abbasid poets because they represent a supreme symbol and ideal example that the Abbasid poet is keen on. It is still to this day on its novelty, which we are in the greatest need for it and for those who inspire it for us and who work with it honestly and sincerely. Hence, it was the focus of this research and the pole of its interest.



(اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري). أمّا ثريا عبد الفتاح فقد ذكرت القيم الروحية التي تمثّلت في الشعر العباسي ضمن الشعر العربي في كتابها (القيم الروحية في الشعر العربي قديمه وحديثه)، هذا ما اطلعت عليه من الدراسات وقد استفدت منها إلّا أنّها كما نرى تصف غرضاً محدداً من القيم وتبيّن قيمتها الاجتماعية وأهميتها في التركيب الاجتماعي مع سياق ما يريدون عرضه، ولم يقصد احد منه القيم الوطنية بذاتها ولا عمد الى دراستها من باب الشعر، إنّما جاء حديثهم عرضاً مربوطاً بنسق الموضوعات التي يدرسونها، فأخذ كل باحث ما يخدم غرض دراسته من زاوية تهّمّه.

أمّا المنهج الذي اتبعه الباحث في الدراسة، فهو المنهج الوصفي التحليلي في انتقاء القيم، ودراستها، وتحليلها ومناقشتها مناقشة موضوعية علمية. ولذا فقد تطلّب الإيفاء بجوانب الموضوع دراسته وفق منهج تمثّل بمقدمة ومباحث ثلاثة وخاتمة، ومن ثم قائمة بالمصادر والمراجع، وكان تفصيل ذلك على النحو الآتي:-

- المبحث الأول: الحنين إلى الوطن.

فقد خصص لدراسة التعريف بالحنين كقيمة وطنية عليا ترمز إلى حب الوطن في بلورة الشعور العاطفي تجاه مسقط الرأس.

- المبحث الثاني: التغني بحب الوطن.

فقد كُرس هذا المبحث لدراسة القيم المتمثلة للتغني بحب الوطن في صياغة الوجدان الوطني لأجيالنا العربية.

- المبحث الثالث: الذود عن ثغور الوطن.

تكفل هذا المبحث بتسليط الضوء على القيم الوطنية المعبرّة عن شخصية الفارس العربي المتمثلة بالفتوة العربية في أخلاقه ومزاياه وفي دفاعه عن الوطن.

- خاتمة البحث.

فأوجزت أفكار البحث، وما توصل إليه من نتائج.

المبحث الأول: الحنين إلى الوطن

جاء في لسان العرب ((الحنين: الشديد من البكاء والطرب)) وقيل: هو صوت الطرب كان ذلك عن حزن أو فرح، والحنين: الشوق وتوقان النفس والمعنيين متقاربين. وحنّت الأبل: نزعت إلى أوطانها وأولادها، والناقة تحنّ في إثر ولدها حينئذ تطرب مع صوت وقيل حنينها نزاغات بصوت وغير صوت، والاكثر أنّ الحنين بالصوت، وحننتّ الناقة على ولدها:

شكّل موضوع القيم الوطنية المتمثّلة بالحنين والشوق والذود عن ثغور الوطن جزءاً مهماً في شعر شعراء ما قبل الاسلام، ولاسيما في مقدمات قصائدهم^(١)، مثلما انطوت بعض مقدماتهم الأخرى على كثير من الشوق والحنين، كمقدماتهم الطللية والغزلية، وفي صدر الاسلام ذبج كثير من الشعراء قصائدهم بالحنين إلى الدمن والديار، والاشتياق إلى الأهل والاحباب، ولاسيما في شعر الفتوح الاسلامية^(٢)، مثلما ترك بصمة متميزة في شعر العصر الأموي^(٣)، ولشعراء العصر العباسي في هذا الموضوع ما يشار إليه بالبنان، فقد أكثر الشعراء من هذا اللون الشعري، وقالوا فيه شعراً رقيقاً يفيض بالعاطفة^(٤)، ويعبر عن رهافة حسّه، وفيض مشاعره.

من هنا ازدادت أهمية القيم ومكانتها، بوصفها المدخل المنطقي لصياغة الوجدان الوطني لأجيالنا العربية، فضلاً عن أنّها من الكمالات الدائمة التي لا تذهب أبداً ولا تزول مع تطور البيئة لما تميزت بها من غايات نسعى لتحقيقها، أو أهداف ينبغي التوصل إليها، وهي خلاصات نظرات قيمة بأسلوب أدبي شعري، ومتلبسة بلباس عقلي، ومعبرة عن الشعور الوطني. كما جاء وصفها على ألسنة الشعراء من خلال موروثهم الشعري، وهم يستوحون من قيمهم التي يسعون لتحقيقها دلالات قيمة، تؤدي وظيفتها الوطنية وتدعو لتحريك وجدان الانسان الوطني لملامسة عالم الفضيلة وتحري السلوك الأفضل في سيرته الوطنية قولاً، وممارسة، وتفكيراً. فضلاً عن كونها من الموضوعات الشعرية الموظفة للتعبير عن الحسّ العاطفي لدى الانسان تجاه من يحب، ولعل في هذه المعاني تكمن الدوافع التي وجهتني لاختيار موضوعي (القيم الوطنية عند الشعراء العباسيين).

ولكي يكون البحث موضوعياً، فإنّه لا بد من معرفة الجهود السابقة وما قدمته من معالجات تلمس هذا الموضوع. إذ إنّ معظم الدراسات التي تناولت شعر هذه الفترة، لم تفرد لها دراسة مستقلة لذاتها، بل كانت تعالجها بشكل متصل مع شعر العصر. ومن هذه الدراسات ما تمت على أيدي باحثين مشهود لهم بالقدرة على معالجة قضايا الأدب وفنونه. فالشكعة مثلاً تحدث عن القيم الأخلاقية في كتابه (الشعر والشعراء في العصر العباسي).

كذلك بحث الاستاذ هدارة الحنين الى الوطن ضمن موضوع الاتجاه الانساني والذاتي في كتابه



تعطفت^(٥).

وقد اتخذ الحنين قيمة وطنية ترمز إلى الوطن، والشوق للإنسان، فامتزجا وصار كلاً موحداً يعني الوطن وساكنيه. ومما جاء عن الحنين في الأقوال المأثورة: إذا شئت أن تعرف وفاء الرجل، وحسن عهده، وكرم أخلاقه، وطهارة مولده، فانظر إلى حنينه إلى أوطانه، وتشوقه إلى إخوانه، وبكائه على ما مضى من أزمانه^(٦).

ومنذ أن لامس الانسان الارض ومسّ جسده التراب، تأصل حبها في نفسه، وتجدد إحساسها في وجوده تجاوباً وتألفاً، لأنه عرف فيها طعم الاستئناس، ووجدت في طياتها الحنو والرعاية.. فكان الوطن حكاية لكل ما يسمعون ولوناً لكل ما يبصرون، وحساً لكل ما يفعلون ويعقلون تعالت نغماته في أعماق الذات وتحركت أصداؤه في حنايا النفس^(٧).

والانسان منذ أن خلق اجتماعياً و سبيل طبيعته، يحب وطنه ويتمسك به، ويلتزم بالذود عنه وهو يشعر بالراحة والاطمئنان حين يكون بين أهله وأحبته، وقدماً قال بعض الفلاسفة: ((فطرة الرجل معجونة بحب الوطن، ولذلك قال بقراط: يُداوي كل عليل بعقاقير أرضه... "وقال جالينوس: يتروح العليل بنسيم أرضه، كما تتروح الأرض الجدبة ببلل القطر))^(٨).

ومما يؤكد حب الأوطان " قول الله عز وجل حين ذكر الديار يخبر عن مواقعها في قلوب عباده، فقال: (وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ احْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ)^(٩)، فسوى بين قتل أنفسهم وبين الخروج من ديارهم"^(١٠) وحين تعصف بالإنسان صروف الدهر، وتشتد عليه عاديات الزمن يجد في حديث الحنين سبيلاً لتخفيف الأحزان ووسيلة لتحقيق السلوان.

والحنين نزعة انسانية عريقة عرفتها الشعوب، وذافت طعمها مواكب الانسانية، وهي تتحمل غصصها، وتكتوي بلهيب شوقها؛ لأنه من علامة الرشد أن تكون النفس إلى مولدها مشتاقة، وإلى مسقط رأسها تواقفة، فالإنسان الذي اعتاد رؤية الأرض وتنسم أريج الدار التي نشأ بها أيام الصبا، وعاش في ربوعها لحظات الطفولة والصحة لا تفارق ذاكرته ولا تغيب عن مخيلته^(١١).

وقد تميّزت العرب عن غيرها من الأمم بالتعلق الشديد بأوطانها. وهي أمة حباها الله تعالى بالكثير من رهافة الحس، ورقة الشعور. فكانت العرب

إذا غزت وسافرت حملت معها من تربة بلادها رملاً وغفراً تستنشقه عند نزلة أو زكام أو صداع^(١٢). فأحبّ العربي الأرض التي عاش فيها سواء أكانت قاحلة ام منبته، جميلة ام غليظة؛ لأنها رافقت عهداً من عهود حياته وعرفت شطراً من أيام عمره، فحن إليها، وهو بعيد واشتاقها وهو غريب، فأنشد فيها شعره حيناً وحرقة، وامتدح فيها الخير والبركة والنعيم لا؛ لأنها ذات خير وبركة ونعيم حقاً، بل لأنها قطعة من عمره فحسب. وما قول أبي تمام (ت ٢٣١هـ)، (من الكامل):

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى

ما الحب إلا للحبيب الأول

كم منزل في الأرض يألغه الفتى

وحنيه أبداً لأول منزل^(١٣)

إلا صرخة تذكّرها عوامل الحنين والشوق إلى الوطن لاسيما حنينه لأول منزل مؤكداً ذلك باستعماله (كم) الخبرية في قوله: (كم منزل في الأرض... وحنيه أبداً لأول منزل) للدلالة على الكثرة.. كثرة المنازل. لكن الحنين يبقى للمنزل الاول، وهو مسقط الرأس إذ يتركز حنينه إليه.

وعوف بن محلم الخزاعي لا يخفي مشاعر الحنين إلى أهله في رأس العين، وهو مرافق لعبد الله بن طاهر بن الحسين في إحدى أسفاره الى خراسان (من الطويل):

أفي كل عام غربه ونزوح

أما للنوى من ونية فتريح

لقد طلح البين الموشيت ركائب

فهل أرين البين وهو طليح

وذكرني بالري نوح حمامة

فحث وذو الشجو الحزين ينوح

على أنها ناحت ولم تذر دمعاً

ونحت أسراب الدموع سفوح

وناحت وفرخاها بحيث تراهما

ومن دون أفراخي مهامه فيح^(١٤)

فقد وظّف الشاعر أسلوب الاستفهام (في كل عام) في صدر أبياته ليخدم به المعنى العام الذي ينشده، بسبب ما يقدمه هذا الأسلوب من عنصر الإثارة والافئاع في ذهن السامع، اضافة إلى الحنين الذي جاء عن طريق تكرار الألفاظ (ناحت، البين، نوع، النوى، نحت) فالشاعر أراد أن يعيد احياءات الألفاظ من خلال تكرارها في الأبيات وذلك؛ لأن (تكرار لفظ ما... يوحي بشكل أولي بسيطرة هذا العنصر المكرر والحاحه على فكرة الشاعر او على شعوره اولاً، ومن ثم



القيم الوطنية عند الشعراء العباسيين...

ومثل هذا الاحساس نجده ونشعر به، في قول العباس بن الأحنف (ت ١٩٤هـ) يعبر عن نزوحه حيث أمسى يحلّ بلاداً غير وطنه، وهو يزداد شوقاً ووفاءً لها كلما نزحت به دار (من البسيط):

ونازح الدار أقى الشوق عبرته

أمسى يحلّ بلاداً غيرها الوطن

يزداد شوقاً إذا دار به نزحت

فما يغيره عن عهده الزمن^(٢٠)

وهذا يعني أنّ النزوح هو من أهمّ بواعث

الشوق والحنين في نفس الشاعر، وهذا ما أشار إليه القرطاجي بقوله: ((ولما كان احق البواعث بأن يكون هو السبب الأول الداعي إلى قول الشعر هو الوجد والاشتياق والحنين إلى المنازل المألوفة وألفها عند فراقها وتذكر عهدها وعهودهم الحميدة فيها))^(٢١).

ولم تكن صور الوطن وحدها التي تثير

فيهم مشاعر الشوق والحنين، فصور حُسن الهواء وطيب الماء، وقتنة الطبيعة، وما كان لهم فيها من هوى يجذبهم إليه هي الأخرى كانت تبعث فيهم تلك المواجه، وهم يتأملون تلك المسافات الشاسعة التي تفصلهم، وما تركه نأيهم في نفوسهم المغتربة من حزن. ولذا فالبحثري (ت ٢٨٤هـ) يحاول أن يقدم معادلة بين العراق والشام وليس في وسعه إلاّ الاشتياق إلى برد الشام وريفها (من الكامل):

حنّت ركابي بالعراق وشاقتي

في ناجر برد الشام وريفها^(٢٢)

وقولـه (من الكامل):

ذكرتنا برد الشام وعيشنا

بين القباب البيض والهضبات^(٢٣)

يتجه خطاب الشاعر نحو بنية المكان (برد

الشام - الهضبات)، الذي يمتّ إلى نفسية الشاعر والايجابية، بتعالقه بروح الوطن ليشهد عاطفة حقيقية تنمو بعمق الاحساس في تجسيد الحنين.

وقولـه (من الوافر):

جفوت الشام مرتبعي وأنسي

وعلوّة خلتي وهوى فؤادي^(٢٤)

وتفيض دموع العباس بن الأحنف (ت

١٩٤هـ) مغرداً، وهو يبكي على شجنه عندما انتبه على صوت طائر على شجرة فرأى أنّ الذي شاقّه ما شاقني فربط ذلك الحنين بالطائر الذي يبكي على سكنه من (المديد):

يا بعيد الدار عن وطنه

فهو لا يفتأ يبنثق في أفق رؤياه من لحظته الاولى^(١٥). وأبو نؤاس (ت ١٩٨هـ) حين يولي وجهه نحو الفسطاط بمصر، ليمدح والي الخراج بها، يحسّ بالحنين الشديد إلى بغداد إذ المجون قائم على قدم وساق، فصور هذا الحنين بصور مختلفة، من مثل قوله (من الطويل):

كفى حزناً أنى بفسطاط نازح

ولي نحو أكتاف العراق حنين^(١٦)

أراد الشاعر أن يعرب من خلال لفظة

(العراق) عن حنينه، الذي شكّل المحور الذي دار حوله البيت، فالعين تشير إلى العزة، والراء تشير إلى الرفعة، والألف تشير إلى الأصالة، والقاف تشير إلى القدم.

وقوله كذلك (من الخفيف):

ذكر الكرخ نازح الأوطان

فصبا صبوة ولات أوان

ليس لي مُسعّد بمصر على الشوق

إلى أوجه هناك حسان

نازلات من السراة فكرخايا

إلى الشط ذي القصور الدواني^(١٧)

حشد الشاعر في أبياته مجموعة من ألفاظ

الحنين التي تظهر بجلاء مدى حنين الشاعر، وهي (نازح الأوطان، صبى صبوة، الشوق، أوجه حسان)، وقد عبّر الشاعر بها عن عاطفته المتوهجة، وأحاسيسه الجياشة التي تداعب الوجدان.

ويبقى شوق ابن المعتز (ت ٢٩٦هـ) يحمل

دلالات الوفاء لدار بنهر الكرخ ترك فيها لباناته وأوطاره، من عهد عامين بعد أن كان يلهو بها ويرى الظباء الآدم سائحة فحن لذلك وقال (من البسيط):

سقياً لدار بنهر الكرخ من دار

تركتُ فيها لباناتي وأوطاري

من عهد عامين لم ألمم بساحتها

دارت عليها رحي الدنيا بأطوار

كم فيك يا دار من عصير لهوت به

يا لبيته لي من عمري بأعصار

يرون فيها الظباء الآدم سائحة

يشبهن شراً بأعناق وأبصار^(١٨)

نلحظ لفظة (يا دار) منبعها الوفاء، إذ إنّ

علم النفس يشير إلى حالة دقيقة في علاقة المكان في الشعر بالعامل النفسي، لذا نلحظ أن الشاعر قد جمع في أبياته بين الدار والظباء السائحة، فلا بد أنه كان مدفوعاً بدافع نفسي؛ لأنّ الدار أسلوب غير مباشر للحديث عن سرائر النفوس وأفاعيل الهوى وسبيل لتذكير الشاعر بأحبته^(١٩).



مفرداً يبكي على شجنه

كلما شد النجاء به

دارت الأسقام في بدنه

ولقد زاد الفؤاد شجي

هاتف يبكي على فننه

شافه ما شافني فبكي

كلنا يبكي على سكنه^(٢٥)

نلحظ أنَّ الشاعر استحضر المنادى (يا بعيد الدار)، بهذه الطريقة الشخصية الاستعارية وازدادة المنادى إلى صفات تدلُّ على عمق العاطفة التي تربط المنادى بالمنادى إليه. ولعله أراد بهذا (أنَّ يعبر عن حالة تلهفه وشدة طلبه، فهو بمثابة المستغيث الذي يمدُّ صوته في النداء)^(٢٦).

ولا يحس الشاعر بأهمية وطنه إلا عندما يعترِب، كما حصل لعلي بن الجهم (ت ٢٤٩هـ) الذي أشدَّت عليه وطأة الاشتياق حينما غادر وطنه فكانت صور الأهل والجيران والوطن هي التي تبعث فيه تلك المواجه (من البسيط):

ويذكر الأهل والجيران والوطنا^(٢٧)

فقد كَرَّر الشاعر الواو في عجز البيت ثلاث مرات بوصفها أداة من أدوات الربط، أما دورها فللدلالة على تكدس آثار الشوق لذكر الأهل والجيران والوطن في نفس الشاعر.

ويتخذ الحنين إلى الوطن مساراً يتخفَّى الشاعر تحت مسماه الأصلي، فكنتى أبو فراس (ت ٣٥٧هـ) عن حنينه بالحمامة التي حنت حينما سمعها تنوح على شجرة وهو في أسره (من الطويل):

أقول وقد ناحت بقربي حمامة
أيا جارتنا هل تشعرين بحالي
معاذ الهوى ما ذقت طارقة النوى

ولا خطرُ منك الهموم وبال
أيا جارتنا ما أنصف الدهر بيننا

تعالى أفاسمك الهموم تعالي^(٢٨)
أوحث الحمامة في أبيات أبي فراس الحمداني بمعاني الحنين والشوق ولهذا: (اكتسبت الحمامة جانباً عاطفياً خاصاً^(٢٩)، وبذلك أصبحت العلاقة بين الشاعر والحمامة علاقة تعاطف قائمة على المشاركة الوجدانية التي تربطهما معاً، وهذا تجسد عند الشاعر حتى أصبح رمزاً دالاً على الفقد والنوح، وتردّد الذكرى والشوق، وعلى الرفيق أو الأبيس الذي تعلن الشكوى إليه لاستبكائه معلناً عمق الاحساس بالوحدة

والاغتراب والوحشة.

ويسلك مطيع بن إياس السبيل نفسه متوارياً خلف نخلتي حلوان لثعلنا حينه (من الخفيف):

أسعداني يا نخلتي حلوان
واعلمنا ان ريبه لم يزل

يفرق بين الالاف والجيران
ولعمري لو ذقتما ألم الفرقة

أبكاكما الذي أبكاني
أسعداني وأيقنا أن نحسا

سوف يلقاكما فتفترقان
كم رمتني صروف هذي الليالي

بفراق الأحباب والخلان^(٣٠)
ونلحظ في لفظة النخلتين أنَّ الشاعر ضمنهما معنى شعرياً ايحائياً يختفي وراء ظاهر الجمل والعبارات، ليضيف عليه بعداً دلاليّاً أعمق من تفسيرها الظاهري، فيشير في هذه إلى ذاته المغتربة، فضلاً عن توجيه عاطفة المتلقي لاستقبال الانفعالات في رسم الدلالة الكلية التي اشتملت عليها الأبيات.

فلا غرو أنَّ نجد من النماذج الشعرية الأخرى، التي تفيض وجداً ينساب متدفقاً من وجدان الشاعر، وتزخر بالإحساس اللاعج الذي يعتمر القلب اعتصاراً، ويكاد يثير العبرات في العيون. ومثل هذا الإحساس نجده ونشعر به في قول علي بن الجهم الشاعر الغريب الذي عبّر عن ندمه إذ فارق أحبته بفراق وطنه، وما الأهل والأحبة إلا جسد الوطن (من المنسرح):

وارحمتا للغريب بالبلد النازح
ماذا بنفسه صنعا

فارق احبابه فما انتفعوا
بالعيش من بعده ولا أنتفعا

كان عزيزاً بقرب دارهم
حتى إذا ما تباعدوا خشعاً

يقول في نأيه وغربته
عدل من الله كل ما صنعا^(٣١)

فقد وظّف الشاعر مجموعة من ألفاظ الحنين في أبياته وهي (الغريب - الفراق - الأحباب) فضلاً عن استغاثته بقوله (وا رحمتاه للغريب) التي تمثّلت بالاسترحام والاستعطاف كل ذلك استطاع أنَّ يؤثر في العاطفة ويثير فينا الشفقة والرحمة. ويتعرّض الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ) لمعاناة



تشبيهية في النص. فكان وسيلة من وسائل الكشف الدلالي، بما يحمله من ايحائية، افهامية، تشبيهية، عاطفية، تلج النفس وترصد مواطن القوة والضعف فيها فتلمسها ناشدة التأثير في الدلالة على قوة الشبه لهذا استعمل الشاعر (الكاف وكأن) وهذا ما أشار اليه ابن طباطبا في قوله: ((فما كان من التشبيه صادقاً قلت في وصفه كأنه أو قلت ككذا))^(٢٤)، فضلاً عن اجتماع (الكاف - الدال) على التشبيه و(أن) الدالة على التوكيد في (كأن) فهي بذلك اقوى في الدلالة على قوة التشبيه^(٢٥).

ويقول كذلك في تصوير جميل للوطن، يتمثله الشاعر في الضمير، فيرى الشباب وما إلى الشباب من عيش نضير وحياة شابة: (من الكامل) بلدٌ صحبتُ به الشبيبة والصبا
ولبسْتُ ثوب العيش وهو جديدٌ
فإذا تمثل في الضمير رأيتُه

وعليه أغصان الشباب تميد^(٢٦)
أكثر الشاعر في استعماله أداة من أدوات الربط: الواو في البيت الأول: (والصبا - ولبست - وهو جديد). فدور هذه الأداة الدلالة على العيش والنضير في نفس الشاعر. ذلك مما يثير شوق الشاعر وحنينه، أمّا هو مشهد موطنه، فيهيج في نفسه أصدق العواطف وأنبهها إلى ذلك البلد الذي ترعرع فيه بين (الشبيبة - والصبا) وله في بيئته ذكريات الطفولة وأحلام الصبا.

والوطن حيث أقمت من بلد او دار، ولم نجد ما يشترطه اللغويون من كون الوطن مسقط الرأس، ولذا كان الشاعر العباسي ملتصقاً ببيئته، جاعلاً منه وطنه مثل:- الشام، بغداد، الرقة، الفسطاط. ومن هنا نلمس أن نظرة العربي إلى تعريف الوطن والتغني به تبدلت من الأفق الضيق إلى الوطن العربي الكبير، وقد عبّر عن ذلك أبو تمام (ت ٢٣١هـ) إذ يقول: (من البسيط)

بالشام أهلي وبغداد الهوى وأنا
بالرقتين وبالفسطاط إخواني
وما أظن النوى ترضى بما صنعت
حتى تُشافه بي أقصى خُراسان^(٢٧)

ونحن اليوم ننظر بعيني أبي تمام إلى هذا الوطن العربي الكبير من أقصى بغداد إلى الفسطاط ومن الرقتين إلى الشام، وهم يزيدون عن التغني بالوطن وما فيه من جمال الطبيعة فلنستمع للبحثي (ت ٢٨٤هـ) ينشد أروع الشعر في جمال الشام،

الغريب في غربته حيث لا له هبة إليها، ولا بعد المضي رجوع إليها (من الطويل):
غريبٌ عن الاوطان لا لك هبة

إليها ولا بعد المضي رجوع^(٢٨)
من التقنيات الموسيقية التي نجد أثرها واضحاً في البيت (الطابق) بما يبعثه من نغم صوتي تحدته هذه الدلالات المتضادة مما يولد ايقاعاً خفياً في النفس قوامه المعنى وضده، وذلك في قوله (ولا بعد المضي - رجوع)، فطابق هما بين (المضي - رجوع).
ومما تقدّم يمكن القول: إن الحنين عند هؤلاء الشعراء كان سبيلاً لبث لواعجهم، وما يختمر في قلوبهم من شوق عارم، إلا أننا نلمس اختلافاً في اتجاه هذا الحنين، فمنهم من اتخذ من الأهل والجيران ومحبيه رمزية لوطنه التي ارتبطت جذور الشاعر بجذوره، ومنهم من وظف الإيحاء المكاني للدلالة على بعده عن وطنه، والآخر كنى عن حنينه بالحمامة للدلالة على حبه المتفاقم، متوارياً خلف نخلة حلوان لتعلننا حنينهم.

المبحث الثاني: التغني بحبّ الوطن:

ليس التغني بحبّ الوطن غريباً عن شعراء القيم الوطنية فهو عاطفة ملتصقة بالوجدان، ومناجاة تنشد فيها حب الوطن ومن فيه وما فيه رائقة تعانق ما في الوطن من جمال وما فيه من احلام تستهوي النفس فلا تملك غير الهيام الطافح، وابن الرومي (ت ٢٨٣هـ) يزيدنا تغنياً في أسباب حب الوطن مبيناً العلة التي يجب لها الوطن فقال (من الطويل):

ولي وطن آليت ألا ابيعه
وألا أرى غيري له الدهر مالكا
عهدتُ به شرخ الشباب ونعمة
كنعمة قوم أصبحوا في ظلالكا
فقد ألفتة النفس حتى كأنه
لها جسدٌ إن غاب غودرت هالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم

عهود الصبى فيها فحنوا لذلك^(٢٩)
الجاحظ، المحاسن والاضداد، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٣٢٤هـ: ١١٨

استعمل الشاعر في تعبيره صورة جمالية متمثلة بالتشبيه الذي يبدو واضحاً في البيت الثاني والثالث، فشكل التشبيه (كنعمة - كأنه لها جسد) دلالة واضحة في اظهار جمالية استعمال الخطاب من جهة، وتعزيد المعنى من خلال إيراد أكثر من صورة



الاماكن والبلدان: (الشام - بغداد - دمشق - حلب - الرقة - الفسطاط)، وذلك ليتخذوا منها رمزاً إلى حنينهم وشوقهم إلى أوطانهم التي تركوا فيها أجمل الذكريات؛ ((لأنَّ الاسراف في ذكر الاماكن يدلُّ على أنَّ للشاعر غاية من ورائها...))^(٤٢)، فجاء التوظيف الإيحائيُّ لأسماء تلك الاماكن والبلدان توظيفاً منبثقاً من دلالة الشوق والحنين الى اوطانهم وبهذا تحوّلت تلك الاماكن والبلدان من طبيعتها المحسوسة إلى طبيعة الهامية يتأمل منها الشاعر بعض ذكرياته أو يستحضر ذكريات من سبقه في صياغة ابداعية لموقف من أندر المواقف في حياته^(٤٣).

وهذه النماذج تسجّل حضور القيم الوطنية في كل مجال، ورصدها لما يثير في التغمّي والمحبة والعزة، وما يعمّق الوجدان الوطني ويرفده بزخات انسانية تكمن أهميتها في عمق أثرها في صياغة الوجدان الوطني لأجيالنا العربية بوصفها المدخل المنطقي للوطنية.

وعلى وفق هذا المنظور يمثّل التغمّي صورة من صور التعبير الذاتي عن كوامن هذه المشاعر وهواجسها، لتجسّد مقدرة الشاعر على تحويل الصور الذاتية المخزونة في أعماقه للوطن، وما فيه من جمال الطبيعة ليتخذ منها منطلقاً للتنفيس عمّا يكثفه في داخله من أحاسيس ويعبّر عمّا تجيش به نفسه من مشاعر، وهذا ما أشار اليه ابو تمام إذ تبدلت نظرته إلى الوطن من الأفق الضيق إلى الوطن العربي الكبير.

المبحث الثالث: الذود عن ثغور^(٤٤) الوطن:

عرف العرب غزوات الأجنبي على وطنهم، فحاربوا الروم وتردّد ذلك في أشعار أبي اتمام والبحري وأبي فراس والمتنبي وغيرهم، فكانت قصائدهم سجلاً حافلاً لأمجاد الخلفاء والقادة العرب وهم يخوضون المعارك مع أعداء العروبة من البيزنطيين، في شرقي الدولة العربية وغربها. فالشاعر العربي وهو يرسم صورة البطل والقائد لممدوحه، يعبر عن تعلق عميق بالقيم الوطنية المتمثلة بالذود عن الوطن من الروم. وذلك مثل قول بشار بن برد (ت١٦٧هـ) في الخليفة المهدي: (من البسيط)

ولم يدع أحداً مما طغى وبغى
إلا تناولهم بالكف فاحتصدوا
بل لم يكن لجموع المشركين به
ولا يشيعه جول ولا بدد
سدّ الثغور بخيل الله مُلجَمَةً
وفي الخيول وفي فرسانها سدّ^(٤٥)

والبحري شامي يحب وطنه ويعتزّ بسخاء الطبيعة عليه: (من الطويل)
عنيت بشرق الأرض قدماً وغربها
أجوبُ في آفاقها وأسيرها
فلم أر مثل الشام دار إقامة
لراح تُغاديهها وكأس نديرها
مصحة أبدان ونزهة أعين
ولهو نفوسٍ دائمٍ وسرورها
مُقدسة جاد الربيع بلادها
ففي كل دار روضة وغديرها^(٣٨)

وقوله: (البسيط)
العيش في ليل "دارياً" إذا بردا
والراحُ تمزجها بالماء من "بردى"
أما دمشق فقد أبدت محاسنها
وقد وفي لك مطريها بما وعدا
إذا أردت ملأت العين من بلد

مُستحسن وزمان يشبه البلاد^(٣٩)
فالديار محبوبة؛ لأنها مألّف الأحبة وموطن
الاصدقاء وموضع الذكريات ولا يكون الحب للربوع
اعجاباً بالحجر او الصخر او الراح والماء والشجر، وإثماً
يكون لما ينعكس منها بالنفس، وينسكب في الروح
ويجري مجاري الدم، فتتجسّم كما يريد الخيال،
وتسمو ما يُملي الحب، وهذا هو الوطن، بقربه النعيم،
وفي بُعدة الجحيم.

الصنوبري (ت٣٣٤هـ) بالوطن، وهو يتغمّي
بحلب ووصفها إذ رسم لها صورة يرى فيها الحُسن
فيفاخر بها مدن العالم، كما يتغمّي بدمشق، فهو يقول
فيها: (من مجزوء الرمل)
أنا احمي حلباً داراً

وأحمي من حماها
أي حسن ما حوته
فاخري يا حلب المدن
يزد جاهك جاها
فلعمري إن تك المدن
رخاخاً كنت شاهها^(٤٠)

وقوله: (من الوافر)
صفتُ دُنيا دمشق لساكنيها
فلست ترى بغير دمشق دُنيا^(٤١)
ومن الاشارات التي ضمّنها شعراء القيم
الوطنية بعداً رمزياً في شعرهم هو ذكرهم لأسماء



القيم الوطنية عند الشعراء العباسيين...

مجسمة تنبض بالحيوية، وهذا ناتج عن مقدرة فائقة في الخيال، وهذا ما رسمه الشاعر في البيتين. وتأخذ المعركة بعداً تاريخياً عبر التاريخ العربي لترتبط بأيام انتصار العرب الذين أعزهم الاسلام في معركة بدر، ثم ينتقل الشاعر ليُسجل طبيعة الصراع بين العرب والروم ويصف هذه المعركة يوم انتصار حاسم للعروبة والاسلام على أعدائها فيقول: (من البسيط)

إِنْ كَانَ بَيْنَ صُرُوفِ الدَّهْرِ مِنْ رَجْمٍ
مَوْصُولَةٌ أَوْ ذِمَامٌ غَيْرَ مَنْقُضٍ

فبين أيامك اللاتي نصرت بها
وبين أيام بدر أقرب النسب

أَبَقَّتْ بَنِي الْأَصْفَرِ الْمِمْرَاضَ كَأَسْمِهِمْ
صَفْرَ الْوَجْهِ وَجَلَّتْ أَوْجُهُ الْعَرَبِ^(٤٥)

وعواطفه الدينية بارزة في هذه الأبيات، بل إنها تبرز في جنبات الملحمة جميعها، ليهدر فيها هدير الظافر المبتهج الذي تبددت أمامه جحافل الأعداء وانجابت غياهب الظلام وحلت مكانها أضواء النصر في كل مكان، وقد قرن أيام المعركة بأيام بدر إذ كانت البارقة الاولى تعاطم فيها الايمان أمام جبروت الشرك والطغيان، فكان الممدوح قد أعاد تلك الكرة على بني الأصفر (الروم)، والذي جعل صفتهم ولونهم خوفاً، ورعباً تقارب ما هم عليه في لونهم الاصفر، على حين رسم للعرب المنتصرين صورة بيضاء مشرقة، برزت فيها وجوههم ناصعة.

وقائمة الأبطال في شعر أبي تمام طويلة، فيها صور القيم الوطنية المعبرة عن البطولة والشمال العربية، فقائد الثغور والمدافع عنها أبو سعيد محمد بن يوسف الثغري من القادة الأماجد الذين خلدتهم أبو تمام في شعره، وقد أغفل التاريخ دور هذا القائد الذي قاد غزوة إلى القسطنطينية وبلغ أسوارها ووصف أبو تمام هذا الانتصار في قوله: (من الكامل)

لولا جلال أبي سعيد لم يزل
للتغر صدر ما عليه صدر

قدت الجياد كأنهن أجادل
بقرى درولية لها أوكار

حتى التوى من نقع قسطلها على
حيطان قسطنطينية الإغصار

أوقدت من دون الخليج لأهلها
ناراً لها خلف الخليج شرار

إلا تكن حصرت فقد اضحى لها
من خوف قارعة الطريق حصار

ولا شك أن أجود الصور التي رسمت للأبطال في هذا العصر قول مروان ابن ابي حفصة (ت ١٨٢هـ):
(من الطويل)

أطفت بقسطنطينية الروم مُسنداً
إليها القنا حتى اكتسى الذل سورها
وما رمتها حتى أنتك ملوكها

بجزيتها والحرب تغلي قدورها
وفكت بك الأسرى التي شدت لها

مجالس ما فيها حميم يزورها
على حين عيا المسلمين فكاكها

وقالوا: سجون المشركين قبورها^(٤٦)
وتأخذ صورة القيم الوطنية، من خلال

الممدوح ابعاداً أخرى ترتبط بالأرض والدفاع عنها وحماية ثغور العروبة والاسلام، وبذلك تصبح قضية حماية الثغور من القيم الوطنية، والأماجد التي تسجل للممدوح، كما يقول مروان بن أبي حفصة في إحدى مدائحه: (من الطويل)

وما أنفك معقوداً بنصر لوائه
لَهُ عَسْكَرٌ عَنْهُ تَشَّضَى الْعَسَاكِرُ

وكل ملوك الروم أعطاه جزية
على الرغم قصرًا عن يدٍ وهو صاغر^(٤٧)

وفتح عمورية في قصيدة أبي تمام ملحمة من ملاحم البطولة وتجسيد للقيم الوطنية، فالتاريخ فيها شعر والشعر تاريخ بصياغة فنية عالية كما يقول ابو تمام: (من البسيط)

فتح الفُتُوح تعالی أن يحيط به
نظّم من الشعر أو نثرٌ من الخُطْبِ

فتح تفتح أبواب السماء له
وتبرز الأرض في أثوابها القُشْبِ^(٤٨)

حمل الشاعر البيتين لمسات فنية رائعة، فدعم ذلك باستعارته (تفتح ابواب السماء) ليرمي إلى قدسيته، واستعارته تبرز الارض في أثوابها القشْبِ، ليبين وقعه في أنفس أهل الارض، وظهور علامة الرضا عمّا نتج عن تلك الحرب. وتلك الاستعارات جسدت معاني النص على مستوييه الديني والعربي؛ لأنها تخلق واقعاً جديداً أكثر من تقفيتها لما هو موجود سلفاً، وهذا الخلق يؤدي إلى ايجاد مشابهاة جديدة ناتجة عن بعض الخصائص التفاعلية المنتقاة وبها ينقل

الشاعر المجرد الى المحسوس والميت إلى الحي^(٤٩)، والشاعر في صورته الاستعارية أضفى الصفات الانسانية على الأشياء والمظاهر غير الانسانية من جمادات ومعنويات وتجريدات، إذ تبدو تلك الأشياء بصورة



لو طاوعتك الخيل لم تقفل بها

والقفل فيه شَباً ولا مسمار^(٥١)

ويتابع الشاعر البحتري (ت ٢٨٤هـ)

انتصارات ممدوحه، ويرى فيها مجداً شامخاً كما
يسجل أمجاد القبائل العربية التي شاركت في الدفاع
عن أرض العروبة، ويرسم صورة رائعة للبطل العربي
فيقول في مدح الثغري: (من الكامل)

بَرَّ الملوك تكراً وتفضلاً

وأحان من نجم الصباح طلوعاً

مستيقظ الأحشاء أصبح للعدى

حتفاً يبيد وللعفاة ربيعاً

متتابع السراء والضراء لم

يخلق هيوماً للخطوب هلوياً

ديوان أبي تمام، ضبط شاهين عطية، بيروت، المطبعة

الادبية، ١٨٨٩: ص ٤٠.

ويشير الى انتصاراته على الروم في قوله: (من

الكامل)

لَمَّا رَمَيْتِ الرومَ فِيهِ بِضُمِّرٍ

تَعْطِي الفوارس جريها المرفوعاً

كنت السبيل الى الردى إن كنت في

قبض النفوس الى الحمام شفيحاً^(٥٢)

ديوان أبي تمام، ضبط شاهين عطية، بيروت، المطبعة

الادبية، ١٨٨٩: ص ٤٠.

وفي مديح البحتري لممدوحه يشير إلى

هجومه على الروم وبذلك يرسم الصورة التي يجب أن

ترتسم للممدوح بالذود عن ثغور الوطن، فهو يقول:

(من الكامل)

بكرت جياذك والفوارس فوقها

بالمشرفية والوشيج الذبل

عُراً محجلة تحاول وقعه

بالروم في يوم أغر محجل

وأظن أنك لا ترد وجوهها

حتى تُنِيخَ على الخليج بكلكل^(٥٣)

وتبدو عواطف البحتري العربية وهو يسجل

مفخرة من مفاخر ممدوحه وهو يصف جيشه الذي

هاجم وحفظ الثغور: (من الطويل)

وما زالت الأعداء تعلم أنه

يجاهدها في الله حق جهادها

أعدلها فرسان جيش عرمرم

عداد حصى البطحاء دون عدادها

كتائب نصر الله أمضى سلاحها

وعاجل تقوى الله أكثر زادها

فلا تكثر الروم التشكي فإنه

يراوحها بالخيل إن لم يُغادها

ولم أر مثل الخيل أجلى لغمرة

إذا اختلفت في كَرِّها وطرادها^(٥٤)

كما كان سيف الدولة في هذه الحقبة

صورة للبطل العربي المنفذ والأمل الذي يلجأ اليه

العرب، ويرون فيه حمى الثغور والعروبة والمجد كما

يصوره الشاعر العربي أبو الطيب المتنبي (ت ٣٥٤هـ)

فارس الميدان الشعري في التعبير عن الوجود العربي

وتحدي الغزاة الأجانب من الروم، في حقبة افتقدت

فيها معاني القيم الوطنية المتمثلة بالذود عن الثغور،

فيجد الشاعر في انتصاراته نصراً للأمة كما تجد الأمة

في ظله شيئاً من العز والأمن والكرامة كما يقول: (من

الخفيف)

ليس إلاك يا علي همام

سيفه دون عرضه مسلول

كيف لا يأمن العراق ومصر

وسراياك دونها والخيول

أنت طول الحياة للروم غاز

فمتى الوعد أن يكون القفول

وسوى الروم خلف ظهرك روم

فعلى أي جانبك تميل^(٥٥)

يتوجه الشاعر بخطابه إلى ممدوحه فيقول:

ليس من الملوك يعني عرضه بسيفه غير أي أنت

الشجاع دونهم، مؤكداً هذا المعنى في البيت الثاني

للتعجب الذي افاده الاستفهام الانكاري (كيف لا يأمن

العراق ومصر) سبيلاً إلى إثبات أمن ديار المسلمين

وأنت في وجه الروم تدفعهم عنها بجيوشك وخيولك،

ولولاك لاستبيحت تلك الديار، ويشير الشاعر في البيت

الثالث (انت طول الحياة للروم غاز) إلى معنى ينم

عن أن غزواته لا تنقطع، مؤكداً هذا المعنى في قوله (

وسوى الروم خلف ظهرك روم) معززاً ذلك بالاستثناء

المقدم سوى ليخلق ذلك الانحراف في الاستعمال

اللغوي لأغراض بلاغية قادت الى دهشة المتلقي حينما

جعل لممدوحه اعداء، فليس اعداؤك الروم فحسب،

وإنما اعداؤك كثر فأبهم تقائل^(٥٦).

ولقد كانت معارك سيف الدولة مع الروم

ملاحم بطولة تمثل القيم الوطنية والشجاعة العربية

كما خلدها المتنبي، فسيف الدولة ليس بطلاً من بني

حمدان ولا حامياً للثغور من غزوات الروم، فهو أيضاً

المفاوض والذي يفرض الهدنة بطلب من رسول ملك

الروم حينما جاءت الرسل تطلب ذلك: (من الطويل)



عالية.

ولا يفوتنا أن نذكر بأنَّ شعراء القيم الوطنية من ذوي الأصوات العربية الأصيلة المتحدية والمدافعة عن الوجود العربي، فقد أحسوا إحساساً عميقاً بالعروبة وقيمها وتراثها، فكانوا يدركون أنَّ من واجبه أن يمنحوا العروبة لسانهم، وأن يعيشوا معها في جهادها الحربي، ونضالها العنيف ضد أعدائها الثائرين عليها وما شك في ذلك، حيث كان يصدر هذا عن شعور متأصل في طواياهم بوحدة العرب مهما اختلفت قبائلهم، فأبو تمام يذكر ممدوحه في توحيد القوى العربية لدرح الأعداء فيقول: (من الطويل)

ضمنت إلى قحطان عدنان كلها

ولم يجدو إذ ذاك من ذاك من بُد
فأضحت بك الاحياء أجمع إلفة

كما أحكمت في النظم واسطة العقد
ولما أماتت أنجم العرب الدجي

سرت وهي أتباع لكوكبك السعد^(٥٧)

استعمل ابو تمام صورة نابضة تؤدي دورها في خدمة المعنى في البيت الثاني (كما أحكمت في النظم واسطة العقد) استعارة تصريحية فقد شبه ممدوحه بالجوهرة الثمينة التي تتوسط العقد، وحذف المشبه وصرح بالمشبه به. وسر جمالها توضيح الفكرة برسم صورة لها، لتتكون: (صورة جديدة وغريبة وصادمة^(٥٨)، فأصبحت الاستعارة ليست مجرد تغيير بالمعنى، بل إنها تغيير في نمط المعنى وانتقال المعنى المفهومي الى المعنى الانفعالي^(٥٩).

وينهج البحري نهج أستاذه أبي تمام في الذود عن الثغور ومعانيها وقيمها ورجاله، ويبحث عن نماذجها في القادة والرجال، معبراً عن مشاعره الأصيلة الصادقة. ويؤكد الشاعر عروبه في فخره معرفاً بنفسه وقومه فهو يقول: (من الخفيف)

إن قومي قوم الشريف قديماً

وحديثاً أبوة وجدودا

نحن أبناء يعرب أعرب الناس

لساناً وأنضر الناس عودا^(٦٠)
وظف البحري أداة من أدوات التوكيد (إن)، لإثبات المعنى في النفس، فلا سبيل للشك بعد هذا التوظيف نكران ما جاء به البحري من ادلة واضحة مؤكدة (نحن أبناء يعرب أعرب الناس) معرفاً بنفسه وقومه، أخرجت المتلقي من دائرة الشك واللبس الى دائرة اليقين.

وأبو الطيب المتنبي بإحساسه العربي حريص على قبائل

إلى كم ترد الرسل عما أتوا له

كانهم فيما وهبت ملام
فإن كنت لا تُعطي الذمام طواعية

فعود الأعداي بالكريم ذمام
ومن لُرسانِ الثغورِ عَلِيهم

بتبليغهم ما لا يكاد يُرام
كنائب جاءوا خاضعين فأقدموا

ولو لم يكونوا خاضعين لحاموا^(٥٧)

يلجأ المتنبي في البيت الثاني (فإن كنت لا تعطي الذمام طواعية...) الى استعمال الجملة الشرطية في التعبير عن المعنى واهمية الجملة الشرطية في هذا الموضوع يتأتى من قدرة إدارة الشرط (إن) على الربط بين جملتين، ربطاً يجعل معنى الجملة الثانية متصلاً بمعنى الجملة الاولى، وتكون الاداة بمنزلة الربط الذي يقرب معنى الجملتين. وهذا ما نستشفه من قول المتنبي مخاطباً ممدوحه: إن كنت لا تعطي الروم عهداً وصلحاً طواعية فإليعاذهم بك يوجب لهم الذمام الى العهد؛ لأن من لاذ بالكريم وجبت له الذمة، وأن كان عدواً: أي فقد حصل لهم ما طلبوا وإن لم تعطهم^(٥٨).

ويعبّر الشاعر العربي مرة أخرى عن هذا الاحساس، ويدعو سيف الدولة إلى اجابة نداء أهل الثغور: (من المتقارب)

أيا سيف ربك لا خلفه

ويا ذا المكارم لا ذا الشطب

بذا اللفظ ناداك أهل الثغور

فلببت والهام تحت القُضب

وقد يئسوا من لذيذ الحياة

فعين تغور وقلب يُجب^(٥٩)

استعمل المتنبي أداة النداء (أيا سيف) التي تأتي للبعيد، وقد ينادى بها للقريب لأغراض بلاغية كما هنا، ولعل الدافع الى ذلك هو تعظيم الممدوح واحترامه، وهو ليس سيفاً كسائر السيوف. بل هو سيف الله لا سيف الناس، فهو صاحب المكارم لا سيفاً فيه طرائق من سيوف الحديد.

إنَّ ابیات المتنبي المذكورة تدخل صورها وأخيلتها في موضوع واحد يعبر عن اعجاب المتنبي بشخصية الممدوح وشجاعته المتمثلة بالقيم الوطنية، ولذلك جاءت الأبيات أنشودة انتصار وزهو ورجولة وقوة استطاع من خلالها أن ينقل ملحمة عربية قادها سيف الدولة ضد الروم بلغة تصويرية تعتمد الخيال الخلاق وبأسلوب استعمل فيه كثيراً من امكانات اللغة للتعبير عن ذلك الانتصار بشكل دقيق ومقصدية



نلحظ ومضة فنية في البيتين، فقد كرر الشاعر حرف النون (٨) مرات، لذا نشأ عن تردّد هذا الصوت نوع من الموسيقى تراح اليه الأذن وتميل إليه، فضلاً عن أنّ صوت النون في مقام الفخر يزيد من حدته ويضاعف من وقعته على النفوس. لهذا أمّاز الشريف الرضي بذائقة صوتية تستهوي حرف النون أكثر من غيره.

ويؤكد الشريف الرضي على العروبة بوصفها من عنوان المجد في أهله، فهذا الانتماء ذروة المجد والفتى العربي هو القائد والفارس والبطل: (من الوافر) ومن شيم الفتى العربي فينا

وصال البيض بالخيال العراب

له كذب الوعيد من الأعادي

ومن عاداته صدق الضراب^(٦٨)

ومن خلال ملاحظة ألفاظ هذا المحور تبيّن لنا أنّ ألفاظ الشعراء في هذا المجال هي من ألفاظ الحرب والسلاح (خيال الله، القنا، الخيول، النار، البيض، القُضب، الشُطب، الإبطل، لاردي، الحِمَام، الإبطل، الفوارس، الفرسان، العساكر، الثغور، السرايا، جيش العرمرم، الكتائب) ومنها صفات تراد منها قيمة المعنى مثل (النار)، ومنها الفاظ الجيش وصفاته مثل (الأبطال، الفوارس، الفرسان، العساكر، الثغور، السرايا، جيش عرمرم، الكتائب)، ومنها ألفاظ دالة على عدة الحرب مثل (السيف، القنا، القضب، الشطب، الخيل)، وقد تنبثق من الحرب ألفاظ اخر

تشير الى نهاية حياة الفارس، منها ما ورد (الردي، الحمام، الموت)، وعليه أرادوا بهذا الاستثمار لألفاظ الحرب أنّ يبنوا فضيلة الانتصار التي تحققت على الروم فضلاً عن عزة النفس، وإنّ مواجهة الحتوف أهون لدى كبير النفس من السكوت على الذل والهوان، وبهذا التعبير عن الحرب نقلوها من الادراك المعنوي الى الادراك الحسي^(٦٩).

وواضح من كل ما قدّمنا أنّ شعر الذود عن ثغور الوطن سيظلّ يحيا حياة متصلة. وكيف لا وقد تغنّى بالبطولة العربية ومجد الأبطال من أمثال سيف الدولة وغيره، لذا فهو صورة فذة للانتصارات التي حقّقها على الروم، الذي سيظلّ يغذي الأجيال الحاضرة والمستقبلية الغذاء الرفيع الذي وصفنا بعض جوانبه، مجسّداً لها روحنا العربية التي لا تقهر، وأمجاد بطولاتنا على مرّ الزمن وخصالنا الكريمة، ومثلنا النبيلة.

العرب، يرى فيهم رجالاً للقائد العربي وقوة قائمة أيام المحن والشدائد، ويرى في التفافها حول البطل ترصيناً للنصر والصدور، وهو فخور بها وبثقافتها بسيف ابن حمدان: (من الطويل)

فتى لا يرى إحسانه وهو كامل

له كاملاً حتى يرى وهو شامل

إذا العرب العرباء رازت نفوسها

فأنت فتانها والمليك الحلال

أطاعتك في ارواحها وتصرفت

بأمرك والتفت عليك القبائل^(٦٤)

ولم يفت المنتبي أن يمارس بعض التلوينات

البلاغية، منها تقسيم حسن بين (وهو كامل، وهو شامل)، وهذا التقسيم ممّا يزيد المعنى وضوحاً وتبياناً. ويعبّر الشاعر العربي مرة أخرى عن هذا الحرص، وهو يقدر دور القبائل العربية كمعاقل وحصون في وجه الأعداء، ويدعو سيف الدولة الى الرأفة بهم إذا ما تمردوا عليه، فهم العشائر والصحاب والنسب يجمعهم تحت خيمة العروبة: (من الوافر)

فقاتل عن حريمهم وفروا

ندی كفيك والنسب العراب

وحفظك فيهم سلفى معد

وإنهم العشائر والصحاب^(٦٥)

ويدعو الشاعر ممدوحه الأمير مرة أخرى

الى أن يعامل القبائل العربية المتمرّدة عليه معاملة الأخوة والرحمة فهم رجاله وفرسانه: (من الوافر)

لهم حق بشركك في نزار

وأدى الشرك في أصل جوار

لعلّ يبيّنهم لبنيك جند

فأول فرّج الخيل المهاز^(٦٦)

وشاعرنا الشريف الرضي رابع الشعراء من ذوي الأصوات العربية الأصيلة المتحمّسة بالوجود العربي وهذا الاحساس العربي له أبعاد وجذور عميقة في حياته الشخصية وتربيته وثقافته وطموحه الذي امتد ليأخذ بُعداً عربياً، ورأى في نفسه حقيقة أو خيالاً بطلاً منقذاً للعرب من الذل والهوان، وقد فجر هذا الإحساس في نفسه عوامل عدة تبدأ بنسبه العريق، فهو عربي هاشمي أجداده لأبيه وامه من آل البيت (عليهم السلام)، وهو فخور بهذا الانتماء معتز به: (من البسيط)

المجد يعلم أنّ المجد من أربي

ولو تمّاديت في جدّ وفي لعب

إني لَمِن مَعَسَرٍ إن جُمعوا لِعَيٍّ

تفرقوا عن بني أو وصي نبي^(٦٧)



من أمثال سيف الدولة الحمداني وغيرهم، من خلال ذودهم عن ثغور الوطن، كما أوضح البحث عن إحساس شعراء القيم الوطنية من ذوي الأصوات العربية الأصلية المتحدية والمدافعة عن الوجود العربي بالعروبة وقيمها وتراثها، فكانوا يدركون أنّ من واجبه أن يمنحوا العروبة لسانهم، وأن يعيشوا معها في جهادها الحربي، ونضالها العنيف ضد أعدائه الثائرين عليها، وما شك في ذلك، حين كان يصدر هذا عن شعور متأصل في طواياهم بوحدة العرب مهما اختلفت قبائلهم.

٤- ظهر إنَّ القيم الوطنية التي أحبها الشاعر العباسي وعبر عنها أحببناها نحن بمجرد عرضها على الأذن أو العين بعد تلك الفترة الطويلة، التي تعاقبت على وجود الشعر العباسي، فمن منا لا يحب الوطن؟ ومن منا لا يتغنى بحب الوطن حينما تلوح مناسبة للحديث عنه؟ فتفيض المشاعر بمكونات الصدور لتعبر عنه حُباً وحنيناً وعشقاً.

الخاتمة

١- كشف البحث أنّ الحنين قيمة وطنية عليا أصل في تراثنا العربي، ولا عجب في ذلك، فالعربي وفي بطبعه ألوف بمنزعه حتى يكاد تاريخه أن يكون تجسيداً لشيمة الوفاء، وتمجيداً للغيرة على الوطن، وظهر أنّ صور الوطن لم تكن وحدها هي التي تثير فيهم مشاعر الشوق والحنين، فصور حُسن الهواء وطيب الماء، وفتنة الطبيعة، وما كان لهم فيها من هوى يجذبهم إليه هي الأخرى كانت تبعث فيهم تلك المواجه

٢- ظهر أنّ التغني بحب الوطن ليس غريباً عن شعراء القيم الوطنية، فهو عاطفة ملتصقة بالوجدان، ومناجاة تنشد فيها حب الوطن، ومن فيه وما فيه رائقة تعانق ما في الوطن من جمال، وما فيه من أحلام تستهوي النفس، فلا تملك غير الهيام الطافح، كما لاحظنا أنّ نظرة الشاعر العربي إلى نظرة الوطن والتغني به تبدلت من الأفق الضيق إلى الوطن العربي الكبير.

٣- كشف البحث عن البطولة العربية ومجد الأبطال



الهوامش:

- ٢٦- البلاغة فنونها وافانيتها (علم المعاني): ٧٥
- ٢٧- ديوان علي بن الجهم: ١٥٤.
- ٢٨- ديوان ابي فراس الحمداني: ٢٦٧.
- ٢٩- الطبيعة في الشعر الجاهلي: ١٨٩.
- ٣٠- شعراء عباسيون، غوستاف فون: ٦٩، مطيع بن إياس: من شعراء المجون والزندقة في العصر العباسي، مضى منهمكاً في المجون والخلاعة والشراب والانطراح في مواضع اللذات، وكان يتقن جميع الفنون الشعرية، واتماز شعره بالسلاسة والعذوبة، ينظر: الاغاني: ٢٧٤/١٣، وعيون الاخبار: ١٨٢/٢.
- ٣١- ديوان علي بن الجهم: ١٥٤.
- ٣٢- ديوان الشريف الرضي: ٥٩١.
- ٣٣- ديوان ابن الرومي: ١٣.
- ٣٤- عبار الشعر: ٢٧.
- ٣٥- ينظر: علوم البلاغة: ٢٦٤
- ٣٦- المصون في الأدب، أبو احمد الحسن بن عبد الله العسكري: ٧٥.
- ٣٧- ديوان أبي تمام: ١٥١.
- ٣٨- ديوان البحتري: ص ٩٤٣.
- ٣٩- م. ن، ج ٤: ص ٢٠٨.
- ٤٠- نهاية الأرب، النويري: ص ٢١١.
- ٤١- م. ن، ج ١١: ص ٢١٥.
- ٤٢- الشعر العربي بين الجمود والتطور: ٣٤.
- ٤٣- ينظر: الطلل لدى شعراء القرن الثالث الهجري، رسالة ماجستير: ٧٨.
- ٤٤- الذود: هو المدينة التي تطل على بلاد الأعداء او تقع على حدودهم، وليس من الضروري ان يكون الثغر بلداً يقع على شاطئ البحر كما هو معروف اصطلاحاً في أيامنا هذه، بل ان الثغر قد يكون بحرياً وقد يكون برياً.
- ٤٥- ديوان بشار بن: ص ٢٨٧.
- ٤٦- مروان بن أبي حفصة وشعره، قحطان رشيد: ص ١٠١.
- ٤٧- م. ن: ص ١١٠.
- ٤٨- ديوان أبي تمام: ص ٤٠.
- ٤٩- ينظر: دينامية النص: ٥٧.
- ٥٠- ديوان أبي تمام: ص ٧٤.
- ٥١- ديوان البحتري، ج ٢: ص ٦٣.
- ٥٢- م. ن: ص ٢٩١.
- ٥٣- م. ن: ص ٢٩٤.
- ٥٤- ديوان البحتري، ج ١: ص ٣٦.
- ٥٥- شرح ديوان المتنبي: ص ٣٤٦.
- ١- ينظر: تاريخ الادب العربي قبل الاسلام: ٢٦١.
- ٢- ينظر: ادب صدر الاسلام: ١٢٨
- ٣- خير شاهد على شعر الحنين في العصر الاموي، قصيدة مالك بن الريب التي حنَّ فيها الى وادي الغضا، في غزوته مع سعيد بن عثمان بن عفان لفتح خراسان. ينظر: جمهرة اشعار العرب: ٦٠٧، والشعر والشعراء، ج ١: ٣٥٣/١ - ٣٥٤.
- ٤- ينظر الادب العربي في العصر العباسي: ١٢٧.
- ٥- لسان العرب: ص ١٢٩، مادة (حنن).
- ٦- ينظر: مطالع البدور في منازل السرور، ج ٢: ٢٩٢.
- ٧- الحنين والغربة في الشعر العربي، د. نوري حمودي القيسي: ٢٣١.
- ٨- الحنين الى الاوطان، الجاحظ: ٨.
- ٩- سورة النساء، الآية: ٦٦
- ١٠- الحنين الى الاوطان، الجاحظ: ١٠
- ١١- ينظر: الحنين والغربة في الشعر العربي، د. نوري حمودي القيسي: ٧٨.
- ١٢- ينظر: م. ن: ٧٨.
- ١٣- ديوان أبي تمام، ضبط شاهين عطية: ١٥٧.
- ١٤- طبقات الشعراء، عبد الله بن المعتز: ١٨٧، وعوف بن ملحمة الخزاعي، اديب وشاعر وراوية وسياسي من العصر العباسي الاول، وُلد في بلدة رأس العين في شمال سوريا وكانت ولادته قرابة (١٣٦هـ)، وهو شاعر مقل، مائل الى الوجدانية، ينظر: طبقات الشعراء: ١٨٧.
- ١٥- المتعاليات النصية في المسرح الجزائري الحديث، خديجة جليلي: ٢٤٠.
- ١٦- ديوان أبي نؤاس، تحقيق: عبد المجيد الغزالي: ٣٩٩.
- ١٧- م. ن: ٦٥٣. الكرخ: من ضواحي بغداد، نازح الأوطان: يعبدها، صبا: حنَّ، السراة فكر خايا: موضعان في بغداد.
- ١٨- ديوان ابن المعتز: ٢٦٦.
- ١٩- ينظر: تطور الغزل بين الجاهلية والاسلام: ٣٣٥
- ٢٠- ديوان العباس بن الأحنف، د. عاتكة الخزرجي: ٣٠١.
- ٢١- منهاج البلغاء: ٢٤٩.
- ٢٢- ديوان البحتري، تحقيق: حسن كامل الصيرفي: ١٠٨٨.
- ٢٣- م. ن: ١٠٧٠.
- ٢٤- م. ن: ١٠٧١.
- ٢٥- ديوان العباس بن الأحنف، د. عاتكة الخزرجي: ١٧٨.



القيمُ الوطنيةُ عند الشعراء العباسيين...

- ٥٦- ينظر: شرح ديوان المتنبي: ٢٠٣/٣.
٥٧- شرح ديوان المتنبي: ص ٣٩١..
٥٨- م. ن: ٨٣/٤.
٥٩- م. ن: ص ٤٣٩.
٦٠- ينظر: تشكيل الخطاب الشعري (دراسات في الشعر الجاهلي): ٧٣.
٦١- نظرية البنائية في النقد الادبي: ٣٧.
٦٢- ينظر: نظرية البنائية في النقد الادبي: ٣٩.
- ٦٣- ديوان البحري، ج ٢: ص ٦٤.
٦٤- شرح ديوان المتنبي، ج ٣ : ص ٨٩.
٦٥- م. ن: ص ٨٩.
٦٦- شرح ديوان المتنبي: ص ٢٩٩.
٦٧- ديوان الشريف الرضي: ص ٢٩٨.
٦٨- م. ن: ص ١١٤.
٦٩- نظرية البنائية في النقد الادبي: ٣٧.



المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

- ١- إتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني، د. محمد مصطفى هدارة، ط٢، مصر، دار المعارف، ١٩٧٠.
- ٢- الإتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، د. محمد حسين، مطبعة الآداب، القاهرة، ١٩٥٤م.
- ٣- الأدب العربي في العصر العباسي، د. ناظم رشيد، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل - العراق، ١٩٨٩م.
- ٤- أدب صدر الاسلام، د. محمد خضر، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨١م.
- ٥- البلاغة العربية، أساليبها، علومها، فنونها، عبد الرحمن حسن، دار العلم، ط١، بيروت، لبنان، ١٩٦٦.
- ٦- تاريخ الأدب العربي قبل الاسلام، د. نوري حمودي القيسي، ود. عادل جاسم البياتي، ود. مصطفى عبد اللطيف، ط٢، مطبعة وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، بغداد، ٢٠٠٠م.
- ٧- تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام، د. شكري فيصل، ط٤، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).
- ٨- الحنين الى الأوطان، تحقيق: الشيخ طاهر الجزائري، المطبعة السلفية، ط٢، القاهرة، ١٣٥١هـ.
- ٩- دينامية النص (تنظير وانجاز)، د. محمد مفتاح، المركزي الثقافي العربي، ط٢، بيروت، ١٩٩٠م.
- ١٠- ديوان ابن الرومي (ت٢٨٣هـ)، اقتيار، كامل كيبلاي، مطبعة التوفيق الأدبية، مصر، ١٩٢٤.
- ١١- ديوان ابن المعتز(ت٢٩٦هـ)، اغناء محي الدين الخياط، مطبعة الانفال، بيروت، ١٣٣٢هـ.
- ١٢- ديوان ابي تمام (ت٢٣١هـ)، ضبط شاهين عطية، المطبعة الأدبية، بيروت، ١٨٨٩.
- ١٣- ديوان ابي نؤاس (ت١٩٨هـ)، تحقيق عبد المجيد الغزالي، مطبعة مصر، القاهرة، ١٩٤٣.
- ١٤- ديوان ابي فراس (ت٣٥٧هـ)، شرح وتقديم: عباس عبد الساتر، مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣.
- ١٥- ديوان البحترى (ت٢٨٤هـ)، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، طبع دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٢هـ.
- ١٦- ديوان بشار بن برد (ت٢٦٧هـ)، تحقيق: محمد الطاهر عاشور، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٨٠.
- ١٧- ديوان الشريف الرضي (ت٤٠٦هـ)، شرح: د. يوسف شكري فرحات، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٥٥م.
- ١٨- ديوان العباس بن الأحنف (ت١٩٤هـ)، د. عاتكة الخزرجي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٤م.
- ١٩- ديوان علي بن الجهم (ت٢٤٩هـ)، تحقيق: خليل مردم بك، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٤٩م.
- ٢٠- رسائل الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، نشر مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٦٥م.
- ٢١- شرح ديوان المتنبي (ت٣٥٤هـ)، وضعه: عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط٢، ٢٠٠٧م.
- ٢٢- شرح الصولي لديوان ابي تمام (ت٢٣١هـ)، تحقيق: خلف رشيد نعمان، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، ١٩٧٧م.
- ٢٣- شعراء عباسيون، ترجمة وتحقيق: د. محمد يوسف نجم، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٥٩م.
- ٢٤- الشعر والشعراء، لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٨م.
- ٢٥- الشعر والشعراء في العصر العباسي، د. مصطفى الشكعة، ط٢، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٥.
- ٢٦- طبقات الشعراء: عبد الله بن المعتز (ت٢٩٦هـ)، تحقيق: عبد الستار أحمد، طبع دار المعارف، مصر، ١٩٥٦.
- ٢٧- الطبيعة في الشعر الجاهلي، د. نوري حمودي القيسي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، (د.ت).
- ٢٨- العصر العباسي الاول، د. شوقي ضيف، ط٧، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٦م.
- ٢٩- علوم البلاغة، احمد مصطفى المرآغي، دار اقليم، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م.
- ٣٠- عيون الأخبار، ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٨.
- ٣١- فجر الاسلام، أحمد أمين، طبع مطبعة الاعتماد، الرجوع الى ديوان زياد الأعجم، مصر، ١٩٢٨م.
- ٣٢- القيم الروحية في الشعر العربي قديمه وحديثه حتى منتصف القرن العشرين، ثريا عبد الفتاح ملحس، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٦٤.
- ٣٣- لسان العرب، ابن منظور (ت٧١١هـ)، دار أحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨.
- ٣٤- المحاسن والأضداد، الجاحظ، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٢٤هـ.
- ٣٥- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء،



القيمُ الوطنية عند الشعراء العباسيين...

القاهرة، ١٩٢٩ م.

ثانياً / الأطارح والرسائل الجامعية

- ١- الطلل لدى شعراء القرن الثالث الهجري، ذكرى محي الدين حميد الجبوري، رسالة ماجستير، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، ٢٠٠٤ م.
- ٢- المتعاليات النصية للمسرح الجزائري الحديث، خديجة جليلي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة محمد الخضر، ٢٠٠٩ م.

ثالثاً / الدوريات:

- ١- الحنين والغربة في الشعر العربي، د. نوري حمودي القيسي، مجلة معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، العدد الحادي عشر، ١٩٨٢ م.

الراغب الأصفهاني (ت ٤٢١هـ)، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (د. ت.).

- ٣٦- مروان بن ابي حفصة (ت ١٨٢هـ) وشعره، قحطان رشيد التميمي، مطبعة النجف، النجف، ١٩٦٦ م.
- ٣٧- المصون في الأدب، ابو احمد الحسن بن عبد الله العسكري (ت ٣٨٢هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المطبوعات والنشر، الكويت، ١٩٦٠ م.
- ٣٨- مطالع البدور في منازل السرور، علاء الدين علي بن عبد الله البهائي، مطبعة ادارة الوطن، القاهرة، ١٢٩٩هـ.
- ٣٩- نظرية البنائية في النقد الأدبي، د. صلاح فضل، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧ م.
- ٤٠- نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين احمد بن الوهاب النويري (ت ٧٣٢هـ)، دار الكتب المصرية،



الاشتراطُ النَّحْوِيُّ مفهومه ومصطلحه عند النَّحْوِيِّين (نحاة القرن الرابع الهجري نموذجاً)

رقية محمد أمين كاظم

جامعة البصرة

كلية التربية للعلوم الإنسانية

أ.د. فاخر هاشم الياسري

جامعة البصرة

كلية التربية للعلوم الإنسانية

The grammatical stipulation, its concept and terminology for grammarians

(The grammarians of the fourth century AH as a model)

Prof. Dr Fakher Hashem Al-Yasiri
Ruqaya Muhammad Amin Kadhum

الملخّص

إنّ هذه الدراسة الموسومة بـ(الاشتراط النَّحْوِيُّ مفهومه ومصطلحه عند النَّحْوِيِّين - نحاة القرن الرابع الهجري نموذجاً-) تسعى إلى بيان وتوضيح أحد مفاهيم أصول النحو العربي ألا وهو الاشتراط النَّحْوِيُّ، وذلك عن طريق بيان مفهومه وتعريفه وأنواعه، وبيان الفرق بين مصطلح الشرط والاشتراط، مع ذكر بعض الدراسات التي حاولت تعريف الاشتراط، وعرض بعض أساليب وطرائق إيراده، وسيبيّن البحث الفروقات بين الاشتراط وبعض المصطلحات النحوية الأصولية، نحو: العلة، والحكم، والمسوّغ، وقد اخترنا نحاة القرن الرابع عينة للبحث. الكلمات المفتاحية: الاشتراط النَّحْوِيُّ، نحاة القرن الرابع، الشرط، الاشتراط.

Abstract

This study, which is tagged with (the grammatical stipulation, its concept and term for the grammarians- the grammarians of the fourth century AH as a model-) seeks to clarify one of the concepts of the Arabic grammar, which is the grammatical stipulation, by clarifying its concept, definition and types, and explaining the difference between the terms condition and stipulation. There is also a display if the studies that tried to define condition and stipulation whole presenting some of the methods of using it. The research will also show the differences between the stipulation and some fundamentalist grammatical terms, such as the cause, the judgment, and the justification, taking into account and the fourth century grammarians has been chosen as a sample for this research

Keywords: grammatical stipulation, fourth century grammarians, conditional, stipulation.



والجوهرية يفرق بين الرء المتحركة والساكنة أيضاً، فيقول: "الشَرْطُ معروفٌ، وكذلك الشَّرِيطَةُ، والجمع شُرُوطٌ وشَرَائِطٌ. وقد شَرَطَ عليه كذا يَشْرُطُ وَيَشْرُطُ، وأشَرَطَ عليه. والشَّرَطُ بالتحريك: العلامة"^(٤).

وأما ابن فارس فيجعل مادة: "الشَّيْنُ وَالرَّاءُ وَالطَّاءُ أَصْلًا يَدُلُّ عَلَى عِلْمٍ وَعَلَامَةٍ، وَمَا قَارَبَ ذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ. مِنْ ذَلِكَ الشَّرَطُ: الْعَلَامَةُ. وَأَشْرَاطُ السَّاعَةِ: عَلَامَاتُهَا. وَمِنْ ذَلِكَ الْحَدِيثُ حِينَ ذَكَرَ أَشْرَاطُ السَّاعَةِ، وَهِيَ عَلَامَاتُهَا. وَسَمِيَ الشَّرَطُ لِأَنَّهُمْ جَعَلُوا لِأَنْفُسِهِمْ عَلَامَةً يُعْرِفُونَ بِهَا"^(٥).

والذي يهتَمُّنا في بحثنا هذا، هو (الشَّرَطُ) بسكون الرء الذي يدلُّ على إلزام شيء بشيء، فهذا المعنى اللغوي قريب من المعنى الاصطلاحي للشَّرَطُ الذي سنفصّل القول فيه، ومن الجدير بالذكر أنّ النحاة قد استعملوا الشَّرَطُ بمعناه اللغوي في التعبير عن الملازمة بين جملتين.

- الشرط اصطلاحاً:

الشائع في النحو الشرط النحويّ أو أسلوب الشرط، أو الجملة الشرطية التي هي أحد أبواب النحو ولها تركيب خاص يتكوّن من أدوات الشرط وفعل الشرط وجوابه، وهذا ليس محلّ بحثنا.

تهدف الدراسة إلى البحث في مفهوم الشرط الذي يعتمد النحاة في تقعيد الأحكام النحوية، أي هو جزء من قواعد التفكير النحويّ. وهذا ما دفعنا إلى تسمية الدراسة بالاشتراط النحوي بدلاً من الشرط النحويّ لئلاّ يحصل لبس؛ ولأنّ "لفظ الاشتراط - وهو مصدر على وزن (الافتعال) للفعل اشترط -... أدلّ في استعمال النحويين على الشرط الأصولي من لفظ (الشرط) الذي يُطلق كثيراً على أسلوب الشرط"^(٦).

- مفهوم الشرط عند الأصوليين:

الشرط بالمعنى الذي سنوضحه من المفاهيم الأصولية التي اعتمدها علماء النحو في تقنين الأحكام النحوية، وضبطها، وتحديدها، وإن لم يصرّحوا بذلك بصورة مباشرة^(٧)، ولكنهم صرّحوا بتأثير النحو وأصوله بأصول الفقه وقد أسسوا لأصول النحو وقعدوا لها على غرار قواعد أصول الفقه، وقد أشار إلى ذلك ابن جني (٣٩٢هـ) في الخصائص^(٨)، وابن الأنباري (٥٧٧هـ)^(٩)، والسيوطي (٩١١هـ) في الاقتراح إذ يقول: "أصول النحو الذي هو بالنسبة إلى النحو كأصول الفقه بالنسبة إلى الفقه"^(١٠)؛ لذا لا بدّ من معرفة مفهوم الشرط

الاشتراط النحويّ من الموضوعات الأصولية التي تتعلّق بالتفكير النحوي، ولم يحطّ بالدراسات الكافية التي تبين مفهومه وتعريفه، فعند البحث وجدنا أنّ هناك دراسات خلطت بين بعض المفاهيم النحوية المتصلة بأصول النحو وبين الاشتراط؛ لذا جاءت هذه الدراسة لتسليط الضوء على المفهوم الدقيق للاشتراط الذي عمل به النحويون، وتوضيح مسألة استعمال مصطلح الاشتراط عند النحويين وكيف كان يردّ عندهم. وحاول البحث أن يبيّن الفرق بينه وبين المفاهيم النحوية الأخرى القريبة منه، مع بيان أمط الاشتراط وتعدد اعتبارات تقسيمه.

وقد خصّصنا الدراسة بالقرن الرابع الهجري لأهميته ولثقل العلماء الذين عاشوا فيه وأثره في النحو العربيّ، فهو يُعدُّ حلقة وصل بين النحاة المتقدمين ممن أثر عنهم بواكير الكتب النحوية، وبين أصحاب المطولات والشروح من الذين جاءوا بعد هذا القرن، ونحاة القرن الرابع كانت لهم خصوصيتهم ومنهجهم المتميز، فقد عاش فيه أساطين علماء العربية، ولكثرتهم فقد تعرّس علينا الإحاطة بهم جميعاً في دراسة محدودة؛ لذا اقتصرنا على أبرزهم وأشهرهم.

- الشرط لغة:

أصل الاشتراط هو (شَرَطَ) وجاء في معجم العين "الشَّرَطُ: معروف في البيع، والفعل: شارطه فشرط له كذا، وكذا، يشرط له"^(١)، أي أن أصل المادة يستعمل في البيع. ومن المعروف أن للبيع شروطاً يضعها البائع مع الطرف الآخر، فإذا وافق كلا الطرفين تحققت عملية البيع.

والمعنى اللغوي للشرط يفرّق بين ساكن الرء ومتحركها، إذ ورد في لسان العرب "والشَّرَطُ: إلزام الشيء والتزامه في البيع ونحوه، وَالْجَمْعُ شُرُوطٌ،... والشَّرَطُ، بِالتَّحْرِيكِ: الْعَلَامَةُ، وَالْجَمْعُ أَشْرَاطٌ. وَأَشْرَاطُ السَّاعَةِ: أَعْلَامُهَا، وَهُوَ مِنْهُ. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: {فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا} [محمد: ١٨] والاشتراط: الْعَلَامَةُ الَّتِي يَجْعَلُهَا النَّاسُ بَيْنَهُمْ"^(٢).

فنجد أنّ ابن منظور قد فرّق في المعنى بين اسكان الرء وتحريكها، فالراء الساكنة تدلّ على الإلزام وتعليق شيء بأخر، أمّا المتحركة فتدلّ على العلامة. وكذلك جاء في القاموس المحيط: "الشَّرَطُ: إلزام الشيء والتزامه في البيع ونحوه كالشَّرِيطَةِ، وجمعه: شُرُوطٌ،... وبالتحريك: الْعَلَامَةُ"^(٣).



الحاجب (٦٤٦هـ) في أماليه عند حديثه عن علل منع الاسم من الصرف، يذكر أنه "إذا انتفت العلمية، فإمّا أن تنتفي في الموضوع الذي كانت شرطاً في العلة الأخرى، وإمّا أن تنتفي في الموضوع الذي جامعته فيه العدل أو جامعته فيه وزن الفعل، وقد ثبت أنه لا يكون معها إلا أحدهما. فإذا انتفت من النوع الأول بقي بلا سبب أصلاً، لأنّ العلمية قد انتفت، لأنّ التقدير تقدير انتفائها فيما هي شرط فيه فيجب انتفاء سببته لانتفاء شرطه، وإذا انتفى الشرط انتفى المشروط"^(١٨)، إن شرط منع الاسم من الصرف أن تتوافر فيه علتان من علل منع الاسم من الصرف، أو علة تقوم مقام علتين. وابن الحاجب (٦٤٦هـ) في هذا النص يبيّن أن العلمية شرط في اجتماع العلة الثانية معها لمنع الاسم من الصرف، فإذا انتفت العلمية انتفى السبب الذي هو شرط في المنع من الصرف، ولبيان معنى الشرط يذكر المفهوم الأصولي له؛ ليوضح كيف أنّ انتفاء العلمية سبب في انتفاء الحكم؛ لأنها شرط، والشرط يلزم من عدمه عدم.

وهناك نصّ للسيوطي (٩١١هـ) يتحدّث فيه عن الشرط النحويّ والشرط الحقيقي أو الشرعي، ويبين الفرق بينهما فيعطي مثالاً، عن باب الفاعل كيف يكون شرطاً في وجود المنصوبات، فأبي منصوب في الجملة لابدّ من وجود مرفوع قبله ليصحّ مجيئه في الكلام، وعلى العكس وجود المرفوع لا يستلزم ذكر المنصوب في الجملة، فرمّا تكتفي الجملة بالفاعل فقط كما في الأفعال اللازمة، ففي هذا المثال الاسم المرفوع -ظاهراً كان أو مقدّراً- شرط في مجيء المنصوبات؛ لأنّه يلزم من عدمه عدم، وهذا هو مفهوم الشرط الأصولي الذي يلزم من عدمه عدم المشروط^(١٩). وفي حاشية الصبان على شرح الأشموني، كلام على الشرط ومفهومه، فقد ورد فيها "أن الشرط يلزم من عدمه عدم"^(٢٠). هذه النصوص والإشارات التي تبين معنى الشرط، وتوضّح المفهوم الذي سار عليه النحاة في تقعيدهم النحو، وأن المفهوم النحوي للاشتراط هو المفهوم الأصولي نفسه، ولكنهم لم ينظروا له في كتب أصول النحو.

وهذه النصوص تدلّ على توافق مفهوم الشرط عند النحاة مع المفهوم الأصولي. ولناخذ مثلاً تطبيقاً توضّح فيه كيفية تطبيق الشرط في النحو، نحو: ما جاء في الأصول من شرط بناء الفعل للمجهول، إذ قال ابن السراج (٣١٦هـ): "واعلم: أنّ الأفعال التي لا تتعدّى لا يبنى منها فعل للمفعول، لأن ذلك محال،

الاصطلاحي بالرجوع إلى تعريفات الأصوليين للشرط. من أشهر التعريفات، وأكثرها اعتماداً عند الأصوليين، تعريف القرافي (٦٨٤هـ)^(٢١) إذ عرّفه بقوله: "ما يلزم من عدمه العدم ولا يلزم من وجود ولا عدم لذاته"^(٢٢)، وقد اعتمدت الموسوعة الفقهية على تعريف القرافي للشرط^(٢٣).

وعرّفه أبو البقاء الكفوي (١٠٩٤هـ) بقوله: "ما يتوقّف عليه وجود المشروط ولا يلزم من وجوده وجوده فهو الشرط الحقيقي وذلك يقتضي عدمه عدمه ولا يقتضي وجوده وجوده"^(٢٤).

وذكر التهانوي (بعد ١١٥٨هـ) أنّ الشرط "أمر خارج يتوقّف عليه الشيء ولا يترتب عليه كالوضوء فإنّه يتوقّف عليه وجود الصلاة ولا يترتب عليه، فالشرط يتعلّق به وجود الحكم لا وجوبه"^(٢٥).

ويعرفه الجرجاني (٨١٦هـ) أنّه: "تعليق شيء بشيء، بحيث إذا وجد الأول وجد الثاني، وقيل: الشرط: ما يتوقّف عليه وجود الشيء، ويكون خارجاً عن ماهيته، ولا يكون مؤثراً في وجوده، وقيل: الشرط: ما يتوقّف ثبوت الحكم عليه"^(٢٦).

يتضح من التعريفات المتقدمة، أنّ مفهوم الشرط متفق عليه عند الأصوليين، فقد عرّفوه بتعريفات متشابهة المعنى ولها المضمون نفسه، وبألفاظ متقاربة، وحتى الجرجاني والتهانوي عرّفاه بالمفهوم الأصولي، ومن خلال التعريفات التي دُكرت نستطيع أن نحدّد الخطوط العامة التي تحدّد مفهوم الشرط، وهي:

- ١- انتفاء الشرط يؤدي إلى انتفاء الحكم المتوقّف عليه.
 - ٢- وجود الشرط لا يستوجب بالضرورة وجود الحكم.
 - ٣- الشرط يؤثّر في العدم ولا يؤثّر في الوجود.
- هذه النقاط تمثّل حدّ الشرط ومفهومه الحقيقي الذي سار عليه الأصوليون في الفقه، وكذلك هو مفهوم الشرط عند النحويين في مسألة تقعيد الأحكام النحوية كما سيتبيّن من خلال البحث، فمفهوم الاشتراط عند التقعيد يختلف عن الشرط اللغوي الذي أشرنا إليه، الذي يخص أسلوب الشرط.

- مفهوم الشرط عند النحاة:

النحويون لم ينظروا لمفهوم الشرط أو يفرّدوا له باباً في كتب أصول النحو ولا في كتب القواعد النحوية التفصيلية، ولكن يُمكن العثور على إشارات في بعض كتبهم تدلّ على توافق مفهوم الشرط عندهم مع المفهوم الأصولي^(٢٧). من هذه الإشارات، نصّ ابن



مصطلح الإشراط وطرائق إيرادِه عند النحويين:

الإشتراط بمفهومه الأصولي الذي تبين لنا سابقاً، لم يرد مصطلحاً عند النحاة الأوائل الذين سبقوا نحاة القرن الرابع، فهو نادر الوجود عندهم، فقد ذُكر عند سيبويه (١٨٠هـ) في موضعين، وفي بضعة مواضع في كتاب المقتضب للمبرد (٢٨٥هـ)^(٢٤).

فقد ذكر سيبويه (١٨٠هـ) أحد مشتقات كلمة (الشرط) للدلالة على الشرط الذي يلزم من عدمه العدم، في معرض حديثه عن شرط الإضمار في العربية، فلا يمكن أن يضمروا شيئاً إلا بشرط التفسير، فهو مثل شرط الحذف الذي لا يكون إلا بدليل^(٢٥)، فقد قال سيبويه (١٨٠هـ) عن شرط الإضمار: "وذلك لأنهم بدأوا بالإضمار؛ لأنهم شرطوا التفسير وذلك نوا"^(٢٦)، وفي موضع آخر قال: "ولا يجوز لك أن تقول نعم ولا ربه وتسكت، لأنهم بدأوا بالإضمار على شريطة التفسير، وإما هو إضمار مقدّم قبل الاسم، والإضمار الذي يجوز عليه السكوت نحو زيد ضربته إنما أضمر بعد ما ذكر الاسم مظهرها، فالذي تقدّم من الإضمار لازم له التفسير حتى يبينه"^(٢٧). في النصين جاءت كلمة (شرطوا) و (شريطة) بالمفهوم الأصولي الذي يلزم من عدمه العدم، فالتفسير شرط في الإضمار، ويلزم من عدمه، عدم جواز إضمار الشيء؛ لأن الكلام حينها يكون مُبهماً وغير مفهوم، ووجود التفسير لا يقتضي وجود الإضمار؛ لأن الإشراط لا يلزم من وجوده الوجود.

وردت كلمة الشرط أو أحد مشتقاتها في عدة مواضع^(٢٨) عند المبرد (٢٨٥هـ)، بالمفهوم الذي قدّمنا له، نحو: حديثه عن شرط الكلام أن يكون تاماً متكوّناً سواء أكان مكوّناً من فعل وفاعل، أو مبتدأ وخبر، إذ قال: "وإِذَا الْإِبْتِدَاءُ وَالْخَبْرُ كَالْفِعْلِ وَالْفَاعِلِ، فَحَقَّ الْكَلَامُ أَنْ يُؤَدَى فِي الْإِجْبَارِ كَمَا كَانَ قَبْلَ: فَإِنْ زَادَ أَوْ نَقَصَ فَسَدَ الشَّرْطُ أَلَا تَرَى أَنَّكَ إِذَا قُلْتَ: قَامَ زَيْدٌ، فَقِيلَ لَكَ: أَخْبَرَ عَنَ (زيد) قُلْتَ: الْقَائِمُ زَيْدٌ"^(٢٩)، نرى كيف أنّ المبرد (٢٨٥هـ) يرى أنّ عدم تحقق الشرط يؤدي إلى فساده، وفساد تركيب الجملة.

ومن الأمثلة التي تحدث فيها عن شرط حذف الحروف من الكلمات التي تتكوّن من حرفين، فقد قال: "اعْلَمْ أَنَّ الْأَسْمَاءَ أَصُولُهَا تَكُونُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ بَغَيْرِ زِيَادَةٍ وَعَلَى أَرْبَعَةٍ وَتَكُونُ عَلَى خَمْسَةِ فَمَا نَقَصَ مِنَ الْأَسْمَاءِ عَنِ الْأَفْعَالِ فَمَعْلُومٌ نَقْضُهُ وَمَذْكُورَةٌ عُلْتُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَمَا كَانَ مِنَ الْأَسْمَاءِ عَلَى حَرْفَيْنِ فَنَحْوُ يَدٍ وَدَمٍ وَأَسْتٍ وَأَبْنٍ وَأَسَمٍ وَأَخٍ وَأَبٍ وَمَا لَمْ نَذْكُرْ فَحُكْمُهُ حُكْمُ هَذَا وَهَذِهِ الْأَسْمَاءُ الْمَحْذُوفُ مِنْهَا لَا

نحو: قام، وجلس. لا يجوز أن تقول: قيم زيد ولا جلس عمرو، إذ كنت إنما تبني الفعل للمفعول، فإذا كان الفعل لا يتعدّى إلى مفعول فمن أين لك مفعول تبنيه له"^(٣١).

في هذا النصّ يتضح أنّ شرط بناء الفعل للمجهول هو التّعديّ، فإذا عُدِمَ هذا الشرط، انتفى الحكم الذي بُني عليه (يلزم من عدمه العدم)، وإذا كان الفعل متعدّياً لا يكون بالضرورة مبنياً للمجهول (ولا يلزم من وجوده الوجود). إذن أركان الشرط الأصولي انطبقت على الشرط النحوي، فالنحاة ساروا على وفق المفهوم الأصولي في وضع الإشراطات النحوية. وبعد أن اتضح أساس المفهوم النحوي للشرط، ومن الممكن أن نتساءل هنا، لماذا لم ينظر النحاة لمفهوم الشرط؟، ربما يعود سبب عدم التنظير للشرط إلى^(٣٢):

١- أنّ بعض المفاهيم المعرفية كالشرط، والعلة، والسبب، والمانع من المفاهيم المشتركة التي تقع في ما هو مشترك بين العلوم، وقد تولى علم الأصول التنظير لها وتبيين حقيقتها، إذ يُعد من العلوم الرئيسة المنظمة لأدوات التفكير، وإنتاج المعرفة في الحضارة الإسلامية؛ ولأطمئنان النحويين لما أقرّه علماء الأصول في مصنفاتهم التي تُعد المرجع الأساس للمصطلحات المعرفية المشتركة لم يولوا مسألة التنظير لمفهوم الشرط أهمية. وعلماء الفقه سبقوا النحاة في تدوين أصول الفقه بقرون.

٢- أنّ مفهوم الشرط عند الأصوليين قسيمٌ للعلة والسبب والمانع، فنجد أنّ النحويين اهتموا بالتنظير لمفهوم العلة وكتبوا فيه مؤلفات عديدة مثل (في علل النحو للزجاجي)، و(علل النحو لابن الوراق)، و(أسرار العربية لابي البركات الأنباري)، و(علل بناء الإعراب للعكبري) وغيرها... في حين لم يفرّدوا للشرط هذه الأهمية؛ ولعل ذلك بسبب أنّ الشرط في جوهره هو حكم واجب، فهو يأتي في مسار الأحكام النحوية، وعليه فالتنظيرات الأصولية في الحكم النحوي الواجب تتسحب على الشرط.

ولابدّ من التنويه إلى مسألة مهمة، هي أنّ وظيفة النحوي تجاه الأحكام النحوية والشروط تقتصر على وصفها كما هي موجودة في الواقع اللغوي، ولا تحتاج إلى تنظير بخلاف العلة التي كانت ميدان اجتهاد النحويين وتمثّل الجزء الآخر في بناء النظرية النحوية، فالشرط يمكن أن يقال عنه إنه ينتج وصفاً ويستعمل أو يطبق معيارياً^(٣٣).



ومن المواضع التي استعمل فيها ابن جني (٣٩٢هـ) أحد مشتقات الاشتراط بمفهومه الحكمي، عندما ذكر جواز مجيء فاعل (نعم وبئس) ضميراً، ولكن بشرط التفسير، فقد قال في لُمعِهِ: "اعْلَمَ أَنَّ نَعْمَ وَبَيْسَ فَعَلَانَ مَاضِيَانِ غَيْرَ مُتَصَرِّفَيْنِ وَمَعْنَاهُمَا الْمُبَالِغَةُ فِي الْمَدْحِ أَوْ الْمَذَمِّ وَلَا يَكُونُ فَاعِلَاهُمَا إِلَّا اسْمَيْنِ مُعَرَّفَيْنِ بِاللَّامِ تَعْرِيفِ الْجِنْسِ أَوْ مُضْمَرَيْنِ عَلَى شَرِيْطَةِ التَّفْسِيرِ"^(٣٢). فمصطلح (شريطة) يدل على الشرط الذي يلزم من عدمه العدم. حتى في الصرف قد استعمل ابن جني (٣٩٢هـ) هذا المصطلح بالمفهوم الذي قدّمنا له، فقد قال: "إن من شريطة قلب الواو ألفاً أن تقع طرفاً بعد ألف زائدة"^(٣٣).

وقد ورد استعمال مصطلح (الشرط) أو (على شرط) بالمعنى الحكمي عند نحاة القرن الرابع في أكثر من موضع^(٣٤)، نحو ما جاء عن ابن السراج (٣١٦هـ) في معرض حديثه عن الضرورة الشعرية وما يجوز فيها ولا يجوز في الكلام العادي، فالضرورة عنده شرط في صرف الاسم المعتل ومعاملته معاملة الاسم الصحيح، إذ قال: "تصحیح المعتل يجوز في الشعر ولا يصلح في الكلام تحريك الباءات المعتلة في الرفع والجر للضرورة نحو قولك في الشعر: هذا قاضي ومررت بقاضي لأنه الأصل.... فهذه الباء حكماً على هذا الشرط أن تفتح في موضع الجر إذا وقعت في اسم لا يتصرف كما ترفع في موضع الرفع فإن اضطر شاعر إلى صرف ما لا ينصرف حرّكها في موضع الجر بالكسر ونوّنها كما يفعل في غير المعتل فأجرها في جميع الأشياء مجرى غير المعتل"^(٣٥).

والسراجي (٣٦٨هـ) عندما يتحدث عن الوجوه الإعرابية المحتملة لضمير (الواو) في لغة (أكلوني البراغيث)، قال: "أن تكون الواو في (أكلوني) ضميراً على شرط التفسير، و(البراغيث) بدلاً منه، كقولك: (ضربوني وضربت قومك)، فتضمير قبل الذكر على شرط التفسير"^(٣٦).

وأبو علي (٣٧٧هـ) في التعليقة يشترط في وصف (أي) بالاسم الموصول (الذي) أن يكون مبهماً؛ لأن (أي) لا توصف بالأسماء المختصة، ويعبر عنه بالشرط ويقيس عليه جواز أن يلي الاسم الموصول (نعم وبئس) إذ قال: "(أَيًّا) لا توصف إلا بأسماء الأنواع لا بالأسماء المختصة فإن جعلت (الذي) مبهماً كالذي في قوله تعالى {وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ} [الزمر: ٣٣]، ثم قال {أُولَئِكَ هُمُ} [الزمر: ٣٣]، والذي في قوله {كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا} [البقرة: ١٧] جاز أن

يكون ما حذف إلا حرف لين أو حرفاً خفياً كحرف اللين نحو الهاء والنون أو يكون مضاعفاً فيستثقل فيه التضعيف فيحذف فما لم يكن على هذا الشرط الذي ذكرناه لم يحذف منه شيء لأنه لا سبيل إلى حذفه"^(٣٧)، في هذا النص يذكر المبرد (٢٨٥هـ) اشتراطات الحرف المحذوف من الكلمات الثنائية، وهو أن يكون الحرف أما من حروف اللين أو حرفاً خفياً، أو مضاعفاً، وإذا لم يكن من هذه النوع من الحروف لم يحذف لعدم تحقق الاشتراط، الذي يلزم من عدمه العدم، وفي هذا النص تصريح من المبرد (٢٨٥هـ) لمفهوم الشرط، بقوله (فَمَا لَمْ يَكُنْ عَلَى هَذَا الشَّرْطِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ لَمْ يَحْذَفْ مِنْهُ شَيْءٌ لِأَنَّهُ لَا سَبِيلَ إِلَى حَذْفِهِ)، فهذا تصريح بمفهوم الشرط الذي اعتمده النحاة.

- مصطلح الشرط عند نحاة القرن الرابع:

ورد مصطلح الشرط أو أحد مشتقاته بالمفهوم الأصولي، نحو: لفظة (شريطة) التي يقصد بها الاشتراط اللازم التي وردت عند سيبويه (١٨٠هـ) وذكرت عند أغلب علماء القرن الرابع^(٣٨)، فأبو علي الفارسي (٣٧٧هـ) يذكر في التعليقة شرط عمل الطرف وإمكان النصب به، فاشترط أن يكون خبراً مقدماً غير ملغى، إذ قال: "إذا كان الطرف عاملاً في شيء فتدغمه أحسن كما أن تقديم (ظننت) إذا كان عاملاً أحسن، وإنما يكون الطرف عاملاً عند سيبويه (١٨٠هـ) إذا جعل فيها خبراً غير ملغى كقولك: (فيها زيد قائماً) وعمله بمعنى الفعل الذي فيه، وإنما جاز ذلك فيه لقيامه مقام الفعل المحذوف النائب هذا الطرف عنه، وكأنك قلت: (زيد استقرّ فيها قائماً)، ففيها على هذا الوجه هو الذي سمّاه سيبويه (١٨٠هـ) المستقرّ، فإذا لم تجعله مستقرّاً، وقلت: فيها زيد قائم، فلا محذوف في الكلام، ولا إرادة في استقرار، لكن يكون على ظاهره، وقولك: (فيها) متعلق، وفي موضع نصب به، فنصب (قائم) على هذا الوجه، وهذه الشريطة ممتنع محال"^(٣٩).

يتضح من النص أن عدم تحقق الاشتراط في (الطرف) يؤدي إلى عدم تحقق العمل، ويشير أيضاً إلى مسألة نصب الحال، يجب أن يكون بالفعل أو بما فيه معنى الفعل، وهذا شرط وعدم تحققه يلزم منه العدم، الذي عبر عنه أبو علي (٣٧٧هـ) بقوله (محال)، فهذا النص يبيّن بوضوح مفهوم الاشتراط عندهم. ويؤكد صحة المفهوم الذي سرنا عليه في هذه الدراسة من تبني التعريف الأصولي.



الاشتراط النحوي مفهومه ومصطلحه...

(قد) عند مجيء جملة الفعل الماضي حالاً، فقد صاغه أبو علي الفارسي (٣٧٧هـ) بأسلوب النفي بـ(لا) والاستثناء بـ(حتى)، إذ قال: "فإنه لا يكون حالاً حتى يكون معه (قد) مضمرة أو مظهرة أو تجعل الماضي وصفاً لمحدوف، كقوله عز وجل: {أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ} [النساء: ٩٠]"^(٤٣).

• أسلوب الشرط وأدواته: النحويون في بعض المواضع يستعملون أسلوب الشرط للتعبير عن الاشتراط الواجب في المسألة، نحو شرط تقديم المفعول به على الفاعل، يشترط لتقديم المفعول أن يكون الفعل متصرفاً، وهذا هو الشرط الرئيس في جواز التقديم في الجملة الفعلية، ولكن في باب المفعول أورد ابن السراج (٣١٦هـ) هذا الشرط بطريقة أسلوب الشرط بـ(إذا)، إذ نصّ في الأصول على أن "المفعول إذا كان الفعل متصرفاً فيجوز تقديمه وتأخيره، تقول: ضربت زيدا، وزيدا ضربت، وأكلت خبزاً، وخبزاً أكلت"^(٤٤).

ومن الأمثلة على ذلك مسألة بناء فعل التعجب فأحد اشتراطات بنائه، أن يكون الفعل الذي يُبنى منه ثلاثياً، وقد عبّر ابن جني (٣٩٢هـ) عن هذا الاشتراط بأداة الشرط (إن)، فقد قال: "إنّ تجاوز الماضي ثلاثه أحرف لم يجز أن تبني منه فعل التعجب، وذلك نحو دحرج واستخرج"^(٤٥).

• أسلوب تعليل الحكم: في بعض الأحيان يفهم الاشتراط عن طريق تعليل الحكم الذي يذكره النحوي، فمن العلة نستنتج تحقق الاشتراط، نحو قول أبي علي الفارسي (٣٧٧هـ) في مسألة جواز تقديم خبر (كان وأخواتها) عليها، إذ يمكن "أن تقدم الخبر على الاسم فتقول كان أخاك زيد، وكان منطلقاً عمرو، وقال تعالى: {وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ} [الروم: ٤٧]، وقال تعالى: {أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا} [يونس: ٢]، ويجوز أيضاً: منطلقاً كان زيد، وشاخصاً صار بكر لأن العامل متصرف"^(٤٦). في نهاية النص يعلل أبو علي (٣٧٧هـ) جواز التقديم، وعن طريق التعليل نفهم أن الاشتراط هو تصرف الفعل؛ ولأن الاشتراط متحقق، جاز التقديم.

• التعبير بالألفاظ عامة: قد يشير النحويون إلى الشرط ببعض الألفاظ العامة التي يفهم منها أن هناك شرطاً ملزماً يجب تحققه في هذه المسألة^(٤٧)، مثل كلمة (لايبد)، في بعض الأحيان عندما يستعملها النحوي تعرف من معنى الجملة إن هذا شرط، نحو قول أبي علي الفارسي (٣٧٧هـ)، عند حديثه عن جملة صلة الموصول التي وصّحها أنها "لا تكون إلاّ جملاً محتملة

يصف به (أي)، لأنه ليس بمختصّ فصار بمنزلة (الرّجل) في الإبهام. وكما جاز أن يصف به (أي) على هذا الشرط كذلك يجوز أن يلي (نعم) فيرتفع به، فتقول: (نعم) الذي جاء بالحق، لأنه ليس باسم مختصّ كزيد"^(٤٨).

إنّ النصوص المتقدمة تبين فيها استعمال مصطلح (الشرط) بلفظه أو أحد مشتقاته عند نحاة القرن الرابع، وقد اتضح لنا عن طريقها معنى الاشتراط والمقصود منه عندهم، ولكن الاشتراطات لم ترد كلها بالمصطلح واللفظ الصريح، بل إنّ أغلبها كان يجب تحليله واستنباطه من خلال كلامهم ومعناه، فهي تُفهم من الكلام ولا يُصرّح بها^(٤٩)، فالصريح بلفظ الشرط مقارنة بالاشتراطات النحوية كان نادراً وقليل الذكر، وقد كانت هناك أساليب مختلفة للتعبير عن الاشتراط عندهم، منها:

• أسلوب الجملة الخبرية: قد يرد الشرط بطريقة الجملة الخبرية التي تُشعر بوجوده ولزوم تحققه، نحو شرط الفائدة في الخبر، فابن السراج (٣١٦هـ) يذكر هذا الشرط بأسلوب الجملة خبرية في تعريفه، إذ قال: "الاسم الذي هو خبر المبتدأ هو الذي يستفيده السامع ويصير به المبتدأ كلاماً"^(٥٠). يفهم من هذه الجملة الخبرية لزوم شرط الفائدة في الخبر ليكون كلاماً مع المبتدأ، فهو شرط واجب التحقق لتمام الكلام. وكذلك في تعريف الفاعل الذي يفهم منه شرط الإسناد إلى الفعل، فإذا لم يكن هناك فعل يُسند إليه، لن يكون هناك فاعل في الجملة، فهو شرط يلزم من عدمه العدم، وقد صاغه ابن جني (٣٩٢هـ) بطريقة الجملة الخبرية، فقال: "كل اسم ذكرته بعد فعل وأسندت ونسبت ذلك الفعل إلى ذلك الاسم وهو مرفوع بفعله وحقيقة رفعه بإسناد الفعل إليه"^(٥١).

• أسلوب النفي والاستثناء: من الطرائق الشائعة عندهم إيراد الشرط بطريقة النفي والاستثناء الذي يفهم الشرط، نحو قول الزجاجي (٣٣٧هـ): "واعلم أنّ الأسماء كلها يُعطف عليها إلاّ المضمرة المخفوض، فإنه لا يُعطف عليه إلاّ بإعادة الخافض. لو قلت: (مررت به وزيد)، و(دخلت إليك وعمرو)، لم يجز حتى تقول: (مررت به وبزيد)، و(دخلت إليك وإلى عمرو)، وكذلك ما أشبهه"^(٥٢). إنّ العطف على المضمرة المخفوض غير جائز في العربية إلاّ بشرط إعادة الخافض، وهذا الاشتراط صاغه الزجاجي (٣٣٧هـ) بطريقة النفي والاستثناء، بقوله (لا يعطف) (إلاّ)، فهذا الأسلوب يفهم منه وجوب تحقق هذا الشرط.

ونجد هذا الأسلوب أيضاً في اشتراط دخول



الوجوه اللغوية التي تمتنع عادةً بغير وجود هذا المسوِّغ^(٥٤). نحو مسوِّغات الابتداء بالانكسار التي عقد لها ابن هشام (٧٦١هـ) باباً بعنوان (مسوِّغات الابتداء بالانكسار)^(٥٥)، فقد عدَّ أكثر من سبب أو مسوغ يجوزُ الابتداء بالانكسار، ولكنه قبل الشروع بتعداد هذه المسوِّغات، قال: "لم يعوّل المتقدمون في صابِط ذلك إلا على حصول الفائدة ورأى المتأخرون أنه ليس كل أحد يهتدي إلى مواطن الفائدة فتتبعوها فمن مقلّ مخلّ ومن مكثر مورد ما لا يصلح أو معدّد لأمر متداخلة والذي يظهر لي أنّها منحصرة في عشرة أمور"^(٥٦).

في الواقع أنّ ابن هشام (٧٦١هـ) ذكر الاشتراط الذي وضعه النحاة الأوائل لجواز الابتداء بالانكسار، وإنّما هذه المواضع التي يذكرها هي في حقيقتها مصاديق تحقّق شرط الفائدة، وهذا هو الفرق بين المسوِّغ والاشتراط.

فالمسوِّغات في الابتداء بالانكسار هي أسباب جوّزت تحقّق الحكم، والشرط واحد وهو الفائدة؛ لذا لم يعدّد القديم هذه المواضع واكتفوا بذكر الشرط، والمسوِّغات لا يلزم من عدمها العدم؛ لجواز تحقّق الابتداء بمسوغٍ آخر، أمّا الشرط فإذا لم تحقّق الفائدة فلا يجوز الابتداء بالانكسار؛ لأنه يلزم من عدمه العدم^(٥٧). ومثله مسوِّغات عمل اسم الفاعل غير المحلّي بـ(أل)، نحو: أن يكون دالاً على الحال والاستقبال وأن يكون له موقع إعرابي معين كأن يكون صفة أو خبراً أو حالاً^(٥٨)، شرط عمل اسم الفاعل هو الاعتماد، أي أن يكون اسم الفاعل معتمداً على زمن معيّن وموقع إعرابي معيّن، وما يذكره النحاة مسوِّغات أو مصاديق تحقّق شرط الاعتماد لعمل اسم الفاعل، وإن فُقد الاعتماد -حتى لو تحققت إحدى هذه المصاديق- لن يعمل اسم الفاعل لعدم تحقّق الاشتراط، وهذا هو الفرق بين المسوِّغات والاشتراط. فالمسوِّغات هي أسباب مجوّزة لوقوع الشيء في موقعه الصحيح.

- الفرق بين مصطلح الاشتراط ومصطلح العلة:

هناك بعض العلة التي تتوقّف عليها بعض الأحكام النحوية، وعندما يكون هناك أكثر من علة، قد يختلط جزء العلة مع الشرط، لكونهما يلزم من عدمهما العدم ولا يلزم من وجودهما الوجود، ولكن الفرق بينهما، يتضح في مسألة منع الاسم من الصرف فهناك عدة أسباب لمنع الاسم من الصرف^(٥٩)، والشرط في منع الاسم من الصرف أن يكون " في الاسم اثنان منها أو تكرّر واحد في شيء منها منع الصرف"^(٦٠)، فالشرط أن تتوافر في الاسم علتان، أو علة تقوم مقام علتين، أمّا

للصدق والكذب ولا بدّ أن يرجع منها إلى الموصولات ذكر^(٤٨). كلمة (لابدّ) في النص تُشعر أنّ وجود الضمير العائد على الاسم الموصول شرط في جملة الصلة، وهذه المسألة من شواهد اشتراطات الربط في العربية. ومن الكلمات أيضاً لفظة (مواضع) عندما تأتي في سياقات معينة تدلّ على الاشتراط، نحو ما جاء في شرح الرمانيّ (٣٨٤هـ): "وبعض العرب تقول: إذن أفعل، في الجواب، فيلغيا على كل حال، ووجه قوله أنه لما جاز فيها الإلغاء، ولم يجز في شيء من أخواتها، توجه فيها أن تشبه حالها في المواضع التي تقع فيها بحالها في المواضع التي تلغي، فتجري على منهاج واحد، لتتشاكل أحوالها"^(٤٩). إنّ (المواضع) في هذا النص تدلّ على الشروط التي يلغى فيها عمل (إذن)، وشروط عملها.

الفرق بين الاشتراط وبعض المصطلحات النحوية:

- الفرق بين مصطلح الاشتراط النحوي ومصطلح العلامة:

توجد في النحو بعض العلامات أو الخواص التي تميّز بعض العناصر اللغوية عن غيرها، كالاسم والفعل، أو الفعل الماضي والمضارع وغيرها، وتعريفها: "ما لا ينفك عن الشيء، كوجود الألف واللام على الاسم"^(٥٠)، إحدى علامات الاسم دخول الألف واللام عليه، فكل لفظ دخله الألف واللام هو اسم بالضرورة، ولكن هذا لا يعني أن كل لفظ ليس فيه (أل) لا يُعدّ اسماً، فالعلامة "ملزومة لا لازمة فهي مطردة ولا يلزم انعكاسها، أي: يلزم من وجودها الوجود، ولا يلزم من عدمها العدم،... إذ يقال كل قابل للنداء اسم، ولا عكس، وهذا هو الأصل في العلامة"^(٥١). فمن هنا يتبيّن لنا الفرق بين الاشتراط والعلامة، فالعلامة يلزم من وجودها الوجود، ولا يلزم من عدمها العدم، فكما في المثال السابق عدم وجود (أل) لا يدلّ على عدم اسمية الكلمة فقد تكون فيها علامة أخرى، نحو صحة دخول حرف الجر عليها^(٥٢)، على حين أنّ الاشتراط على عكسها إذ يلزم من عدمه العدم، ولا يلزم من وجوده الوجود، فالعلامة تؤثر ولا يتوقّف عليها الشيء، في حين أن الشرط يتوقّف على عدمه عدم وجود الحكم^(٥٣).

- الفرق بين مصطلح الاشتراط النحوي ومصطلح المسوِّغ:

هناك بعض الأسباب التي تتوافر في بعض التراكيب أو المفردات اللغوية، يُطلق عليها مصطلح المسوِّغ، فهو "اسم فاعل من سوِّغ بمعنى جوّز، وهو الخصوصية المعيّنة التي يجوزُ وجودها وجهاً من



الاشتراط النحوي مفهومه ومصطلحه...

لتوافقهما في مضمون مفهومهما، إذ إن كليهما يلزم من عدمه العدم، ولكن أحدهما سلباً والآخر إيجاباً^(٦٩).

أنواع الاشتراطات النحوية:

هناك العديد من الأنواع للاشتراطات النحوية، إذ إنها تختلف باختلاف الاعتبار الذي تُقسم على أساسه، ومن أهم التقسيمات^(٧٠):

أولاً: أنواع الاشتراطات باعتبار نوع الحكم المقيّد بها.

١- اشتراطات وجوب: كاشتراطات العمل التي يلزم من تحققها، وجوب العمل، نحو: شروط عمل (إذن)، فيجب تحقّق جملة من الشروط لتنصب (إذن) الفعل، ومنها: أن تكون لها الصدارة، وواقعة جواباً، وتدخل على فعل مستقبل، وأن لا يكون الفعل معتمداً على الكلام الذي قبله، ولا يُفصل بينها وبين الفعل إلا القسم^(٧١)، فعند تحقّق هذه الشروط وجب عمل (إذن).

٢- اشتراطات جواز: نحو اشتراطات الجواز في الجملة الفعلية، إذ يشترط النحاة تصرف الفعل ليصحّ تقديم معمولاته عليه^(٧٢)، نحو: تقديم المفعول على الفعل، يجوز بشرط التصرف، ولكن تحقّق الشرط لا يوجب التقديم، فيجوز أن تقدّم المفعول أو لا تقدّمه^(٧٣).

ثانياً: أنواع الاشتراطات باعتبار وظائفها في التركيب.

هذا النوع من الشروط كثيرة ومتشعبة للتعدّد والاختلاف في الوظائف النحوية التي تؤديها، ومنها:

١- اشتراطات الموقع والرتبة: كاشتراطات التقديم والتأخير.

٢- اشتراطات الربط: كاشتراطهم وجود ضمير يعود على المبتدأ، عندما يكون الخبر جملة^(٧٤).

٣- شروط الأعمال: نحو ما اشترطه النحاة من شروط لعمل ما الحجازية من عدم جواز تقديم خبرها، وعدم نقض نفيها^(٧٥).

ثالثاً: أنواع الاشتراطات باعتبار تأثيرها في الحكم.

١- اشتراطات إجراء الأحكام: نحو اشتراط الحذف والتقدير، واشتراطات التقديم والتأخير، أو اشتراطات العمل والإلغاء، فهذا النوع يؤثر في تحقّق الحكم النحوي وإجرائه.

٢- اشتراطات تحقيق المفهوم وتحديد: وهي شروط الحدود أو التعريفات.

رابعاً: أنواع الاشتراطات باعتبار الجملة:

أحد الاعتبارات التي يمكن أن نقسم على أساسه الاشتراطات هي الجملة، فإذا جعلنا الجملة هي معيار

الأسباب فهي كثيرة، وعدم توافر أحد هذه الأسباب قد يؤثر في إيجاد الحكم، ولكنه قد يتحقّق عند وجود سبب آخر^(٦٩)، فالعلميّة ووزن الفعل مثلاً أحد الأسباب التي بها يتحقّق الاشتراط، وعند فقدان أحدها كأن يُفقد وزن الفعل من الاسم لن يمنع الاسم من الصرف، ولكنه قد يُمنع إذا وُجد سبب آخر مع العلمية مثل العجمة.

- الفرق بين مصطلح الاشتراط ومصطلح الحكم الواجب:

إنّ المقصود بالحكم هو ما "استعمله النحاة فيما يلزم من الأمور لزوم الحكم المقضي به والذي لا يجوز أن يتخلّف أو يتأخّر"^(٦٩)، فالشرط والحكم النحوي قد يحدث بينهما التباس من جهة اللزوم، وعند التأمل والنظر فهما يتبيّن أنّ كل شرط هو حكم واجب، ولكن ليس كل حكم هو شرط والفرق بينهما يكمن في أنّ الحكم يكون مقصوداً لذاته، في حين أنّ الشرط مقصودٌ لغيره^(٦٩)، نحو: حكم الرفع في الفاعل، فكل فاعل يجب أن يكون مرفوعاً وهذا حكم واجب لذاته لا يتوقّف عليه أمرٌ آخر، ولكن يشترط في باب الفاعل لتحقّقه أن يُسند إلى فعل، وهذا شرط مقصودٌ لغيره، فالإسناد لا يطلب لذاته وإنما لينعقد الكلام، وتتمّ به الفائدة، ويتحقّق حكم الفاعل في الجملة. ومثله شرط الاعتماد في اسم الفاعل فهو مطلوب لغيره ليتّم عمل اسم الفاعل.

ويمكن أن يكون الحكم شرطاً من جانب، وحكماً من جانب آخر^(٦٤)، نحو وجوب تأخير خبر (إنّ) المفرد فهذا حكم واجب لذاته، وتأخير الخبر شرط في دخول لام التوكيد عليه، فإذا تقدّم الخبر لم يجز دخول اللام^(٦٥).

- الفرق بين مصطلح الاشتراط ومصطلح عدم المانع:

يرد في النحو مفهوم (عدم المانع) الذي يفهم منه أن هناك أمراً يمنع تحقّق الحكم النحوي، أو القاعدة النحوية، وعدم وجوده شرط في تحقّق الحكم، فهذه "شروط... يسميها النحاة شروطاً عدمية أو: سلبية، بمعنى: أنه لا بد من عدم وجودها"^(٦٦)، ومثالها شرط جواز التقديم في الجملة الاسمية، إذ إنّ شرط جواز التقديم أن لا يكون هناك مانعٌ منه^(٦٧)، كأن لا يكون المبتدأ أو الخبر من الأسماء التي لها الصدارة في الكلام، وأن لا يكون الخبر فعلاً^(٦٨)، فالشرط هنا عدمي وهو عدم وجود المانع.

إنّ التوافق بين الاشتراط وعدم المانع في التأثير على الأحكام النحوية، يمكن عدّهما شيئاً واحداً



الحكم، وهي من اشتراطات عوارض الجملة، عند جعل الجملة هي المعيار.

الخاتمة:

بعد أن عرضنا بصورة سريعة وموجزة مفهوم الاشتراط عند النحاة محاولين تسليط الضوء على هذا المفهوم النحوي، نخلص إلى: أن مفهوم الاشتراط النحوي من المفاهيم الأصولية طبقها النحاة عند وضع القواعد النحوية، وهذا ما تبين عن طريق استقراء الاشتراطات النحوية عند النحاة، وقياسها على المفهوم الأصولي للشرط.

أن وظيفة النحوي تجاه الشروط تكون بوصفها مثلما هي موجودة في الواقع اللغوي، ثم يُنظر لها فالشرط يُنتج وصفاً ليُستعمل أو يُطبق بصورة معيارية.

الاشتراط لم يُذكر بلفظه الصريح وبصورة مباشرة عند علماء القرن الرابع إلا نادراً، إذ يُفهم من السياق ويُستنبط استنباطاً من كلامهم؛ ولذلك وقفنا عند أكثر من طريقة في إيراد الشروط في كتبهم.

هناك عدة اعتبارات ومعايير يمكن تقسيم الاشتراط على أساسها، وعند تغيير المعيار تتغير أقسام الاشتراطات وأنواعها.

بعض الاشتراطات قد تندرج تحت أكثر من نوع من أنواع الاشتراطات وأقسامها، باختلاف الزاوية التي يُنظر بها إليها.

تقسيم الاشتراط، سيقسم على قسمين:
١- شروط تكوين الجملة: وهي الشروط الواجب توافرها في أي جملة في العربية، وهي الفائدة والإسناد والربط.

٢- شروط عوارض الجملة: وهي الاشتراطات التي تضبط العوارض التي تطرأ على الجملة، فتغيّر من تنظيمها وترتيبها، نحو: اشتراطات التقديم والتأخير، والحذف، والزيادة، والاعتراض، والفصل بين المتلازمات في اللغة.

كانت هذه أهم الأنواع وأبرزها، التي يمكن أن تشمل أو تستوعب أغلب الاشتراطات النحوية بأنواعها المختلفة، وهناك تقسيمات أخرى تظهر إذا وضعنا اعتبارات جديدة، فمن الممكن أن تقسم على اشتراطات إيجابية واشتراطات سلبية إذا نظرنا إليها من ناحية الصياغة والشكل، أو على اشتراطات خاصة واشتراطات عامة إذا قسناها على علاقتها بالباب النحوي ككل، أو شروط تراعي الجانب اللفظي، وشروط تراعي الجانب المعنوي^(٧١)، وغيرها من التقسيمات التي تتشعب باختلاف المعيار الذي نقيس عليه. وهذا الأمر لا يعني أن هذه الاشتراطات في كل نوع تختلف عن الشروط الموجودة في النوع الآخر، بل هي الاشتراطات نفسها، ولكن يختلف النوع الذي تندرج تحته باختلاف الجهة التي يُنظر منها إلى هذه الشروط، مثل اشتراطات التقديم والتأخير تدخل في اشتراطات الجواز من ناحية نوع الحكم، وتعدّ من اشتراطات الرتبة من جهة الوظيفة التركيبية للجملة، وتدخل ضمن اشتراطات إجراء الأحكام باعتبار تأثير



الاشتراط النحوي مفهومه ومصطلحه...

- الهوامش:**
- ١- العين: (٥٠٠ / ١).
 - ٢- لسان العرب: مادة (شرط): (٣٢٩ / ٧).
 - ٣- القاموس المحيط: ٦٧٣.
 - ٤- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: (١١٣٦ / ٣).
 - ٥- مقاييس اللغة: (٢٦٠ / ٣).
 - ٦- الاشتراط في النحو العربي (مقاربة أصولية لكفاءة النظام ومسارات الانتظام): د. زكي بن صالح الحريول: ٥.
 - ٧- ينظر: المصدر السابق: (١٤-١٥).
 - ٨- ينظر: الخصائص: (٢/١).
 - ٩- ينظر: لمع الأدلة: ٨٠.
 - ١٠- الاقتراح في أصول النحو: ١٥.
 - ١١- ينظر: الاشتراط في النحو العربي: ١١.
 - ١٢- أنوار البروق في أنواع الفروق: (٦٢/١) ، شرح تنقيح الفصول: القرافي: ٦٦٢.
 - ١٣- الموسوعة الفقهية: صادرة عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية: (٥/٢٦).
 - ١٤- الكليات: لأبي البقاء الكفوي: ٨٣٦.
 - ١٥- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: التهانوي: (١/١٠١٤).
 - ١٦- التعريفات: الجرجاني: ١٢٥.
 - ١٧- ينظر: الاشتراط في النحو العربي: (١٤-١٥).
 - ١٨- أمالي ابن الحاجب: (٢/٥٣٣).
 - ١٩- ينظر: الأشباه والنظائر: جلال الدين السيوطي: (٣/٦٨٦).
 - ٢٠- حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك: (٧٠ / ١).
 - ٢١- الأصول في النحو: (٧٧ / ١).
 - ٢٢- ينظر: الاشتراط في النحو العربي: (١٧-٢٠).
 - ٢٣- ينظر: المصدر السابق: ١٩.
 - ٢٤- ينظر: الاشتراط في النحو العربي: ٢١.
 - ٢٥- ينظر: الأصول في النحو: (٢/٢٥٤).
 - ٢٦- الكتاب: (٢/١٧٥).
 - ٢٧- المصدر السابق: (٢/١٧٦).
 - ٢٨- ينظر: المقتضب: (١/١٢٥)، (٣/٣٠، ٦٧، ١١٣، ١٢٧، ٣١٤، ٤/١٢، ٣٤).
 - ٢٩- المصدر السابق: (٣/١٢٣).
 - ٣٠- المصدر السابق: (١/٢٢٧).
 - ٣١- ينظر: الأصول في النحو: (٢/٤٣، ١٣٠، ٣٢٨)، شرح كتاب سيبويه: (١/٣٦٨)، (٣/٢٧٠)، و التعليقة على كتاب سيبويه: (١/٢٨٩)، و الإيضاح العضدي: (٦٥)،
 - ٢٥٣، (المسائل البصريات: (١/٥٢٥، ٥٢٦، ٥٥٥)، (٢/٨٤٣، ٨٤٤)، والمسائل الحلييات: (٢٣٣، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٤٤)، والمسائل العسكريات في النحو العربي: (٦٧)، والخصائص (١/١٠٥، ١٠٧).
 - ٢٢- التعليقة على كتاب سيبويه (١/٩١ - ٩٢).
 - ٢٣- اللمع في العربية: ١٤٠.
 - ٢٤- سر صناعة الإعراب: (٢/٢١٤).
 - ٢٥- ينظر: شرح كتاب سيبويه: (١/٢٣، ٢٩٨)، و التعليقة على كتاب سيبويه: (٣/٢٨٧)، الخصائص: (١/٩٠)، (٣/١٨).
 - ٢٦- الأصول في النحو: (٣/٤٤٢ - ٤٤٣).
 - ٢٧- شرح كتاب سيبويه: (١/١٥٤).
 - ٢٨- التعليقة على كتاب سيبويه: (٣/١٥٣ - ١٥٤).
 - ٢٩- ينظر: الشروط النحوية ومطابقتها للواقع اللغوي: (٢٥-٢٦).
 - ٤٠- الأصول في النحو: (١/٦٢)
 - ٤١- اللمع في العربية: ٣١
 - ٤٢- ينظر: الجمل للزجاجي: ٣١
 - ٤٣- الإيضاح العضدي: (٢٧٦-٢٧٧)
 - ٤٤- الأصول في النحو: (١/١٧٤).
 - ٤٥- اللمع في العربية: ١٣٨.
 - ٤٦- الإيضاح العضدي: (١٠٠ - ١٠١).
 - ٤٧- ينظر: الاشتراط في النحو العربي: ٢٤.
 - ٤٨- الإيضاح العضدي: ٥٤. وينظر: (١٥١، و ١٧٠).
 - ٤٩- شرح كتاب سيبويه للرماني: تح: سيف بن عبد الرحمن العريفي: ٨١٧.
 - ٥٠- التعريفات: ٣٦.
 - ٥١- شرح الأشموني لألفية ابن مالك: (١/٤٠).
 - ٥٢- ينظر: الاشتراط في النحو العربي: ٢٥.
 - ٥٣- ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: (٢/١٢٠٦).
 - ٥٤- معجم المصطلحات النحوية والصرفية: د. محمد سمير اللبدي: ١٠٨.
 - ٥٥- ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعراب: ٦٠٨.
 - ٥٦- المصدر السابق.
 - ٥٧- ينظر: الاشتراط في النحو العربي: (٢٥-٢٦).
 - ٥٨- ينظر: الأصول في النحو: (١/١٢٣ - ١٢٦)، الجمل للزجاجي: (٩٥ - ١٠٠)، و الإيضاح العضدي: ١٤١.
 - ٥٩- ينظر: الأصول في النحو: (٢/٨٠).
 - ٦٠- المصدر السابق.
 - ٦١- ينظر: الاشتراط في النحو العربي: ٢٧.
 - ٦٢- معجم المصطلحات النحوية والصرفية: ٦٥.



- ٦٣- ينظر: الاشتراط في النحو العربي: ٢٨.
 ٦٤- ينظر: المصدر السابق: ٢٩.
 ٦٥- ينظر: الأصول في النحو: (١/ ٢٣١).
 ٦٦- النحو الوافي: عباس حسن: (٣/ ٢١٥).
 ٦٧- ينظر: الأصول في النحو (٢/ ٢٢٢).
 ٦٨- ينظر: المصدر السابق: (١/ ٥٩ - ٦١).
 ٦٩- ينظر: الاشتراط في النحو العربي: (٢٩ - ٣٠).
 ٧٠- ينظر: المصدر السابق: (٣٠ - ٣٢).
 ٧١- ينظر: الأصول في النحو: (٢/ ١٤٨ - ١٤٩).
- ٧٢- ينظر: المصدر السابق: (٢/ ٢٢٢).
 ٧٣- ينظر: الأصول في النحو: (١/ ١٧٤)، و الخصائص:
 (٢/ ٣٨٤).
 ٧٤- ينظر: الأصول في النحو: (١/ ٦٥)، و شرح كتاب
 سيبويه للسرافي: (١/ ٣٧٩).
 ٧٥- ينظر: ينظر: الأصول في النحو: (١/ ٩٣)، واللمع في
 العربية: (٣٩ - ٤٠).
 ٧٦- ينظر: الشروط النحويّة ومطابقتها للواقع اللغويّ:
 (٣٥ - ٤٠).



بكلية الأدب بالجزائر، مطبعة جول كربونل، الجزائر، د.ت. د.ط.

١١- حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك: أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي (١٢٠٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١٢- الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلية (٣٩٢هـ): الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤، د.ت.

١٣- سر صناعة الإعراب: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلية (٣٩٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

١٤- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك: المؤلف: علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأشموني الشافعي (٩٠٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

١٥- شرح تنقيح الفصول: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (٦٨٤هـ)، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، ط١، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م.

١٦- شرح كتاب سيبويه (حُقق كأطروحة دكتوراه): علي بن عيسى الرماني (٣٨٤ هـ)، تحقيق: سيف بن عبد الرحمن بن ناصر العريفي، إشراف: د. تركي بن سهو العتيبي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض - المملكة العربية السعودية، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

١٧- شرح كتاب سيبويه: أبو سعيد السيرافي الحسن بن عبد الله بن المرزبان (المتوفى: ٣٦٨ هـ)، المحقق: أحمد حسن مهدي، علي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠٠٨ م.

١٨- الشروط النحوية ومطابقتها للواقع اللغوي (دراسة تحليلية تطبيقية) (رسالة ماجستير): إعداد: محمد محمود عبد رب النبي، إشراف: د. أحمد عبد اللطيف محمود الليثي، جامعة القاهرة- كلية دار العلوم- قسم النحو والصرف والعروض، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

١٩- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٢٠- العين: الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (١٧٠هـ)، تحقيق: د. مهدي

١- الأشباه والنظائر: جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٢- الاشتراط في النحو العربي (مقاربة أصولية لكفاءة النظام ومسارات الانتظام): د. زي بن صالح الحريول، نادي الأحساء الأدبي، منشورات دار الكفاح للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م.

٣- الأصول في النحو: أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (٣١٦هـ): المحقق: عبد الحسين الفتلي: الناشر: مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٤- الاقتراح في أصول النحو وجدله: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، ضبطه وعلق عليه: عبد الحكيم عطية، راجعه وقدم له: علاء الدين عطية، دار البيروني، دمشق، ط٢، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٥- أمالي ابن الحاجب: أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب الكردي المالكي (٦٤٦هـ)، دراسة وتحقيق: د. فخر صالح سليمان قدارة، دار عمار- الأردن، دار الجيل- بيروت، د.ط، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٦- أنوار البروق في أنواء الفروق: الإمام شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (٦٨٤هـ)، طبعة خاصة لوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد/ المملكة العربية السعودية، دار النوادر الكويتية، الكويت، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

٧- الإيضاح العضدي: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار، أبو علي الفارسي (٣٧٧هـ): المحقق: د. حسن شاذلي فرهود (كلية الآداب - جامعة الرياض): الطبعة: الأولى، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

٨- التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (٨١٦هـ)، ضبطه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٩- التعليقة على كتاب سيبويه: المؤلف: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الأصل، أبو علي (المتوفى: ٣٧٧هـ)، المحقق: د. عوض بن حمد القوزي (الأستاذ المشارك بكلية الآداب)، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

١٠- الجمل: أبو القاسم الزجاجي (٣٣٧هـ)، اعتنى بتصحيحه وشرح أبياته: الشيخ ابن أبي شنب الأستاذ



المحقق: د. محمد الشاطر أحمد محمد أحمد، مطبعة المدني، ط ١، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

٢٩- المسائل الحلبيات: أبو علي الفارسي (٣٧٧ هـ)، المحقق: د. حسن هنداوي، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع- دمشق، دار المنارة للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت، ط ١، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

٣٠- المسائل العسكرية في النحو العربي: أبو علي الفارسي (٣٧٧ هـ)، المحقق: د. علي جابر المنصوري، الدار العلمية الدولية للنشر والتوزيع ودار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ٢٠٠٢ م.

٣١- معجم المصطلحات النحوية والصرفية: د. محمد سمير اللبدي، مؤسسة الرسالة، ودار الفرقان، بيروت، ط ١، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

٣٢- مغني اللبيب عن كتب الأعراب: ابن هشام الأنصاري (٧٦١ م)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.

٣٣- مقاييس اللغة: المؤلف: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (٣٩٥ هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

٣٤- المقتضب: محمد بن يزيد، أبو العباس، المعروف بالمبرد (٢٨٥ هـ)، المحقق: محمد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب، بيروت، د. ط، د. ت.

٣٥- الموسوعة الفقهية الكويتية: صادر عن: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت، الأجزاء (١ - ٣٣): الطبعة الثانية، دار السلاسل - الكويت، الأجزاء (٢٤ - ٣٨): الطبعة الأولى، مطابع دار الصفاة - مصر، الأجزاء ٣٩ - ٤٥: الطبعة الثانية، طبع الوزارة، (من ١٤٠٤ - ١٤٢٧ هـ).

٣٦- النحو الوافي: عباس حسن، دار المعارف، د. م، ط ١٥، د. ت.

المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د. ط، د. ت.

٢١- القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (٨١٧ هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ٨، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٢٢- الكتاب: عمرو بن عثمان، الملقب سيبويه (١٨٠ هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٣، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٢٣- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (بعد ١١٥٨ هـ)، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، ط ١، ١٩٩٦ م.

٢٤- الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية): أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (١٠٩٤ هـ)، تحقيق: عدنان درويش- محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

٢٥- لسان العرب: ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (٧١١ هـ)، دار صادر، بيروت، ٣، ١٤١٤ هـ - ٢٦- لمع الأدلة: أبو البركات، عبد الرحمن كمال الدين بن محمد الأنباري (٥٧٧ هـ)، قدم له وعُني بتحقيقه: د. سعيد الأفغاني، دار الفكر، ط ١ بدمشق، ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م، ط ٢ بيروت، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م.

٢٧- اللمع في العربية: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلية (المتوفى: ٣٩٢ هـ)، المحقق: فائز فارس، الناشر: دار الكتب الثقافية - الكويت.

٢٨- المسائل البصريات: أبو علي الفارسي (٣٧٧ هـ)،



التشكلات الاستعمالية للأفعال في التركيب القرآني في مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية

سارة رجا عبد القائم

أ.د. مرتضى عباس فالح

جامعة البصرة

كلية التربية للعلوم الإنسانية - قسم اللغة العربية

Usage formations of verbs in the Quranic structure In Al-Basra Research Journal for the Humanities

Prof Dr Mortada Abbas Faleh

Sarah Ragaa Abdel Qaim



الملخص

يأتي هذا البحث الموسوم بـ(التشكلات الاستعمالية للأفعال في التركيب القرآني في مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية) لاستقراء جهود الباحثين في مباحثهم القرآنية النحوية لهذا الموضوع، والتأمل في السمات المنهجية، والنظر في كيفية الاستعمال القرآني للأفعال وتشكلاتها، وإيضاح التمايز بين الباحثين في التعاطي مع الموضوع، وتوصيف منهجيتهم، وآلية معالجتهم للتطبيقات القرآنية التي رصدوها بالوصف والتحليل، زيادةً على إبداء الملاحظات التقويمية، وبعض الإشارات النقدية التي تجلت في أثناء عرض ما قدمه الباحثون، في ضوء اعتماد المنهج الوصفي التحليلي لجهود الباحثين في هذا المفصل البحثي.

Abstract

This research, entitled with (Usage Formations of Verbs in the Qur'anic Structure in Al-Basra Research Journal for Human Sciences) comes to extrapolate the efforts of researchers in their Qur'anic grammatical discussions of this subject to reflect on the methodological features, looking at how the Qur'anic use of verbs and their formations, clarifying the differentiation between researchers in dealing with the subject, and describing their methodology, and the mechanism of their treatment of the Qur'anic applications that they monitored by description and analysis. In addition to making evaluation observations, and some critical references that appeared during the manifestation of what the researchers presented in light of the adoption of the descriptive analytical approach of the researchers' efforts in this research section.



وذكر أنها وردت في أربعة عشر موضعاً قرآنيّاً، فضلاً عن صور أخرى أشار إليها الباحث في أثناء عرضه للشواهد القرآنيّة، ومنهجه في ذلك هو عرض التّعبير القرآنيّ الذي ورد فيه الفعل الماضي (كِرِه) بمختلف تشكّلاته، التي تُعبّر عن مستوى خطابيّ معيّن، ثمّ عرض الآيات القرآنيّة محلّ الشاهد، والتأمّل في الخطاب وتنوّعه ما بين النّصح والتّوجيه، والذّمّ والتّوبيخ، فضلاً عن بيان تشكّل الفعل الماضي في الآية محلّ الشاهد، واستشراق السّياق وتحليل جزئياته^(١).

وبهذا يُلاحظ أنّ منهج الباحث يقوم على تنوّع مستويات الخطاب القرآنيّ، وكيفيّة انتظام الفعل (كِرِه) في الخطاب المبارك على وفق تشكّلات متنوّعة، وحرص الباحث على توظيف ذلك في أثناء معالجته للشواهد القرآنيّة، إذ اتّسمت بالطّابع التحليلي، وإبراز تفنّن الخطاب القرآنيّ في إيراد الاستعمال القرآنيّ لهذا الفعل، في سياقات خطابيّة مختلفة تتوزّع مضامينها بين^(٢): ((الرّجر والتّهي أو الذّمّ والتّوبيخ، أو الوعظ والإرشاد والنّصح))^(٣).

وتشكّلت (كِرِه) تشكّلاً فعليّاً ماضويّاً في ثلاث صور، وتمثّلت في: (كِرِه)، و(كِرِه)، و(أَكِرِه) المبني للمعلوم، و(أَكِرِه) المبني للمجهول. وتقصّى الباحث المواضع القرآنيّة التي وردت فيها هذه الصور، واتّضح له أنّ الصورة الماضويّة الثلاثيّة (كِرِه) قد وردت في أربعة عشر موضعاً، أمّا الفعل الماضي (كِرِه) المضعف فقد ورد في موضع قرآنيّ واحد، أمّا الفعل (أَكِرِه) فقد ورد في موضعين قرآنيين، بصيغة المبني للمعلوم (أَكِرِه) مرّةً، وصيغة المبني للمجهول (أَكِرِه) مرّةً ثانية^(٤).

والجدير بالذكر أنّ الباحث اكتفى في بادئ الأمر بذكر الصورة الأولى لتشكّل الفعل الماضي، وتمثّلت بالصّيغة المجردة (كِرِه)، ولم يذكر الصور الأخرى أو عدد مواضعها في الخطاب القرآنيّ، ونجده في خاتمة بحثه يذكر صور تشكّل الفعل الماضي وعدد مواضع كلّ صورة، ويبدو لي أنّه كان يتطلّب من الباحث ذكر ذلك في مقدّمة تناوله للموضوع مع الصورة الأولى (كِرِه)، على الرغم من كونه قد عرض أمثلة الصور الأخرى في أثناء تناوله للصّيغة الثلاثيّة الأكثر وروداً في الخطاب القرآنيّ^(٥).

أمّا مصادر الباحث في هذا المضمار، فقد كان أغلبها تفاسير القرآن الكريم، وقلة المصادر النّحويّة التي تمثّلت، بكتاب مغني اللبيب عن كتب الأعراب لابن هشام الأنصاريّ، ومعاني النّحو للدكتور فاضل السّمرائيّ.

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على سراج المتّقين وخَيْر الخلق سيدنا ومولانا نبيّ الرّحمة محمّد، وعلى آله الأطهار الطيبين.

لم يألُ الباحثون الذين نشرنا بحوثهم في مجلّة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانيّة جهداً في دراسة لغة القرآن الكريم، ومضامينها العليّة، وتوزّع اهتمام الباحثين على عدّة أبواب وظواهر لغويّة، وعلى مختلف المستويات. فكان لدراسة الأفعال وتشكّلها في التّركيب القرآنيّ نصيبٌ من هذا الاهتمام والجهد الذي بذل في هذا المفصل البحثي، وزيادةً على ذلك نالت دراسة بعض الظواهر القرآنيّة الخاصّة بالأفعال حيزاً من هذا الاهتمام.

ويهدف هذا البحث الموسوم بـ(التشكّلات الاستعماليّة للأفعال في التّركيب القرآنيّ في مجلّة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانيّة) إلى استقصاء جهود الباحثين في أبحاثهم القرآنيّة النّحويّة، المتّممّ حول دراسة الأفعال وتشكّلها في التّركيب القرآنيّ، وتوصيف منهجيتهم في هذا المضمار البحثي، وبيان التّفاوت والتمايز بين مناهج الباحثين، وآلياتهم الإجرائيّة التحليليّة في التعامل مع الشواهد القرآنيّة، والسمات التي امتاز بها بعض الباحثين عن غيرهم، ومحاولة عمّل الموازنة النّقديّة بين الباحثين، وإظهار الملاحظات التّقويميّة، في إطار ما قدّمه الباحثون، من خلال اعتماد منهجيّة البحث على آليات الوصف والتّحليل والتأمّل، إذ حرصت الباحثة على تتبّع ما قدّمه الباحثون من مظانّ مصادرهم، والكشف عن رؤية الباحثين في التعاطي مع الموضوع.

وشكّلت مصادر الباحثين في دراسة الاستعمال القرآنيّ للأفعال الرّافد الرئيس لمادّة البحث، فضلاً عن بعض المصادر ذات الصّلة بموضوع البحث، واقتضت مادّة البحث تقسيمه على أربعة محاور:

أولاً: التشكّلات الاستعماليّة للفعل الماضي.

ثانياً: التشكّلات الاستعماليّة للفعل المضارع.

ثالثاً: التشكّلات الاستعماليّة للفعل الأمر.

رابعاً: تحقّقات الفعل في الاستعمال القرآنيّ.

أولاً: التشكّلات الاستعماليّة للفعل الماضي:

وممّن تناول هذا التشكّل الباحث ميثاق حسن عبد الواحد في بحثه الموسوم بـ(كِرِه) وتشكّلات استعمالها في النّظم القرآنيّ)، وتناول الصّيغة الماضويّة على بناء (فَعِلَ) في مادّة (كِرِه)، ومنتبّعاً مواضعها



وساق الباحث عدّة أمثلة ضمّنها في عدّة تعابير قرآنيّة وردت صور تشكّل الفعل الماضي في سياقها، منها: (وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ) الذي ورد في قوله تَعَالَى: ﴿لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَيَبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [الأنفال: ٨]، والسّياق القرآنيّ يستنكر على فئة من المؤمنين مَمَّن نَعْتُوا بِمَجَادِلَةِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، الَّذِينَ فَضَّلُوا الْحَصُولَ عَلَى الْغَنَائِمِ، مِنْ دُونِ مَوَاجَهَةِ الْمُشْرِكِينَ وَقَتْلِهِمْ^(١٧).

وذكر الباحث أنّ الملحوظ ((تشكّل مادة (كره) فعلاً ماضياً مسنداً إلى المتصرفين بالإجرام على جهة الفاعلية))^(١٨)، والمراد من قوله: ((الْمُجْرِمُونَ)) هم المشركون من قريش، مَمَّن كانوا في قافلة التّجارة والذين استنّفروا لنصرتهم، والسّياق القرآنيّ يستنكر على فئة من المؤمنين تفضيلهم الحصول على الغنائم، من دون قتال المشركين ودفع خطرهم^(١٩).

والتفت الباحث إلى أنّ هذا المعنى تكرر في قوله تَعَالَى: ﴿وَيُحَقِّقُ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: ٨٢]، وأوضح أنّ الآية تتحدّث عن موقف النبي موسى (عليه السلام) مع سحرة فرعون، والسّياق في هذه الآية ((يُشير إلى أنّ السّحر إفسادٌ و السّاحر مُفسدٌ))^(٢٠)، وهو من الأعمال الباطلة المنهي عنها، لذا جاء في قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَبَّطَهُ﴾ [يونس: ٨١]، وذكر الباحث أنّ تعبير القرآن في هذه الآية يلمح منه القوّة والفخامة في التعبير^(٢١)، أي: ((يُظهر بطلانه بإظهار المعجزة على السّعودَة))^(٢٢). وقد سبق ((معنى إحقاق الله الحقّ ليدلّ على أنّ إبطاله تَعَالَى السّحر، وتأييده نيّيه مصداقٌ لذلك الإحقاق))^(٢٣)، أي بمعنى يُثبته ويُعليه^(٢٤).

والتّعبير القرآنيّ ((وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ)) يُشير إلى أنّ السّحرة مجرمون، والإجرام لفظ يُؤذن بعظم الذنب^(٢٥)، والملاحظ في هذا التعبير انتظام (كره) ((فعلاً ماضياً مسنداً إلى (المُجْرِمُونَ) على سبيل الفاعلية))^(٢٦)؛ للدلالة على أنّ ذلك الإحقاق قيمة تُغيظ المجرمين، وتُرغمهم وتزعجهم^(٢٧).

وتناول الباحث التّعبير القرآنيّ ((فَكَرِهْتُمُوهُ))، وتمثّل في قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَبَيْتُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم مِّنَ بَعْضٍ أَتُحِبُّونَ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]، والخطاب موجهٌ إلى ((الذين آمنوا على سبيل النّصح والإرشاد، مسترعياً انتباههم ومستوجباً اهتمامهم، أمراً وزاجراً وناهيّاً عمّا يُعكّر

صفو الحياة، ويوجب خسران الآخرة))^(١٧).
 ويُلاحظ أنّ فعل الكراهة في الآية المتقدّم ذكرها ((أسند إلى ضمير جماعة المخصوصين بالنّصح والإرشاد على وجه الفاعلية، مقيداً بضمير الهاء العائد على جملة المصدر المؤوّل (أَنْ يَأْكُلَ) على جهة المفعوليّة))^(١٨)، وأوضح الباحث أنّ المقيد المفعولي هو (أكل لحم الأخ ميتاً) وقيد فعل المحبة (أَيُحِبُّ) المسبوق بالاستفهام التّقريري، إذ صوّر الحُبّ في أشنع مكروه وأفظعه، وجسد صورة تمثيلية بليغة^(١٩).
 وينتقل السّياق القرآنيّ ليُلَمِّح إلى نفي ذلك الحُبّ بقوله: ((فَكَرِهْتُمُوهُ))، وتدلّ جملة الكراهة على كراهة النّفس البشريّة أكل لحم الأخ الميت، وتنفي عنها حُبّه بالطّبع والفطرة، وفيه دلالة شرطية مفادها أنّكم مثلما تكرهون ذلك الأكل وتأفنون منه، فلتكرهوا ما هو نظيره من الغيبة، شرعاً وعقلاً واتّقاء^(٢٠).

ومن التّعابير القرآنيّة التي تناولها الباحث، التّعبير القرآنيّ ((إِلَّا مَنْ أكره))، وآثرت الوقوف عنده؛ لأنّه التّعبير الوحيد الذي ورد بصيغة المبني للمجهول مثلما أشار الباحث إلى ذلك مسبقاً، وقد تمثّل هذا التعبير في قوله تَعَالَى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أكره وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ مِنَ اللَّهِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٦]^(٢١)، فقد وقف الباحث عند الخطاب في هذه الآية المباركة والذي يؤسّس ((لمفهوم يقف بالضد من مفهوم التفاف، وهو إخفاء الإيمان بالله وإظهار الكفر؛ لعامل خارجي ضاغط))^(٢٢)، وأشار الباحث إلى أنّ هذه الآية نزلت في الصحابيّ عمّار بن ياسر، بعد أن أكره على إظهار الكفر^(٢٣). من هنا ((انتظمت (كره) فعلاً ماضياً مبنيّاً للمجهول مسنداً إلى الضمير المستتر العائد على الموصول قبله على جهة التّياية على الفاعل؛ للدلالة على حصول الكفر اضطراراً لا اختياراً))^(٢٤). ويبدو لي أنّ الباحث هنا كان يجب عليه الرجوع إلى المصادر التي تتحدّث عن صيغة المبني للمجهول ودلالته.

وبهذه الطريقة عالج الباحث الآيات القرآنيّة الأخرى، التي ساقها تحت كلّ تعبير من التّعابير القرآنيّة الواردة فيها الصيغة الماضوية لمادّة (كره)، وصور تشكّلها في الخطاب القرآنيّ.
 ومن الأبحاث القرآنيّة التي تناولت الفعل الماضي وتشكّلها في عدّة صور تركيبية بحث الباحثة سليمة جبار غانم الموسوم بـ(البناء اللّغوي لآيات الجهاد في القرآن الكريم)، إذ ورد الفعل الماضي في



ما لا بُدَّ له في تمامه اسماً من جملةٍ تردفه من الجمل التي تقع صفات، ومن ضمير فيها يرجع إليه، وتُسَمَّى هذه الجملة (صلة) ^(٣١)

ولحظت الباحثة أن الفعل الماضي (جَاهَد) ورد صلة للاسم الموصول الذي يدل على جمع المذكور في ثلاث آيات قرآنية ^(٣٢).

ومن المواضع التي أوردتها الباحثة ما جاء في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢]، وذكرت أن الاسم الموصول (الَّذِينَ) لا يتم معناه إلا بجملة تبيته، وجاءت الجملة في هذه الآية جملة فعلية ^(٣٣).

٣- العطف: ذكرت الباحثة أن الفعل الماضي (جَاهَد) ورد معطوفاً على ما قبله ثماني مرات ^(٣٤)، وأدوات العطف الواردة في هذه الآيات هي (الواو) و (ثم)، أما المعطوف عليه فقد أوضحت الباحثة أنه يمكن تحديده بما يأتي:

أ- الجهاد معطوفاً على الإيمان والهجرة: وتتبعَت الباحثة المواضع التي تخص هذا التشكل، و تبين لها أن الجهاد ورد معطوفاً على الإيمان والهجرة أربع مرات ^(٣٥)، ومجيء العطف بهذا الشكل؛ لأن (الجهاد بوصفه فرضاً قائماً على المسلمين لم يكن بدون إيمان راسخ بالرسالة، وهذا الإيمان قد يتطلب الهجرة في سبيل الله ورسوله، فيأتي الجهاد محصلة لكل ذلك) ^(٣٦)، واستدلت الباحثة على ذلك بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [التوبة: ٢٠] ^(٣٧). والملاحظ أن الباحثة أوردت الآية بعد توضيح صورة العطف الواردة في سياقها، فضلاً عن ذلك فهي لم تستند على مصدرٍ محدد يؤكد ما ذكرته قبل الآية المتقدِّم ذكرها.

ب- الجهاد معطوفاً على الإيمان: وذكرت الباحثة أن هذا التشكيل قد ورد في موضعين، وجاء (الإيمان سابقاً للجهاد، إذ لا جهاد لمن لا يؤمن) ^(٣٨)، وأوردت قوله تعالى: ﴿أَجْعَلْتُمْ سَقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١٩] ^(٣٩).

أما فيما يخص أدوات العطف فقد ذكرت الباحثة ((أن أدوات العطف الواردة هي (الواو) و (ثم)، ولم ترد (الفاء) في آيات الجهاد في القرآن الكريم) ^(٤٠)، وأوضحت الباحثة الأداتين بالشكل الآتي: **- الواو:** وهي أصل حروف العطف، وتدُل على الإشراك

التركيب الجملي في آيات الجهاد في صور عديدة ذكرتها الباحثة، وتمثلت هذه الصور بـ(الجملة الشرطية، وجملة صلة الموصول، والعطف، وجملة فعلية في محل رفع خبر للمبتدأ)، ومنهجية الباحثة في عرض هذه التراكيب النحوية، تقوم على ذكر الصورة التركيبية أولاً، ثم عرض معاني الأدوات النحوية التي ورد الفعل الماضي (جَاهَد) في سياقها، و إحصاء المواضع لكل تركيب ورد فيه الفعل الماضي، ومن ثم عرض الآيات القرآنية محل الشاهد، إلا أنها لا تركز كثيراً على السياق القرآني، كي يتسنى لها توظيف ما ذكرته من معاني نحوية على الآيات القرآنية التي عرضتها ^(٤١).

والجدير بالذكر أن الباحثة اعتمدت على بعض المصادر النحوية المختصة، وقلة كُتِب التفاسير بخلاف الباحث ميثاق حسن الذي اعتمد بشكل رئيس على تفاسير القرآن الكريم.

ومن الصور التركيبية التي عرضتها الباحثة:

١- الجملة الشرطية: و أوضحت الباحثة أن ((الأصل في باب الشرط و الجزاء أن يكونا مضارعين؛ لأن حقيقة الشرط بالاستقبال....، ويجوز أن يقعا ماضيين؛ لأن الماضي أخف من المضارع) ^(٤٢).

وتتبعَت الباحثة مجيء الفعل الماضي (جَاهَد) في سياق جملة الشرط، وذكرت أنه ورد ثلاث مرات ^(٤٣). فضلاً عن ذلك فقد ذكرت الباحثة أن جملة الشرط تتكون من أداة الشرط، وفعل الشرط، وجوابه. ولحظت أن أداة الشرط في الآيات الثلاث كانت (إِنْ) في آيتين، و(مَنْ) في آية واحدة، أما جواب فعل الشرط في هذه الآيات الثلاث فقد اقترن بالفاء الرابطة، و أوردت الباحثة قوله تعالى: ﴿وَمَنْ جَاهَدْ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ [العنكبوت: ٦]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ [العنكبوت: ٨] ^(٤٤).

وذكرت الباحثة أن الفاء أولى من سائر حروف العطف بوصول ما بعدها بما قبلها؛ لأنها ((توجب أن يكون ما بعدها عقيب ما قبلها وليس (الواو) كذلك؛ لأنها توجب الجمع بين شيئين، ولم يجز استعمال (ثم)؛ لأنها للتراخي) ^(٤٥).

أما فيما يخص الآيتين فقد ذكرت الباحثة أن دلالة (مَنْ) على العموم، ودلالة (إِنْ) على التخصيص ^(٤٦). ويبدو أن الباحثة هنا عقدت مقارنة بين (مَنْ) و(إِنْ)، إلا أنها لم توظف هذه المقارنة في الآيات محل الشاهد، و سياق كل آية ومناسبتها للأداة الواردة فيه.

٢- جملة صلة الموصول: وذكرت الباحثة أن ((الموصول



التشكلات الاستعمالية للأفعال في التركيب...

جمع الجوامع^(٥٥)، ومن المحدثين ممن عرّف الفعل الماضي الدكتور تمام حسّان^(٥٦)، ويبدو أنّ التعريف الذي ذكره الباحث متقارب مع تعريف الدكتور تمام حسّان.

ومن ذلك ورد الفعل الماضي (أعطى) في قوله تعالى: ﴿أَعْطَيْنَاكَ﴾ [الكوثر: ١]، وقد ذكر الباحث أنّ الفعل الماضي هنا دلّ على زمن المستقبل؛ لأنه بمعنى الوعد من الله سبحانه إلى نبيه محمد (صلى الله عليه وآله وسلّم) في حياته المستقبلية المتمثلة بذريته وكثرتها، أو في الآخرة إذ كان بمعنى الحوض في الجنة، وكلّ المعاني التي تدلّ على الكوثر تقع في المستقبل، وإن كانت شاملة لجميع الأزمنة^(٥٧).

والتفت الباحث إلى أنّ التعبير القرآنيّ جاء بلفظ الماضي (أعطيتنا) ولم يأت بلفظ المضارع (سنعطيك)؛ لأنّ قوله: (أعطيتنا) يدلّ على أنّ هذا الإعطاء كان حاصلًا في الماضي متمثلاً بالرعاية والتوفيق الإلهي^(٥٨)؛ ولأنّ ((الوعد لما كان محقق الوقوع عبّر عنه بالصيغة الماضية للمبالغة كأنه حدث ووقع))^(٥٩). وأوّد أنّ أشير إلى أنّ الباحث لم يستند في تحليله على مصدر مُعيّن يؤكد ما ذهب إليه في دلالة الفعل الماضي (أعطى) على المستقبل، فضلاً عمّا ذكره من دلالة.

وفي ضوء ما قدّمه الباحثون من التشكلات الاستعمالية للفعل الماضي، فقد تجلّت الملاحظات الآتية:

١- لم يكن الباحثون بصدد التعرّض لأقول وآراء التحوين في الأفعال وتقسيماتها، إذ لم يكن موضوع أبحاثهم الجملة العربيّة وتقسيماتها.

٢- اتّضح أنّ الباحثين على الرغم من اتفاقهم في المنهج العام، إلّا أنهم اختلفوا في المضمون، فالباحث ميثاق حسن يقوم منهجه على تنوّع الخطاب القرآنيّ وتفنّنه في إيراد الفعل (كره) وتشكلاته المختلفة، في الآيات القرآنيّة محلّ الشاهد، الواردة في سياقات خطابية متنوّعة، وتأمّل جزئيات السياق وتحليلها وتلمّس مدى انسجامها مع التشكل الفعلي للفعل (كره)، أمّا الباحثة سليمة جبار فقد تناولت الفعل الماضي (جاهد) في عدّة تراكيب قرآنيّة، ووظيفتها في السياق، إلّا أنّها تكتفي في بعض المواضع بعرض صورة التركيب والآية القرآنيّة محلّ الشاهد، ويأتي الباحث حيدر عبد العالي، ويتناول الفعل الماضي (أعطى) ودلالته الزمنية في سورة الكوثر، إلّا أنه لم يتوسع في نطاق بحثه في هذا المضمار.

٣- امتاز الباحث ميثاق حسن بقدرته وبراعته في

بين شيئين فقط في حكم واحد^(٤١). وتتبع الباحثة المواضيع التي وردت فيها (الواو) عاطفة في آيات الجهاد وهي سبعة مواضع، وذكرت الباحثة منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٨]^(٤٢). - ثمّ: ذكرت الباحثة أنّ حرف العطف (ثمّ) يقتضي ثلاثة أمور: التشريك في الحكم، والترتيب، والتراخي (المهلة)^(٤٣)، وقد وردت في موضع واحد، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا قُتِلُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٠]، وأوضحت الباحثة سياق هذه الآية الكريمة، إذ أنّ الجهاد جاء معطوفاً على الهجرة، ولم تأت أداة العطف (الواو) التي تفيد الاشتراك في الحكم^(٤٤)، وإمّا (ثمّ) التي تفيد مع الاشارة في الحكم والجمع بين شيئين الترتيب والمهلة أو التراخي^(٤٥)، فقد كان جهادهم بعد الفتنة^(٤٦).

٤- ورد ((الفعل الماضي (جاهد) جملة فعلية في محل رفع خبر للمبتدأ))^(٤٧)، وذكرت الباحثة أنّ هذا التركيب جاء في موضع واحد، في قوله تعالى: ﴿لَكِنَّ الرَّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [التوبة: ٨٨]، ولحظت الباحثة أنّ (لكن) في هذه الآية جاءت مخففة مهمله، فيعرب ما بعدها بحسب موقعه في الجملة، بعد زوال اختصاصها بالجملة الاسمية^(٤٨). وأوضحت الباحثة إعراب الجملة التي جاءت بعد (لكن)، ف(الرّسول) مبتدأ وعطف عليه (الذين آمنوا معه)، والفعل (جاهدوا) فعل ماضٍ مبني على الضمّ؛ لاتصاله بواو الجماعة، والواو ضمير متصل مبني في محلّ رفع فاعل، والجملة الفعلية في محلّ رفع خبر للمبتدأ^(٤٩).

أمّا الباحث حيدر عبد العالي جاسم فقد تناول الدلالة الزمنية للأفعال الماضية في سورة الكوثر المباركة، وذلك في بحثه الموسوم بـ (سورة الكوثر دراسة تحليلية)، وبدأ بذكر تعريف الفعل الماضي^(٥٠)، وهو ((ما دلّ على حدوث الفعل قبل زمن التكلم، ولكنه يأتي للتعبير عن دلالات زمنية أخرى، وهذه الدلالات يمكن أن يعبر عنها بمعونة القرائن في سياق الجملة))^(٥١)، وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ الباحث لم يُشير إلى مصدرٍ مُعيّن اعتمد عليه في تعريف الفعل الماضي، وقد جاء تعريف الفعل الماضي في عدّة مصادر، وللفادة أذكر منها: الكتاب سيبويه^(٥٢)، وشرح المفصل للزمخشري^(٥٣)، و شرح جمل الزجاجي^(٥٤)، و همع الهوامع في شرح



التحليل، وتأمل كل جزئيات النص، فضلاً عن ذلك فقد حفل الجانب التطبيقي بالآيات القرآنية.

٤- اعتمد الباحث ميثاق حسن على التفاسير، وقلة المصادر النحوية، أما الباحثة سليمة جبار، فقد امتازت بالرجوع إلى المصادر النحوية، وأوضحت من خلالها ما يتعلق بالتركيب التي ورد فيها الفعل الماضي (جَاهَدَ)، أما الباحث حيدر عبد العالي فلم يعتمد على مصدرٍ مُعَيَّن، ممَّا أدى إلى ضيق نطاق بحثه.

٥- اعتمد الباحثان ميثاق حسن وسليمة جبار على المنهجية الإحصائية في تتبع صور تشكلات الفعل الماضي، وعدد المواضع القرآنية التي وردت فيها كل صورة.

ثانياً: التشكلات الاستعمالية للفعل المضارع:

ومن الأبحاث القرآنية التي تناولت تشكلات الفعل المضارع بحث الباحثين أحمد عبد الله نوح وسعيد إبراهيم صيهود الموسوم بـ(مادة جهل في القرآن الكريم دراسة لغوية)، وتناول الباحثان الصورة الفعلية المضارعية وتشكلاتها لمادة (جهل)^(٦٠)، وذكر الباحثان ((أن مادة (جهل) لم تأت على صورة الفعل إلا بصيغتي المخاطب والغائب المضارعين (تَجْهَلُونَ وَتَجْهَلُونَ) المسندتين إلى واو الجماعة، وقد ارتبطت بهما ارتباطاً وثيقاً؛ لتخبرنا بصفة ذلك الجمع))^(٦١).

وأتسم منهج الباحثين بتتبع الفعل المضارع وتشكله، وعرض الآيات القرآنية التي ورد فيها الفعل المضارع لمادة (جهل)، وتتبع أقوال بعض المفسرين في دلالة الفعل المضارع ضمن السياق الذي يرد فيه^(٦٢).

واعتمد الباحثان بشكل رئيس على تفاسير القرآن الكريم، وكان منهما مراجعة بعض المصادر النحوية وغيرها؛ للوقوف على ما تدل عليه الصيغة الفعلية المتشكلة للفعل المضارع، وهي صيغة الأفعال الخمسة.

وذكر الباحثان أن صيغة المخاطب الغائب (تَجْهَلُونَ) لم ترد إلا في موضع واحد، في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا زُلْنَا إِلَيْهِمْ الْمَلَائِكَةُ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام: ١١١]، وتشكل الفعل المضارع (تَجْهَلُونَ) بصيغة المضارع المسند إلى واو الجمع؛ ليدل على الزمن الحاضر وإمكانية الاستمرار في حالة الجهل التي تسري في عرفهم^(٦٣). والملاحظ أن الباحثين هنا لم يعتمدوا على مصدرٍ محدد يؤكد ما ذكره، وكان يتطلب منهما الرجوع إلى بعض

المصادر المختصة.

ومن الآراء التفسيرية التي عرضها الباحثان في دلالة الفعل المضارع (تَجْهَلُونَ) في الآية المتقدم ذكرها، أن المراد جهلهم بأمر المعاد، ويجهلون مقام الله سبحانه، فيظنون لو جاءتهم أسباب الإيمان من الآيات والمعجزات آمنوا بالله واتبعوا الحق، إلا أن الإيمان لا يتم إلا بمشيئة الله وقدرته^(٦٤)، وقيل: يَجْهَلُونَ ((بأن الكل من الله وبقضائه وقدره))^(٦٥).

أما الصيغة الفعلية الثانية (تَجْهَلُونَ) فقد تتبع الباحثان مواضعها، واتضح لهما أنها وردت أربع مرات في القرآن الكريم، ومنها: قوله تعالى: ﴿وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ [هود: ٢٩]، ومعنى الفعل المضارع (تَجْهَلُونَ) في هذه الآية ((أراكم تجهلون أنهم خير منكم لإيمانهم بربهم وكفركم به))^(٦٦)، فضلاً عن ذلك فهذا الجهل ((مقترن بالكبر والغرور، وهو أساس تعاستهم))^(٦٧).

وممن عني بدراسة بتشكلات الفعل المضارع، الباحث ميثاق حسن عبد الواحد تناول الصيغة الفعلية المضارعية لمادة (كره)، إذ انتظمت هذه الصيغة في ستة مواضع قرآنية، وأتسم منهج الباحث في تناوله للفعل المضارع بتقسيم الشواهد القرآنية التي أوردها على وفق تنوع سياقات الخطاب وتوجيه في سياق كل آية، وقد وقف الباحث مستعرضاً ومتأملاً ومحللاً للصيغة الفعلية المضارعية لمادة (كره)، واستجلاء دلالاتها وخصائصها التعبيرية، ولم يكتف الباحث ببيان محل الشاهد، وإنما حاول أن يحلل كل جزئيات السياق^(٦٨).

وبهذا نجد أن منهج الباحث الذي سار عليه لا يختلف عن منهجه في تناول التشكل الماضي للفعل (كره) ومثله في سياقات خطابية متنوعة، فضلاً عن المصادر المعتمدة في إبراز تفتن الخطاب القرآني في إيراد تشكلات الفعل المضارع، وما يتمحور حوله من مضامين دلالية يمكن تلمسها من السياق.

وتشكل الفعل (كره) تشكلاً مضارعياً في صورتين: (يكره أو تكره)، و(يكره أو تكره)، وتتبع الباحث مواضع هذه الصور، فقد تمثلت صورة الفعل (يكره) في موضع قرآني، أما الفعل المضارع (تكره) فقد جاء في موضعين قرآنيين، وتمثل الفعل المضارع (تكره) في موضعين قرآنيين، أما الفعل (يكره) فقد أورد الباحث آية واحدة ورد فيها هذا التشكل، ولم يشر إلى عدد المواضع التي وردت فيها هذه الصورة^(٦٩).

ومما تجدر الإشارة إليه أن الباحث لم يذكر



التشكلات الاستعمالية للأفعال في التركيب...

على جهة المفعولية، متشكلاً مع (أن) المصدرية مصدرًا مؤولاً مرفوعاً بـ (عسى))^(٧٩) الدالة في هذه الآية على معنى الإشفاق في المَكْرُوه^(٨٠)؛ للدلالة على أن كراهية الطبع للشيء لا تنافي التكليف به^(٨١).

أما التعبير القرآني الأخر الذي تناوله الباحث، فهو (أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ)، وذكر الباحث أن هذا الخطاب جاء في سياق قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩]، وهو موجه للنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ورغبته وسعيه الحثيث إلى هداية الضالين من الناس^(٨٢).

والسياق القرآني في الآية المباركة ((ينبئ بتحديد الجهة الفاعلة للهداية والإيمان وقصرها على المشيئة الحكيمة؛ لذلك جيء بـ (لو) الامتناعية للدلالة على عدم تحقق الإيمان في النفوس الضالة لعدم اقتضاء المشيئة))^(٨٣). ولعل في استعمال التعبير القرآني (كُلُّ، وجميع) المؤكدين الدالين على العموم والإحاطة والشمول^(٨٤)، في السياق الدال على الامتناع إشارة إلى رسوخ الإيمان في النفوس التي آمنت رغبة واختياراً^(٨٥).

ولحظ الباحث ((تشكل مادة (كره) فعلاً مضارعياً على بناء (تُفعل)، مسنداً إلى ضمير المخاطب المستتر وجوباً على جهة الفاعلية، ومقيداً بلفظ (الناس) على وجه المفعولية))^(٨٦)؛ للدلالة على ما في نفس النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من ((معاني الرفق واللطف والرحمة، التي تتجسد رغبة ساعية إلى دخول الناس في الإيمان، محبة ومرغبة حتى لكأنها تُكرههم إكراهاً))^(٨٧)، ومضمون الخطاب تسليية النبي والتخفيف عنه، مما يلحقه من الحزن على عدم إيمانهم والضلal الذي هم عليه^(٨٨).

ومما تناوله الباحث التعبير القرآني (وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ... وَمَنْ يَكْرِهِنَّ)، وهذا الخطاب ورد في قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتَعْظَفَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نَكَاحًا حَتَّى يُعْطِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِيَبْتِغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يَكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٣٣]. وتأمل الباحث في هذه الآية المباركة موضعاً أنها ((تناول مفهوم النكاح بوصفه عقيدة دينية مندوحةً إليها، عارضاً لبعض مضامينه بحسب ما يقتضيه السياق))^(٨٩).

وقد وردت مادة (كره) في ثلاثة مواضع

هذه الإحصائية في مقدمة تناوله للتشكل الفعلي للصيغة المضارعية، وما ذكره أن مادة (كره) تمثلت تمثلاً فعلياً مضارعياً في ستة مواضع قرآنية، ولم يفصل في ذكر الصور التي تمثلت فيها هذه المواضع، وإنما جاء ذكره لهذه الصور وعدد مواضعها في نتائج بحثه^(٧٠).

ومن المواضع التي ذكرها الباحث: (وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ)، وذكر أن هذا الموضع قد سبق في قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكُذْبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ﴾ [النحل: ٦٢]، وذكر الباحث أن الخطاب في هذه الآية المباركة هو ((في شأن الذين لا يؤمنون أصحاب المثل السيئ، يتعرض لواحدة من سلوكياتهم المنحرفة))^(٧١)، ولحظ الباحث ((أن مادة (كره) انتظمت فعلاً مضارعياً مسنداً إلى ضمير جماعة المذمومين على جهة الفاعلية، ومقيداً بالضمير المستتر العائد على الموصول على وجه المفعولية؛ للدلالة على ما ترغب عنه أنفسهم مما كانوا يرون فيه عيباً ومنقصة))^(٧٢)، كالبنات من الذرية فكانوا ينسبونها إلى الله تعالى^(٧٣).

ويرى الباحث أن ((في مجيء (ما) الموصولة في محل المقيّد المفعولي لفعل الجعل (يَجْعَلُونَ) دلالة إيحائية، مفادها وصف ذلك الجعل بالهول والشدّة))^(٧٤)، وهذه الدلالة مستفادة من دلالة اسم الموصول على معاني الإطلاق والاتساع، وزيادة على ذلك يرى الباحث أن تقديم شبه الجملة (لله) على متعلقه فعل الكراهة (يَكْرَهُونَ) يوحي بمعان تدل على خطورة ما بلغه أولئك الجاعلون^(٧٥)، ((أي أنه مما لا ينبغي أن يُجعل))^(٧٦).

والتعبير القرآني الثاني الذي تناوله الباحث ((عَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا، وهذا التعبير تمثل في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]، وأوضح الباحث أن الخطاب في هذه الآية ((يتناول فريضة الجهاد، وهو خطاب للمؤمنين غايته تثبيت قلوبهم وحضهم على التسليم لمشيئة الإرادة الحكيمة))^(٧٧)، والجهاد في سبيل الله فرض مفروض مع ما فيه من المشقة والعناء، فهو أمر ثقيل على النفس في طبعها وفطرتها؛ لما فيه من التعرض للأسر والقتل وإتلاف الأموال وإفناء الأبدان^(٧٨).

ولحظ الباحث أن مادة (كره) في هذه الآية قد ((تشكّلت فعلاً مضارعياً مسنداً إلى ضمير جماعة المخاطبين على معنى الفاعلية، مقيداً بلفظة (شيئاً)



تحليله أكثر ما يعتمد على معلوماته وجهده الخاص في البحث والتقصي، وعدم الرجوع إلى المصادر المختصة، التي من شأنها تمتين عرى دراسته.

أما الباحثة سليمة جبار غانم فقد تناولت الفعل المضارع (يجاهد) في آيات الجهاد في القرآن الكريم، ذاكرة مواضعه وهي خمسة مواضع، واتضح لها أن أربعة منها مسبوقة بحرف المضارعة (الياء) الوحدة الصرفية المقيدة التي تدل على الفاعل الغائب^(٩٦)، وفي موضع واحد مسبوقة بالتاء الدالة على الفاعل المخاطب، وفي عدة تراكيب ذكرتها الباحثة، وتمثلت بـ(العطف، جملة فعلية متممة لجواب الشرط، والنصب بـ(أن) المصدرية، وجملة فعلية في محل جر صفة)، وتتبع الباحثة مواضعها التي ورد فيها كل تركيب، ومعززة هذه التراكيب بالشواهد القرآنية، وبيان محل الشاهد، وما يتعلق به من معان نحوية ورد في تركيبها الفعل المضارع، ومن التراكيب التي تشكل ضمنها الفعل المضارع:

أ- النصب بـ(أن) المصدرية، وذلك في موضعين، وأوردت الباحثة ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٨١]. فالفعل المضارع (يُجَاهِدُوا) مسبوق بـ(أن) المصدرية الناصبة، ولذا فهو يقع موقع الاسم مع غيره، والتقدير: الجهاد؛ لأن الفعل المضارع له ثلاثة أحوال: الوقوع موقع الاسم وحده مثل: زيدٌ يقومُ، وهو في موضع قائم، والوقوع موقع الاسم مع غيره، كما في الآية المباركة، والأ يقع موقع الاسم بنفسه، ولا مع غيره وهذا في حالة الشرط^(٩٧).

ب- جملة فعلية في محل جر صفة، وقد تتبعت الباحثة مواضع هذه الجملة واتضح أنها وردت في آية واحدة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤]، وأوضحت الباحثة الفعل المضارع في هذه الآية، إذ ورد جملة فعلية من ((الفعل المضارع وفاعله الضمير المتصل (واو الجماعة) في محل جر صفة لـ(قوم)))^(٩٨). ومما تجدر الإشارة إليه أن الباحثة هنا لم تشر إلى مصدر محدد، فيما ذكرته من إعراب للفعل المضارع في سياق الآية المتقدم ذكرها.

وتجلى ممّا قدّمه الباحثون الملاحظات الآتية:

١- لم يختلف منهج الباحثون في تناولهم للتشكّل

منها، بالصيغة الفعلية مرتين وبالاسميّة مرّة واحدة. ففي قوله تعالى: ((وَلَا تُكْرَهُوا قِتْيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا)) فقد انتظمت فعلاً مضارعياً على زنة (تُفَعِّل) مسنداً إلى ضمير جماعة المخصوصين بفحوى التوجيه على سبيل الفاعلية، ومقيداً بلفظ (فَتَيَاتِكُمْ) على نحو المفعولية، معلّقاً بشبه الجملة (عَلَى الْبِغَاءِ)، مشروطاً بـ (إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا)، معللاً بـ (لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) في موضع النهي بـ(لا الناهية) للدلالة على نهي المالك وزجره عن إرغام المملوك على فعل الفاحشة تحقيقاً لرغبات نفسه الأمانة بالسوء^(٩٩). فهذا الباحث لم يشر إلى مصدر نحوي من شأنه توضيح ما ألمح إليه من الدلالات النحوية لشبه الجملة، و(لا الناهية) وغير ذلك ممّا تقدّم ذكره.

أما في قوله تعالى: ((وَمَنْ يُكْرِهَنَّ))، فقد انتظمت (كْرِه) ((فعلاً مضارعياً على زنة (يُفَعِّل) المزيد المسند إلى الضمير المستتر العائد على الموصول قبله على جهة الفاعلية، مقيداً بضمير جماعة المكروهات (هَنَّ) على وجه المفعولية، واقعاً في محل فعل الشرط المتضمّن في الموصول للدلالة على أن استلاب الإرادة من المملوك حادثة ومستمرّة))^(٩١)، والتعبير ((فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِمْ غَفُورٌ رَحِيمٌ)) إجابة عن الشرط المتقدم، وتضمنت تشكّل (كْرِه) تشكلاً اسمياً مصدرياً، مأخوذاً من فعل الشرط، ومضافاً إلى المفعول به؛ لبيان أن الفعل الإنساني الصادر نتيجة الإكراه والإجبار لا يرتب على صاحبه العقوبة المفروضة عليه إن أتى به مختاراً متمكناً^(٩٢).

وذكر الباحث أن التعبير القرآني ((مَنْ بَعْدَ إِكْرَاهِهِمْ)) قد وقع ((اعتراض بين اسم الحرف التوكيديّ النَّاصِب (لفظ الجلالة) وخبره (غَفُورٌ رَحِيمٌ)، بمعنى اعتراض في جملة جواب الشرط المؤكّد))^(٩٣)، فضلاً عن ذلك فقد التفت الباحث إلى أن تكرار ((مادّة الإكراه بالصيغتين الفعلية المتحركة والاسميّة الثابتة، يخلق جواً موسيقياً مؤثراً و موحياً، ممّا يدل على أنّ معاني المغفرة والرحمة التي دُيِّلت بها الآية المتقدم ذكرها، تشمل الذنب الذي يصدر نتيجة الإكراه والإجبار^(٩٤)، مع ((لحاظ معاني الديمومة والثبات في استقامة الإرادة التمكنية الاختيارية وصلاحها))^(٩٥).

ويُحظ أن الباحث ميثاق حسن بذل جهداً في تأمل السياقات الخطابية المتنوعة التي تشكّل الفعل المضارع بمختلف صورته في سياقها، وتحليل جزئيات السياق، وتضارفاً على إبراز دلالات الفعل المضارع المتشكّل في الخطاب القرآني، وإن كان في



في السِّيَاقِ الْقُرْآنِيِّ، كأدوات النَّفْيِ الَّتِي تَعْمَلُ عَلَى اسْتِحَالَةِ تَحَقُّقِ الْفِعْلِ فِي بَعْضِ السِّيَاقَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ^(١١١).
وَرَصَدَ الْبَاحِثُ صُورَ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ الْقُرْآنِيَّةِ فِي ثَلَاثَةِ مَحَاوِرٍ^(١١٢):

المحور الأول: التَّحَقُّقُ الْمَطَابِقُ لِلْفِعْلِ:

وَذَكَرَ الْبَاحِثُ أَنَّ هَذَا النُّوعَ مِنَ التَّحَقُّقِ ((يُظْهِرُ فِي سِيَاقَاتٍ فِعْلِيَّةٍ مُتَعَدِّدَةٍ تَكْشِفُ الْإِتِّحَادَ بَيْنَ الْفِعْلِ الْمَطْلُوبِ (المشروع) وَيَبَيِّنُ تَحَقُّقَهُ، بِصُورَةٍ طَبَقَ الْأَصْلُ يَتطَابَقُ فِيهَا الْمَحْتَوَى الْفِكْرِي وَالصِّيَاغَةُ اللَّغْوِيَّةُ فِي صُورَةِ التَّحَقُّقِ الْفِعْلِيِّ التَّامِّ))^(١١٣)، وَمِنْ أَمْثَلِهِ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا﴾ [البقرة: ٣٤]، وَأَوْضَحَ الْبَاحِثُ أَنَّ الْفِعْلَ الْوَارِدَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، هُوَ فِعْلُ الْأَمْرِ (اسْجُدُوا) وَيُمَثِّلُ الْمَشْرُوعَ الْقُرْآنِيَّ (السُّجُودَ لِآدَمَ)، وَ(سَجَدُوا) تَمَثَّلُ التَّحَقُّقَ وَالْإِنْجَازَ فِي الْوَاقِعِ، فَضْلاً عَنِ ذَلِكَ يُلْحَظُ سُرْعَةَ التَّحَقُّقِ وَاتِّصَالَهُ بِالْفِعْلِ الْمَطْلُوبِ، وَالتَّطَابُقَ بَيْنَ فِعْلِ الْأَمْرِ (اسْجُدُوا) وَتَحَقُّقِهِ فِي الْمَادَّةِ اللَّغْوِيَّةِ وَالْمُضْمُونِ^(١١٤). وَالمُلاحَظُ هُنَا أَنَّ الْبَاحِثَ لَمْ يَشِرْ إِلَى مَصْدَرٍ مُعَيَّنٍ فِيْمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ، وَهَذَا مَا سَارَ عَلَيْهِ فِي تَنَاوُلِهِ لِهَذِهِ الظَّاهِرَةِ.

وَتَنَاوَلَ الْبَاحِثُ التَّحَقُّقَ لِلْفِعْلِ ((بِصِّيَاغَةٍ لُغْوِيَّةٍ مُخْتَلِفَةٍ عَنِ صِيَاغَةِ الْأَفْعَالِ الْمَطْلُوبَةِ وَلَكِنِهَا تَبْقَى مَحِيطَةً بِالْهَدَفِ وَالْفِكْرَةِ))^(١١٥)، وَتَجَلَّى هَذِهِ الصُّورَةُ اللَّغْوِيَّةُ بِمَا أَوْرَدَهُ الْبَاحِثُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَنْ ذَكَرَ يُرِيكُ إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ﴾ [مريم: ٥٧]، وَ لِحَظِ الْبَاحِثِ ((التَّنَوُّعُ فِي التَّعْبِيرِ، إِذْ إِنْ الدُّعَاءُ فِي الْآيَةِ الْأُولَى كَانَ بِأَسْلُوبِ النَّهْيِ (لَا تَذَرْنِي فَرْدًا)، وَيُمْكِنُ أَنْ يَشْتَقَّ مِنْ مَادَّتِهِ اللَّغْوِيَّةِ تَرْكِيبًا يَحَقِّقُ الدُّعَاءَ، فَيَكُونُ (لَا أَذْرَكَ فَرْدًا) وَلَكِنِ الدُّعَاءُ كَانَ يَسْتَبْطِنُ فِكْرَةَ أُخْرَى وَهِيَ (هَبْ لِي) الْوَارِدَةُ فِي الْآيَةِ الثَّانِيَةِ، وَقَدْ كَشَفَتْ عَنِ الدُّعَاءِ الْمَنْطَوِيِّ فِي ظَاهِرِ النَّصِّ جَمَلَةً (وَهَبْنَا لَهُ) وَهِيَ نَفْسُهَا تَمَثَّلُ التَّحَقُّقَ الْمَطَابِقَ لِلْفِعْلِ الْمَطْلُوبِ))^(١١٦).

وَبِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ الْمُنْهَجِيَّةِ عَالَجَ الْبَاحِثُ الشُّوَاهِدَ الْقُرْآنِيَّةَ الَّتِي أَوْرَدَهَا كَأَمْثَلَةٍ تَطْبِيقِيَّةٍ عَلَى التَّحَقُّقِ الْمَطَابِقِ لِلْفِعْلِ وَالتَّفَتُّ الْبَاحِثِ إِلَى ((جَمَالِيَّاتِ الْقُرْآنِ الْأُسْلُوبِيَّةِ فِي - سِيَاقِ تَحَقُّقَاتِ الْفِعْلِ -، أَنَّهُ تَوْجَدَ حَالَةٌ تَمَثَّلُ فِي الْإِرْتِبَاطِ الْقَوِي بَيْنَ النَّصِّ كَوْنَهُ فِعْلاً كَلَامِيًّا فَنِيًّا وَبَيْنَ الرُّؤْيَةِ الْفِعْلِيَّةِ الَّتِي يَبْأَشِرُ إِجْنَازَهَا فِي جَانِبِي

فِي السِّيَاقِ الْقُرْآنِيِّ.
٣- لَمْ يَسْتَنْدِ الْبَاحِثَانِ عَلَى مَصْدَرٍ مُعَيَّنٍ فِي كُلِّ مَا ذَكَرَاهُ عَنِ فِعْلِ الْأَمْرِ فِي الْآيَاتِ مَحَلِّ الشَّاهِدِ.

رابعاً: تَحَقُّقَاتُ الْفِعْلِ فِي الْاسْتِعْمَالِ الْقُرْآنِيِّ:

انْفَرَدَ الْبَاحِثُ أَحْمَدُ رَسَنَ بَدْرَاةً هَذِهِ الظَّاهِرَةَ وَتَسْلِيْطَ الضَّوْءِ عَلَى الْاسْتِعْمَالِ الْقُرْآنِيِّ لَهَا، وَتَتَبَّعَ أَمْثَلَهَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فِي بَحْثِهِ الْمَوْسُومِ بِ-تَحَقُّقَاتِ الْفِعْلِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ^(١١٧)، وَيُرَى الْبَاحِثَ ((أَنَّ الْمَشْرُوعَ الْأَكْبَرَ لِلنَّصِّ الْقُرْآنِيِّ هُوَ إِجْنَازُ صُورَتِهِ الْكَلِمِيَّةِ وَلَيْسَ الْجَزِيئَاتِ، وَلَعَلَّ (ظَاهِرَةُ تَحَقُّقَاتِ الْفِعْلِ) وَسَيْلَةٌ مَوْسُوعِيَّةٌ وَفَنِيَّةٌ مِنْ وَسَائِلِ تَشْيِيدِ ذَلِكَ الْمَشْرُوعِ))^(١١٨)، وَ لِحَظِ أَنَّ حَالَاتِ تَحَقُّقِ الْفِعْلِ الْمَطْلُوبِ إِجْنَازَهُ يَكُونُ عَلَى ثَلَاثِ حَالَاتٍ، هِيَ: ((التَّحَقُّقُ الْمَطَابِقُ لِلْفِعْلِ الْمَطْلُوبِ إِجْنَازَهُ فِي الْوَاقِعِ الْخَارِجِيِّ، وَالتَّحَقُّقُ الْمَغَايِرُ لِلْفِعْلِ، وَاسْتِحَالَةُ التَّحَقُّقِ))^(١١٩).

وَمِنْهَجِيَّةِ الْبَاحِثِ فِي عَرْضِ حَالَاتِ تَحَقُّقِ الْفِعْلِ وَسِيَاقَاتِهِ الْقُرْآنِيَّةِ، تَمَثَّلُ بِذِكْرِ حَالَةِ التَّحَقُّقِ لِلْفِعْلِ أَوَّلًا، وَالْمَقْصُودُ مِنْ كُلِّ حَالَةٍ، ثُمَّ يَنْتَفِي مِنْ الشُّوَاهِدِ الْقُرْآنِيَّةِ مَا يَنْتَاسِبُ وَحَالَاتِ تَحَقُّقِ الْفِعْلِ، وَاتَّسَمَتْ مَعَالِجَتُهُ لِلشُّوَاهِدِ الْقُرْآنِيَّةِ بِبَيَانِ الْفِعْلِ وَاسْتِخْرَاجِهِ، وَذَكَرَ مَا يَقَابِلُهُ مِنَ التَّحَقُّقِ الْمَطَابِقِ لِلْفِعْلِ أَوْ الْمَغَايِرِ لَهُ أَوْ اسْتِحَالَةِ تَحَقُّقِهِ بِطَرِيقَةٍ وَاضِحَةٍ، فَضْلاً عَنِ تَأَمُّلِ السِّيَاقِ الْقُرْآنِيِّ وَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ مِنْ مَعَانٍ.

وَمِمَّا تَجَدَّرُ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ أَنَّ الْبَاحِثَ لَمْ يَسْتَنْدِ عَلَى مَصَادِرٍ مُخْتَصَّةٍ فِي هَذَا الْمَضْمَارِ، وَأَكْثَرَ مَا اقْتَصَرَتْ مَصَادِرُهُ فِي الْجَانِبِ التَّنْظِيرِيِّ فِي مَقْدَمَةِ بَحْثِهِ، أَمَّا فِي الْجَانِبِ التَّطْبِيقِيِّ فَقَدْ اعْتَمَدَ عَلَى مَجْهُودِهِ الْخَاصِّ وَبَحْثِهِ وَقِرَاءَتِهِ عَنِ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ، وَمَصَادِقِهَا مِنْ التَّطْبِيقَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ الَّتِي حَفَلَ الْبَحْثُ بِهَا، فَضْلاً عَنِ ذَلِكَ لَمْ يَلْتَفِتِ الْبَاحِثُ إِلَى عِلَاقَةِ ظَاهِرَةِ (تَحَقُّقَاتِ الْفِعْلِ) وَأَفْعَالِ الْكَلَامِ، وَيَبْدُو لِي أَنَّهُ كَانَ يَتَطَلَّبُ مِنْهُ الْوُقُوفُ عِنْدَ هَذَا الْأَمْرِ بِالِاسْتِنَادِ عَلَى الْمَصَادِرِ الَّتِي تُعْنَى بِالظُّوَاهِرِ وَالْمُصْطَلِحَاتِ الْأُسْلُوبِيَّةِ وَالتَّدَاوُلِيَّةِ.

وَاحْوَالَ الْبَاحِثِ بَيَانَ دَقَّةِ وَبِرَاعَةِ الْاسْتِعْمَالِ اللَّغْوِيِّ فِي إِبْرَازِ حَالَاتِ تَحَقُّقِ الْفِعْلِ فِي النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ^(١٢٠)، إِذْ ((يَتَجَلَّى الرِّبْطُ الْمَحْكَمُ بَيْنَ الصِّيَاغَةِ اللَّغْوِيَّةِ وَالْمَحْتَوَى الْفِكْرِيِّ فِي صُورِ التَّحَقُّقِ بِاسْتِعْمَالِ الصِّيَاغَةِ نَفْسِهَا))^(١٢١)، وَقَدْ تَعْمَلُ الصِّيَاغَةُ اللَّغْوِيَّةُ الْمُخْتَلِفَةُ وَمَا يَتَضَمَّنُهُ السِّيَاقُ عَلَى إِظْهَارِ صُورَةِ التَّحَقُّقِ الْمَغَايِرِ لِلْفِعْلِ الْمَطْلُوبِ، فَضْلاً عَنِ دَوْرِ الْقِرَائِنِ اللَّغْوِيَّةِ



التشكلات الاستعمالية للأفعال في التركيب...

آباءنا^(١٢٤).

وذكر الباحث أن النص وظف (هذه المغايرة السياقية في تصحيح الصورة المنجزة للفعل المطلوب، فيعري حقيقتها بما يناقضها في الواقع (يَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ... تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ) عن طريق الحجة العقلية في الآية الأولى، ويحذر من النتيجة المترتبة على هذا التحقق المغاير في الآية الثانية))^(١٢٥).

والتفت الباحث إلى أن التحقق المغاير للفعل قد يظهر ((في صياغة لغوية تختلف عن صياغة فعله المطلوب ما يعني أن النص يعبر عن حدوث فعل جديد يختلف كلياً عما أراده النص))^(١٢٦)، ومن الآيات التي أوردها الباحث قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ [النساء: ٦١]، وظهر للباحث أن المغايرة بتحقيق الفعل كانت في الشكل والمضمون، ومن نتيجة هذه المغايرة حصلت حالة التقاطع في:

تَعَالَوْا X يَصُدُونَ^(١٢٧).

المحور الثالث: استحالة التحقق

ذكر الباحث أن ((هذه الظاهرة ترتبط بالبنية الفعلية المتحققة من جهة القدرة التي يتمتع بها النص القرآني في كشف ضعف الإنسان وعجزه عن إيجاد أبنية فكرية تصمد أمام حاجة الإنسان نفسه))^(١٢٨)، وهذه الاستحالة تبرز في الأمثلة القرآنية التي رصدها الباحث، منها^(١٢٩):

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَيَّ عَبْدَنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْتُوا نَارًا﴾ [البقرة: ٢٣-٢٤]، ولحظ الباحث أن التعبير القرآني في هذه الآية وظف الأداة اللغوية (لن) في إثبات امتناع تحقق الفعل^(١٣٠). وهذه من القرائن اللغوية التي أشار الباحث إلى أنها تسهم في استحالة تحقق الفعل في القرآن الكريم.

وفي ضوء ما قدمه الباحث أحمد رسن، فقد

تجلت الملاحظات الآتية:

١- حفل البحث بالتطبيقات القرآنية، التي بين الباحث من خلالها الاستعمال القرآني لظاهرة تحقيقات الأفعال في الآيات القرآنية محل الشاهد.

٢- امتاز الباحث بتناول هذه الظاهرة الأسلوبية في القرآن الكريم، وتقصى مصاديقها في عدة آيات استدلل بها على هذه الظاهرة والاستعمال القرآني لها.

٣- حرص الباحث على بيان الفعل وتحققه، أو

الفن القصصي والواقع الذي يشرع في بيان تفصيلاته، فيكون النص القصصي هو عملية التحقق للفعل المتقدم عليه، فتتشكل الصورة التعبيرية فناً ومرجعاً واقعياً^(١٣١)، وتشكل هذه الصورة على النحو الآتي: الفن = المفتحات + النص القصصي.

بنية التحقق = الفعل المتقدم + التحقق^(١٣٢).

وأوضح الباحث ((هذه اللوحة الإنجازية في بعدها: الفني والواقعي))^(١٣٣) بما أورده من آيات قرآنية، منها^(١٣٤): قوله تعالى: ﴿لَنْ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٣-٤]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِتَابِ إِزْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٤١]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ نُوحٌ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ [يونس: ٧١].

وبيّن الباحث محل الشاهد في هذه الآيات، والتي تمثلت بالأفعال (نقّص، واذكر، وائل)، وهذه الأفعال تؤدي وظيفتين في النص القرآني^(١٣٥):

١- وظيفة فنية وهي التمهيد أو الافتتاح لإيجاد القصص.

٢- وظيفة إبلاغية تمثل هدف النص^(١٣٦).

ويرى الباحث أن هذه ((الظاهرة الأسلوبية المرتبطة ببنية التحقق القصصية تجعل النص المتحقق (القصة) يمثل حالة الاكتمال والتحقق الفعلي لإنتاج النص بعد أن كان فكرة ألمح إليها المبدع في تلك المفتحات (الأفعال))^(١٣٧).

المحور الثاني: التحقق المغاير للفعل:

أوضح الباحث أن هذا النوع من التحقق يكون إنجاز الفعل فيه مختلفاً ومغايراً عما دعا إليه النص، كما في الآيات الآتية: قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩١]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [لقمان: ٢١].

ووجد الباحث في هذه الآيات الحالات الآتية:

١- حالة التّطابق الظاهر: آمَنُوا = نُؤْمِنُ.

اتَّبِعُوا = نَتَّبِعُ.

٢- حالة الاختلاف: بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ≠ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا.

٣- حالة التقاطع: مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ≠ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ



عدّة صور للأفعال في الاستعمال القرآنيّ.

٤- تمخّض عن استقصاء جهود الباحثين تفاوت مناهجهم في دراسة الأفعال وتشكلاتها في التّركيب القرآنيّ، فمن الباحثين من تناول التشكّل الفعلي في سياقات خطابيّة متنوّعة، ومنهم من ركّز على مجيء الأفعال في سياق التّراكيب النّحويّة وتشكّلها في عدّة جُمَل، واختصّ بعضهم بدراسة الدلالة الزمنية للأفعال، ونجد باحثاً آخر امتاز عن غيره من الباحثين بتناول ظاهرة منفردة وصور تشكّلها في القرآن الكريم.

٥- اتّضح تميّز الباحثين في كينيّة تعاملهم مع التطبيقات القرآنيّة تبعاً لأسلوب كلّ باحثٍ، والآليّة المتبعة في المعالجة التحليليّة، فمن الباحثين من اعتمد على الإشارات التفسيريّة مع محاولة توظيف بعض الإشارات اللّغويّة النّحويّة، ومنهم من اقتصر على الرّوى التفسيريّة، وحرص بعضهم الآخر على بيان المعاني النّحويّة للتراكيب التي وردت الأفعال في سياقها، والتوقّف عند هذا الحدّ وعدم التّوسع وتوظيف ما ذكر من المعاني النّحويّة على الآيات القرآنيّة.

٦- انفرد الباحث أحمد رسن بدراسة تحقّقات الفعل في النّصّ القرآنيّ، كظاهرة منفردة في المباحث القرآنيّة، وشكّلت هذه الظاهرة صورة جديدة من صور التشكّل الاستعماليّ للأفعال في التّركيب القرآنيّ، وحفل البحث بالنماذج التطبيقية التي استدلّ بها الباحث على أمّاط تحقّقات الفعل في القرآن الكريم، إلّا أنه لم يتتبّع هذه الظاهرة في مظانّها من الكُتب التي عُيّنت بهذا النوع من الظواهر اللّغويّة.

استحالة تحقّقه في سياقات قرآنيّة متنوّعة، وبأسلوب واضح جليّ، فضلاً عن تأمّل السياق القرآنيّ، وتلمس ما يدلّ عليه من دلالات وأساليب كالّدعاء.

٤- اللافت للنظر أن الباحث لم يستند على مصادر مختصة في موضوعه بحثه، كالمؤلّفات الأسلوبية واللّغوية بشكل عام، ويبدو لي أنّ الموضوع كان يتطلّب منه مراجعة هذه المصادر.

٥- لم يتطرّق الباحث لمصطلح (تحقّقات الفعل)، وأصل هذه الظاهرة في الدراسات اللّغوية، وما إذا كانت مأخوذة من مصطلح (أفعال الكلام)، إذ إن مضمون ظاهرة تحقّقات الفعل يكمن في مدى إنجاز الأفعال في الواقع الخارجي، وهذا ما أشار إليه الباحث في أثناء بحثه.

خُلاصة بأهمّ نتائج البحث:

توصّلت الباحثة إلى النتائج الآتية:

١- لم يتناول الباحثون في مباحثهم القرآنيّة النّحويّة الجملة العربيّة من ناحية تقسيماتها.

٢- جاء تناول الباحثين للأفعال في محورٍ من محاور أبحاثهم، ولم يُفردوا لها بحثاً مستقلاً، ما عدا الباحث أحمد رسن فقد كان بحثه مُخصّصاً لدراسة الأفعال في القرآن الكريم.

٣- تنوّعت التشكّلات الاستعماليّة للأفعال في التّركيب القرآنيّ، منها ما تشكّل بالصورة الفعلية المجردة، مثل: تشكّل الفعل (كره)، ومنها ما تشكّل بصيغة الأفعال الخمسة، مثل: الفعل (جهل)، في حين تشكّلت بعض الأفعال بحسب ورودها في التّراكيب النّحويّة أو سياقها الجملي، فضلاً عن ظاهرة تحقّقات الفعل التي أفرزت



التشكلات الاستعمالية للأفعال في التركيب...

الهوامش:

- ١- ينظر: (كروه) وتشكلات استعمالها في النظم القرآني: م. ميثاق حسن عبد الواحد، جامعة البصرة- كلية التربية للعلوم الإنسانية - قسم اللغة العربية، مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية، مج: ٣٧، ع: ٤، ٢٠١٢م: ٥٨-٦٥.
- ٢- ينظر: المصدر نفسه: ٥٨-٦٤، و٧٣.
- ٣- المصدر نفسه: ٧٣.
- ٤- ينظر: المصدر نفسه: ٥٨-٦٤، و٧٣.
- ٥- ينظر: المصدر نفسه: ٥٨-٦٤، و٧٣.
- ٦- ينظر: المصدر نفسه: ٥٩.
- ٧- (كروه) وتشكلات استعمالها في النظم القرآني: ٥٩.
- ٨- ينظر: الثباني في تفسير القرآن: لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ٨٠/٥-٨٢، و(كروه) وتشكلات استعمالها في النظم القرآني: ٥٨-٥٩.
- ٩- (كروه) وتشكلات استعمالها في النظم القرآني: ٥٩.
- ١٠- ينظر: المصدر نفسه: ٥٩.
- ١١- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: لأبي القاسم الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، ط ١، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م: ٣/١٦٥، وينظر: (كروه) وتشكلات استعمالها في النظم القرآني: ٥٩.
- ١٢- (كروه) وتشكلات استعمالها في النظم القرآني: ٥٩.
- ١٣- ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي (١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ: ٦/١٥٧، و(كروه) وتشكلات استعمالها في النظم القرآني: ٥٩.
- ١٤- ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني (ت ٤٢٥هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط ٤، دار القلم، دمشق، الدر الشامية، بيروت ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م: ١٩٢ (جرم)، و(كروه) وتشكلات استعمالها في النظم القرآني: ٥٩.
- ١٥- (كروه) وتشكلات استعمالها في النظم القرآني: ٥٩.
- ١٦- ينظر: تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم): لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١٧٠/٤، و(كروه) وتشكلات استعمالها في النظم القرآني: ٥٩.
- ١٧- (كروه) وتشكلات استعمالها في النظم القرآني: ٦٣.
- ١٨- المصدر نفسه: ٦٣.
- ١٩- ينظر: الكشاف: ٥٨٤/٥، و (كروه) وتشكلات استعمالها في النظم القرآني: ٦٣.
- ٢٠- ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: لأبي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، ط ١، دار العلوم للتحقيق والنشر، بيروت- لبنان، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م: ٩/١٧٥، و صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني، ط ١، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧: ٣/٢١٨، و (كروه) وتشكلات استعمالها في النظم القرآني: ٦٣.
- ٢١- ينظر: (كروه) وتشكلات استعمالها في النظم القرآني: ٦٤.
- ٢٢- المصدر نفسه: ٦٤.
- ٢٣- ينظر: تفسير البحر المحيط: محمد بن يوسف المعروف بأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م: ٥/٥٢١، و (كروه) وتشكلات استعمالها في النظم القرآني: ٦٤.
- ٢٤- (كروه) وتشكلات استعمالها في النظم القرآني: ٦٤.
- ٢٥- ينظر: البناء اللغوي لآيات الجهاد في القرآن الكريم: د. سليمة جبار غانم، جامعة البصرة - كلية التربية للعلوم الإنسانية، مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية، مج: ٣٩، ع: ٤، ٢٠١٤م: ١٨-٢٠.
- ٢٦- العلل في النحو: لأبي الحسن الوراق (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: مها مازن المبارك، ط ١، دار الفكر، دمشق، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م: ٢٨١، و ينظر: البناء اللغوي لآيات الجهاد في القرآن الكريم: ١٨.
- ٢٧- ينظر: البناء اللغوي لآيات الجهاد في القرآن الكريم: ١٨، ٢٤، ١٨، هامش رقم ٣٠.
- ٢٨- ينظر: المصدر نفسه: ١٨-١٩.
- ٢٩- العلل في النحو: ٢٨١-٢٨٢، و ينظر: البناء اللغوي لآيات الجهاد في القرآن الكريم: ١٩.
- ٣٠- ينظر: البناء اللغوي لآيات الجهاد في القرآن الكريم: ١٩.
- ٣١- شرح المفصل للزمخشري: موفق الدين أبي البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصللي، المعروف ب(ابن يعيش) (ت ٦٤٣هـ)، قدم له: د. أميل بديع يعقوب، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م: ٢/٣٨٨، البناء اللغوي لآيات الجهاد في القرآن الكريم: ١٩.



البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلية، المعروف
(ابن يعيش) (ت ٦٤٣هـ)، قدّم له: د. إميل بديع
يعقوب، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان،
١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م: ٢٠٧/٤.

٥٤- ينظر: شرح جُمَل الزجاجة: لأبي الحسن علي بن
مؤمن بن محمد بن علي ابن عصفور الإشبيلي (ت
٦٦٩هـ)، قدّم له: فواز الشعار، إشراف: د. إميل بديع
يعقوب، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان،
١٤١٩هـ - ١٩٩٨م: ٥٨/١.

٥٥- ينظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع:
عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت
٩١١هـ)، تحقيق: أحمد شمس الدين، ط ١، دار الكتب
العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م: ٣٠/١.

٥٦- ينظر: مناهج البحث في اللّغة: د. تمام حسان،
مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٠م: ٢١.

٥٧- ينظر: سورة الكوثر دراسة تحليلية: م. حيدر عبد
العالى جاسم، مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية،
المجلد: ٤١، العدد: ٣، ٢٠١٦-٢٠١٧: ٥٠.

٥٨- ينظر: المصدر نفسه: ٥٠.

٥٩- خطرات في اللّغة القرآنية: د. فاخر الياسري، دار
الشؤون الثقافية العامة، بغداد: ٢٠٢.

٦٠- مادّة (جَهَل) في القرآن الكريم دراسة لغوية:
أحمد عبد الله نوح و سعيد إبراهيم صيهود، جامعة
البصرة - كلية التربية - قسم اللغة العربية، مجلة
أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية، المجلد: ٣٦، العدد: ٣،
٢٠١١م: ٧-٨.

٦١- المصدر نفسه: ٧-٨.

٦٢- ينظر: المصدر نفسه: ٧-٨.

٦٣- ينظر: المصدر نفسه: ٧.

٦٤- ينظر: الميزان في تفسير القرآن: السيد محمد
حسين الطباطبائي، صححه الشيخ حسين الأعلمي،
ط ١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان،
١٤١٧هـ - ١٩٩٧م: ١٠/١٩٩، و مادّة (جَهَل) في القرآن
الكريم دراسة لغوية: ٧-٨.

٦٥- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): لأبي عبد الله
محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي
الملقب بفخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ)، ط ٣، دار
إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ: ١١٩/١٣، وينظر:
مادّة (جَهَل) في القرآن الكريم دراسة لغوية: ٧-٨.

٦٦- التبيان في تفسير القرآن: ٥٧٥/٥، و ينظر: مادّة
(جَهَل) في القرآن الكريم دراسة لغوية: ٨.

٦٧- مادّة (جَهَل) في القرآن الكريم دراسة لغوية: ٨.

٣٢- ينظر: البناء اللغوي لآيات الجهاد في القرآن
الكريم: ١٩، ٢٤ هامش رقم ٣٧.

٣٣- ينظر: المصدر نفسه: ١٩.

٣٤- ينظر: المصدر نفسه: ١٩، ٢٤ هامش رقم ٤١.

٣٥- ينظر: المصدر نفسه: ١٩، ٢٤ هامش رقم ٤٢.

٣٦- المصدر نفسه: ١٩.

٣٧- ينظر: المصدر نفسه: ١٩.

٣٨- المصدر نفسه: ١٩.

٣٩- ينظر: المصدر نفسه: ١٩، وينظر: هامش رقم ٤٣.

٤٠- البناء اللغوي لآيات الجهاد في القرآن الكريم: ٢٠.

٤١- ينظر: العلل في النحو: ٢٣١، و البناء اللغوي لآيات
الجهاد في القرآن الكريم: ٢٠.

٤٢- ينظر: البناء اللغوي لآيات الجهاد في القرآن
الكريم: ٢٠، وينظر: هامش رقم ٤٦.

٤٣- ينظر: مُغني اللبيب عن كتب الأعراب: ابن
هشام الانصاري (ت ٧٦١هـ)، تحقيق: محمد مُحي
الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت،
١٤١١هـ - ١٩٩١م: ١٣٥/١، و البناء اللغوي لآيات
الجهاد في القرآن الكريم: ٢٠.

٤٤- ينظر: البناء اللغوي لآيات الجهاد في القرآن
الكريم: ٢٠.

٤٥- ينظر: المصدر نفسه: ٢٠.

٤٦- ينظر: تفسير القرآن العظيم: لأبي الفداء إسماعيل
بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن
محمد سلامة، ط ٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، مصر،
١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م: ٦٠٧/٤، و البناء اللغوي لآيات الجهاد
في القرآن الكريم: ٢٠.

٤٧- البناء اللغوي لآيات الجهاد في القرآن الكريم: ٢٠.

٤٨- ينظر: شرح قطر الندى وبل الصدى: ابن هشام
الأنصاري، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد،
ط ١١، القاهرة، ١٣٨٣هـ: ١٥٣، و البناء اللغوي لآيات
الجهاد في القرآن الكريم: ٢٠.

٤٩- البناء اللغوي لآيات الجهاد في القرآن الكريم: ٢٠.

٥٠- سورة الكوثر دراسة تحليلية: حيدر عبد العال
جاسم، مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية، المجلد:
٤١، العدد: ٣، ٢٠١٦م: ٤٩-٥٠.

٥١- المصدر نفسه: ٤٩.

٥٢- ينظر: الكتاب: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي
بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (ت: ١٨٠هـ)، تحقيق:
عبد السلام محمد هارون، ط ٣، مكتبة الخانجي،
القاهرة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م: ١٢/١.

٥٣- ينظر: شرح المفصل للزمخشري: موفق الدين أبي



التشكلات الاستعمالية للأفعال في التركيب...

- ٦٧- (كِرِه) وتشكلات استعمالها في النظم القرآني: ٦٧.
 ٩٢- يُنظر: التفسير الكاشف: ٤١٨/٥-٤٢٢، و (كِرِه) وتشكلات استعمالها في النظم القرآني: ٦٧.
 ٩٣- (كِرِه) وتشكلات استعمالها في النظم القرآني: ٦٧.
 ٩٤- ينظر: المصدر نفسه: ٦٧.
 ٩٥- المصدر نفسه: ٦٧.
 ٩٦- يُنظر: الخصائص: لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد النجار، دار الكتب المصرية، المكتبة العلمية، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م: ٢٢٦/١، و البناء اللغوي لآيات الجهاد في القرآن الكريم: ٢٢٦/٢٠١.
 ٩٧- ينظر: العلل في النحو: ٦٩-٧٠، و البناء اللغوي لآيات الجهاد في القرآن الكريم: ٢١.
 ٩٨- البناء اللغوي لآيات الجهاد في القرآن الكريم: ٢١.
 ٩٩- يُنظر: المصدر نفسه: ٢١، وينظر: هامش رقم ٦٠.
 ١٠٠- ينظر: البناء اللغوي لآيات الجهاد في القرآن الكريم: ٢١.
 ١٠١- ينظر: المصدر نفسه: ٢١، وينظر: هامش رقم: ٦٣.
 ١٠٢- ينظر: المصدر نفسه: ٢١، وينظر: هامش رقم: ٦٤.
 ١٠٣- ينظر: المصدر نفسه: ٢١.
 ١٠٤- سورة الكوثر دراسة تحليلية: ٥٠.
 ١٠٥- ينظر: تفسير سورة الكوثر: السيد جعفر مرتضى العاملي، ط ١، المركز الاسلامي للدراسات، بيروت - لبنان، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م: ٤١-٤٢، ومقاصد التعبير القرآني دراسة في بعض قصار السور القرآنية: د. فاخر هاشم الياسري، ط ١، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان - الاردن، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م: ٧٤.
 ١٠٦- ينظر: تحقيقات الفعل في القرآن الكريم: د. أحمد رسن، جامعة البصرة - كلية الآداب - قسم اللغة العربية، مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية: المجلد: ٣٣، العدد: ١، الجزء: أ، ٢٠٠٨م: ٧٨-٩٢.
 ١٠٧- المصدر نفسه: ٧٩.
 ١٠٨- المصدر نفسه: ٧٨.
 ١٠٩- ينظر: المصدر نفسه: ٧٨-٨٨.
 ١١٠- المصدر نفسه: ٧٨-٨٢.
 ١١١- ينظر: المصدر نفسه: ٧٨-٨٨.
 ١١٢- ينظر: تحقيقات الفعل في القرآن الكريم: ٧٨.
 ١١٣- المصدر نفسه: ٧٩.
 ١١٤- ينظر: المصدر نفسه: ٧٩.
 ١١٥- المصدر نفسه: ٧٩.
 ١١٦- تحقيقات الفعل في القرآن الكريم: ٧٩-٨٠.
 ١١٧- المصدر نفسه: ٨١.

- ٦٨- ينظر: (كِرِه) وتشكلات استعمالها في النظم القرآني: ٦٥.
 ٦٩- ينظر: المصدر نفسه: ٧٣.
 ٧٠- ينظر: المصدر نفسه: ٦٥، و٧٣.
 ٧١- المصدر نفسه: ٦٥.
 ٧٢- المصدر نفسه: ٦٥.
 ٧٣- يُنظر: الكشاف: ٤٤٥/٣، و تفسير البحر المحيط: ٤٩٠/٥، و(كِرِه) وتشكلات استعمالها في النظم القرآني: ٦٥.
 ٧٤- (كِرِه) وتشكلات استعمالها في النظم القرآني: ٦٥.
 ٧٥- يُنظر: المصدر نفسه: ٦٥.
 ٧٦- المصدر نفسه: ٦٥.
 ٧٧- المصدر نفسه: ٦٥.
 ٧٨- ينظر: المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته: د. أحمد مختار عمر، ط ١، سطور المعرفة، الرياض، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م: ١٣٠، و (كِرِه) وتشكلات استعمالها في النظم القرآني: ٦٥.
 ٧٩- (كِرِه) وتشكلات استعمالها في النظم القرآني: ٦٥.
 ٨٠- ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعراب: ٢٠١، و (كِرِه) وتشكلات استعمالها في النظم القرآني: ٦٥.
 ٨١- يُنظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: ٥٩/٢-٦٠، و (كِرِه) وتشكلات استعمالها في النظم القرآني: ٦٥.
 ٨٢- يُنظر: (كِرِه) وتشكلات استعمالها في النظم القرآني: ٦٦.
 ٨٣- المصدر نفسه: ٦٦.
 ٨٤- يُنظر: معاني النحو: د. فاضل صالح السامرائي، ط ١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م: ١٣٨-١٣٤/٤، و (كِرِه) وتشكلات استعمالها في النظم القرآني: ٦٦.
 ٨٥- ينظر: الكشاف: ١٧٦/٣، و تفسير البحر المحيط: ١٩٣/٥، و (كِرِه) وتشكلات استعمالها في النظم القرآني: ٦٦.
 ٨٦- (كِرِه) وتشكلات استعمالها في النظم القرآني: ٦٦.
 ٨٧- المصدر نفسه: ٦٦.
 ٨٨- يُنظر: التبيان في تفسير القرآن: ٤٣٥/٥، و التفسير الكاشف: محمد جواد مغنية، ط ٤، دار الكتاب الاسلامي، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م: ١٩٥-١٩٢/٤، و(كِرِه) وتشكلات استعمالها في النظم القرآني: ٦٦.
 ٨٩- (كِرِه) وتشكلات استعمالها في النظم القرآني: ٦٧.
 ٩٠- ينظر: تفسير البحر المحيط: ٤١٦/٦، و(كِرِه) وتشكلات استعمالها في النظم القرآني: ٦٦-٦٧.



- ١١٨- ينظر: تحقيقات الفعل في القرآن الكريم: ٨١.
١١٩- المصدر نفسه: ٨١.
١٢٠- ينظر: المصدر نفسه: ٨١.
١٢١- ينظر: المصدر نفسه: ٨٢.
١٢٢- ينظر: تحقيقات الفعل في القرآن الكريم: ٨٢.
١٢٣- المصدر نفسه: ٨٢.
١٢٤- تحقيقات الفعل في القرآن الكريم: ٨٢.
١٢٥- المصدر نفسه: ٨٣.
١٢٦- المصدر نفسه: ٨٣.
١٢٧- ينظر: المصدر نفسه: ٨٤.
١٢٨- تحقيقات الفعل في القرآن الكريم: ٨٤.
١٢٩- ينظر: المصدر نفسه: ٨٤-٨٥.
١٣٠- ينظر: المصدر نفسه: ٨٥.



التشكلات الاستعمالية للأفعال في التركيب...

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

- ١- البناء اللغوي لآيات الجهاد في القرآن الكريم: د. سليمة جبار غانم، جامعة البصرة-كلية التربية للعلوم الإنسانية، مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية، المجلد: ٣٩، العدد: ٤، ٢٠١٤م.
- ٢- التبيان في تفسير القرآن: لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ط.)، (د. ت.).
- ٣- تحقيقات الفعل في القرآن الكريم: د. أحمد رسن، جامعة البصرة-كلية الآداب- قسم اللغة العربية، مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية: المجلد: ٣٣، العدد: ١، الجزء: أ، ٢٠٠٨م.
- ٤- تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم): لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت (د. ت.)، و(د. ط.).
- ٥- تفسير البحر المحيط: محمد بن يوسف المعروف بأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- ٦- تفسير القرآن العظيم: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط ٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، مصر، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- ٧- التفسير الكاشف: محمد جواد مغنية، ط ٤، دار الكتاب الاسلامي، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- ٨- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ)، ط ٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ.
- ٩- تفسير سورة الكوثر: السيد جعفر مرتضى العاملي، ط ١، المركز الاسلامي للدراسات، بيروت - لبنان، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- ١٠- الخصائص: لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد النجار، دار الكتب المصرية، المكتبة العلمية، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م، (ط. د.).
- ١١- خطرات في اللغة القرآنية: د. فاخر الياسري، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، (د. ت.)، (د. ط.).
- ١٢- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي (١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية،
- ١- دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٥هـ.
- ١٣- سورة الكوثر دراسة تحليلية: حيدر عبد العالي جاسم، المديرية العامة لتربية محافظة البصرة، مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية، المجلد: ٤١، العدد: ٣، ٢٠١٦م.
- ١٤- شرح جمل الزجاجي: لأبي الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي ابن عصفور الإشبيلي (ت ٦٦٩هـ)، قدم له: فواز الشعار، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- ١٥- شرح قطر الندى وبل الصدى: ابن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط ١١، القاهرة، ١٣٨٣هـ.
- ١٦- شرح المفصل للزمخشري: موفق الدين أبي البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصللي، المعروف ب(ابن يعيش) (ت ٦٤٣هـ)، قدم له: د. إميل بديع يعقوب، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- ١٧- العلل في النحو: لأبي الحسن الوراق (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: مها مازن المبارك، ط ١، دار الفكر، دمشق، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- ١٨- الكتاب: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي، أبو بشر، الملقب سيبويه (ت: ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط ٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ١٩- (كره) وتشكلات استعملها في النظم القرآني: م. ميثاق حسن عبد الواحد، جامعة البصرة- كلية التربية للعلوم الإنسانية - قسم اللغة العربية، مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية، مج: ٣٧، ع: ٤، ٢٠١٢م.
- ٢٠- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: لأبي القاسم الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، ط ١، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- ٢١- مادة (جَهَل) في القرآن الكريم دراسة لغوية: أحمد عبد الله نوح و سعيد إبراهيم صيهدو، جامعة البصرة - كلية التربية - قسم اللغة العربية، مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية، المجلد: ٣٦، العدد: ٣، ٢٠١١م.
- ٢٢- مجمع البيان في تفسير القرآن: لابي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، ط ١، دار العلوم للتحقيق والنشر، بيروت-لبنان، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- ٢٣- معاني النحو: د. فاضل صالح السامرائي، ط ١، دار



٢٧- مقاصد التعبير القرآنيّ دراسة في بعض قصار السّور القرآنيّة: د. فاخر هاشم الياسري، ط١، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان - الاردن، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م.

٢٨- الميزان في تفسير القرآن: السيد محمد حسين الطباطبائي، صححه الشيخ حسين الأعلمي، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٢٩- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: أحمد شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٢٤- المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته: د. أحمد مختار عمر، ط١، سطور المعرفة، الرياض، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٢٥- مُغني اللبيب عن كتب الأعراب: ابن هشام الانصاري (ت ٧٦١هـ)، تحقيق: محمد مُحي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩١م (د.ط).

٢٦- مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني (ت ٤٢٥هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط٤، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.



المهملُ من البحورِ الشعرية في الدوائر العروضية

أ.م.د. عبد الجبار عدنان حسن
الجامعة المستنصرية - كلية التربية

Idler of poetic seas in traverse circles

D. Abdul-Jabbar Adnan Hassan
AL-Mustansiriya University - College of Education



الملخص

الحمدُ لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد. تعدُّ الدوائر العروضية من المميّزات التي تدلُّ على عبقرية الخليل بن احمد الفراهيدي (ت175هـ) وعقليته الرياضية بربط البحور الشعرية مع بعضها في مجموعات خمس هي الدوائر العروضية، وما تحويه هذه الدوائر من بحور شعرية بين مستعملة ومهملة. أما البحور المستعملة فهي معروفة البحور الستة عشر المستعملة والتي نظم عليها الشعراء قديما وحديثا، أما المهملة فهي التي توجد تفعيلاتها في دوائر الخليل ولكن لم ينظم عليها الشعراء الشعر ولذلك سميت بالمهملة. تطرّق البحث إلى العلاقة التي تربط الدوائر العروضية بالبحور الشعرية المهملة وذكر آراء النقاد القدامى والمحدثين في هذه القضية مع ربطها بالمهمل من الألفاظ في المعجمات اللغوية.

Summary

Praise be to God, and prayers and peace be upon the Messenger of God, his family and companions, and those who are loyal to him, and beyond.

The accidental circles are among the features that indicate the genius of Al-Khalil bin Ahmed Al-Farahidi (d. 175 AH) and his mathematical mentality by linking the poetic seas with each other in five groups, which are the accidental circles, and what these circles contain of poetic injustices between used and neglected.

As for the used seas, they are known as the sixteen used seas, on which poets, ancient and modern, organized them.

The research touched on the relationship that connects the accidental circles with the neglected poetic seas and mentioned the opinions of the ancient and modern critics in this issue with linking them to the neglected words in the linguistic lexicons.



العروض الثمانية^(٧)، وعلى هذا قاسوا الأوزان، وقد أدّى به تقليب الأجناس على أسبابها وأوتادها إلى هذه البحور المهملة يقول القزويني "إن الدوائر بنظامها وطريقة فكّها اضطرت الخليل أن يفترض لبعض البحور أصولاً وهمية غير مستعملة فقد وجد المديد وهو من ستة اجزاء لا يتسنّى فكّه في دائرته حتى يكون ثمانيّ الاجزاء"^(٨)

فالخليل عندما جعل أصل دائرة المختلف ثمانيّ الأجزاء وهو الطويل:

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن
فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن

كان كلّ ما استخرجه في هذه الدوائر ثمانيّ الأجزاء، وهي الطويل والبسيط والمديد والبحرين المهملين، فقد اضطره نظام الدائرة أن يجعله ثمانيّ الأجزاء ومن ثم يمكن أن يردّه إلى أصله بأن يذكر بأنه لم يستعمل إلا مجزوءاً، ويقول القزويني أيضاً "إن بعض الدوائر تضمّنت بحوراً مهملة غير مألوفة ولا معروفة لم تنظم فيها القدامى قبل الخليل وأما فرضها نظام الدائرة فرضاً لأن في طبيعة الدوائر العروضية أن يفكّ عند كلّ وتد أو سبب فيها بحر من بحورها وهو الذي أفضى إلى استخراج تلك البحور المهملة في دائرة المختلف والمشتبه والمؤتلف"^(٩) فكان تناول الخليل للأسباب والأوتاد هو الذي أفضى إلى تلك البحور المهملة وكان يمكن للخليل أن يتجنّب هذه البحور المهملة إذا تناول سببين معاً فأخرهما أو تناول فاصلة فأخرها كما في دائرة المؤتلف فبحر الوافر وزنه:

مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن

مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن
مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن

مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن
مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن

مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن
مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن

مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن
مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن

مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن
مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن

مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن
مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن

مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن
مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن

مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن
مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن

من الجزء (مفاعيلن) بتقليبه على وجوهه، والعلّة في تحريك الأسباب والأوتاد عنده هو أنه أراد أن يحصل على أقوال موزونة الأسباب، والأوتاد تنتهي بالسكن فيؤدّي هذا إلى القول الموزون، وبهذا قال أبو نصر الفارابي في كتاب الموسيقى الكبير "والأقاويل إنما تصير موزونة إذا كانت لها فواصل، والفاصل إنما تحصل بوقفات تامّة وذلك إنما يمكن أن يكون بحروف ساكنة، فذلك يلزم أن تكون متحركات معدودة وأن تنتهي أبداً إلى ساكن"^(١٠)، لذا حرص الخليل على نقل الأسباب والأوتاد دون الحروف. ولعلّ ممّا يقوّي هذا القول أن أبا حماد الجوهري قد خالف الخليل في مذهبه في اللغة وأسقط المهملات في الألفاظ ولم يثبت إلا المستعمل وخالفه أيضاً على هذا النحو في العروض، فلم يقلّب الأسباب والأوتاد، واكتفى بإثبات المستعمل من الأوزان، وأسقط المهملات ثم تناول مهملات الأوزان وقاسها على مهملات الألفاظ فكما أدّى تقليب الألفاظ على وجوهها إلى مهملات الألفاظ أدّى تقليب التفاعيل إلى مهملات الأوزان.

كان لابد للخليل ممّا أراد حصر الألفاظ العربية أن يقع على مهملات الألفاظ، فعنده أن كلّ لفظة يمكن أن تقع في كلام العرب لا تخرج من أنها تتكوّن من حروف العربية الثمانية والعشرين. وعلى هذا تقاس مهملات البحور. فكل قول موزون يقع في كلام العرب لا يتعدّى أن يكون مكوناً من مجموعة الأسباب والأوتاد التي أثبتتها الخليل، فنظام الدائرة عند الخليل هو الذي أدّى به إلى أن يفترض أن لبعض البحور أصولاً مهملة. فقد وجد المديد مثلاً وهو من ستة أجزاء ولا يتسنّى فكّه من الدائرة كي يكون ثمانيّ الأجزاء. فهذه البحور لم تقع في أشعار العرب وإنما فرضها نظام الدائرة.

أما عن مذهب الخليل في مهملات الألفاظ فيفسّره قول الأزهري: "وقد أشكل معنى هذا الكلام على كثير من الناس حتى توهم بعض المتحدلقين أن الخليل لم يفِ بما شرط لأنه أهمل في كلام العرب ما وجد في لغاتهم مستعملاً وإنما أراد الخليل رحمه الله أن حروف أب ت ث عليها مدار كلام جميع العرب، وأنه لا يخرج شيء منها عنه وأراد ممّا ألف منها معرفة جميع ما يتفرّع منها إلى آخره وإنما أسس ورسم بهذه الحروف بصرف به ما هو في ألفاظهم إذا تتبع"^(١١)، فعند الخليل أنّ كل لفظة من الألفاظ العربية لا تخرج عن كونها تتكوّن من حروف العربية الثمانية والعشرين وعلى هذا قاسوا الأوزان، وكل بحر من البحور العربية لا يخرج عن كونه مكوناً من أجناس



من بعض ومثال ذلك إذا عمدت إلى الوافر فزحلت وتده الواقع في صدر البيت إلى عجزه فقلت: علتن مفا- علتن مفا- علتن مفا
وجدت الكامل قد انفك عن الوافر وكذلك لو زحلت الفاصلة الأولى من الكامل إلى العجز فقلت:

علن متفا- علقن متفا- علقن متفا

وجدت الوافر منفكاً عن الكامل^(١٠) ولم يتعرّض الزمخشري إلى المهمل الذي تضمّنته هذه الدوائر، وقد تخلص منه بتناول الفاصلة في كاملها، ولم يهل إلى تفريق السببين اللذين يكونان الفاصلة، ولو تناول الحروف لزداد عدد المهملات كما فعل ابن القطاع فذكر في هذه الدوائر نفسها ثلاثة مهملات قال: وقد أهملت العرب من الدائرة الثانية ثلاثة أبنية أولها على:

مفتعلاتٌ مفتعلاتٌ مفتعلاتٌ

مفتعلاتٌ مفتعلاتٌ مفتعلاتٌ

وثانيها بناء على:

فاعلاتك فاعلاتك فاعلاتك

فاعلاتك فاعلاتك فاعلاتك

وهي عين الدائرة التي تخلص فيها الزمخشري من البحر المهمل لتناول الفاصلة كلها دون السبب الثقيل.

وممن أنكر على الخليل البحور المهمة إسماعيل بن حماد الجوهري في كتابه (عروض الوردية) الذي ذهب فيه إلى ابتداء نظام في الدائرة تخلص فيه من البحور المهمة.

وذهب ابن القطّاع مذهبا مختلفا فاستخرج سبعة وعشرين بحرا مهملا يقول ابن القطاع: "وقد أهملت العرب من الدوائر الخمس سبعة وعشرين بناء، أهملت من الدائرة الأولى خمسة أبنية.

١- بناء على مفاعيلن فعولن ثماني مرات شاهده:

لقد أبدتُ سليمي غداةَ الجزع وجهاً

كبدرِ التّمّ حسنا وضوءُ الشمسِ نورا

٢- وبناء على مفعولات مفعولن ثمانية أجزاء شاهده:

ما بالدارِ من حاجزٍ لما نزلنا ب

ها كالمها ترتعي بين الخرد العين

٣- وبناء على مفعول مفعولن ثمانية أجزاء وشاهده:

إنّ الغزالَ الأغيّدَ الجيّدَ أضنى مُهَج

تي باهت ا زز القد كالغصنِ ممّا مال

٤- وبناء على فاعلن فاعلاتن:

قد رمتني سليمي بسهام الجفون

ثم قالت دعوه فالسما كان دوني

٥- وأهملت مجزوء الطويل:

لعمرى لقد نادى سويّد أخاه فلم يسمع نداءه

نكتفي بهذا القدر من مهملات ابن القطاع

التي وصفها بقوله: "وهذه البحور التي ذكرتها لم ينظم عليها أحد من المتقدمين ولا المتأخرين وفعلت في استخراجها فعل الخليل وليس له غير السبق"^(١١)

وقد أدخل ابن القطّاع في مهملات البحور

التي لم تستعمل إلا مجزوءة كالتّم من المديد والهزج والسريع والمضارع والمقتضب والمجتث، فأدرج أصولها في المهملات، ثم نظر إلى البحور التي لم تستعمل مجزوءة كالطويل، فأدرج مجزوءاتها في المهملات، ثم كان مساسه بالأسباب والأوتاد السبب في زيادة عدد المهملات، وهذا ما تجنّبه الخليل فلم يحرك إلا سببا أو وتدا، وكان هذا أيضاً سببا في انتهاء بعض المهملات بالمتحرّك وهذا لم يقع إلا نادرا في بحور الخليل.

مهملات أبي البقاء الرندي:

خالف أبو البقاء الرندي مذهب الخليل في

استخراج المهملات فقد اطّرح بعض مهملات الخليل وخرج عن الدائرة في استخراج بعض المهملات. استخراج أبو البقاء عشرة أبحر سمّاها الأوزان المهمة^(١٢) وهي عنده: الوسيط والوسيم والمعتمد والمتمد والمنسرد والمطرّد و الخبب والفريد والعميد والوجيز، نذكر منها:

١- المستطيل: ويقال له الوسيط وهو مقلوب الطويل، وأجزاؤه (مفاعيلن فعولن) مرتين في كل شطر وهو الذي ذكره ابن القطاع في مهملاته إلا أنه ساق مثالا آخر هو:

لقد هاج اشتياقي غريّر الطرف أحور

أدير الصدغ منه على مسك وعنبر

وهو قد وافق الخليل في إدراجه في المهملات إلا أنه خالفه في الطريقة التي استخرجه بها من الدائرة، فقد فكّ الخليل هذا البحر من المديد في دائرة المختلف

وصورته:

فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلن

فأخّر الخليل السبب الخفيف "فا" من "فاعلاتن"

فيصير:

عِلَاتُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلَاتُنْ فَاعِلُنْ فَا

عِلَاتُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلَاتُنْ فَاعِلُنْ فَا

وصورته:

مَفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ

مَفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ

وهو ساقط في الاستعمال، لذلك سمّاها

الخليل "مهملا"، أمّا الرندي فأخرجه من بحر الطويل



غريبة في شعره ثم أخذ ذلك عنه ونحا نحوه وزين العروض فأتى منه بدائع جمّة وجعل أكثر شعره من هذا الجنس ولم يصلنا من شعره سوى قصيدة واحدة احتفظ بها ياقوت في معجمه أولها:

قربوا جمالهم للرحيل غدوة أحببتك الا قربوك
خلفوك ثم مضوا مدلجين مفردا بهمك وما ودعوك
... وإذا أمعنا النظر في هذه القصيدة وجدنا أنها تجري على وزن من أوزان الخليل المهمة على أنه ينبغي أن تعرف أن هذه الأوزان المهمة لم تشع على ألسنة العباسيين وكأنهم أحسوا نقص أنعامها وإيقاعها بالقياس إلى الأوزان المستعملة^(١٧)

ويقول الدماميني: "وبعض الناس أنكر الدوائر أصلاً وقال إنهما سمعناهم نطقوا بالمديد مسدسا وبالبيسط (فعلن) للعروض وبالوافر (فعولن) في العروض والضرب وبالهجز والمقتضب والمجتث مربعات فمن أين لنا أن ندرك أن أصل عروض الطويل كان (مفاعيلن) بالياء وأن المديد كان ثمانية أجزاء وأن (فعلن) في البسيط كان أصله (فعلن)"^(١٨) وقد كانت هذه البحور المهمة سببا للثورة على نظام الدائرة كما كانت الألفاظ المهمة سببا لثورة الجوهري على منهج الخليل في اللغة.

وأورد الدماميني هذه البحور المهمة وحاول أن يذكّر تعليلاً لإهمال كل بحر من البحور يقول الدماميني في مهملات دائرة المختلف "وتشتمل هذه الدائرة على بحرین مهملين أحدهما وزنه مفاعيلن فعولن أربع مرات عكس الطويل ويسميه بعضهم المستطيل وحكى عن الخليل أن العرب لم تستعمله وأن السبب في إهماله ما يلزم من وقوع سببين بين وتدين في أوله فلا يمكن زحافهما واعتراض بأن هذه العلة لو صحت للزم إهمال الهجز والمضارع والمقتضب لأن كلا منهما مبني على سببين بين وتدين فلا يمكن زحافهما فأجيب بأنه لا يمكن تأليفها إلا ذلك إذ لا خماسي فيها بخلاف ذلك لأن فيه خماسيا فيخرج من المحذور بتقدمه والأشبه ما قاله الزجاج: "مفاعيلن لو وقع أوله لجاز خرمه لأن أوله وتد مجموع ويلزم أن يقع الخرم في جزء أصله أن يقع في ذلك اللفظ في حشو البيت، ولا نظير له واعترضه أبو الحكم بأن هذا لو صح لما وقع الحزم في مفاعيلن في الهجز لوقوعها في الطويل حشوا لكن قد وقع فيها فدل على عدم اعتبار هذه العلة"^(١٩)

ويقول الحفناوي: "وقد أهمل هذا البحر لئلا يختلط ببحر الهجز"^(٢٠) والأرجح الحمل على قول الحفناوي لقول الدماميني "وقد حكوا للهجج عروضاً

بتأخير "فعولن" كاملة، قال: ومبدؤه من أول الجزء الثاني من الطويل وهو مفاعيلن.

٢- الوسيم: أخرج الرندي مهملًا ثانيًا من دائرة المختلف وسمّاه الوسيم، قال: ومبدؤه من سادس الجزء الثاني من الطويل، أي من "لن" في "مفاعيلن" وشطره: فاعلاتن فعولن فاعلاتن فعولن
قال: وهو مثنى ومرجع فبيث مثنى: قد شجاني حبيب واعتراني أدكارُ

ليتته إذ شجاني ما شجنتني الديارُ
وابن القطّاع الصقلي سابقٌ في زمانه لأبي
البقاء الرندي فقد توفي ابن القطّاع في سنة ٦١٥هـ
بينما توفي أبو البقاء في ٦٨٤هـ، ولا شك أن أبا البقاء أفاد من منهج ابن القطّاع في تخريج مهملاته.

ونجد أن بعض الشعراء المجيدين قد نظموا في بعض البحور المهمة، كأبي العتاهية في قوله:
للمنون دائراتٌ يدرنُ صرفها

هنّ ينتقينا واحداً فواحداً
كما نظم أيضاً على مقلوب المديد في قوله:
عُتّب ما للخيالِ خَبْريني ومالي

لا أراه أتاني زائراً مذ ليالي
وقال ابن بري " وقد تجافى بعض المتعسّفين عن هذا العلم ووضعوا منه واعتقدوا أنه لا جدوى له، واحتجوا بأنّ صانع الشعر إذا كان مطبوعاً على الوزن، فلا حاجة له بالعروض كما لم يحتج إليه من سبق الخليل... ولأنّ بعض كبار الشعراء لم يقف عند ما حده الخليل وحصره من الأعراب، ولما قال أبو العتاهية أبياته التي أولها:

عُتّب ما للخيالِ خَبْريني ومالي قبيل له: إنك خرجت عن العروض، فقال: أنا سبقتُ العروض"^(١٣).

وقد حاول العروضيون أن يبرروا سبب إهمال كل بحر من البحور كما حاول اللغويون تبرير سبب إهمال ما أهمل من الألفاظ^(١٤) وهذا هو القول في إهمال ما أهمل من البحور ممّا تحتمله قسمة تركيب الأوزان:

يقول الجنزي: "اعلم أنّ العرب أهملت بعض هذه البحور وغيرت الباقي عن حاله وأهملت ما أهملت من المهملات لاستثقالها لها في الذوق وغيرت الباقي حتى عاد إلى الاعتدال"^(١٥)

وقال صاحب بن عباد "اعلم أن البحور على ثلاثة وأربعين بحراً قسم أنشدت عليها العرب وقسم استثقلته فأهملته"^(١٦). وقال أبو الفرج الأصفهاني: في ترجمة عبد الله بن السميدع البصري أحد تلاميذ الخليل "وكان يقول أوزاناً من العروض



محذوفة مثل ضربها وأنشد^(٢١)
سقاها الله غيثا من الوسمى ربا.
فتكون حينئذ على:
مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن.

فيكون هذا من مجزوء مقلوب الطويل
المهمل فحكم الدماميني بشذوذه فقال: "فهذا في غاية
الشذوذ"^(٢٢) فلعل هذا يبرر إهمال مقلوب الطويل ولم
ترد أشعار على هذا من أشعار القدماء إلا بعضا مما
أورده الدماميني من نظم المولدين:
لقد هاج اشتياقي غرير الطرفِ أحور
يُدِير الصَّدْعَ منه على مِسْكٍ وعنبر^(٢٣)
أما المهمل الثاني فهو مقلوب المديد:
فاعلن فاعلاتن فاعلن فاعلاتن

فاعلن فاعلاتن فاعلن فاعلاتن
فلعل السبب في إهمال هذا البحر تقديم
الجزء القصير (فاعلن) على الطويل (فاعلن) وفي سائر
البحر المركبة نجد أن المقطع الطويل مقدم على
القصير كما نجد في بحر البسيط:
مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن
مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن
وفي المديد:
فاعلن فاعلن فاعلاتن فاعلن

فاعلن فاعلاتن فاعلن فاعلاتن
إلا في بحر الطويل فقد قدم (فعولن) على
مفاعيلن) لأنها وإن كانت أقصر من (مفاعيلن) وكان
عدد حروفها أقل إلا أنها أقوى من (مفاعيلن) في
جرسها فلذلك تقدمت على (مفاعيلن).
أما الدائرة الثانية فهي دائرة المؤتلف ففيها
بحر واحد مهمل هو:
فاعلاتك فاعلاتك فاعلاتك

فاعلاتك فاعلاتك فاعلاتك
ويمكن التخلص من هذا البحر المهمل
بتحريك الفاصلة من متفاعلن بد لا من السبب
الثقيل كما مرّ ويقول الدماميني في علة إهماله
"وقال الصفاقسي والبحر المهمل في هذه الدائرة وزنه
(فاعلاتك) ست مرات. والسبب في إهماله ما يلزم
عليه من المحذور وهو إما لزوم الوقف على المتحرك
أن ترك الحرف الأخير على حالة من التحرك أو عدم
تماثل أجزاء البيت إن سكن لأنه من دائرة المؤتلف
وهي مبنية على تماثل الأجزاء قال وقد استعمله بعض
المولدين وارتكب محذور عدم التماثل فقال:
ما أريت من الجأدر في الجزيرة
إذ رمين بأسهم جرحت فؤادك

قال: ويقول الشريف إن السبب في إهماله
ما يلزم عليه من تفريق السبب الثقيل من الخفيف
وكلاهما كالصوت الواحد الذي لا تُفَرِّقُ أبعاضه"^(٢٤)
فكأن الشريف يرى وجوب تحريك الفاصلة الكبرى
للتخلص من هذا المهمل.
والدائرة الرابعة المشتبه وفيها ثلاثة مهملات
أول المهملات:
فاعلن فاعلاتن مستفعلن لن

فاعلن فاعلاتن مستفعلن لن
يقول الدماميني: "إن سبب أطراحه ما يلزم
عليه لو تم من وقوع (مستفعلن لن) المفروقة، الوند في
العروض وهو مجتنب عندهم لأنها عمدة والأسباب
مع الوند المفروق ضعيفة ولهذا لم يجرى السريع تاما
وأقول ولو جرئ هذا البحر لالتبس بمجزوء الرمل"^(٢٥)
ويكون التباسه ببحر الرمل المحذوف العروض والضرب
ويكون كلاهما على هذه الصورة:
فاعلن فاعلاتن فاعلن

فاعلن فاعلاتن فاعلن
والبحر المهمل الثاني في هذه الدائرة هو:
مفاعيلن مفاعيلن فاع لا تن

مفاعيلن مفاعيلن فاع لا تن
وقال الدماميني: "وعلل الزجاج أطراحه
مما تقدم من أنه لو جرئ لالتبس بمجزوء الهجج"^(٢٦)،
وبصير كل منهما حينئذ:
مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن
البحر الثالث المهمل:
فاع لا تن مفاعيلن مفاعيلن

فاع لا تن مفاعيلن مفاعيلن
وقال الدماميني "لا علة لأطراحه لا تاما ولا
مجزوءاً إلا عدم السماع"^(٢٧)
ولعل هذه العلة أبين العلل لأن كل البحور
المهملة إنما بني إهمالها على عدم السماع وحكم عليها
كما حكم على المهملات من الألفاظ فما لم يرد منها في
أشعار العرب عدّ مهملا لأن العرب لم تقل عليه.
الدائرة الخامسة هي دائرة المتفق قال ابن
فارس "وبعضهم قد تعاطى الفك فأخرج (فاعلن من)
فعولن (بتقديم السبب على الوند وسموه الخبب
والمسوق وركض الخليل وقد يجرى في الشعر المحدث
(فعلن) و(فعلن) بقطع الوند وأنشدوا:
أشجاك تشئت شعب الحي فأنت له أرقق وصب"^(٢٨)
وقال صفي الدين الحلبي "أصل
المتدارك (فاعلن) ثماني مرات وقد أخرج قوم من
المتأخرين كأبي الحسن الأخفش هذا البحر من



مستعيناً في هذا بالمنهج اللغوي الوصفي الذي يقول بوصف الظاهرة المدروسة كما هي وعدم استثناء شيءٍ منها، ويرى أنه بحرٌ يتمتع بموسيقى سلسلة جذابة وفيه رنةٌ موسيقية مطربة وطواعية جعلت كثيراً من الشعراء المحدثين والمعاصرين يكترون النظم عليه^(٣٣) وأرى أن الدكتور صادق أبو سليمان محقّق فيما ذهب إليه فإننا نجد الفحول من الشعراء المعاصرين من أمثال أحمد شوقي ينظم على المتدارك، يقول:

وَبَكَاهُ وَرَحَّمَ عَوْدَهُ

وله أيضاً:

النَيْلُ الْعَذْبُ هُوَ الْكَوْتَرُ

وَالْجَنَّةُ شَاطِئُهُ الْأَخْضَرُ

وهي قصائد مستعذبة.

وقد كان الجدل حول المتدارك واسعاً في أوساط الباحثين وقد كتبتُ حوله بحوث كثيرة^(٣٣) وفيها غنى لمن أراد أن يستفيض في البحث في أصل المتدارك.

استعمال البحور المهملة:

ذهب الزمخشري إلى جواز النظم في البحور المهملة وبيّن حجتَه قائلاً "فصل أقدمه بين يدي الخوض فيما أنا بصدده في بناء الشعر العربي على الوزن المخترع الخارج عن بحور شعر العرب لا يقدر في كونه شعراً حتى يحام فيه على الوزن من أوزانهم والذي ينصر المذهب الأول أن حدّ الشعر لفظ موزون مقفًى يدلّ على معنى فهذه أربعة أشياء اللفظ، المعنى والوزن والقافية، فاللفظ وحده هو الذي يقع به الاختلاف بين العرب والعجم فأما الثلاثة الأخر قصيدة على قافية لم يقف بها أحد من شعراء العرب ساغ ذلك مساعاً لا شك فيه وكذلك لو اخترعنا معاني لم يسبقونا إليها لم يكن بنا بأس بل يعد ذلك من جملة المزاي و ذلك لأن الأمم عن آخرها متساوية إلى المعاني والقوافي وكذلك الوزن يتساوى الناس في معرفته والإحاطة بأن الشئين إذا توازنا وليس لأحدهما رجحان على الآخر كان ذلك ككفتي الميزان"^(٣٤)

فالزمخشري يرى أن استعمال المهملات جائز ما دامت مستوفية لشروط حدّ الشعر من لفظ ومعنى ووزن وقافية فليس النظم عليها محذور لديه وذهب ابن عبد ربه إلى عدم جواز استعماله فقد قال بعد ذكر الأوزان المستعملة:

هذا الذي جرّبه المجربُ

من كل ما قالت عليه العربُ

فكل شئ لم تقل عليه

المتقارب مفكوكاً منه بتقديم السبب على الوجد وإمّا لم يثبتته الخليل إمّا لعدم وجود بيت في أشعاره على هذا البحر أو لمخالفته أصوله إذ الأصل أن القطع مختص بالأعاريض والضروب وفي هذا البحر جاء القطع في الحشو والمشهور أنه سعى بالمتدارك كأنه أخذ من التدارك وهو التلاحق وبعضهم سمّاه ركض الخيل من قوله ركضت الخيل برجلي كأنه ركض المتقارب وبعضهم المتقاطر لتقاطر حركاته شيئاً فشيئاً وبعضهم صوت الناقوس وبعضهم المتراكب وبعضهم الخبب"^(٣٥) والمتأمل في جملة هذه الأسماء يجد أنها ذات مدلول واحد وهو أنها توحى بالسرعة فالجزء الخماسي(فاعلن) لم يتحمّل أن يكون بحراً وحده لسرعته وقصره وإمّا استعمل مع الجزئين السباعيين (مستفعلن) في البسيط و(فاعلاتن) في المديد واحتمل الجزء الخماسي فعولن أن يكون بحراً وحده لقوته بتقديم الوجد المجموع على السبب الخفيف إذ إنّه يجيء في أبيات المضارع.

أما تسميته بالمتدارك على أن الأخفش قد تداركه على الخليل فلا يدلّ على أنه كان يجهله إذ أن وقوع الخليل عليه في دائرة المتفق يدلّ على علمه به فلكي تكتمل الدائرة كان لابد من خروجه منها بتقديم السبب على الوجد.

وأحسب أن الخليل قد ذكره في المهملات وجاء الأخفش فآبته في البحور المستعملة إمّا لأنّه وجد أن العرب قد قالت عليه شعراً وإمّا أنّه أثبتته لكي تنظم عليه الشعراء وقد أثبت الخليل المضارع والمقتضب وأنكرهما الأخفش وزعم أنه لم يسمع منهم شيء على ذلك.^(٣٥)

ربما كان إثبات الخليل لهذين البحرين قائماً على استحسانه لهما وأثبتهما لكي تنظم عليها الشعراء. وقد أورد القفطي في (إنباه الرواة) قصيدتين للخليل في المتدارك يقول القفطي: "وللخليل قصيدة على (فعلن) ثلاثة متحركات وساكن: سئلوا فأبوا فلقد بخلوا فلبس لعمرمك ما فعلوا وأخرى على (فعلن): هذا عمرو يستعفى من زيد عند الفعل القاضي"^(٣٦)

فإن صحّت نسبة هاتين القصيدتين للخليل لم يصح أن الخليل قد أهمل هذا البحر ويكون تعليل ذلك أن الخليل قد أثبتته أول الأمر ونظم عليه ثم استهجته بعد ذلك فأطرحه.

ومن المحدثين الذين تعرّضوا لدراسة المتدارك في مقال مفرد صادق أبو سليمان وهو في مُجمل دراسته يعترف ببحر المتدارك بحراً عروضياً



وليس من المعقول طبعاً أن يكون لكل شاعر أوزانه الخاصة، بل لا بدّ من الاتحاد في معظم الأوزان والتقارب في نسبة شيوعتها في أشعار الشعراء، حتى تألفها الأذان وتستريح إليها نفوس السامعين ولا نستطيع أن نتصوّر تلك العقول الجبارة التي أخرجت روائع الأخيلة والمعاني السامية عاجزة أو قاصرة عن التجديد والابتكار في موسيقى الشعر أيضاً^(٣٩) والمتأمل في خروج بعض الشعراء على الأوزان التي ارتضاها الخليل وأثبتها في مستعملات الأوزان يجد أنها لم تُرزق السبرورة في بلاد المشرق إلا ما كان من أمثال رزين العروزي حيث خرج في بعض أشعاره عن العروض الخليلي ومن هذا الضرب قوله في مدح الحسن بن سهل:

قربوا جمالهم للرحيل غدوةً أحبّك الأقربوك
خلفوك ثمّ مضوا مدلجين مفرداً بهمك وكما ودعوك
ولم يتبعه أحد فيما ابتدعه وما أحسب أنّه
صنعه إلا من باب الرياضة لذا سُمّي بالعروزي كذلك
نجد الخروج في السلسلة والدويبة والقوما وهي ممّا
يدخل في الأوزان العامية.

أما في الأندلس فنجد أن الموشح قد خرج في كثير من صوره عن الأوزان الخليلية واستعذبه أهل الأندلس، وكان أصحاب هذه الصنعة يردلون منها ما وافق الأوزان القديمة كما قال ابن سناء الملك: "الموشحات تنقسم قسمين: الأوّل ما جاء على أوزان أشعار العرب... والثاني ما لا مدخل لشيء منه في شيء من أو أوزان العرب، وهذا القسم منها هو الكثير والجَمُّ الغفير"^(٤٠)

ونخلص إلى أنّ للوزن الخليلي جلالاً وأبهة وجمالاً تحفظ بقاءه على مرّ العصور كما أنّ الأذن العربية قد ألفت هذه الأوزان فإذا خلا منها الشعر تشوّفت النفس إليها.

أما المهمل من الألفاظ فلا يمكن أن يُقاس على المهمل من الأوزان كما فعل ابن عبد ربّه: وأنه لو جاز في الأبيات

خلافها لجاز في اللغات فكأنّ ابن عبد ربه يقيس مهملات البحور على مهملات الألفاظ والعلة في الحالتين عدم السماع، ولكن وجه القياس غير جائز، ونحن نعجب لابن عبد ربّه أن يقول مثل هذا الكلام وهو الذي عاش في بيئة أندلسية شهدت ميلاد الموشحات الأندلسية التي خرجت في بعض صورها على الأوزان خروجاً ساعاً للأذن الأندلسية وطاب لها.

فإننا لم نلتفت إليه

ولا تقول غير ما قد قالوا

بأنه من قولنا محال^(٣٥)

وذهب القناوي إلى أنّ القدماء لم ينظموا عليه وإمّا نظم عليه المولّدون، قال "ومراد المصنّف يعني الديمهوري أسماء البحور التي نظمت عليها العرب فخرج بذلك الأبحر الستة المهمة فإنه لم ينظم منها إلا المولّدون"^(٣٦) فكل الأشعار التي نُظمت في المهملات كانت من نظم المولّدين لأنهم لم ينظموا عليها إلا بعد أن عرفوها، أي أنهم استعانوا في نظمها بمعرفتهم بالعروض ولم يبد اعتراضاً عليهم، وبأبي ذلك ابن رشيق إذ يقول "ولو أنّ الخليل رحمه الله وضع كتاب العروض ليتكلّف الناس ما فيه من الزحاف ويجعلوه مثلاً دون أن يعلموا أنها رخصة أتت بها العرب عند الضرورة لوجب أن يتكلّف ما صنعه من الشعر مزاحفاً ليدلّ بذلك على علمه وفضل ما نحا إليه واني وجدت العمل بالعلم في كل أمر من أمور الدين أوفق إلا في الشعر خاصة فإن عمله بالطبع دون العروض أجود"^(٣٧)

فالمُحدّثون إمّا تكلّفوا النظم على هذه الأوزان تكلّفاً ولم يعتمدوا فيها على الطبع ولم تنظم عليها العرب ولم يعرفوها حتى وقعت في دائرة الخليل فتكلّفوا النظم فيها.

ويقول محمود مصطفى "إن كل ما خرج على أوزان الشعر ليس بشعر وإمّا هو من عمل المولّدين الذين رأوا أن حصر الأوزان يضيق عليهم مجال القول، وهم يريدون أن يجري كلامهم على الأنغام الموسيقية التي نقلتها إليهم الحضارة، وهذه لا حدّ لها، وإمّا جنحوا إلى تلك الأوزان لأن أذواقهم تربّت على إلفها واعتادت التأثير بها، وإن كان هناك بعض الشعراء في العصر العباسي قد تربّم بأوزان الشعر في من يحاول ما لا يستطيع هو عيب من لا يستكمل الوسائل ثم يريد الطفور إلى الغايات"^(٣٨)

أما إبراهيم أنيس فيرى أنّ من الممكن للمحدّثين من الشعراء أن يجددوا ولكن بقدر وأناة ورفق كي لا يفجئوا قراءهم وسامعيهم بما لم يألفوا، أو بما لا يمتّ للقديم بأي صلة، وإمّا يكون ذلك بالاختصار في نظمهم على ما شاع من أوزان وإهمال غيرها إهمالاً تاماً. فإذا ابتكروا وزناً حاولوا جهدهم أن ينظموا منه كثيراً، وأن يتعاونوا في كثرة النظم منه بحيث يصبح شائعاً مألوفاً، وتقرب نسبة شيوعه من تلك الأوزان التي ألفها الناس وتعودوها.



الهوامش:

- ١- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ١/٤٦.
- ٢- جمهرة اللغة، محمد بن الحسن بن دريد، ص ٣.
- ٣- الكشكول، بهاء الدين بن حسين العاملي، ٣١/١.
- ٤- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهرى، ص ٤٩.
- ٥- الموسيقى الكبير، الفارابي أبو نصر محمد بن محمد، ص ١٠٨٥.
- ٦- تهذيب اللغة، ص ٤٩.
- ٧- اضاف بعض العروضيين صورتين لتفعيلتي مستفعلن و فاعلاتن ليصبح عددها عشرة، والصورتان هما (مستفع ل ن) و (فاع لاتن).
- ٨- شرح تحفة الخليل، محمد حسين القزويني، ص ٤٠.
- ٩- شرح تحفة الخليل: ٣٩.
- ١٠- القسطاس المستقيم في العروض: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ص ٤٠.
- ١١- المهملات من الدوائر، ابن القطاع الصقلي، أبو القاسم بن علي بن جعفر، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت الرقم ٤ ش عروض بدار الكتب بالمكتبة الخديوية ضمن مجموعة في ١٠٢ ورقة وهذا المخطوط هو الثاني في الترتيب من صفحة ٤٠-٤٥ وقد أشار إليه محمد عبد الدايم في مقدّمة تحقيق كتاب البارع، طبع المطبعة الفيصلية، مكة المكرمة، ١٩٨٥.
- ١٢- الوافي في نظم القوافي للرندي الجزء الرابع ص ٥٦.
- ١٣- المعيار في أوزان الأشعار، أبو بكر محمد بن سراج الشنتريني، ص ١٢٤، وينظر: العيون الغامزة ص ٢٣٢.
- ١٤- يقول ابن جني: "أما إهمال ما أهمل مما تحتمله قسمة التركيب في بعض الأصول المتصورة أو المستعملة فأمر متروك للاستثقال فمن ذلك ما رفض استعماله لتقارب حروفه نحو صص وجج وجك" الخصائص، عثمان بن جني الموصللي، ص ٥٤، ويقول ابن فارس: "المهمل على ضربين ما لا يجوز ائتلاف حروفه في كلام العرب البتة وذلك كالجيم تؤلف مع كاف أو كاف تقدّم على جيم وكعين مع غين أو حاء مع هاء أو غي ره. وهذا وما أشبهه لا يأتلف والضرب الآخر ما يجوز تألّف حروفه ولكن العرب لم تقل عليه وذلك كإرادة مريد أن يقول عضخ فهذا يجوز تألّفه وليس بالنادر ألا تراهم قد قالوا في الأحرف الثلاثة خضع ولكن العرب لم تقل عضخ". الصحابي في فقه اللغة، ابن فارس ص . ويقول السيوطي: "اعلم أن واضع اللغة لما أراد صوغها وترتيب أحوالها هجم بفكرة على جميعها ورات صوره وجوه جملها وتفصيلها فعلم أنه لا بد من رفض ما شنع تأليفه فنفاه عن نفسه ولم يمزجه بشيء من
- تأليفه" المزهر، السيوطي: ١٢٤٥.
- ١٥- الدوائر العروضية الجنزي، عمر بن عثمان بن شعيب، مخطوط بدار الكتب ١٩ عروض: ٦٧.
- ١٦- القول الوافي بشرح الكافي، صاحب بن عبّاد، ويحاشيته الكافي في علمي العروض والقوافي لأحمد بن شعيب القناوي مخطوط بدار الكتب ١٠ عروض: ٣.
- ١٧- الأغاني أبو الفرج علي بن الحسين القرشي الأصفهاني، ١٥٠/٦.
- ١٨- العيون الفاخرة الغامزة على خبايا الرامزة، بدر الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المخزومي الدماميني، ص ٤٤.
- ١٩- العيون الغامزة ص ٤٨.
- ٢٠- رفع الستائر عن مهملات الدوائر، الحفناوي، يوسف بن سالم بن أحمد، مخطوط بمكتبة الأزهر ٤٠، ٥٧.
- ٢١- العيون الغامزة ص ١٨١.
- ٢٢- المصدر نفسه ص ١٨١.
- ٢٣- المصدر نفسه ص ٤٨.
- ٢٤- العيون الغامزة ص ٥١.
- ٢٥- العيون الغامزة ص ٥٦.
- ٢٦- المصدر نفسه ص ٥٦.
- ٢٧- المصدر نفسه ص ٥٧.
- ٢٨- الصحابي في فقه اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، ص ٥٤.
- ٢٩- المزهر، جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال، ٢٤٥/١.
- ٣٠- العيون الغامزة ص ٥٩-٦٠.
- ٣١- إنباه الرواة على أنباه النحاة، القفطي، أبو الحسن جمال الدين بن حسن بن علي بن يوسف الشيباني، ٤٢٣.
- ٣٢- بحر المتدارك بين الإغفال والإثبات، صادق عبد الله أبو سليمان، منشور في كتاب مؤتمّر اللغة العربية، الجزء الثالث مجلة الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠٠١.
- ٣٣- من هذه الدراسات: أسطورة تدارك الأخفش للبحر المتدارك، للدكتور محمد عبد المجيد الطويل، مجلة عالم الكتب ١٩٩٧. بحور لم يؤصّلها الخليل- بحر الخبب، للدكتور عمر خلوف، مجلة الدراسات اللغوية عام ٢٠٠٣ م. حكاية البحر المتدارك للأستاذ بديار البشير، مجلة الآداب واللغات، جامعة الأغواط بالجزائر عام ٢٠٠٥.
- ٣٤- القسطاس المستقيم ص ٤.
- ٣٥- العقد الفريد ٤٤٠/٥.



٣٨- أهدى سبيل إلى علمي الخليل العروض والقافية:
محمود مصطفى، ص ١٣٥.
٣٩- موسيقى الشعر إبراهيم أنيس، ص ٢٠.
٤٠- دار الطراز، ابن سناء الملك، هبة الله بن جعفر بن
سناء الملك، ص ٣٢.

٣٦- المختصر الشافي على متن الكافي في علمي العروض
والقوافي، السيد محمد الدمهوري، وبحاشيته الكافي
في علمي العروض والقوافي لأحمد بن شعيب القناوي
ص ١٠.
٣٧- العمدة: ابن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محي
الدين عبد الحميد، ص ١٥١.



المصادر والمراجع

- ١- الأغاني أبو الفرج علي بن الحسين القرشي الأصفهاني، دار المعارف مصر، ١٩٥١
- ٢- إنباه الرواة على أنباه النحاة، القفطي، أبو الحسن جمال الدين بن حسن بن علي بن يوسف الشيباني، طبع دار الكتب المصرية ١٣٦٩.
- ٣- أهدي سبيل إلى علمي الخليل العروض والقفية: محمود مصطفى، تحقيق سعيد محمد اللحام عالم الكتب والنشر والتوزيع، ١٩٩٦.
- ٤- بحر المتدارك بين الإغفال والإثبات، صادق عبد الله أبو سليمان، منشور في كتاب مؤتمر اللغة العربية، الجزء الثالث مجلة الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠٠١.
- ٥- البارع في علم العروض، لابن القطاع الصقلي، تح: احمد محمد عبد الدايم، المطبعة الفيصلية، مكة المكرمة، ١٩٨٥.
- ٦- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهرى، طبع الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٣٨٤ هـ.
- ٧- جمهرة اللغة، محمد بن الحسن بن دريد، دار صادر بيروت، ١٣٤٤ .
- ٨- الخصائص، عثمان بن جني الموصلى، دار الهدى بيروت، ١٣٣١ هـ.
- ٩- دار الطراز، ابن سناء الملك، هبة الله بن جعفر بن سناء الملك، تحقيق جوده الركابي، دمشق، ١٣٦٨ هـ.
- ١٠- الدوائر العروضية الجنزي، عمر بن عثمان بن شعيب، مخطوط بدار الكتب ١٩ عروض
- ١١- رفع الستائر عن مهملات الدوائر، الحفناوي يوسف بن سالم بن أحمد، مخطوط بمكتبة الأزهر.
- ١٢- شرح تحفة الخليل، محمد حسين القزويني، دار الكتب المصرية، (١٩٦٩).
- ١٣- الصحابي في فقه اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، مطبعة المؤيد مصر (١٣٥٨))
- ١٤- العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي، تح: احمد امين واحمد زين وابراهيم اليباري، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٨٥ هـ- ١٩٦٥ م.
- ١٥- العمدة: ابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦ هـ)، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الجيل، ط ٤، ١٩٧٢ م.
- ١٦- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق عبد الله درويش، مطبعة العاني، بغداد ١٩٦٧.
- ١٧- العيون الغامزة على خبايا الرامة، للدماميني ابي عبد الله محمد بن ابي بكر (ت ٨٢٧ هـ)، تحقيق: الحساني حسن عبد الله، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط ٢، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.
- ١٨- القسطاس المستقيم في العروض: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، بيروت ١٩٨٩).
- ١٩- القول الوافي بشرح الكافي، صاحب بن عبّاد، وبحاشيته الكافي في علمي العروض والقوافي لأحمد بن شعيب القناوي مخطوط بدار الكتب ١٠ عروض.
- ٢٠- الكشكول، بهاء الدين بن حسين العاملي، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ١٣٨٠.
- ٢١- المختصر الشافي على متن الكافي في علمي العروض والقوافي، السيد محمد الدمهورى، وبحاشيته الكافي في علمي العروض والقوافي لأحمد بن شعيب القناوي ط مصطفى الباي الحلبي وأولاده مصر. ١٩٣٦
- ٢٢- المزهر، جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد سابق الدين طبع إحياء دار الكتب العربية ١٢٨٢ هـ.
- ٢٣- المعيار في أوزان الأشعار، أبو بكر محمد بن سراج الشنتريني، تحقيق محمد رضون الداية، بيروت دار الانوار، ط ١، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.
- ٢٤- المهملات من الدوائر، ابن القطاع الصقلي، أبو القاسم بن علي بن جعفر، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت الرقم ٤ ش عروض.
- ٢٥- موسيقى الشعر إبراهيم أنيس، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ١٩٨١ الطبعة الثانية.
- ٢٦- الموسيقى الكبير، الفارابي أبو نصر محمد بن محمد بن حرقان، طبع دار الكاتب العربي د.ت.
- ٢٧- الوافي في نظم القوافي لابي البقاء الرندي (ت ٦٨٤ هـ) الجزء الرابع، دراسة وتحقيق: أ.د. هدى شوكت بهنام و أ.م.د. عبد الجبار عدنان حسن، مجلة كلية التربية الجامعة المستنصرية، العدد الرابع، ٢٠٠٧.



- 13- The evaluation process should be conducted confidentially and the author should not be informed of any aspect of it
- 14- If the evaluator wants to discuss the research with another evaluator, he must inform the editor-in-chief of that
- 15- There should not be direct correspondences and discussions between the resident and the author regarding what he receives with his research sent for publication, and the resident's notes should be sent to the author through the editorial director of the magazine
- 16- If the evaluator believes that the research is extracted from previous studies, the evaluator must indicate those studies to the editor-in-chief of the journal
- 17- The evaluator's scientific observations and recommendations will depend on it mainly in the decision to accept the research for publication or not. The author himself.



Evaluators Guide

The main task of the scientific evaluator of the research submitted for publication is for the assessor to read the research that falls within his scientific specialization very carefully and evaluate it according to academic and scientific perspectives that are not subject to any personal opinions, and then confirm his constructive and honest observations about the research sent to him.

Before starting the evaluation process, the evaluator is requested to ensure that he is fully prepared to evaluate the research sent to him and whether it falls within his scientific specialization or not, and whether the evaluator has enough time to complete the evaluation process, otherwise the evaluator can apologize and suggest another evaluator.

After the evaluator agrees to conduct the evaluation process and ensure that it is completed within the specified period, the evaluation process must be conducted according to the following parameters:

- 1- The evaluation process should not exceed ten days so as not to negatively affect the author
- 2- Not to disclose research information for any reason, during and after the evaluation process, except after obtaining written permission from the author and the editor-in-chief of the journal or when publishing the research
- 3- Not to use the research information for any personal benefit or for the purpose of causing harm to the author or its sponsoring institutions
- 4- Disclose any potential conflict of interest
- 5- The resident should not be affected by the nationality, religion, gender of the author, or any other personal considerations
- 6- Is the research authentic and important to the extent that it should be published in the journal?
- 7- Whether the research is consistent with the general policy of the journal and the publication controls therein
- 8- Is the research idea covered in previous studies? If yes, please indicate those studies
- 9- The extent to which the title of the research expresses the research itself and its content
- 10- A statement whether the research summary clearly describes the content and idea of the research
- 11- Does the introduction in the research describe what the author wants to reach and clarify accurately, and did the author explain in it what the problem he studied is?
- 12- The author's discussion of the results he reached during his research in a scientific and convincing manner



sequentially and their titles are written above them. The explanatory notes are written under the tables.

15- The researcher can interpret what he sees as ambiguous words or terms using the footnotes method in the text, where the term to be clarified is indicated by a number at the top of the term, then these footnotes are referred to in a separate list before the list of sources and references



Publication Terms

- 1- Research papers are accepted in both Arabic and English, provided that they are written in a sound language free from grammatical and linguistic errors.
- 2- Requests to publish researches are submitted through the website <http://dawatjournal.com> in (word) format.
- 3- In researches written in Arabic, Simplified Arabic font is used in size (14) without leaving any spaces between the lines, and bold font is used for the main title and sub-headings (size 14), and the rest of the text is in normal font size (12), and (10) normal for tables and figures .
- 4- In papers written in the English language, the Times New Roman font is used in size (12) without leaving any spaces between the lines, and bold font is used for the main title and sub-headings (size 14), and the rest of the text is in normal font size (12), and normal (10) for tables and shapes.
- 5- The number of search words shall not exceed (10000-15000) words, and shall not exceed (32) pages of (A4) size, including figures, drawings, tables, margins and references, bearing in mind that the supplements are not published, but are placed for the purposes of arbitration only.
- 6- The following research must include a separate page on it: the name of the researcher(s) and their address immediately after the title of the research in both Arabic and English, and their email address is mentioned.
- 7- The research must include two summaries, one in Arabic and the other in English, within (150-200) words for each, and it is taken into account that the two summaries include the objectives and methodology of the research and the most prominent results reached, and the researcher proves at the end of the summary with no less than three key words (Key Word).
- 8- The research should be characterized by novelty, originality and objectivity, and represent a new addition to knowledge in its field.
- 9- That it has not been published or submitted for publication in another journal, and that the researcher undertakes to do so in writing. The researcher's approval of publication and sending his research necessarily requires review of and adherence to the terms of publication in the journal.
- 10- The research should not be a chapter or part of a published book.
- 11- The researcher should indicate in the margin of the title page that his research was extracted from a master's thesis or a doctoral thesis, if that is true.
- 12- It is not permissible to publish the research or parts of it elsewhere, after accepting its title for publication in the journal, except after obtaining a written letter from the editor-in-chief of the journal.
- 13- The researcher is obligated to pay the expenses resulting from the arbitration procedures in case of his request to withdraw the research and his desire not to proceed with the evaluation.
- 14- The tables are included in the body of the text and are numbered



Publication Policy

- 1- The journal publishes research that is in line with best practices and codes of conduct of relevant professional bodies or national and international regulatory bodies.
- 2- The journal is committed to supporting its scientific record through its commitment to the instructions of the Publication Ethics Committee (COPE).
- 3- Staying away from everything that would harm confidence in the journal and the professional competence of scientific publishing.
- 4- The research submitted for publication must not be submitted to any other means of publication.
- 5- The research submitted for publication must be previously unpublished in any form or language.
- 6- The research submitted for publication must be original, and the extracted research is accepted.
- 7- The journal accepts research that has new research angles related to the expansion of the previous research.
- 8- Provide transparency about the reuse of materials to avoid hazards related to recycling. Texts or (literary theft).
- 9- The journal does not accept the study divided into several parts for submission to several journals or to one journal, but at different time intervals.
- 10- The magazine does not accept simultaneous or secondary justified publication.
- 11- The results of the research must be clear and explicit without any treatment, including manipulation based on the source.
- 12- The printing of the submitted research must be in accordance with the rules of the Arabic language and the professional conditions.
- 13- The search contains punctuation marks and appropriate division of the text.
- 14- The journal is obligated to conduct research to detect scientific plagiarism and the percentage of plagiarism.
- 15- In the event that a researcher discovers scientific theft in his research sent for publication, the researcher's name is recorded in the list of expulsion to not deal with him again in order to preserve the ethics of publishing.
- 16- The researcher can withdraw the research before sending it for evaluation, and it is required to withdraw it once it is sent and after the evaluation pay the assessors' wages specified by the journal administration.
- 17- The submitted research moves from one step to another after completing the administrative requirements by filling out the forms and sending the requirements, if any.



Chief Editor

Mr. Dr. Anwar Saeed Jawad
University of Baghdad
dr.anwaarsaeed@yahoo.com

Managing editor

A.M.D. Bushra Hanun Mohsen
Karbala University
bushra.hanon@uokerbala.edu.iq

Editorial board

Prof. Dr. Sirwan Abdel-Zahra Hashem

University of Kufa
serwan.aljanabi@uokufa.edu.iq

Prof. Dr. Ali Hashem Taleb

Al-Muthanna University
sciencesalih46416@gmail.com

Prof. Dr. Ahmed Hussein Abdel-Sada

Al-Muthanna University
albghdadyahmed1977@mu.edu.iq

Prof. Dr. Abdul Razzaq Ahmed Mahmoud

Postgraduate
alharby.15310@gmail.com

Asst. prof. Dr. Ali Hussein Farag

University of Milan
ali.faraj@unimib.it

Asst. prof. Dr. Jaafar Mahdi Abdul Mohsen

Arab Open University (Bahrain)
Jaffr4321@hotmail.com

Asst. prof. Dr. Musa Ali Musa

(College of Islamic Sciences (Palestine)
musa_najada@hotmail.com

Asst. prof. Dr. Ali Abdel Rahim Karim

University of Maysan
aabdalrahem757@gmail.com

Proofreader Arapic Language

Abbas Abdul Razzaq Al-Sabbagh

website

Haider A. Al Ameri

Prof. Dr. Khaled Abdel Kazem Azari

University of Basra
k.majedi86@gmail.com

Prof. Dr. Kazem Fakher Hajem

Dhi Qar University
kadhemi2000100@gmail.com

Prof. Dr. Said Ardif bin Issa

Mohammed I University (Morocco)
saidardif85@gmail.com

Prof. Dr. George Gregor

University of Bucharest

Asst. prof. Dr. Majed Mahdi Hassan

Islamic Azad University (Isfahan)
majednajarian@gmail.com

Asst. prof. Dr. Iman Omar Muhammad

King Khalid University (Saudi Arabia)
Emangadalla1984@gmail.com

Asst. prof. Dr. Hossam Adnan Rahim

Al-Qadisiyah University
husam.adnan@qu.edu.iq

Proofreader English Language

Rasha Abdul Reda Al-Sabbah

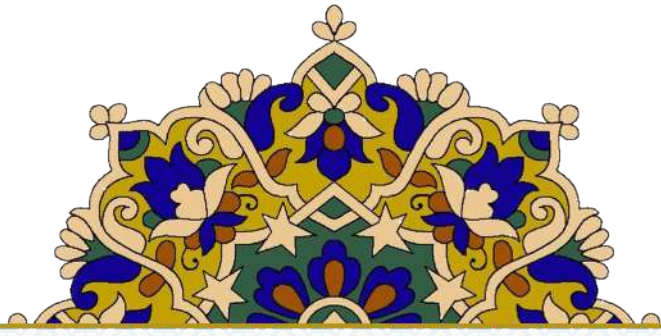
Follow up and coordination

Lecturer Dr. Hassan Kazem Al-Zuhairi

Design and Direction

Haider Azhar Al-Fatlawi





Generai Secretariat of the Holy Shrine of
Imam Hussein

The House of Arabic
Language and Literature

Deposit number in the Iraqi House of
Books and Documents
1963 for the year 2014

www.dawatjournal.com

E-mail: daralarabia@imamhussain.org

mob: +9647827236864 - +9647721458001